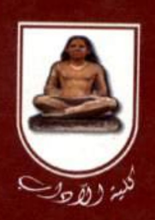


المؤرخ المصرى



دراسات وبحوث فى التاريخ والحضارة

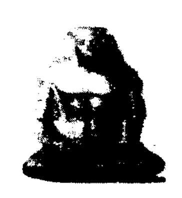
يصدرها قسم التاريخ
كلية الآداب - جامعة القاهرة

العدد الثامن والأربعون

يناير ٢٠١٦







المؤرخ المصرى

دراسات وبحوث فى التاريخ والحضارة

(مجلة علمية محكمة نصف سنوية)

يصدرها قسم التاريخ

كلية الآداب - جامعة القاهرة

العدد الثامن والأربعون

يناير ٢٠١٦



المراسلات : ترسل البحوث والمقالات باسم أ.د. إيمان عامر رئيس التحرير على العنوان التالى : (قسم التاريخ) كلية الآداب – جامعة القاهرة – بريد الأورمان – الجيزة.

All correspondence to be directed to : Editor- in chief- Prof. Iman Amer, Cairo University, Faculty of Arts, Orman, Giza, A.R.E.



الهيئة الاستشارية

قواعد النشر

- ترحب مجلة المؤرخ المصرى بنشر الأبحاث والدراسات الأصلية ذات المستوى الجاد بعد التحكيم، فضلا عن مراجعات وعرض الكتب الجديدة.
- تقبل حوليات المؤرخ المصرى للنشر الأبحاث التاريخية والحضارية المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية، على ألا يقل عدد الصفحات عن ٣٠ صفحة مسجلة على ديسك كمبيوتر، وفق برنامج (word) مع نسخة مطبوعة على ورق حجم A4 ، بما فى ذلك الهوامش والجداول وقائمة المراجع، على أن تكتب الهوامش فى نهاية البحث.
- حوليات المؤرخ المصرى لا تنشر بحوثا سبق أن نشرت أو معروضة للنشر فى مكان آخر، وتقوم رئاسة التحرير بإخطار المؤلفين بإجازة بحوثهم للنشر بعد عرضها على هيئة التحكيم.
- تحتفظ حوليات المؤرخ المصرى لنفسها بحق قبول أو رفض الأبحاث أياً كان قرار هيئة التحكيم.
- النشر فى مجلة المؤرخ المصرى متاح لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات المصرية والعربية والأجنبية وسائر المهتمين بالدراسات التاريخية.
- الآراء الواردة فى مجلة المؤرخ المصرى تعبر عن وجهة نظر أصحابها.

فهرس عدد (المؤرخ المصرى)

يناير ٢٠١٦

الموضــــــــــــوع	الصفحة

بحوث فى التاريخ الحديث

تابع فهـرس عدد (المؤرخ المصرى)

يناير ٢٠١٦

افتتاحية العدد

تتقدم أسرة تحرير مجلة المؤرخ المصرى بأخلص التهانى للقارئ الكريم بصدور العدد الجديد المتميز يناير ٢٠١٦م، والذى يضم عشرة أبحاث متنوعة تغطى أهم الموضوعات الخاصة بالتاريخ والحضارة والوثائق فمن بينها؛ فى مجال التاريخ الحديث صورة الحياة الاجتماعية بمصر إبان القرن التاسع عشر، والاقتصاد البحرى الكويتى فى النصف الأول من القرن العشرين، واليمن من خلال دفاتر المهمة العثمانية، والشيخ العباسى المهدى مفتى الديار المصرية وكتاب الفتاوى المهدية ومشروع مارشال والوحدة الأوربية، نشاط تيريل الدبلوماسي فى الدولة العثمانية (١٨٩٣-١٨٩٧م). ومجال التاريخ الإسلامى دراسة وصفية للنسق الزمنى فى السيرة النبوية لابن هشام، وأضواء جديدة على الصحابة ودورهم فى انتشار الإسلام فى بلاد الهند، والسلع التجارية فى أسواق خوارزم إلى جانب بحوث فى الوثائق والتى تتجلى فيه أسلوب جمع الوثائق من مصادرها الأصلية.

وبعد فنرجو أن ينال تنوع الموضوعات رضا القارئ الكريم، ونعده بالمزيد من الأبحاث والموضوعات المتميزة فى الأعداد القادمة بإذن الله.

والله أسأل التوفيق والسداد، أنه نعم المولى ونعم النصير

رئيس تحرير مجلة المؤرخ المصرى

أ.د. إيمان عبد المنعم عامر



صور الحياة الاجتماعية بمصر القديمة(*)
إبان القرن السابع عشر الميلادى

خالد حامد السيد أبو الروس

المقدمة:

كان المجتمع المصرى فى العهد العثمانى وما قبله يتكون من قوى فوقية وأخرى تحتية أو بعبارة أكثر دقة أقلية مسيطرة تتألف من الأتراك العثمانيين وبكوات المماليك الذين ازدادوا مع مرور الأيام. وأغلبية تتألف من عامة الشعب المصرى والطبقات الكادحة التى تتصارع من أجل البقاء مع وجود عناصر أخرى دخيلة على المجتمع وفدت بغرض التجارة أو بغرض هجرة استهوتها الحياة فى مصر فمكثت بها وشكلت بمرور الأيام لبنة فى بنيان المجتمع.

ومصر القديمة بوصفها جزء من هذا المجتمع أصبح محيط المجتمع داخلها يتكون من هذه اللبنات. فسكان المدينة خلال القرن السابع عشر كانوا عدة أخلاط حاولنا فى ضوء ما هو متاح بين أيدينا من مادة أن

(*) مجلة المؤرخ المصرى، عدد يناير ٢٠١٦.

نقترب من وضع إحصاء بصفة تقديرية لهؤلاء السكان فرجال الحملة الفرنسية يقدرون تعدادهم بنحو ١٠ إلى ١١ ألف نسمة من بينهم ٦٠٠ شخص مسيحى(١). وهو بالطبع إحصاء متأخر عن فترة الدراسة. وعندما نقترب من مصادرَ معاصرة لتلك الفترة مثل نتزو مثلاً نجده يقرر أن مصر القديمة مدينة شعبية مزدحمة بالسكان وشوارعها مكتظة بهم حتى أنه عندما أبصرها من مكانٍ مرتفع وصفها " بوكر النمل "، ورغم ذلك لم يضع رقماً لعدد سكانها ولكنه أشار إلى أمرٍ لفت أنظارنا وهو أنه عندما حدث بها طاعون قد مات ما بين ١٢-١٤ ألف شخص فى الحال(٢). ولكن هذا الرقم بالطبع مبالغ فيه بالنسبة لمدينة مثل مصر القديمة التى هجرها العديد من سكانها للإقامة فى القاهرة. وأيضاً من الصعب أن نقبل هذا خاصة بعد تعداد علماء الحملة، فهل من المعقول أن يقل عدد سكانها بهذه الدرجة فى فترة ما قرره نتزو؟ وما أعلنه رجال الحملة !! وإذا قبلنا بهذا على حد الإفتراض، فهذا يعنى وقوع عدد ضخم من الطواعين والمجاعات التى عصفت بمعظم سكان المدينة وتوقف الحركة والنشاط بها وهو أمر يتنافى مع ما ذكرناه فى فصولٍ سابقة من وجود رواج تجارى ونشاط صناعى بالمدينة آنذاك. ناهيك عن أعداد المنازل المأهولة بالسكان وكذا الربع التى يقر البعض بأن تواجدها دليلاً على تواجد سكانى ملحوظ(٣).

لذلك فأى محاولة من جانبنا لوضع إحصاء لعدد سكان مصر القديمة خلال القرن السابع عشر لهى محاولة تكتنفها الصعوبات التى تقلل من مصداقية تقديرنا. فسواء كان تعداد سكانها عشرة آلاف أو أربعة عشر

ألف أو يزيدون لهى أرقام نعتقد أنها تقترب للواقع الحيـوى للمدينـة آنذاك. خاصة أنها منذ أن عمرت لم يفترض لها نوع معـين أو فئـة بعينها من السكان، وهذا ما صرح به أحمد بن سعد الدين العثمانى فى ١٠٥٠هـ/١٦٤٠م من حيث سكنى الغنى والفقير بها دون نقـص(٤). وهو أمر قد شجع الكثيرون للوفود إليها بهدف السـكنى والإسـتقرار. وتوافرت لها العديد من عناصر السكان خلال القرن من أتراك Turcs ومماليك ومغاربة Moures ويهود juifs وأقباط Coptes ويونانيين Grecs وأرمن Arméniens إضافة إلى عامة الشعب المصـرى. هذا ما أعلنه ساندى Sandys وغيره(٥).

فئات السكان:

١. **الأتراك والمماليك:**

شكل كل من الأتراك العثمانيين والمماليك القوة السياسية الحاكمـة فى مصر، فكان منهم الباشا العثمانى وهو وكيل السلطان ورئيس الهيئة الإدارية ويعاونه بعض الموظفين ورجال الحامية العثمانية. والمماليك لا يقلون عنهم، بل إن سليم الأول بعد إتمام فتح مصـر عـين عليهـا الوالى المملوكى خايربك. ويطلق على المماليـك مسـمى الصـناجق وعددهم ٢٤ صنجقاً. لذلك تحكم هؤلاء فى سير الأمور فـى مصـر العثمانية، بل وفى مدينة مصر القديمة على وجه الخصـوص، فكمـا رأينا فى النظام الإدارى مدى السلطات الواسعة لكل من أميـر اللـوا والقاضى (الحاكم الشرعى) بمحكمـة مصـر القديمـة والصوباشـى

وغيرهم. وكان من بين هؤلاء ما هو أمير عثمانى وأمير مملوكى فمثلاً الأمير قاسم من طائفة الجراكسة بمصر المحروسة وزعيم مصر القديمة عام ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م(٦) نجده عندما يمارس مهما وظيفته يصطحب معه بعض معاونيه من أبناء جلدته مثل الأمير يوسف بن حسين جاويش والأمير حسين بن حسن من طائفة الجراكسة. وهناك العديد منهم ممن كان يقطن بالمدينة وذاع صيته خلال القرن مثل الأمير يوسف جوربجى طائفة عزبان والأمير بهرام جوربجى طائفة مستحفظان وقد سبق وأن تعرفنا على هؤلاء بالتفصيل.

والحقيقة أن هؤلاء الأمراء لم يكونوا متسلطين على طول الخط بل ظهر منهم الكثيرون من أصحاب الخير الذين أعتقوا الكثير من العبيد وساروا بين الناس بالعدل. بل وصل الأمر أن بعضهم قد تزوج بالفعل من الأرقاء بعد عتقهم على صداقٍ كبير. فقد تزوج الأمير بهرام شربجى بن الأمير يوسف القاطن بمصر القديمة فى ٢٠ ذى الحجة ١٠٦٤هـ/١٦٥٤م من صالحة بنت عبد الله البيضاء اللون الجرجية الجنس علي صداقٍ قدره ٤٥ قرشاً(٧). والأمثلة على ذلك كثيرة. وهو أمر بالطبع يؤدى إلى إذابة الفوارق بعض الشئ بين طبقات المجتمع بالمدينة ويعطى نتائج خطيرة لو استمر على ذلك قد يؤدى إلى إحداث تغير فى الهرم الاجتماعى للمدينة، ولكن فى الحقيقة أن هذا الأمر لم نشعر به إلا بعض الشئ عند دراسة العبيد كما سنرى، ومدى بزوغ نجم بعضهم بعد العتق ولكن على نطاقٍ ضيق أيضاً.

٢. الأشـــــراف:

هم الذين ينتمون إلى الحسن والحسين والسادات التى كـــان هنـــاك طائفتان منهم (طائفة السادات الوفائية – السادات البكرية). ورأينا كيف انتشرت السادات الوفائية بمصر القديمة خلال القـــرن ولمعـــت مـــنهم أسماء عديدة مثل عبد الفتاح أبو الأكرام ونجليه محمد أبو الفضل وعبد الرازق أبو العطا. وغيرهم ممن استقروا بالمدينة وتزوجوا بها. ففـــى ١٠ ذى الحجة ١٠٦١هـــ/١٦٥١م تزوج السيد الشريف سليمان ابـــن السيد الشريف محمد بمصر القديمة من صالحة بنت حسين القهـــوجى على صداق ٢٠ قرشا(١). وكان بعضهم يحرص على اقتناء الســـيوف الذهبية وكذلك الخناجر وغيرها وهو الأمر الذى اســـتهوى الشـــريف محمود بن الشريف رجب الحسينى الذى اشترى من الأمير سليمان بن محمد جاويش – صوباشى مصر عام ١٠٧٠هــــ/١٦٦٠م – ســـيفين مطعمين بالفضــــة ومطليين بالذهب ورخت من الفضة وكذلك خنجـــر من الفضة مطلى بالذهب وأشـــياء أخرى ثمينة نظير ٣٠٠٠ نصـــف فضة(٢). ويروى أن بعض هؤلاء الأشراف كـــانوا يرتـــدون الـــزى الأخضر مما يميزهم عن غيرهم من باقى الطبقات[٨].

٣. أهـــل البـــــلاد:

نقصد بهم المصريين ممن سكنوا المدينة من تجار وصناع وحرفيين وسقايين ومكاريين وغيرهم. وهؤلاء هم اللبنة الأساســـية فـــي عمـــاد مجتمع المدينة خلال القرن، فكان التجار الذين يجوبون الـــبلاد طـــولاً

وعرضاً قد أثروا فى الحركة التجارية لمصر القديمة، فقد كان منهم تجار مستقلون بذاتهم يعملون لحسابهم الشخصى داخل أسواق المدينة سواء سوق حمام جمدار أو فم الخليج أو دار النحاس أو أسواق خارجية أو يعملون كتجار مراكب لنقل الغلال لصالح السلطنة الشريفة أو لأشخاص نظير أجر معلوم.

أما الصناع فقد رأينا فى الفصل الثالث من دراستنا هذه كيف توافر للمدينة العديد من الصناعات التى أشرف عليها صناع مهرة مثل صناعة القلل في فم الخليج ووجود معلمين بها مثل محمد البديوى ومحمد النقيطي وشكر الزبداني وغيرهم، وصناعة الزيوت والقائمين عليها من الزياتين والمعصرانية والمدولبين وصناعة ملح البارود ونجارة المراكب والحياكة والصباغة والصناعات الغذائية بجميع أنواعها.

أما جماعة السقايين فقد انتشروا بمصر القديمة ولعبوا دوراً خطيراً خاصة أثناء ظهور المجاعات، فقد وقع عليهم عبء كبير من توفير المياه أثناء الأزمات. ويذكر ريمون أن هؤلاء كانوا ينقلون الماء فى "قراب"، "سقا القربة" على ظهورهم أحياناً أو على ظهور الجمال أو الحمير أحياناً أخرى(٩). ولاحظ ريمون أيضاً أنهم بوسعهم نقل الأخبار لطبيعة عملهم، ومساهمتهم فى إطفاء الحرائق التى اندلعت فى بعض الأوقات بمصر القديمة نذكر حريق قد وقع يوم ٩ جمادى الثانى ١٠٨٢هـ/١٦٧٢م فى منزل المعلم محمد بن على البوشى القللى بفم الخليج حينما أشعلت النار فى البوص والحلفاة الملاصقين لمنزله(١٠).

ويقوم هؤلاء السقايون أيضاً بصب الماء داخل الأسبلة التى انتشرت بمصر القديمة خلال القرن نظير أجر معلوم أيضاً، فمثلاً قدر أجر السقا الذى كان يسكب الماء فى السبيل الذى يقع خارج خارجة الوكالة الكائنة بالكفر المستجد بظهر حمام جمدار بمصر القديمة لمدة سنة ١٠٨٥هـ/١٦٧٥م عنها خمسة قروش ونصف وثلث قرش(١١).

أما جماعة الحمارة فقد انتشروا فى أنحاء متفرقة من المدينة نظراً لأن الحمير آنذاك كانت وسيلة النقل الأساسية داخل البلاد وكان لهم شيخ يرعى شئونهم وموقف خاص بهم (موقف الحمارة) فتذكر الوثائق تركز جماعة منهم بدار النحاس وعلى رأسهم أحمد بن خليل وصالح بن قميحة من كبار الحمارين بدار النحاس فى منتصف القرن السابع عشر(١٢). حتى الطوائف المتدنية مثل الشحاذين قد انتظموا أيضاً فى طائفة لها شكل داخل مصر القديمة يرعى شئونها " شيخ طائفة الشحاذين ونقيبهم "(١٣).

كل هذه الفئات قد تشكل منها المصريون، وقد تعايشوا معاً فترات وئام أحياناً وفترات اضطراب أحياناً أخرى مما قد يصعد الأمور إلى القاضى الذى يصدر الحكم بالفصل فى مثل هذه الأمور التى تهدد أمن المدينة. فتذكر الوثائق وجود حارة تعرف " بحارة المعلم يحيى بن سلطان " بالكفر المستجد بظهر حمام جمدار، عاش أهل هذه الحارة فى وئام واستقرار إلا أن امرأة من جملة القاطنين بالحارة المذكورة تدعى آمنة بنت فليفل الشللى زوجة عوض الحايك تعتدى على سكان الحارة بالسب والقذف والأذية وتهددهم بإحضار اللصوص، لذلك رفع أهل

الحارة الشكوى للقاضى بهدف إخراجها من الحارة حتى يعود إليها الهدوء مرة أخرى[١٤].

٤. أهل الذمة:

كان أهل الذمة من النصارى واليهود يمثلان شريحة هامة من شرائح المجتمع فى مصر القديمة. ولما فتح العرب مصر وبمرور الزمن نتيجة لمعرفة النصارى أصول الإدارة الداخلية فى البلاد اعتمد عليهم العرب والأتراك بعد ذلك. وقد عمل هؤلاء فى التجارة والأعمال المالية وبخاصة الصيرفة وأعمالها التى أجادها اليهود إضافة إلى عمليات الإقراض.

وقد انتشر النصارى بمصر القديمة خاصة فى منطقة قصر الشمع والتى سميت بإسمهم نعنى (حارة النصارى بقصر الشمع) وجاء تركزهم هنا منذ القدم حيث تركزت معظم مقدساتهم بها. وقد وجدت أكثر من طائفة، فهناك اليعاقبة والمالكية والأروام. وإن كانت طائفة النصارى اليعاقبة أكثرهم عدداً وعدة.

فتذكر الوثائق العديد من بيوت النصارى اليعاقبة ولدينا الأمثلة العديدة على مثل هذه البيوت، فجاد الله بن عسيلى وبقتر بن منصور من بيت الصيرفى وعبد المسيح بن حنين الفشنى ومرزوق بن صليب من بيت الحدايدة والقسيس داود بن عطية من بيت حسن والمعلم قزمان بن جرجس من بيت حديد والمعلم كتكوت بن القسيس نصر الله وجرجس بن غبريال من بيت نصير الذمى اليعقوبى[١٥].

وقد حرص هؤلاء اليعاقبة على ضرورة تعمير حارتهم كما رأينا وكذلك مقدساتهم الدينية حتى لو جاء ذلك على حساب المقدسات الإسلامية وهو أمر قد عالجناه فى موضعٍ سابق. ولا يعنى ذلك وجود سوء تفاهم مستمر بين المسلمين والنصارى بالمنطقة فهناك المئات من الوثائق بين أيدينا تثبت جدية التعامل بين طرفى المجتمع هنا فعلى سبيل المثال لا الحصر. اقترض المعلم سليمان بن إبراهيم البياض عشرة قروش قبل عام ١٠٥٤هـ/١٦٤٤م من المعلم شكيدرا بن المعلم إيلية النصرانى اليعقوبى(١٦). بل ذهب الأمر لأبعد من ذلك فقد جمعت التجارة كلاً من الشيخ عثمان بن أبى السعود أشهر خطباء جامع عمرو بن العاص آنذاك والمعلم يونس النصرانى اليعقوبى فتذكر بعض الوثائق المؤرخة فى ١٥ جمادى الأول ١٠٥٦هـ/١٦٤٦م أنهم قاما بإستئجار طاحون فرد فارسى بحمام جمدار من إبراهيم أفندى كشاف الأوقاف وقتئذ وناظر وقف القاضى حسن السويدى لمدة سنة كاملة نظير أجرة عن كل يوم ثلاثة أنصاف من الفضة(١٧). وهناك الأمثلة العديدة كما قلنا لا تعد ولا تحصى. وأحياناً كانت تنظر قضايا هؤلاء النصارى أمام قاضى مصر القديمة المسلم سواء كان حنفياً أو مالكياً أو حنبلياً أو شافعياً(١٨).

وكان يتولى شئون كل طائفة من طوائف النصارى بترك خاص بها مثل " بترك النصارى اليعاقبة ". وكذلك النصارى المالكية والدير الخاص بهم بقصر الجمع. أما طائفة النصارى الأروام فقد نالوا الاهتمام من قِبل الإدارة العثمانية التى أصدرت العديد من البيورلدات

من أجل منحهم العديد من الحقوق والمميزات. فقد ورد بيورلدى شريف فى ١٤ ذى القعدة ١٠٧١هـ/١٦٦١م من الباشا مضمونه "بحث قاضى عسكر مصر ونائب مصر العتيقة وقضاة بولاق والإسكندرية ورشيد ودمياط وأغاوات الجوالى وكواخى القبطانات وغيرهم ... أن طائفة النصارى الأروام لهم أربع كنائس وبيمارستان وإنهم ليس لديهم أوقاف ولا كنائس مثل كنائس الروم وإنما يعيش بطريقهم بالصدقات، وقد أبرزوا من يدهم خط حمايون.... بأنهم لا يعارضوا بشئ من التكاليف العرفية .... وبموجب الخط الشريف أعطيناهم هذا البيورلدى بأنكم لا تعارضوهم بشئ ولا تدعوا أحد يعارضهم....."[١٩].

ثم صدر بيورلدى آخر بعد ذلك بثلاث سنوات فى ٢٢ ذى الحجة ١٠٧٤هـ/١٦٦٤م من الوزير عمر باشا بناء على أوامر سلطانية قد وجهت له من القسطنطينية، فجاء هذا البيورلدى على نفس شاكلة سابقه بعدم التعرض للنصارى الأروام وأديرتهم والبيمارستان الخاص بهم بمصر القديمة[٢٠].

وهكذا شكل النصارى بجميع طوائفهم ركناً هاماً فى مجتمع مصر القديمة خلال القرن هذا الحكم الذى أطلقناه نابعاً ليس من تعرضنا لهم فى هذا الموضع فحسب، بل فى عدة مواضع من الدراسة خاصة فى مجال الحركة التجارية والصناعية للمدينة. وقد اختفت لبعض الفترات الحساسية بين الطرفين المسلم والمسيحى رغم الجوار فى السكنى ودور العبادة.

أما اليهود فكانوا معنيين بأمر الجمارك، ففى فترات عديدة من القرن – كما رأينا فى موضعٍ سابق – كان يدير جمرك مصر القديمة ملتزم يهودى يعاونه عدد من الكتبة والمباشرين والكشاف. ولكن فى الحقيقة أن انتشارهم فى مصر القديمة جاء محدوداً لا يتعدى منطقة حمام جمدار. وهو أمر يكاد يكون طبيعى لوجود تركز يهودى قرب حارة زويلة نعنى حارة اليهود والتى تمثل – كما يرى محمد عفيفى – جزءاً من حارة زويلة(٢١).

فظهور اليهود على مسرح أحداث المدينة قليل للغاية، فمن هؤلاء الذمى يعقوب بن أليا اليهودى الاشدايلى كان يقطن بمنزل خاص به بحمام جمدار مع زوجته الذمية حلوة بنت الذمى سليمان اليهودى الاشدايلى، وكانت زوجته هذه مثيرة للشغب دائماً ما تخرج من منزلها دون إذن زوجها وتتغيب الأيام الطوال عن منزلها الكائن بحمام جمدار دون سبب قاطع الأمر الذى دفع زوجها المدعو يعقوب أن يشكوها للقاضى الحنفى بمصر القديمة عام ١٠٨٥هـ/١٦٧٥م(٢٢). وفى العام التالى ادعت على جارة لها تدعى الذمية مزار بنت الذمى خنفار اليهودى العبرانى بأنها سرقت منها أساور فضة قيمتها أربعة قروش ودستين من النحاس قيمتهما ثمانية قروش، ولكن ثبت عدم جدوى دعوتها وكذبها لذلك منعها الحنفى من استخدام مثل هذه التصرفات(٢٣).

وقد سجل الشافعى بمحكمة مصر القديمة يوم ٨ شوال ١٠٥٣هـ/١٦٤٣م إسلام شخص يهودى يدعى موسى بن شحاذة بناء على رغبته، وقام بنطق الشهادتين ووعد بتعلم بعض القرآن الكريم بما

يعينه على الصلوات الخمس، ولكنه رغب فى أن يبقى اسمه موسى، وتزوج من خاسكة بنت محمد القاطنة قرب مصبغة الحرير بخط الشعرواى(٢٤).

٥. الرقيق:

كثر العبيد بمصر القديمة سواء الرقيق الأبيض المجلوب من بلاد كردستان وجورجيا وغيرهما من بلدان أوربا، ووجد بها الرقيق الأسود من كردفان ودارفور وغيرهما من بلدان إفريقيا فكان المماليك والعثمانيين يشترونهم ليكونوا الساعد الأيمن لهم فى حلهم وترحالهم، والنساء كن يعملن فى بيوت الأمراء كخدم حتى يحل بهن العتق. ومن أشهر الأمراء بمصر القديمة ممن امتلكوا العبيد الأمير يوسف جوربجى طائفة عزبان سواء من الجنسين أو رقيق أبيض أو أسود.

وعندما يتم إحضار العبيد إلى الوكائل الخاصة بهم مثل وكالة الجلابة يتم الفحص والتقليب قبل الشراء للتأكد من خلوهم من الأمراض أو وجود عيب خِلقى. أما بالنسبة للإماء فتقوم سيدة بالكشف على بكارتها أو أى عيوب أخرى(٢٥). واستمرت عملية شراء الرقيق بالمدينة خلال القرن ففى ١٠٩١هـ/١٦٨١م اشترى شلبى بن سلامة البرمشاوى القهوجى بحمام جمدار من المعلم عامر بن سلطان الكومى المعرف بباب الرسالة السلطانية ويقطن أيضاً بمصر القديمة الجارية المدعوة مريم بنت عبد الله الحبشية الجنس نظير سبعون قرشاً(٢٦). وقد لاحظنا ارتفاع أسعار العبيد بمرور الوقت خلال القرن،

فإذا نظرنا إلى ثمن الجارية مريم المذكورة نجد أن ثمنها قد وصل إلى سبعين قرشاً عام ١٠٩١هـ وفى نفس الوقت تثبت الوثائق وجود عبد حبشى وله نفس مواصفات مريم من حيث الجنس واللون ولكن قدر ثمنه بنحو ٣٤ قرشاً عام ١٠٢٦هـ/١٦١٧م[٢٧]. والأمثلة على ذلك كثيرة.

وقد تعددت مصادر العبيد المجلوب لمصر القديمة كما ذكرنا سواء من الشمال أو الجنوب على يد الجلابة الذين يودعونهم فى الوكالة الخاصة بهم على أن يقوم الدلالين بعد ذلك ببيع هؤلاء العبيد فى الأماكن المتفرقة من البلاد نظير حوالة شرعية معلومة. ووجد العديد من الجلابة والدلالين فى مصر القديمة خلال القرن السابع عشر.

ويذكر أن بعض هؤلاء الأرقاء كانوا مثيرين للشغب يمارسون أعمال اللصوصية والسرقة، فقد قام بعضهم بسرقة بعض الفواخير بفم الخليج وتعدى البعض الآخر على أحد المنازل بنفس المنطقة[٢٨].

أما عن حركة تحرير العبيد بمصر القديمة من الأمور التى لاحظناها سواء قام بذلك الرجال أو النساء على حدٍ سواء. إبتغاء وجه الله. وكانت عملية العتق هذه تشمل مجموعة لنفس السيد يتم عتقهم فى آنٍ واحد. فمثلاً قام الأمير مراد بيك – أمير اللوا الشريف بمصر القديمة عام ١٠٦٦هـ – بعتق مجموعة من مرقوقية فى يومٍ واحد وهو يوم ١٥ ربيع الآخر فى سنة ١٠٦٦هـ وهم " مصطفى الجرجى ومرتضى الجرجى الخازندار ومحمد شاهين الأفرنجى وعثمان عبد الله

أفرنجى أيضاً ومصلى بن عبد الله الروسى وسنبل الحبشى الكرارجى وسياغوث الرومى وبلال الأسود الطباخ ويوسف روسى المؤذن ....". وقد أعلن الأمير مراد أنه أراد الثواب وقال بصريح اللفظ " أنه أعتقهم ابتغاء وجه الله تعالى وطلب الثواب وعمل بقوله صلى الله عليه وسلم من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله تعالى بكل عضو منها عضواً منه من النار حتى الفرج بالفرج "(٢٩). وبذلك صار هؤلاء من أحرار المسلمين. وفى نفس اليوم قام الأمير أيضاً بعتق مرقوقاته جميعهن (فاطمة البيضاء الإفرنجية وصالحة الجرجية وسمور الحبشية ومقبلة البوابة وولدها بلال وكريمة الجرجية ..... "(٣٠). وأصبحن بذلك من حرائر المسلمين.

وقام الأمير يوسف جوربجى طائفة عزبان بعتق مجموعة كبيرة من أرقائه طلباً للثواب فى النصف الثانى من القرن، سواء عتق تام أثناء حياته أو عتق بعد مماته مثلما فعل مع مرقوقه حسين بن عبد الله الأبيض الروسى الجنس فى جمادى الأول ١٠٩٣هـ/١٦٨٣م فقال " عبدى هذا مدبراً فى حياتى معتوقاً بعد مماتى " وبمقتضى ذلك أصبح حسين مدبراً لسيده أثناء حياته إلى أن يوافيه الأجل عندئذ يصبح من الأحرار لا يمتلكه أبناء الأمير(٣١).

أما النساء فقد امتلكن أيضاً العديد من الأرقاء وقمن بعتق مرقوقيهم، وخير مثالٍ لذلك قيام المصونة كريمة بنت على الحداد زوجة الزينى شرف بن محمد من أتباع الأمير يوسف جوربجى، قد قامت هذه السيدة بعتق مرقوقتها غزال بنت عبد الله السوداء اللون(٣٢).

وقد علق الكثير من الفقهاء ورجال الدين على مدى أهميـــة عتـــق العبيد من تكفير الذنوب وطلب الثواب سواء كان عتق هذا العبد لـــذلك أو لمرضٍ أصابه ففى كلتا الحالتين هو أمـــر مـــن الأمـــور الواجبـــة الجائزة[٣٣]. وقد ورد هذا العتق فى عدة مواضع من القرآن الكريم ففى سورة النور الآية (٣٣) يقول الله تعالى " والذين يبتغون الكتـــاب ممـــا ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الـــذى آتاكم ".

وبعد عتق العبد أو الآما يمارس حياته الطبيعية داخل سياج المجتمع من حيث الزواج والتملك، وتسجل الوثائق عدد من زيجات هؤلاء مـــع أشخاص لهم وزنهـــم داخـــل مجتمـــع مصـــر القديمـــة، ففـــى عـــام ١٠٢٠هـــ/١٦١٠م تزوجت ريحانة السوداء اللون معتوقـــة القصـــابى محمد بن زين العابدين من الشيخ العلامة شرف الـــدين يحيـــى علـــى صداقٍ قدره عشرة دنانير كل دينار يساوى خمسين نصف فضـــة[٣٤]. ومن جملة معتوقى الأمير يوسف جوربجى عبد يدعى الزينى مرجـــان ابن عبد الله الأسود اللون، بعد أن تم عتقه أخذ يتبـــوأ مكانـــة داخـــل المجتمع فإمتلك العديد من المراكب النيلية التى استأجرها البعض منه، فقد استأجر مثلاً الشريف أحمد بن الشريف راوى الحســـنى المركـــب الأشكيف البنوانى لمدة ســـنة بأجرة ســـتمائة نصف فضة[٣٥] وقام ببيع مركب أخرى للأمير مصطفى بن الأمير على شـــربجى طائفة عزبان بمبلغ قدرة ألف نصف فضة[٣٦].

٦. عناصـــر أخــــرى:

إضافة إلى ما تقــدم قد وجدنا عــدة عناصـــر أخـــرى داخـــل مجتمـــع مصر القديمـــة من مغاربة وشوام وأحياناً يمنيـــين وبعـــض الأجانب وكذلك العربان. فالمغاربة قد اســـتقروا بمصر قبل الوجـــود العثمـــانى وشكلوا شـــريحة لا بأس بها فى المجتمع، وكان تواجـــدهم بمصـــر القديمة ملحوظ، بل أننا وجدنا حارة بأكملها تنسب لهم وهـــى حارة أبى ســـعيدة المغربى نســـبة إلى الخواجا عبد العزيز بـــن أبـــى ســـعيدة المغربى الذى كانت له عدة أوقافٍ بها قـــد تـــولى نظارتهـــا أحفـــاده من بعـــده منهم شـــــهاب الدين أحمد المغـــربى الذى تـــولى النظارة ســـنة ١٠٦٤هـــ/١٦٥٤م[٣٧]. وقد عمل المغاربـــة بالتجـــارة داخل أســـواق المدينة، فشـــاركوا فى تجارة الرقيق بها وكذلك تجارة الدخان والغلال والمراكب وامتلكوا العديد من العقارات فقد اعتاد كـــل من عبد الله بن بلقاسم بن محمد المغربى المراكشى وشريكه القداد بـــن أحمد المغربى الطرابلسى جلب العبيد وبيعها بمصر القديمة وحققا من وراء ذلك الأرباح الطائلة[٣٨]. أما تجارة الدخان فقد كان لهم فيها بـــاع طويل[٣٩] ولكن لم تكن على مستوى كل الطائفة، فقـــد كـــان بعضـــها يرفضها. فقد ذكر أحمد شلبى أن من عادات المغاربة حمـــل الكســـوة الشريفة التى تعمل كل سنة ويمرون بها فى شوارع القاهرة ويضربون كل من يروه يشرب الدخان فتحدث المشاكل[٤٠].

وقد برع المغاربة فى طهى الأطعمة وقد لاحظ نتزو هذا وشاركهم فى ذلك الأتراك، وكانوا يبيعونها بثمن قليل على الأرصـــفة الشـــعبية

وأحياناً يحضرونها للناس أمام البيوت وداخل المنازل[٤١]. وهذه الأمور كلها مجتمعة تدل على مدى ما بلغه المغاربة داخل مصر القديمة خلال القرن وكذلك مدى تأثيرهم فى محيط الحياة بها.

وقد ظهر بالمدينة عدد من العرب سواء الشوام أو اليمنيين أو من الجزيرة خاصة من الأشراف كما رأينا ولكنهم لم يلعبوا الدور البارز الذى قام به المغاربة. وظهر بها أيضاً لبعض الوقت الأجانب وعدد من الرحالة واليونانيين والأرمن والأعاجم الذين استقروا بالتكية الموجودة بالقصر العينى بمصر القديمة، ولكن رغم ذلك قد فضل هؤلاء التواجد فى العاصمة عن غيرها من المدن.

أما العربان فقد استقر بعضهم فى روضة مصر القديمة على نطاق ضيق منها، وكعادتهم دائماً ما يثيرون القلاقل والشغب لأهل المنطقة فقد اشتكى منهم حسين بن محمد الغيطانى بأنهم قد تعدوا على أرضه " بغيط المقياس الشريف" فى ١٠ ذى القعدة ١٠٩٧هـ/١٦٨٧م وقطعوا البلح وضربوا ولده وكان معهم العديد من الأسلحة يثيرون بها الرعب فى قلوب أهالى الروضة[٤٢].

الأحوال الشخصية بمصر القديمة فى ق ١٧ م

محور دراسة الأحوال الشخصية داخل المدينة يتبلور حول أمور الزواج والطلاق وما يلحق بهما. وفى محاولةٍ من جانبنا لوضع تحديد حالات الزواج والطلاق التى سجلت بمحكمة مصر القديمة خلال القرن. وذلك بهدف تحديد نوعيات الزيجات وجنسياتهم، ولكنها محاولة

واجهت عدة صعوبات أهمها فقدان بعض سجلات محكمة مصر القديمة ذاتها خلال القرن الأمر الذى يحدث حلقاتٍ مفقودة، والذى يفقد الأرقام مصداقيتها، ورغم ذلك حاولنا بما هو متاح حصـــر هـــذه الحـــالات، فتوصلنا إلى تعداد نحو ٢٦١٧ حالة زواج قد تمت داخل المدينة بينهم حالتى زواج لبعض نصارى المدينة، الحالـــة الأولـــى: تمـــت عـــام ١٠١٨هـــ/١٦٠٩م بين ميخائيل بن صليب والذمية مالوم بنت نصر بن رزق على صداق ٤٠ ديناراً[٤٣]. والحالة الثانية قد تمت فى العام التالى أى ١٠١٩هـــ/١٦١٠م بين بطلاس بن موسى ابن شاكر والذمية مارين بنت ميخائيل[٤٤].

وقد لاحظنا عدة أمور من ثنايا هذا الحصر التقديرى هـــو إرتفـــاع قيمة الصداق وإنخفاضه فى بعض السنوات وقد جـــاء ذلـــك مرهونـــاً بأحوال البلاد الإقتصادية إضافة إلى الوضع الإجتماعى للشخص، أمـــا حالات الطلاق التى تمت كما حصرناها فقد وصلت إلى ١٣٢٩ حالـــة طلاق تقريباً بينهما حالتى طلاق بين النصـــارى قـــد سُـــجلا عـــامى ١٠١٨هـــ، ١٠١٩هـــ[٤٥]. وقد ظهرت بعض السنوات أثنـــاء عمليـــة الحصر قد سجلت حالات زواج وطلاق منخفضة للغاية، بل عثرنا على بعض السنوات لم تسجل مطلقاً أى حالة وسنوات سجلت أعلى نســـب ويوضح ذلك الجدولان التاليان:

أ. جدول خاص بنسب حالات الزواج:

سنوات سجلت أعلى نسبة		سنوات سجلت نسبة متوسطة		سنوات سجلت نسبة منخفضة		سنوات لم تسجل	
السنة	عدد الحالات	السنة	عدد الحالات	السنة	عدد الحالات	السنة	عدد الحالات
١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م	١٠٠	١٠٧١هـ/ ١٦٦٠م	٧٠	١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م	١٩	١١٠٣هـ/ ١٦٩١م	-
١٠١٩هـ/ ١٦١٠م	١٠١	١٠٧٢هـ/ ١٦٦١م	٥٥	١٠٩٥هـ/ ١٦٨٤م	١٨	١١٠٤هـ/ ١٦٩٢م	-
١٠٢٠هـ/ ١٦١١م	١٥٩	١٠٧٣هـ/ ١٦٦٢م	٦٧	١٠٩٧هـ/ ١٦٨٦م	٣	-	-
١٠٢١هـ/ ١٦١٢م	١٣٣	١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م	٥٥	١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م	١	-	-
١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م	٩١	١٠٧٥هـ/ ١٦٦٤م	٥٧	١١٠١هـ/ ١٦٨٩م	٢	-	-
١٠٨٢هـ/ ١٦٧١م	٩٢	١٠٧٧هـ/ ١٦٦٥م	٥٥	١١٠٢هـ/ ١٦٩٠م	٢	-	-

ب. جدول خاص بنسب حالات الطلاق:

سنوات سجلت أعلى نسبة		سنوات سجلت نسبة متوسطة		سنوات سجلت نسبة منخفضة		سنوات لم تسجل	
السنة	عدد الحالات	السنة	عدد الحالات	السنة	عدد الحالات	السنة	عدد الحالات
١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م	٨٣	١٠٢١هـ/ ١٦١٢م	٣٧	١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م	٧	١١٠٢هـ/ ١٦٩٠م	-
١٠١٩هـ/ ١٦١٠م	٦٠	١٠٢٢هـ/ ١٦١٣م	٤٦	١٠٥٦هـ/ ١٦٤٥م	٧	١١٠٣هـ/ ١٦٩١م	-
١٠٢٠هـ/ ١٦١١م	٧٠	١٠٢٣هـ/ ١٦١٤م	٤٧	١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م	٨	١١٠٤هـ/ ١٦٩٢	-
-	-	١٠٦٢هـ/ ١٦٥١م	٣١	١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م	٩	١١٠٦هـ/ ١٦٩٤م	-
-	-	١٠٧١هـ/ ١٦٦٠م	٣٦	١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م	٦	-	-
-	-	١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨م	٣٩	١٠٩٧هـ/ ١٦٨٦م	٦	-	-
-	-	-	-	١٠٩٩هـ/ ١٦٨٧م	١	-	-

ونلاحظ على كلا الجدولين أنهما قد تشابها فى معدل الزيادة فى

حالات الزواج والطلاق فى نفس السنوات وكذلك فى السنوات التى لم تسجل، فى حين اختلفا بعض الشئ فى معدل تسجيل النسب المنخفضة والمتوسطة. والحقيقة أن السنوات التى لم تسجل أى نسب سواء زواج أو طلاق يكتنفها الغموض بعض الشئ الأمر الذى يجعلنا نتساءل هل من المعقول أن هذه السنوات لم تتم فيها حالة زواج أو طلاق واحدة !! أم أن تسجيل عقود الزواج والطلاق قد اتخذت مساراً آخر؟ وهذا أمر بالطبع غير وارد على الإطلاق آنذاك؟ أو أن القاضى قام بتسجيلها فى دفاتر أخرى لم نعثر عليها نحن؟ وهذا أمر نستبعده خاصة وأنه فى سنواتٍ تالية للسنوات التى لم تسجل قد شهدت حالات زواج وطلاق مثل سنوات ١١٠٧هـ/١٦٩٥م ١١٠٨هـ/١٦٩٦م.

على أية حال فإن الزواج كان يتم أمام القاضى الذى كان يوقع وشهود مجلسه على عقد الزواج الذى شمل اسم الزوج والزوجة وكذلك يوضح المهنة واللقب إن وجد وقيمة الصداق والمدفوع منه الآن، وما يتبقى منه إلى وقتٍ معلوم. فعلى سبيل المثال عقد زواج قد سجل فى محكمة مصر القديمة يوم الخميس ٢١ ربيع الثانى ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م قد جاء فيه " إنه لدى الحنفى أصدق المحترم منصور بن المحترم سليمان الجلفاط القاطن بمصر القديمة مخطوبته المصونة البكر القاصرة فاطمة ابنة المحترم محمد بن المرحوم الحاج أبو جابر القهوجى على كتاب الله وسُنة رسوله .... بصداقٍ قدره أربعون قرشاً كل قرش يعادل ثلاثون نصف فضة يدفع منها خمسة وعشرين حالاً والباقى لفراق أو موت ....."[٤٦]. وتحدد عقود الزواج أيضاً مكان

الزوج والزوجة اللذان ربما يكون أحدهما يقطن فى منطقة أخرى عن الثانى، ولدينا الأمثلة على ذلك منه حالة عبد الرحيم بن منصور من مصر القديمة الذى تزوج من سليمة ابنة الحاج أحمد الحزام فى الكتان ببولاق على صداق قدره ٢٥ قرشاً دفع منها ١٥ قرشاً فقط، وقد سجلت لنا محكمة بولاق هذا العقد فى ٢٨ شوال ١٠٦٣هـ/١٦٥٢م[٤٧].

وعقود الزواج عموماً تحمل عبارات تكاد تكون متشابهة تماماً، وإن اختلف بعضها فى أمورٍ ربما يوافق عليها البعض ويرفضها آخرون. فمن العقود التى ظهر فيها الاختلاف تلك العقد الذى سجل فى ٢١ ذى الحجة ١٠١٤هـ/١٦٠٥م عندما اشترط على الزوج حجازى بن عبد الله الجلفاط بمصر القديمة أنه " متى تزوج على مخطوبته صفية بنت الشيخ محمد الحويوى زوجة أخرى تكون طالقاً طلقة واحدة تملك بها نفسها[٤٨].

ومن الأمور التى يجب أن تراعى فى عقد الزواج الشهود العدول المشهود لهم بحسن الخلق وإلا يعتبر العقد باطلاً وتحقيقاً لهذا المبدأ قام الشيخ عبد الباقى الزرقانى مفتى السادة الملكية بمصر بفسخ عقد زواج موكلته أنا ابنة زين الدين محمد بن علاء الدين الوفائى من الشيخ شمس الدين محمد أبو الفضل بن وفا الذى استند لشهودٍ غير عدول رغم أنه دخل بها وأصابها، لذلك كلف أن يطلقها ثلاثاً وقام بتجديد عقده عليها فى ١٨ جمادى الآخر ١٠٧٧هـ/١٦٦٦م من غير محلل واستند فى ذلك لما ذكره شيخ الإسلام العلامة محمد الدقلى فى شرح المنهاج فى كتاب النكاح، وأصدقها نحو ٧٠٠ نصف فضة[٤٩].

وقد ذكرنا من قبل وجود حالات زواج للعبيد بعد عتقهم، سواء زواجهم من أشخاص عاديين أو من أمراء دون مراعاة للفوارق الطبقية هنا. حيث تزوج الأمير محمد جلبى بن الأمير بهرام شربجى القاطن بمصر القديمة من صالحة البكر البالغة ابنة عبد الله البيضاء اللون الجرجية الجنس معتوقة السيدة خديجة ابنة أحمد على صداقٍ قدره ٤٥ قرشاً[٥٠].

وفى نفس الوقت رأينا سنبل بن عبد الله معتوق الأمير سليمان بن الأمير محمد الصوباشى بمصر القديمة عام ١٠٦١هـ من مكية ابنة علام المحلاوى التى اشترطت عليه كسوتها فى الشتاء والصيف خارجاً ذلك عن صداقها[٥١].

وقد عثرنا على عقود زواج لبعض النصارى قد سجلت أمام القاضى الشرعى بمصر القديمة خلال القرن، وأشرنا منذ قليل إلى مثل هذه الحالات التى فضلت الذهاب أمام المحاكم الشرعية لدى المسلمين بدلاً من الكنيسة التى تشجع على الزواج بين النصارى. وقد وضع بعض المؤرخين تفسيراً مقنعاً لذلك وهو رغبة هؤلاء بالتمتع بما يتمتع به المسلمين بالحق فى الطلاق حينما يرغبون ذلك[٥٢]. وبالفعل تؤكد ذلك بعض عقود الطلاق التى سجلت فى محكمة مصر القديمة بين هؤلاء النصارى، فمن المعروف أن الفقة الإسلامى يؤكد على حق الزوجة فى الطلاق عند غياب الزوج الغيبة الشرعية ومدتها ستة أشهر ونصف دون أن يترك لها نفقة[٥٣]. وقد تمتع بهذا الحق بعض النصارى ممن تزوجوا أمام القاضى المسلم، فطلقت المرأة النصرانية

مالوم ابنة نصر بن رزق الله فى ١٩ ذى القعدة ١٠١٨هـ/١٦٠٧م، لأن زوجها المدعو ميخائيل غاب عنها الغيبة الشرعية التى حددها الفقهاء ولم يترك لها أى نفقة، فرغبت فى الطلاق منه فوافقها القاضى الحنبلى بمصر القديمة آنذاك وأبرأته من ربع دينار من مقدم صداقها عليه الذى يبلغ ٤٠ ديناراً(٥٤). ولنفس السبب طلقت تركية ابنة مخلوف بن داود من زوجها يوسف بن غبريال بن متا(٥٥).

وسجلت المحاكم الشرعية العديد من حالات الطلاق داخل مصر القديمة وهو أمر قد أشرنا إليه من خلال الجدول السابق، وقد تعددت أسباب الطلاق منها كما ذكرنا الغيبة الشرعية للزوج دون ترك أى نفقة للزوجة إضافة إلى الخلافات الزوجية التى قد تؤدى بعضها إلى فسخ عقد النكاح منها تعدى أحدهما بالضرب أو السباب على الآخر، فيذكر أن امرأة تدعى سكرية ابنة على ضربت زوجها عبد الجواد بن حسونة الشمسار فى الطين على رأسه لأنه منع عنها كسوتها الشرعية، فإنتهى التخاصم والنزاع بينهما بالانفصال فى ١٠٨٠هـ/١٦٧٩م(٥٦). وفى بعض الأمور كانت المرأة المطلقة تحرم من حضانة ابنها الرضيع خاصة إذا رغبت هى فى الانفصال.

ومن الأمور الهامة التى ارتبطت بالزواج والطلاق مسألة النفقة التى كفلها الشرع للزوجة على زوجها أو مطلقها، حيث التزم الرجل تجاه زوجته بتوفير النفقة والكساء من بداية الزواج أو عند حدوث الطلاق سواء كانت هذه النفقة للمرأة أو صغارها ممن توجب لهم الحضانة فإلتزم المعلم شرابى بن شعبان المساقى ببولاق بدفع نفقة

يومية قدرها ثلاثة أنصاف من الفضة لمطلقته ستيتة ابنة الحاج على بن إبراهيم القهوجى بمصر القديمة ومعها ابنتها القاصرة التى تدعى " سيدة أبيها " منذ حدوث الطلاق فى ١٥ شوال ١٠٢٣هـ/١٦١٣م ولم يتأخر فى دفع ما هو مقرر عليه(٥٧). والطفل الذى لم يولد كان له نصيب أيضاً من النفقة التى قدرت بنحو نصف فضة أيضاً، فدفع عياد بن سلطان الزيات بحمام جمدار النصف فضة المذكورة لمطلقته سيدة ابنة سليمان التراس بساحل مصر القديمة هذا القدر إلى أن تضع حملها(٥٨). ويظل الرضيع تحت حضانة والدته سنتى الرضاعة بحيث ينفق عليه كما حددت الوثائق نصف فضة فى اليوم، إلا أن بعض الفقهاء قد أجاز أن تزيد حضانة الأم لولدها عن هذه المدة التى اتفقت عليها وثائق العصر(٥٩).

ويؤكد الجرجاوى على أمرٍ هام من أمور النفقة، حيث يقر بأن النفقة تجب للزوجة على زوجها سواء كان حراً أو قناً أو مدبراً ومكاتباً بإذن من المولى أو بدون إذنه(٦٠). وهذه من الأمور الهامة التى أجازها الفقه الإسلامى من أجل تجنب المرأة مشقة الحياة ونفقة الأولاد بما يثقل كاهلها مما يدفعها ذلك لتركهم وبالتالى تفككهم بل وتفكك المجتمع بأسره.

وتجنباً لحدوث مثل هذه الكوارث التى تعصف بأركان المجتمع وضعت بعض عقود الزواج شروطاً توضح كيفية سـير الحياة الزوجية بين الطرفين بما يتوافق مع كل طرف، وهو ما يمكن أن نسـميه " دستور الحياة الزوجية " إذا جاز التعبير. فعندما تزوج

المحترم عامر بن عبد الفتاح من ناحية كتامة بإقليم الغربية والطحان الآن بمصر القديمة، من زينب ابنة محمد الطحان بمصر القديمة أيضاً، اشترطت عليه كسوتها فى الشتاء والصيف أسوة أمثلها، ولا ينقلها من مصر القديمة إلى بلده ولا يجمعها مع زوجة أخرى فى منزلٍ واحد، ويرضى بولديها من غيره شريطة أن يشربا من شرابه ويأكلان من أكله وينامان على فراشه. فوافق على ذلك كله عن قناعة دون رجوع(٦١).

العـادات والتقاليــد:

غالباً ما تكون العادات والتقاليد فى مجتمع ما من الموروثات القديمة التى تتناقلها الأجيال تباعاً داخل هذا المجتمع، وهناك بعض العادات التى تطرأ على المجتمع يكتسبها نتيجة عدة أسباب إما لوجود حراك اجتماعى ووفود عناصر سكانية أخرى تغير مظان المجتمع؟ أو ظهور عادة فى منطقةٍ ما ثم استشرت داخل هذا المجتمع مثل عادة شرب الدخان أو القهوة مثلاً.

وفى مصر القديمة ظهرت عادات وتقاليد حديثة العهد على المجتمع المصرى بأثره، ووجدت عادات كانت من الموروثات السالفة كعادة الذهاب إلى المقابر وقراءة القرآن بها نظير أجر نقدى أو عينى تقرره الدولة نفسها. فعلى ضريح أبى السعود الجارحى انصب اهتمام الدولة. ففى ١٠٤٩هـ/١٦٣٨م قام قائم مقام شيخ الإسلام بتعيين الإمام أبو بكر السعودى وولده أبو هادى فى قراءتين ربع من القرآن الكريم

فى كل يوم بضريح أبى السعود المذكور[٦٢]. وكان الخبز هو المكافأة التى كانت تصرف لهؤلاء القراء، حيث يقوم شيخ الإسلام (قاضى القضاة) بتحديد كمية الخبز المنصرفة لهم، فعين مثلاً لمحمد الصغير رغيفين من الخبز الدوادارى، ورغيفين من الخبز الحمزاوى في كل يومٍ نظير قيامه بالقراءة فى مقام أبى السعود الجارحى أيضاً[٦٣]. هذا المقام الذى تعلقت به زاوية نسبت لأبى السعود وقد اعتاد أهالى مصر القديمة وغيرهم ممن يرغبون ويعتقدون فى الأولياء وضع النذور والصدقات فى " خلوة " داخل الزاوية معدة لذلك ولمْ تقتصر هذه النذور على النقود فقط بل وجد منها ما هو عينى، فتشير الوثائق أن هذه الخلوة كانت تضم مقادير من الشمع السكندرى والأرز والقمح والعدس، هذه المقادير التى لا يتورع البعضِ عن سرقتها أحياناً[٦٤].

ومن العادات التى لاحظها نتزو أثناء جولاته بالمدينة هى قدوم الأتراك والمغاربة لتناول وجبة الإفطار مبكراً فى بعض المحال التجارية " المطاعم "، فكانت هذه بمثابة عرف أو عادة قد داوموا عليها كل يوم، ولاحظ أيضاً أن النساء كن يركبن حمير صغيرة وعندما يصل الأجانب ويلاحظن أنهم أقباط مسيحيين يتجمهرن حولهم وأحياناً تحدث منهن بعض الاعتداءات على هؤلاء الأجانب[٦٥]. على أنه قد سادت فى مصر القديمة بعض العادات السيئة مثل شرب الخمر والبوظة التى اعتبرت من المحرمات، ووضعها الفقهاء فى عداد الكبائر، فأورد الغزى مع أبياتٍ من الشعر ما يؤكد صدق قوله:

شرب وقتل لوط وسرقة وزنا قذف وزور وغصب وإحتسـا الخمرى

مسكر وعقوق الوالـــدين ربا وهتك حرمة شـــهر الصـــوم بالفطـــر[٦٦]

لذلك صدرت الأوامر بتحريم شرب الخمر والبوذة خلال العصر العثمانى، ففى القرن السادس عشر وبالتحديد فى ٩٩٣هـــ/١٥٨٢م صدر بيورلدى للقاضى الحنفى بمصر القديمة بإزالة خمارة لرجل يهودى بجوار المقياس الشريف[٦٧]. ثم تعددت البيورلدات خلال القرن السابع عشر فى خصوص ذلك التحريم، فبدأ منها ما يوجه تحريمها خلال الأشهر الحرم (رجب – شعبان – رمضان – ذو الحجة – المحرم) كتلك البيورلدى الصادر فى بداية سنة ١٠٦٧هـــ/١٦٦٥م إلى القاضى والصوباشى بمصر القديمة آنذاك بضرورة غلق الأماكن التى يمارس فيها شرب الخمر والبوذة والتى تسميها الوثائق بإسم " بيوت الميخانات والبوذاية "، فقام الصوباشى المذكور بغلق هذه البيوت فى مصر القديمة وسلم مفاتيحها للأغا محمد باشا مختار مبعوث الباشا[٦٨]. والجدير بالذكر أن هذه البيورلدات تطبق على سائر سكان المدينة من مسلمين ونصارى أو يهود، ومن يخالف منهم يقع عليه حكم القاضى المسلم. فحينما بعث الوزير (الباشا) تابعه محمد أغا بخطاب إلى القاضى الحنفى والصوباشى محمد جلبى بمصر القديمة فى ٧ شعبان ١٠٧٨هـــ/١٦٦٧م يحثهم فيه على غلق هذه البيوت، لم يمتثل للأمر الشريف الذمى دميان الذى اتخذ من منزله بحارة النصارى بقصر الجمع ميخانة يتعاطى فيها عصير الخمر وبيعه، فذهب إليه القاضى بنفسه ليتأكد من ذلك، وبالفعل وجد منزله مفتوح به آلة عصير

الخمر وطبخه فى دست من النحاس وبعض الجرار من الفخار ومواجير وحلفاة وغير ذلك، ولما استفسر منه القاضى عن عدم امتثاله للأوامر الشريفة أخذ يتلاعب بالألفاظ فدفع ذلك إلى إيقاع التعزير الشرعية عليه(٦٩).

ومن العادات السيئة أيضاً التى ظهرت فى مجتمع مصر القديمة عادة شرب الدخان والتى دار حولها الجدل الذى تبلور حول تاريخ دخول الدخان إلى مصر، هل دخل فى أواخر القرن ١٦ وبداية القرن ١٧؟ أم أنه ظهر فى بداية القرن السابع عشر كما يُروى أحمد شلبى بن عبد الغنى والإسحاقى؟ وهذا التساؤل الأخير هو الذى يروق لبعض المؤرخين الأخذ به ضمن بعض الدراسات التى وضعت حول الدخان فى مصر(٧٠). ويقول الشيخ إبراهيم اللقانى فى نصائحه التى قدمها عام ١٠٢٥هـ/١٦١٤م عن الدخان " إن أول من أخرجه ببلاد السودان المجوس ثم جلب إلى مصر والحجاز واليمن والهند وغالب أقطار الإسلام وعمت به البلوى، ففى أوائل شيوعه بمصر دخل به رجل من تافيلان ببلاد المغرب يقال له أحمد بن عبد الله الخارجى المشهور بسفك الدماء بغير حق ......"(٧١).

وقد حدث اختلاف بين الفقهاء حول تحريم الدخان أو إجازته وانقسموا فى ذلك إلى ثلاث كما يرى العصامى فى رسالته التى حررها حول تحريم الدخان، فقال فى مقدمتها " فالسبب الداعى لتحرير هذه الرسالة والباعث المتداعى لترتيب ما فى هذه القبالة أنه لما شاع الدخان المعروف فيما بين المشرقين كان الناس فى شأنه شقين. شق قال بجعله

وجواز شربه مستدلين بالإجابة الأصلية، وشق كان صنفين، صنف ذهب إلى حرمته وعدم جواز قربه فضلاً عن جواز شربه منوراً دعواه بما يسر له نقله أو اهتدى إليه عقله. وصنف توسـط فيما بينهما وقال بكراهته وصار توجه قلبى (رأى العصامى) إلى عـدم حله وإباحته ..... "[٧٢]. وتأميماً على قول هؤلاء الفقهاء صدرت العديد من الأوامر .... والبيورلدات بتحريم الدخان وشربه فى مصر القديمة، فرأينا من قبل الأوامر التى صدرت بتحريمه داخل المحكمة. ثم البيورلدى الصادر فى ٧ رجب ١٠٢٣هـ/١٦١١م من الديوان العالى يحث فيها صوباشى مصر القديمة " منع كل مسلم ونصرانى ويهودى شرب الدخان والخمور"[٧٣].

ومن العادات السيئة التى وجدت أيضاً انتشار الزنا وممارسة السحر والشعوذة. فواقعة الزنا دائماً ما ترتبط بشرب الخمر، الحقيقة أن مثل هذه الممارسات اللاأخلاقية قد وجدت حالاتٍ ليست قليلة داخل مجتمع مصر القديمة خلال القرن وهو أمر قد هدد بتفكك المجتمع. فمن هذه الحالات حالة قد ضبطها صوباشى مصر القديمة ويدعى الأمير مصطفى فى يوم الجمعة ٣ محرم ١٠٥٨هـ/١٦٤٧م، حيث قبض على امرأة تدعى سليمة ومعها شخص يدعى حسين العزب كان فى منطقة الخلاء والكيمان بظهر قصر الجمع، فإعترفت أمام الصوباشى المذكور " إنها كانت شـاربة الخمـر وإنها على علاقة معاشرة وزنا بحسين هذا منذ سنتين ... "[٧٤].

كذلك كشف الأمير سليمان صوباشى مصر القديمة عام

١٠٧٣هـ/١٦٦٢م حالة زنا قد تمت فى روضة مصر القديمة بين رجل يدعى محمد بن حسن الدلال القاطن بالجيزية يأتى كل يومٍ إلى الروضة ومعه إمرأة تدعى فاطمة ابنة محمد البحيرى ويختلى بها فى أرض المرحوم الأمير عابدى بيك[٧٥]. وقد وجدت بعض النسوة قد تخصصن فى جمع الرجال مع النسوة فى أماكن خاصة لممارسة السكر والفاحشة وهو ما أشرنا إليه من قبل عند معالجتنا للرباع فى مصر القديمة والتى كان بعضها بمثابة " وكر " للزنا وشرب الخمر. وتسجل الوثائق أسماء العديد منهن. وفى مواضعٍ أخرى كانت بعض النساء الخاطيات يعلن توبتهن أمام القاضى الشرعى، ففى ٢٧ شعبان ١٠٥٤هـ/١٦٤٣م حضرت المرأة حجازية ابنة منصور البهنساوى إلى قاضى مصر القديمة " وأعلنت أنها من النساء الخاطيات بمواضع الكباير والخطا فحصل لها فى يوم تاريخه رهبة ووحشة من جانب الله تعالى ومن خوف غضبه وعذابه بسبب ارتكاب ما حرمه فتابت وأقسمت على نفسها بالله العظيم الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم القسامة الشرعية أنها صادقة فى توبتها وإذا عادت وقع عليها الأمر الشرعى والحدود الشرعية .... "[٧٦]. ولدينا العديد من الحالات سواء رجال أو نساء يرغبون فى التوبة مثل حجازية المذكورة خوفاً من عقوبة الزنا التى أقرها الرسول (ص) فى حديث شريف، فعته أنه قال " إحذروا الزنا فإن فيه ستة خصال ثلاث فى الدنيا وثلاثة فى الآخرة، فأما الثلاثة التى فى الدنيا فإنه يذهب بهاء الوجه ويورث الفقر وينقص العمر وأما الثلاثة التى فى الآخرة فإنه يوجب سخط الله وسوال

الحساب والخلود فى النار ".. وفى حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم قال أيضاً " ومن زنا بإمرأة حرام أقامه الله تعالى فى قبره عطشاناً باكياً حزيناً مسوداً وجهه مظلماً فى عنقه سلسلة من نار وعليه سراويل من قطران ". وهناك العديد من الأحاديث والأقوال المأثورة عن عقوبة الزنا أوردها الكثير من الفقهاء والعابدين، نخص منهم على سبيل الذكر أبو الليث السمرقندى " ت ٣٧٣هـ " الذى وضع مقدمة فى التصوف يتناول فيها معظم الأحاديث النبوية التى توضح عقوبة الزنا كما أشرنا فى الحديثين السابقين(٧٧). لذلك أنبرى العديد من سكان مصر القديمة كما رأينا إلى إعلان التوبة والعودة إلى حياة الاستقامة بعيداً عن خطوب الشيطان.

أما ممارسة السحر والشعوذة فلم نسمع عنها إلا على نطاق ضيق داخل المدينة حيث كان يمارسه البعض داخل دير قصر الجمع نخص منهم الذمى عبد القدوس بن ميخائيل من بيت حمصة التمساحية النصرانية اليعقوبية الذى كان يمارسه فى النصف الثانى من القرن السابع عشر(٧٨).

كما انتشرت بمصر القديمة عادة شرب القهوة أو البن على المقاهى التى استشرت داخل المدينة خلال القرن. وقد ذهب البعض إلى تحريمه مثل الخمر، ولكن إبراهيم اللقانى يخالف ذلك الرأى ويقر بشرب البن لأنه ليس مثل الخمر المسكر فيقول " والحق إنه فى ذاته لا إسكار فيه وإنما فيه تنشيط للنفس ....."(٧٩).

الأعياد والإحتفالات:

قلنا أن مصر القديمة مدينة مزدوجة نتيجة انتشار المسلمين والنصارى بها، لذلك ظهرت بها عملية الاحتفالات بالأعياد الدينية سواء الإسلامية أو المسيحية. فكان مسلمو المدينة يحتفلون بعيد الأضحى وعيد الفطر المبارك والمولد النبوى ورؤية هلال رمضان، وكان " المسحراتى " بليالى رمضان يمر على سكان المدينة لينبههم بتناول الطعام فيذكر منهم الحاج محمد بن بركات المسحر بليالى رمضان بخط السبع سقايات(٨٠).

وقد أقيمت العديد من الموالد للأولياء وقبورهم المنتشرة بمصر القديمة وما تبعها من احتفالات وزينات. وعلى الجانب الآخر احتفل مسيحيو المدينة بأعيادهم مثل عيد القيامة المجيد، وعيد الصليب المجيد وعيد الغطاس، ومن الموالد التى أقاموها، مولد القديس مرقوريوس Mercurius (أبو سيفين) فى ١٥ هاتور(٨١). وكانوا ينشدون الأناشيد والمدائح فى هذه الأعياد والتى سجلنا بعضاً منها قد نظم فى فترة ق ٦ هـ/ ١٢م وما زالت تردد(٨٢). ففى عيد الصليب المجيد يقال " ابدأ بإسم الله الديان الدايم إلى عقب الأزمان الحاضر فى كل مكان الذى علق فوق بستان ورؤوس بالصليب نور الإيمان وبه نهزم حزب الشيطان ...."(٨٣). وفى عيد القيامة العظيم يقال " أنا أفتح فاى وأتكلم وأنطق بخفياه عظام الرب ..... وصلب المسيح وقبر ثم قام بعد أن وصفوه فى المقبرة سكت مدفون ثلاثة أيام فقام وفضح كل الكفرة ..." (٨٤).

وقد وجدت عدة احتفالات أخرى بجانب الاحتفالات بالأعياد والموالد الدينية. منها أنه عندما يفى النيل بالماء تعم الاحتفالات بقدوم الخير، فيذكر السيوطى " إن العادة قد جرت كل سنة إذا وفى النيل أن يرسل السلطان بشيراً بذلك إلى البلاد لتطمئن قلوب العباد ... وهذه عادة قديمة "[٨٥]. فعندما يحدث الفيضان تبدأ عملية كسر الخليج عند الفتحة المسماة بفم الخليج حتى تجرى فيه المياه، وقد رأينا عند حديثنا عن الزراعة كيف اهتمت إدارة المدينة بتنظيف وتطهير الخليج من الحشائش والأتربة لتسهيل جريان الماء به. والمرحلة الأولى لكسر الخليج تبدأ أولا: بالإحتفال بذهاب الوالى إلى المقياس الشريف عند بلوغه ١٦ ذراعاً بأذرع مقياس الروضة[٨٦]. وقد أعجب جومار بإحتفالات كسر الخليج فيقول " رغم ما للاحتفالات والأعياد الدينية من أبهة وعظمة فإنه لا يوجد له من العظمة والأهمية مثل ما لعيد فتح الخليج، فكسر سد الخليج حدث بالنسبة لكل بلد، ويبدأ الاحتفال به عند غروب الشمس حيث تقطع القوارب المضاءة فرع النيل الصغير الواقع إلى جزيرة الروضة، وفى اليوم التالى مع شروق الشمس تزين كل القوارب بالأعلام ويحتل حشد كبير من الناس المرتفعات المجاورة لفم الخليج ويسمع ضجيج المدافع وآلات الموسيقى من كل صوب ....."[٨٧].

وقد اعتاد سكان مصر القديمة إقامة الاحتفالات وما يصاحبها من غناء ورقص، فكانوا يستعملون بعض الآلات التى تحدث أصوات موسيقية ويدقون الطبول والكابور للمغنى الذى ينشد لهم على دقات هذه

الطبول وسط الراقصين والراقصات[٨٨]. وكانوا دائماً ما يستعملون ذلك فى ليالى الطرب عندهم أو فى أوقات زفاف العروسين التى تشهد تجمعاً عظيماً من الناس بهدف مشاهدة هذه الزفة، وقد تحدث أحياناً بعض المشاجرات بين المتفرجين نتيجة الزحام الشديد، مثل الفتنة التى حدثت يوم ٢٦ صفر ١٠٥٨هـ/١٦٤٧م وهو يوم وليمة عرس على بن عيسى القاطن بحمام جمدار والتراس بشونة غلال مصر القديمة، وقد جرت العادة أن يجمع الصوباشى عوايد من صاحب وليمة العرس[٤].

وما لفت أنظارنا بالمدينة وجود بعض الحواة ممن اعتادوا عمل بعض الألعاب بإستخدام الثعابين والحيات، ويتجمع حول الحاوى العديد من المتفرجين ممن لديهم حب الإستطلاع، وأشهر هؤلاء الشريف محمد بن الشريف عيسى الذى كان يتجول بخط السبع سقايات ويمارس هوايته من أجل الكسب[٨٩].

الخاتمة

ولقد تعددت صور الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة إبان القرن السابع عشر .وظهرت عدة فئات من السكان تفاعلت في ما بينها لتشكيل نسيجا واحداً داخل المجتمع في محاوله لوضع تصور تقديري لتعداد سكان المنطقه نظراً لغياب سجلات تعداد النفوس في تلك الفترة وجاء الاعتماد الاول والاساسى على رجال الحمله الفرنسيه. ولا ننكر

إن دراسة التاريخ الاجتماعي بوجه عام يشكل تعقيداً امام الباحثين ؛ لكنه فى نفس الوقت يقدم نتائج هامه ومفيده فى مجال الدراسه وهو ما لمسناه عند دراسة التاريخ الاجتماعى لمنطقة مصر القديمه فى الحقبه العثمانيه كما ابرزت الدراسه سيطرة الاتراك والمماليك كقوة اولى حاكمه إستأثرت بالسلطه والثروه فى البلاد بجانب بعض الاشراف وغيرهم لذا جاءت سجلات المحاكم الشرعية

صور الحياه الاجتماعيه داخل مصر القديمه متعدده فى اكثر من جانب لتبرز اهمية هذا الاتجاه ليس فى المنطقه وحدها بل فى مصر قاطبة

الهوامش:

(١) دى شابرول:وصف مصر -ج٤ -القاهرة -١٩٧٨م,ص١١، وكذلك جومار: وصف مددينة القاهرة وقلعة الجبل -ترجمة أيمن فؤاد سيد - مكتبة الخانجى - القاهرة١٩٩٨م - ص٣٣٢

(2) Neitzschitz.voyages en egypte "1634-1636"IFAO-le caire-1974 p223

(٣) عن الرباع وسكانها انظر: محمد عفيفى: الرباع فى العصر العثمانى. مقال بمجلة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٩٩، ص١١٦

(٤) أحمد بن سعد الدين العثمانى: دخيرة الأعلام بتواريخ الخلفاء الأعلام وأمراء مصر الحكام وقضاة قضاتها فى الأحكام من فتحها الإسلامى إلى زمن الناظم. مخطوط بدار الكتب، تاريخ ١٠٤، ميكروفيلم ٥١١١١

(5) Sandys: Voyage de 1611, p138

(٦) محكمة الباب العالى: س١٢٥، م١٠٢، ص٣٩

(٧) محكمة مصر القديمة: س١٠١، م١٧٣٢، ص٦٣٨

(8) Henry Costele: Voyage de "1600-1601" imprime en 1981-francais p150

(٩) أندريه ريمون: فصول من التاريخ الإجتماعى للقاهرة العثمانية، ص٩٨

(١٠) محكمة مصر القديمة: س١٠٤، م٤٥٣، ترجمة زهير الشايب -مكتبة مدبولى -القاهرة ١٩٧٤م - ص١٦٦

(١١) نفسـه: م١٠٧٤، ص٩٧٤

(١٢) محكمة مصر القديمة: س١٠٢، م١٤٩٣، ص٥٧٤

(١٣) محكمة مصر القديمة: س١٠٠، م٤٣٦، ص٢١٥

(١٤) محكمة مصر القديمة: س١٠٤، م٢٤٦٥، ص١٦٩٠

(١٥) محكمة مصر القديمة: س١٠٠، م٢٣، ص٩

(١٦) محكمة مصر القديمة: س١٠٠، م٣٣٢، ص٣٣٢

(١٧) نفســــــــــــــــــه: م٣٧١، ص٣١٨

(١٨) نفســــــــــــــــــه: م٦٣، ص٢٦

(١٩) محكمة مصر القديمة: س١٠٢، م٩٨٤، ص٣٩١

(٢٠) محكمة مصر القديمة: س١٠٢، م١٨٤٧، ص٦٩٨

(٢١) محمد عفيفى: الخطط والحياة الإقتصادية فى حارة اليهود بالقــاهرة. مجلــة المؤرخ المصرى، العدد العاشر. يناير ١٩٩٣، ص٢٩

(٢٢) محكمة مصر القديمة: س١٠٤، م١٠٨٠، ص٩٧٦

(٢٣) نفســــــــــــــــــه: م١٣٧٢، ص١٠٩٣

(٢٤) محكمة مصر القديمة: س١٠٠، م١٣٠، ص٥١

(٢٥) دشت ١١٩ لسنة ١٠١٢هــ، ص٨٤، وكذلك محكمة مصر القديمة: س٩٨، م١٠٩٨، ص٣١٠

(٢٦) محكمة مصر القديمة: س١٠٤، م٢٤٠١، ص١٦٦٨

(٢٧) محكمة مصر القديمة: س٩٩، م٣٤٤، ص١١٢

(٢٨) محكمة مصر القديمة: س١٠٣، م١١١، ص٤٩

(٢٩) محكمة مصر القديمة: س١٠٢، م٦٧، ص٢٦

(٣٠) نفســــــــــــــــــه: م٦٨، ص٢٧

(٣١) محكمة مصر القديمة: س١٠٥، م٤٠٨، ص١٣٦

(٣٢) محكمة مصر القديمة:س١٠٥ م١١٦٠، ص٣٧٣

(٣٣) عن عتق الرقيق وأصول ذلك انظر: الشرنبلاى: غنية زوى الاحكام فى بغية درر الاحكام - ج١دار الكتب - فقه حنفى طلعت ٨١٢/٨١١ ميكروفيلم٩٢٦٦ -٩٢٦٧، وأيضاً: محمد عريف إسماعيل: تحرير الكلام فى مسائل الإلتزام. مخطوط بدار الكتب، فقة مالك ٢٨١، ميكروفيلم ١٦٨٩٨، غير مرقم – وكذلك: محمد مختار: بغية المريد فى شراء الجوارى وتقليب العبيد، القاهرة، ١٩٩٦

(٣٤) محكمة مصر القديمة: س٩٨، م١٢٣٤، ص٣٤٥

(٣٥) محكمة مصر القديمة: س١٠٢، م١٥٢٣، ص ص٥٨٢، ٥٨٣

(٣٦) نفسه: م١٨٧٠، ص٧٠٦

(٣٧) محكمة مصر القديمة: س١٠١، م١٦٣١، ص٦٠٥

(٣٨) محكمة مصر القديمة: س١٠٠، م١٣١، ص٥٢ وللمزيد عن أحوال المغاربة فى مصر فى العصر العثمانى. انظر: عبد الرحيم عبد الرحمن: المغاربة فى مصر فى العصر العثمانى (١٧٩٨/١٥١٧م). المجلة التاريخية المغربية، الجزائر، ١٩٨٢

(٣٩) دشت ١٤٨ لسنة ١٠٤٠هـ، ص٧٠١

(٤٠) أحمد شلبى بن عبد الغنى: اوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشوات – تحقيق عبدالرحيم عبدالرحمن -مكتبة الخانجى -القاهرة ١٩٧٨ - ص٢٠٤

(41) Neitzschitz. Op. Cit. P228

(٤٢) محكمة مصر القديمة: س١٠٥، م٩٣٦، ص٢٩٧

(٤٣) محكمة مصر القديمة: س٩٨، م٤٤١، ص١٢٦

(٤٤) نفســــــــــه: م٩٩٠، ص٢٨٢

(٤٥) نفســــــــــه: م٤٤٨، ص١٢٩ وكذلك م٥٣٧، ص١٥٥

(٤٦) محكمة مصر القديمة: س١٠٢، م٦٦٠، ص٢٥٦

(٤٧) محكمة بولاق: س٤٩، م١٥٥، ص٥٨

(٤٨) دشت ١٢٣، ص١٠٢٩ لسنة ١٠١٤هـ

(٤٩) محكمة مصر القديمة: س١٠٣، م٣٢٤، ص١٣٤

(٥٠) محكمة مصر القديمة: س١٠١، م١٧٣٢، ص٦٣٨

(٥١) نفســــــــــه: م٩٩٨، ص٣٧٢

(٥٢) محمد عفيفى: الأقباط والحياة الاقتصادية فى العصر العثمانى -تاريخ المصريين ٥٤ -الهيئة المصرية العامة للكتاب -١٩٩٢م - ص٢٣٢

(٥٣) محكمة مصر القديمة: س١٠٣، م٤٥٠، ص ص١٨١، ١٨٢

(٥٤) محكمة مصر القديمة: س٩٨، م٤٤١، ص١٢٩

(٥٥) نفســــــــــه: م٤٤٨، ص١٢٩

(٥٦) محكمة مصر القديمة: س١٠٣، م١١١، ص٤١٤ . نود أن نشير إلى أنه قد حدث جدل كبير بين الفقهاء حول تحديد الفرق بين الطلاق والفسخ فى عقود الطلاق عندما يهجر الرجل زوجته فالإختلاف حدث حول أسباب الفراق هذه هى التى تحدد الفرق بين الإثنين وهو أمر قد حسمه الكثيرون ومنهم الجرجاوى الحنفى فى القرن ٦هـ/١٢م وللمزيد من التفاصيل انظر: محمود بن محمد المهندس الجرجاوى الحنفى الأزهرى: الكواكب المشرقة فى أحكام النكاح والطلاق والنفقة. مخطوط بدار الكتب، فقه حنفى ٨٠٥، ميكروفيلم ٨٠٦١

(٥٧) محكمة بولاق: س٣٠، م٤٥٣، ص١٣٣

(٥٨) محكمة مصر القديمة: س١٠٤، م١٠٠٧، ص٩٤٩

(٥٩) محمد عريف إسماعيل: المصدر السابق، غير مرقم

(٦٠) الجرجاوى: المصدر السابق، ص٥٧

(٦١) محكمة مصر القديمة: س١٠٢، م٩٢٤، ص٣٦٤

(٦٢) دشت ٥٧، ص٣٠٨ لسنة ١٠٤٩هـ

(٦٣) الباب العالى: س١٦٥، م١٠٤٥، ص٣٤٨ لسنة ١٠٩٠

(٦٤) محكمة مصر القديمة: س١٠٢، م٦٧٣، ص٢٦١

(٦٥) Neitzschitz. Op. Cit. P218

(٦٦) الغزى: جواهر الذخائر فى عدد الكبائر والصغائر. مخطوط بدار الكتب، تصوف ٢٧٦١، ميكروفيلم ٣٣٨١٨، غير مرقم

(٦٧) محكمة مصر القديمة: س٩٦، م٥٠٦، ص١٣٨

(٦٨) محكمة مصر القديمة: س١٠٣، وذكر البيورلدى فى الصفحة المغلقة فى بداية جلد السجل فلم ترقم الوثيقة وكذلك الصفحة.

(٦٩) محكمة مصر القديمة: ١٠٣، م٦٢٣، ص ص٢٤٢، ٢٤٣ . ومن الجدير بالذكر أنه قد صدر أمر سلطانى عام ١٥٧٤م بعد شرب الخمر الذى شاع استعماله أيام السلطان سليم خان الثانى وأفرط فيه الجنود خاصة الإنكشارية، فدفع ذلك الإنكشارية إلى الثورة مما إضطر إلى عودة شرب الخمر ولكن ليس بالقدر الذى يذهب العقل. انظر: محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص١١٣

(٧٠) محمد عفيفى: تجارة الدخان فى العصر العثمانى. مقال فى مجلة كلية

الآداب، جامعة القاهرة، العدد ١٩ لسنة ١٩٩٨، ص٣٤٦

(٧١) إبراهيم اللقانى: نصيحة الإخوان بإجتناب الدخان. مخطوط بدار الكتب، فقه حنفى طلعت ٣٨،ميكروفيلم ٤١٩٠٤ - ١٤٩٢٣، ص٦

(٧٢) عبد الملك العصامى: رسالة فى تحريم الدخان. مخطوط بدار الكتب، فقه مالك ٣٨، ميكروفيلم ٤١٩٠٤، ص١

(٧٣) محكمة مصر القديمة: س٩٨، م٢، ص٢

(٧٤) محكمة مصر القديمة: س١٠١، م٢١١، ص٧٨

(٧٥) محكمة مصر القديمة: س١٠٣، م٢، ص١

(٧٦) محكمة مصر القديمة: س١٠٠، م٣٨٧، ص١٨٣

(٧٧) أبو الليث السمرقندى: مقدمة فى التصوف. مخطوط بدار الكتب، تصوف ٢٧٦٨، ميكروفيلم ٤٠٢٥٠

(٧٨) محكمة مصر القديمة: س١٠٤، م١١١٢، ص٩٨٨

(٧٩) إبراهيم اللقانى: المصدر السابق، "بدون ترقيم"

(٨٠) محكمة قناطر السباع: س١٢٦، م٣٤٣، ص٧٥

(٨١) ج. و. مكفرسون: الموالد فى مصر، ترجمة عبد الوهاب بكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨، ص٨٦

(٨٢) مجهول: مجموعة مدائح دينية للسيد المسيح والسيدة العذراء. مخطوط بدار الكتب، لاهوت ٦٩٠، ميكروفيلم ٤٨١٧٤،

(٨٣) نفســـــه: ص١١٩

(٨٤) مجهول المصدر السابق: س٨٧

(٨٥) السيوطى: حسن المحاضرة الجزء الثانى - ص٣٢٩

(٨٦) محمد الششتاوى: متنزهات القاهرة فى العصرين المملوكى والعثمـــانى، دار الآفاق العربية، ١٩٩٩، ص ص٣٠٦، ٣٠٧

(٨٧) جومار: المصدر السابق، ص٣١٧

(٨٨) محكمة مصر القديمة: س٩٣، م٢٠٤٣، ص٣٨٥

(٨٩) محكمة مصر القديمة: س١٠٣، م٢٧٠، ص١١٣

قائمة المصادر والمراجع

أولا الوثائق غير المنشورة

سجلات المحاكم الشرعية

*محكمة مصر القديمة : سجل (٩٣-٩٨-٩٩-١٠٠-١٠١-١٠٢-١٠٣-١٠٤-١٠٥)

*محكمة الباب العالى : سجل (١٢٥-١٦٥)

*محكمة بولاق : سجل (٣٠-٤٩)

*سجلات الدشت : سجل(٥٧-١١٩-١٢٣-١٤٨)

*محكمة قناطر السباع : سجل(١٢٦)

ثانياً المخطوطات

*أبو الليث السمرقندى : مقدمة فى التصوف، دار الكتب، تصوف

*إبراهيم اللقانى : نصيحة الاخوان بإجتناب الدخان، دار الكتب، فقه مالك٣٨ وميكروفيلم١٤٩٢٣،١٩٠٤٤

*أحمد بن سعد الدين العثمانى : دخيرة الاعلام بتواريخ الخلفاء الاعلام وامراء مصر وقضاة قضاتها فى الاحكام من فتحها الاسلامى الى زمن الناظم، دار الكتب، تاريخ١٠٤ وميكروفيلم٥١١١١.

*حسن بن عمار بن على الوفائى الشربنلى : غنية دوى الاحكام فى بغية درر الاحكام، ج١،ج٢،دار الكتب،فقه حنفى طلعت٨١٢،٨١١ وميكروفيلم٩٢٦٧،٩٢٦٦

*على الاجهورى : اسئلة وردت من المغرب واجوبتها، دار الكتب،فقه مالك٣٩ وميكروفيلم٤٢٠٢٤

*عبد الملك العصامى : رسالة فى تحريم الدخان، دار الكتب، فقه مالك ٣٨، وميكروفيلم٤١٩٠٤

*مجهول : مجموعة من مدائح للسيد المسيح والسيدة العدراء، دار الكتب، لاهوت٦٩٠ وميكروفيلم ٤٨١٧٤

*محمد بن محمد المهندس الجرجاوى: الكواكب المشرقة فى احكام النكاح والطلاق والنفقه،دار الكتب،فقه حنفى طلعت ٨٠٥ وميكروفيلم ٩٢٦١

*محمد عريف إسماعيل : تحرير الكلام فى مسائل الإلتزام، فقه مالك٢٨١ وميكروفيلم١٦٨٩٨

ثالثا :المصادر العربية

احمد شلبىّ بن عبد الغنى : اوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات، تحقيق عبدالرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مكتبة الخانجى القاهرة ١٩٧٨.

*جومار : وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، ترجمة أيمن فؤاد سيد، مكتبة الخانجى ١٩٩٨

*حسين افندى الروزنامجى : ترتيب الديار المصرية، مجلة كلية الاداب، مجلد ٤، ج٢ ١٩٣٦

*دى شابرول : دراسة عن عادات وتقاليد سكان مصـــر المحـــدثين، وصف مصر، ج٦، ترجمة زهير الشايب، مكتبة مدبولى ١٩٧٩

رابعاً : المصادر والمراجع الاجنبية

*Castele-Henry ; Voyage Do-1600-16001 Imprime en 1981 Francais.

*Neitzschitz.G; Voyage en Egypte 1636- en Voyages en Egypte Des Annees 1634-1635 et 1636-IFAO Lcaire 1974

*Sandys;Voyage de 1611 IFAO Le caire1974

خامسا : المراجع العربية

*أندرية ريمون : فصول من التاريخ الاجتماعى للقـــاهرة العثمانيـــة، ترجمة زهير الشايب، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٧٤

*عبد الرحيم عبد الرحمن : المغاربة فى مصر فى العصر العثمـــانى، المجلة التاريخية المغربية، الجزائر ١٩٨٢

* محمد الششتاوى : متنزهات القـــاهرة فـــى العصـــرين المملـــوكى والعثمانى، دار الآفاق العربية،١٩٩٩

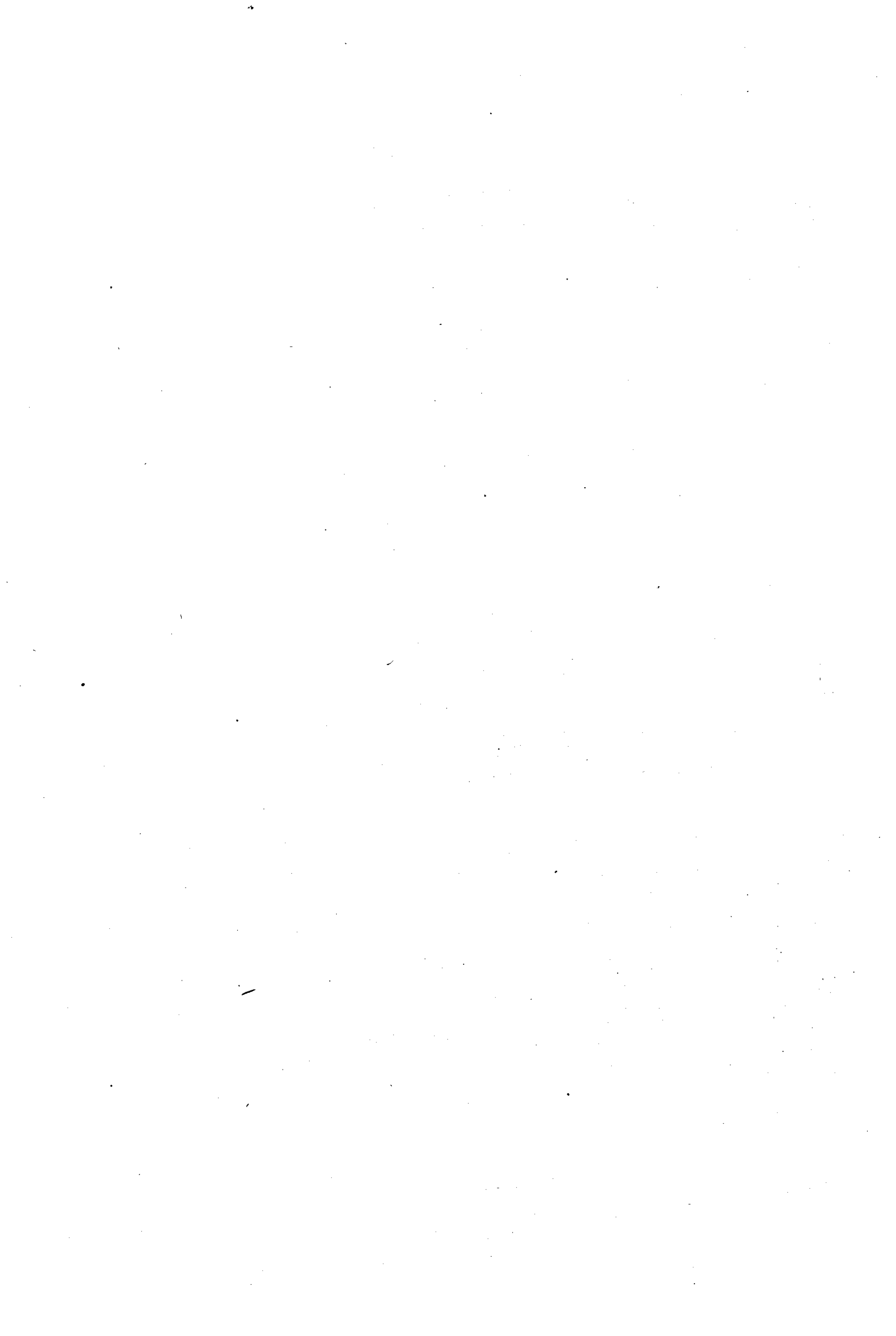
* محمد عفيفى : الأقباط فى العصر العثمانى، تاريخ المصريين ٥٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٢

*------- : تجارة الدخان فى العصر العثمانى، مقال بمجلة كليـــة الأداب جامعة القاهرة

* ------: الرباع فى العصر العثمانى، مقال بمجلة المعهد الفرنسى للاثار الشرقية بالقاهرة،١٩٩٩

* محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية، مكتبة الأداب، (د ـت)

* محمد مختار باشا : التوفيقات الالهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنة الافرنكية والقبطية، تحقيق محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسة والنشر (د ـت).



الاقتصاد البحري الكويتي(*)
فى النصف الأول من القرن العشرين

د. عايـد عتيــق جريـد

شكل البحر أحد أهم موارد الدخل، ومصدرًا رئيسيًا من مصادر ثروة الكويت وشعبها خلال النصف الأول من القرن العشرين الميلادى، فقد ارتبط الكويتيون ارتباطًا وثيقًا منذ القدم، متحملين مخاطره ومشاقه، فلم يكن أمامهم سواه، نظرًا لعدم توافر الموارد المالية، وعدم صلاحية الأرض للزراعة، وندرة المياه الصالحة للشرب، فكان الاعتماد عليه بشكل كبير، لسد احتياجاتهم(١).

كما أن الحاجة الماسة إلى البحر كانت سببًا وراء تميزهم فى مجال التجارة والأعمال البحرية فى منطقة الخليج العربى، حتى توسعت تجارتهم ووصلت إلى شبه القارة الهندية، وساهمت عدة عوامل فى تحقيق هذا التميز، منها أن النظام السياسى الكويتى كان حريص، على تشجيع التجارة البحرية لكونها المصدر الأساسى للدخل، والذى كان يستفيد منه خلال الضرائب التى كانت تفرض على التجار، والتى كانت تساعده فى تقديم

(*) مجلة المؤرخ المصرى، عدد يناير ٢٠١٦.

الخدمات للشعب كالتعليمية والبلدية[٢]، وغيرها لهذا انحازت سياسة حاكم الكويت الشيخ مبارك الصباح (١٨٩٦-١٩١٥م) لصالح التجار، وأصحاب السفن الكويتيين، حتى أنه لم يسمح للتجار الأوربيين بالعمل في الكويت، حيث رفض في عام ١٩٠٦م طلباً تقدم به أحد الأجانب للحصول على امتياز استخراج الأسفنج، الذى يؤثر فى الغوص على اللؤلؤ[٣].

ولم يكن اعتماد الكويتيين على تجارة (النقل البحرى) و(صيد الأسماك) كحال تجار بعض الدول، بل أوجدوا عدة مجالات في التجارة البحرية، كان من أبرزها مجال الصناعة البحرية كصناعة السفن الشراعية، وكل ما يتطلبه المشتغلين فى الأعمال البحرية.

صناعة السفن:

إن اتجاه الكويتيين بكدهم وقصدهم من أجل الرزق الكرم نحو البحر، فرض عليهم الإلمام ببعض الصناعات، وكانت صناعة السفن من أول الصناعات التى عرفتها الكويت، وقد اشتهرت وتميزت بها عن سائر دول الخليج العربى، كصناعة السفن الشراعية لصيد الأسماك، والغوص على اللؤلؤ، ونقل البضائع عبر البحار والمحيطات[٤]، ويعود تاريخها فى الكويت إلى مطلع القرن الثالث عشر الهجرى (بحدود نهاية القرن الثامن عشر الميلادى)، عندما بدأ الشيخ أحمد بن رزق الأسعد[٥]، بجلب الأخشاب الضخمة لصناعة السفن الشراعية بمختلف أحجامها، وكان بين هذه السفن التى كانت تصنع بالكويت، سفن أرتادت سواحل أفريقيا والهند قادها ربانية من أبناء الكويت[٦]، وبلغ الاهتمام بصناعة السفن فى الكويت، إنها عرفت، بأنها أفضل بلد يصنع (اليوم السفار)، حيث تجلب مواد البناء من الهند وبخاصة أخشاب (الساج) ويقوم الحدادون بصنع المسامير وغيرها من لوازم

هذه الصناعة[٧].

وقد عُرف من كان يقوم على أمر صناعة السفن بـ (الأستاذ)، حيث هو الذى يقوم بتصميمها وبنائها، دون أن يستخدم ورقة وقلما، وكان يقوم مجموعة من (القلاليف) الكويتيين بمساعدته، حتى يرتفع جسد السفينة عن قاعدتها، وتتم تغطية سطحها بالألواح فتصبح جاهزة للإنزال بعد شهر أو شهرين على الأكثر[٨].

وكان الصناع المهرة يقومون بصيانة وترميم هذه المراكب عند الحاجة[٩]، ولقد كان ساحل المدينة مكانًا لصناعة السفن، فقد كانت السفينة تُبنى داخل مكان محاط بسور من طين، أو أمام منزل صاحبها بين السفن الراسية على الساحل[١٠].

وتنوعت السفن التى كانت تصنع فى الكويت حسب استخداماتها، منها سفن الغوص على اللؤلؤ، و(اليوم القطاع)، و(البغلة)، و(السفار)، و(الشوعى)، و(البلم)، و(اللنج)، و(النشالة)، و(يوم الماء)، و(حمال باشى)، و(البلم النصارى)، و(السنيوك)[١١].

وانتعشت صناعة السفن وتنوعت لعدة أسباب منها، ازدياد تجارة المياه فى النصف الأول من القرن العشرين، بعدما اكتشف مصدر جديد للمياه يستفيد منه الكويتيون وهو (شط العرب) فى العراق، مما أدى إلى انتشار بناء (سفن نقل المياه) لجلب المياه منه، فالكويت حينها كانت تعانى من أزمة مياه عزبة للشرب، حيث لم تنشأ بها محطة تقطير المياه إلا فى عام ١٩٥٠م.

ومن أبرز السفن التى أعدت بجلب المياه من شط العرب هى تلك التى كانت تسمى (أبوام الماى) والتى تمتاز بتصميم خاص فهى مكشوفة

ومجهزة بخزانات خشبية، ومن أشهرها آنذاك (يوم الناقة) للتاجر الصالح محمد القوس[١٢]، وقد وصل عدد سفن نقل المياه فى أوائل القرن العشرين ستين سفينة[١٣].

كذلك كان ازدهار وتجارة اللؤلؤ عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م وراء التوسع فى صناعة السفن، فقد سميت هذه السنة (سنة الطفحة) أى مجاوزة الحد، حيث بلغ عدد سفن الغوص[١٤] على اللؤلؤ عام ١٩١٣م حوالى ٨١٢ سفينة[١٥]. ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م، كانت الكويت قد قطعت شوطًا بعيدًا فى صناعة السفن بعد أن تحولت إلى محطة لتوفير السلع إلى بعض الأقطار التى ضرب عليها الحصار البحرى كالشام والحجاز والعراق[١٦].

ويتحدث الأستاذ صالح حسن القلاف وهو أحد أبناء (الأساتذة)، الذين ساهموا فى صناعة السفن عن تطور هذه الصناعة فى الكويت قائلاً: "ازداد الطلب على السفن الشراعية لجودة صناعتها، وقد بلغ عدد السفن الكويتية عام ١٩٢٠م، ١٥٠ سفينة، حمولة أكبرها ٥٧٥ طنا وأصغرها مائة طن، وقد اتضح هذا الدور عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م، حيث لعبت هذه السفن دورًا مهمًا جدًا فى نقل الأموال إلى موانئ الخليج والعراق وبقية البلاد العربية، ولولا متانة هذه السفن وجودة صناعتها لما وصلت إلى هذه الأماكن، بل كان لها الفضل الأكبر فى إنقاذ الناس أثناء الحرب"[١٧].

وأكد المعتمد البريطانى فى الكويت هارولد ديكسون Harold Dickson جودة وازدهار صناعة السفن بالكويت قائلاً: "إن أحسن السفن الشراعية فى الخليج العربى تُبنى فى الكويت[١٨]" وقد قدر عدد سفن (اليوم)

٨٤٩٠ (يوما خشبيا) صُنعت فى الكويت ما بين عامى ١٩٠٦-١٩٤٨م[١٩].

تجارة اللؤلؤ ١٩١٠-١٩٢٨م:

إلى جانب صناعة السفن جاءت تجارة اللؤلؤ[٢٠]، لتمثل أحد أهم الموارد المالية للكويت حتى عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م[٢١]، حيث أن تاريخ الغوص على اللؤلؤ فى الخليج العربى يعود إلى ما قبل ٧٠٠٠ سنة، حيث عُثر على حفريات تدل على استخدام الناس بمنطقة الخليج للأصداف واللآلئ[٢٢].

كما عرف العرب[٢٣] الغوص فى العصر الجاهلى، فقد ذكر بعض شعراء ذلك العصر طريقة الغوص فى قصائدهم، منهم المسيب بن عباس، حين قال:

كجمانة البحرى جاء بها غواصُها من لجة البحر[٢٤]

إن الباحث فى تاريخ الكويت والخليج العربى يعلم أن الغوص وتجارة اللؤلؤ فى الكويت كانت تعتبر شريان الحياة لها ولمعظم سكان الخليج العربى، حيث أسهم الخليج فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بنحو ٨٠% من إنتاج العالم من اللؤلؤ[٢٥].

فالكويتيون مارسوا هذه التجارة منذ القدم[٢٦]، واشتهر منهم الشيخ أحمد بن محمد بن رزق فى القرن الثامن عشر[٢٧]، كما ورد فى كتاب (مباحث عراقية) ليعقوب سركيس رسالة من الأدب الكويتى السيد عبد الجليل الطبطبائى[٢٨] فى ١٩ ذى الحجة ١٢٢٦هـ/ يناير ١٨١٢م إلى أحد تجار (حلب) يصف مشترياته[٢٩] من لآلئ البحرين[٣٠] فى تلك الفترة كانت اللآلئ تباع فى (حلب)، و(أسطنبول) العثمانية، ومن ثم صار سوق بومباى فى الهند من أكبر أسواق اللؤلؤ، ويليه سوق البحرين[٣١].

لقد كان اتجاه الكويتيين لحرفة الغوص، وتجارة اللؤلؤ لعدة أسـباب، منها عدم توافر الموارد المالية[٣٢]، فكان الاعتماد[٣٣] على إيرادات دائـرة الجمارك[٣٤]، وبعض الضرائب[٣٥]، المفروضة[٣٦]، التى لم تكن تكفى لسـد احتياجات الإمارة والمواطنين، الذين اضطروا للارتباط بالأعمال البحريـة رغم مخاطرها على الإنسان[٣٧]. وفى هذا الإطار يقول القبطان الاسـترالى آلان فالبيرز Alan Viliers من خلال تجربته مع مراكب الغوض الكويتية: "إذا قارنت الغوض على اللؤلؤ بأى نوع من المشاق البحرية التى كابـدتها شخصيا، فإن الغوص يظل فظيعاً"[٣٨].

أيضا ذهل الرحالة من عظمة نشاط الغوص، حتى أن الكسندر الذى شر ح عام ١٩٥١ مغاصات[٣٩]، اللؤلؤ فى العالم، ركز على نوعية اللؤلـؤ فى الخليج العربى. ونتيجة لتميز الخليج العربى[٤٠]، والكويت بصفة خاصة كمركز[٤١] رئيسى للغوص على اللؤلؤ[٤٢]، وتكاتف الكويتيون لاسـتخراج اللؤلؤ[٤٣] سدًا لاحتياجاتهم[٤٤]، وبدأوا بصناعة السفن المعدة للغوص علـى اللؤلؤ، وبرعوا فى ذلك[٤٥].

وكانت رحلة صيد اللؤلؤ تبدأ فى شهر مايو وتنتهى فى شهر سبتمبر من كل عام[٤٦]، وقبل البدء بالرحلة يقوم النوخذة[٤٧] وهو (الربان) يطلـب سلفة نقدية من التجار أو صاحب السفينة كمصروف خلال رحلة الغـوص ومنها يعطى سلفة إلى كل العاملين معه[٤٨]، لتستعين بها عـائلاتهم خـلال غيابهم، وعندما ينتهى موسم الغوص يقوم النوخـذة بتوزيـع ربـع بيـع محصولهم[٤٩] من اللؤلؤ على جميع العاملين معه[٥٠].

نتج عن هذا العمل المشترك وجود علاقات اجتماعيـة متينـة بـين العالمين دون الحاجة لمستندات فى حساباتهم[٥١]، فالمحصول[٥٢] كان يقسـم

ما بين مالك السفينة الذى كان تصيبه يبلغ خمس المحصول، والحاكم والنوخذة[٥٣] والغيص لكل منهم سهم واحد كما يدخل العاملون[٥٤] فى هذا المحصول[٥٥].

ويعد شراء الطواويش[٥٦] للؤلؤ من النواخذه[٥٧]، كانوا يقومون ببيعه لتجار اللؤلؤ الهنود، الذين يقومون ببيعه فى أسواق العالم[٥٨].

وقد حققت تجارة اللؤلؤ أرباحًا ضخمة للطواشين[٥٩]، حيث تجد على ابن حسين بن على اشترى صفقتين من اللؤلؤ من جزيرة خارك التابعة لإيران كل واحدة بمبلغ ٢٥ ألف روبية بما يقارب ١٧٨٥ جنيها استرلينيا وباع الأولى بمبلغ ٧٠ ألف روبية، والثانية بمبلغ ٦٠ألف روبية[٦٠].

وواصل الكويتيون البحث عن اللؤلؤ، حتى أنهم لم يتوقفوا عند مغاصات الخليج العربى بل كانوا يذهبون إلى سيرلانكا للبحث عنه، ففى إحدى رحلاتهم لإحدى جزر سيرلانكا عام ١٣٢٥هـ/١٩٠٨م، وضع الإنجليز قوة من الجنود للمحافظة على النظام، وكانوا يمنعون الغواصين من أن يأخذوا معهم (مفلقة) سكينا لفتح المحار، ومع هذا كان الإنجليز يأخذون ثلثى المحار ويبيعونه للتجار[٦١].

وكانت هناك سنوات يحقق فيها جمع اللؤلؤ ثروة ضخمة، حيث بلغ جمع اللؤلؤ مداه عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م، حيث بلغ الغوص الذروة وسميت هذه السنة بالطفحة، أى مجاوزة الحد، بعد أن بلغ عدد سفن [٦٢] الغوص على اللؤلؤ ٨١٢ سفينة، كما بلغ عائد الغوص ستة ملايين روبية بما يقارب (٤٠٠ ألف جنيه استرلينى)[٦٣].

وفى سنة الطفحة صادف موسم الغوص شهر رمضان فلجأ النواخذة لاستفتاء علماء الجامع الأزهر، ومكة المكرمة، وبغداد فى أمر الغوص فى

رمضان ولما كان الرد[٦٤] بعدم الجواز، للذلك أصبحوا يذهبون إلى الغوص قبل شهر رمضان ويعودون قبله، ثم يذهبون بعده[٦٥].

أيضا من الأسباب التى ساهمت فى هذا الازدهار، وجود تجار ماهريين[٦٦]، أبرزهم هلال بن فجحان المطيرى[٦٧] وشملان بن على بن سيف[٦٨] وإبراهيم المضف[٦٩]. ويقول المعتمد البريطانى فى الكويت شكسبير Shakespeare فى تقرير له فى ٢ سبتمبر عام ١٩١٠م[٧٠]: "إن كل الثروة والرأسمال المتوفر فى الكويت يأتى عن طريق تجارة اللؤلؤ، وأن الرأسمال العامل لأربعة طواشين يصل إلى ثلاثين ألف روبية ويملون من ٢٥٠ إلى ٣٠٠ سفينة غوص، يعمل عليها ما بين ٦٠٠٠-٨٠٠٠ رجل[٧١]"

ساهم فى ازدهار تجارة اللؤلؤ، دعم ومساندة الشيخ مبارك لتجار اللؤلؤ، ومن ذلك أنه فى إحدى المرات صادف التجار، وهم فى بومباى لبيع لؤلؤهم بأدنى الأسعار، فأصدر أمره إليهم بإبقاء لؤلؤهم عند الشيخ قاسم الإبراهيم، والرجوع إلى وطنهم، حتى لا يتحملوا الخسائر بطول إقامتهم، وعندما عادوا أعطاهم من ماله ما يعادل قيمة اللؤلؤ ليتاجروا[٧٢].

استمرت تجارة اللؤلؤ فى النمو والازدهار، ففى عام ١٩٢٢م بلغ عدد العاملين فى الغوص وملحقاته ١٠,٠٠٠ عامل، وعدد السفن بلغت ٨٠٠ سفينة[٧٣]. وما أن جاء عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م حتى تعرضت تجارة اللؤلؤ إلى كساد[٧٤]، بسبب ظهور اللؤلؤ الصناعى فى اليابان، الذى أخذ ينافس اللؤلؤ الطبيعى لرخص ثمنه، وأدى ذلك إلى عدم توفر أعمال للمشتغلين فى الغوص بحثا عن اللؤلؤ[٧٥]، كما ساعد على ذلك الكساد الذى كان يعيشه العالم بين عامى ١٩٢٩-١٩٤٠م، نتيجة تعرض الأسواق العالمية لأزمة اقتصادية[٧٦]، وايضا كان لتقلص نفوذ وثراء أمراء الهند و(راجاته)، الذين

كانوا يستهلكون كميات وافرة منه دور فى هذا الكساد[٧٧].

فى ظل هذا الكساد عانى الطواشون والغواصون[٧٨]، فلم يعد فى استطاعتى الكثير من النواخذة إعطاء البحارة (التسقام)[٧٩]، وهو مبلغ يعطى للبحارة فى الشتاء لسد احتياجاتهم على أن يردوه فيما بعد[٨٠].

لقد وصفت الرحالة فرياستارك Frey Strak حالة الكويت الاقتصادية أثناء زيارتها للكويت عام ١٩٣٧م :"بأن الكويت تعانى من كساد تجارة اللؤلؤ"[٨١]، كما أن وقتها أخذ المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى الكرنل بيسكو Alkornel Pisco بحث حاكم الكويت الشيخ أحمد الجابر على أن يستعمل أدق درجات الاقتصاد فى إدارة حكومته[٨٢].

كان موقف الشيخ أحمد الجابر من هذا الكساد، الذى اربك الدائنين والمدينين أنه أصدرقرارا بإلغاء جميع الديون[٨٣]، كما ألغى المجلس التشريعى عام ١٩٣٨م المبالغ المفروضة[٨٤] على الغواصين[٨٥].

كما قرر بعض تجار اللؤلؤ التوجه إلى أوربا بعد كساد سوق بومباى والبحرين[٨٦]، فسافروا إلى باريس التى تعتبر من أهم أسواق اللؤلؤ، فكان منهم على بن حسين بن على آل سيف[٨٧] عام ١٩٣٠م، ومحمد بن شملان ابن على آل سيف عام ١٩٣٢م، إلا أن سوق باريس[٨٨] كان حاله كحال غيره من الأسواق[٨٩].

وكان من نتائج هذه الأزمة تراجع حركة صيد اللؤلؤ[٩٠]، بل واندثارها بالتدريج حتى انعدمت تقريبا، فقد أخذ عدد السفن[٩١]، يقل تبعا لقلة أهمية الغوص[٩٢]، ففى عام ١٩٥٥-١٩٥٦م، كان عدد السفن يتراوح بين العشر والعشرين سفينة[٩٣]، وكان عدد النواخذة[٩٤] والغواصين محدوداً، وأما الطواشون فلم يتبق منهم سوى طواش واحد وهو محمد بن شملان[٩٥]

النقل البحرى ١٩١٤ -١٩٤٥م"

كان النقل البحرى من أهم مصادر الدخل القومى فى النصف الأول فى القرن العشرين فى الكويت، فقد تكون بالكويت أسطول من السفن الشراعية[٩٦]، وأكبر سفينة كانت تضم خمسين بحارا، وأصغرها كانت تضم عشرة بحارة، والبلدان التى كانت ترتادها هذه السفن هى الخليج العربى بشاطئيه الشمالى والجنوبى، وموانئ (بلوشستان) و(باكستان) و(الهند)، و(شرق أفريقيا) و(ساحل الجزيرة العربية) و(البحر الأحمر) ، وتنقل من وإلى هذه الموانئ البضائع التجارية على مختلف أنواعها كالتمور والحبوب والأخشاب والأقمشة[٩٧].

أما عن سفن اسطول النقل التجارى بالكويت، وحمولتها، فعندما نشبت الحرب العالمية الأولى العالمية الأولى عام ١٩١٤، كان فى قيامها أكبر فائدة للأسطول الكويتى، حينما قام بإعداد البلاد الواقعة على الخليج العربى والبلاد العربية الاخرى، بالتموين والبضائع اللازمة، نظرا لاستيلاء القيادة العسكرية البحرية البريطانية على جميع سفن النقل التجارية، وانقطعت هذه السفن التجارية عن نقل البضائع إلى موانئ الخليج العربى، وكثر الطلب على السفن الشراعية، وارتفعت أجور النقل بناء على ذلك، وأخذ أصحاب السفن وغيرهم يتسابقون فى إنشاء وبناء السفن فى الكويت وفى الهند، وقد بلغ عدد السفن الكبيرة عام ١٩٢٠م، ١٥٠ سفينة مجموع حمولتها ما يقارب ٤٠٠٠٠ طن، وأكبر هذه السفن ٥٧٥ طن وأصغرها ١٠٠ طن، وأشهر هذه السفن (نور البر والبحر) و(المحمدى) و(فتح الكريم) ويكفى بالداو (سمحان)[٩٨].

وأيضا لعب النقل البحرى دورًا كبيرًا إبان الحرب العالمية الثانية، فى

التخفيف من وطأة الخسائر التى تعرضت لها الكويت، فى أهم تجارتها وهى تجارة اللؤلؤ عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م، فنجد أن التجار لم يقفوا مكتوفى الأيدى حيال هذه الأزمة، بل سحبوا رأس المال التجارى من الغوص وحولوه إلى الاستثمار فى النقل البحرى، والتوسع فيه تقليلا للخسائر، وللحد من قسوة البطالة(٩٩).

ومن المشروعات التى طرحت فى هذا المجال إنشاء مشروع شركة (ماء الكويت) التى ساهمت به الحكومة مع المواطنين، حيث أنشئ لهذا المشروع أسطول من "السفن الشراعية لجلب المياه من شط العرب(١٠٠)، وكان ذلك عام ١٩٣٩م، فترأسها الشيخ عبد الله السالم، وكانت مهمة هذه الشوكة الوطنية تنظيم عملية نقل وتوزيع المياه، حيث بلغ رأسمالها حوالى ٣٠٠,٠٠٠ روبية أى بحدود ٢٢ جنيها استرالينيا(١٠١)، وقد اتخذت من شاطئ الكويت مقرًا لها(١٠٢)، حيث وصل عدد سفنها إلى ٢٥ سفينة(١٠٣)، وكانت حمولة كل سفينة حوالى ٨٥٠٠ جالون(١٠٤).

وقد ساهم قيام الحرب العالمية الثانية فى ازدهار دور النقل البحرى، ففى أواخر الثلاثينيات، أعاد التاريخ نفسه، وعادت نفس الأحداث السابقة التى حدثت عام ١٩١٤م عن استيلاء البحرية البريطانية على سفن النقل، وقامت السفن الشراعية بدور مهم جدًا، وهو نقل الأموال إلى موانئ الخليج العربى، والعراق وبقية البلاد العربية، ولولا هذه السفن الشراعية بعد – الله سبحانه وتعالى - لحدثت أمور لا تحمد عقباها من قلة الغذاء وبقية الحاجيات الضرورية(١٠٥).

ومع مطلع عام ١٩٤٥ م بدأت السفن الشراعية فيها محركات آلية تشتغل على الديزل، وأخذ يكثر استعمال هذا النوع شيئا فشيئا، وباستعمال هذه الآلات أخذت السفن الكبيرة تنقرض تدريجيا شيئا فشيئا(١٠٦).

صيد الأسماك ١٩٤٥ -١٩٥٦م

إن تجارة صيد الأسماك جاءت كمصدر رابع من مصادر الدخل للكويتيين فى هذه الفترة المعتمد على البر، فقد تكون – قديما - عدد من السفن الصغيرة، التى كانت تستعمل الشراع والمجداف لصيد الأسماك، وهذه السفن لا تبتعد كثيرًا عن الشواطئ نظرا لصغر حجمها[١٠٧]، ومن أنواع هذه السفن (الشوعى)، والتى تختلف أحجامها فمنها ما هو بحجم القارب الصغير[١٠٨].

وفي عام ١٩٤٥م حدث في هذه التجارة عندما تأسست (شركة صيد للأسماك[١٠٩]) برأسمال قدره ٦٠ ألف روبية بما يعادل ٤٤٠٠ جنيه إسترليني، وهي شركة مساهمة، قيمة السهم الواحد فيها ١٠٠ روبية، وكان الحاج عبد اللطيف صالح المسلَّم القناعي، هو صاحب الفكرة والمنفذ لها.

اختارت هذه الشركة (الخيران) و(الخفجي) و(حد الحمار) مناطق لصيدها، ونصبت (الحضور) في بعض المواضع، واشترت عدداً من سيارات نقل ولنجات.

وقد رأت الشركة بعد ذلك أن توسع مساحة صيدها وتتبع الأصناف الجيدة من الأسماك، وهذا لا يأتي إلا بالدخول في المياه السعودية، فطلبوا من الشيخ أحمد الجابر الصباح حاكم الكويت (١٩٢١-١٩٥٠م) الإذن لهم بالدخول في المياه السعودية، فأعطاهم رخصة بذلك، واستمرت الشركة في أداء عملها بكل جد ونشاط.

ونتيجة لهذه الجهود حققت الشركة أرباحاً مشجعة في البداية لولا صعوبة الطرق خصوصاً في موسم الصيف، وكثرة ما تصاب به سياراتها من عطل بسبب رداءة الطرق وبعد المسافة، وفي عام ١٩٤٨م انحلت هذه

الشركة وبيعت محتوياتها بربع أثمانها الأصلية(١١٠).

لم تتوقف تجارة صيد الأسماك بعد توقف الشركة، وفي أواخر عام ١٩٥٦م استعملت السفن الكبيرة وزودت بها آلات ومكائن تعتمد على الديزل عوضاً عن الشراع والمجداف، وهذه السفن الكبيرة حمولتها لا تقل عن خمسين أو ستين طناً، وتبحر لمسافات بعيدة وفي بعض الأحيان تصل إلى مضيق الخليج والبحر العربي(١١١).

- الخاتمة

حاولنا من خلال هذه الدراسة التعرف على حجم الاقتصاد البحري الكويتي خلال النصف الأول من القرن العشرين، والذي كان بمثابة شريان من شرايين الحياة للكويتيين.

ففي صناعة السفن وجدنا أنها هي الأساس الذي ساهم في وجود عدة أنشطة تجارية فيما بعد كتجارة اللؤلؤ والنقل البحري وصيد الأسماك.

وأما عن تجارة اللؤلؤ فكانت التجارة الأولى في الاقتصاد الكويتي آنذاك، فكان الكويتيون ينتظرون نهاية موسم الغوص الذي يسمى (القفال)، وهو بمثابة العيد في الكويت، حيث تدب الحركة والنشاط في أوصال الكويت، وتنشط حركة البيع والشراء مع عودة الغواصين(١١٢).

كما كان لتجار اللؤلؤ دور في تأسيس المشاريع التعليمية والثقافية، فلو نظرنا إلى تأسيس أول مدرسة نظامية في الكويت (المباركية) أول محرم ١٣٣٠هـ ١٩١١م، سنجد أن من أبرز المساهمين فيها وأعضاء مجلس إدارتها هم من تجار اللؤلؤ منهم ناصر البدر وإبراهيم المضف وشملان بن سيف وهلال المطيري.

لم يتوقف دور نشاط الغوص على اللؤلؤ عند النـواحي الاقتصـادية والأدبية فحسب بل وثقت روح التعاون والتعاضد والتكافل بـين المجتمـع، ويتجلى ذلك في تعاون البحارة في السفينة الواحدة على تسييرها ورعايتهـا ونجدةِ بعضهم البعض عند حدوث أي كارثة أو إخفاق في الحصول علـى اللؤلؤ، فكانوا يأخذون بيد المتضرر فيمدون له يد المساعدة دون طلب لجمع التبرعات ودون علم من أصابته الكارثة[١١٣].

أما عن تجارة النقل البحري فلقد وجدنا أن هذه التجارة مثلت محوراً من أهم محاور الاقتصاد البحري بل والاقتصاد الكويتي في تلك الفترة بعـد حدوث أزمة كساد اللؤلؤ فقد خففت من تأثير الأزمـة التـي عـانى منهـا الكويتيون.

وعن دور تجارة صيد الأسماك فقد وجدنا أنها بدأت عـام ١٩٤٥م، ولكنها لم يكن لها دور كبير في الاقتصاد الكويتي خلال النصف الأول مـن القرن العشرين.

الهوامش:

(١) ج.ج. سلدانها: التاريخ السياسى للكويت فى عهد مبارك، ترجمة فتوح الخنـوش، ط١، ص٢٧٧.

(٢) يذكر خالد العدسانى سكرتير المجلس التشريعى عام ١٩٣٨م: "إن فكـرة إنشـاء المجلس البلدى جاءت عندما توحدت بعض المساعى المخلصة من الشخصـيات قبيل عام ١٩٣٠م، وفاوضت الحاكم الشيخ أحمد الجابر بإنشاء مجلس يقوم بمهام البلدية، بحيث يكون مجلسا منتخبا من المواطنين للإشراف على تنظيف الكويت، فارضين ضريبة تجبى من أموالهم الواردة من طريق البحر بمقدار نصف بالمائة من أصل ثمن كل بضاعة قادة للكويت، بالإضافة إلى الرسم الجمركـى المعتـاد والبالغ مقداره ٤٥%، الذى كان يجبى لمصلحة الحكومة، الأمر الذى أدى إلـى مواقفه الحاكم، للمزيد: انظر خالد العدسانى: مذكرات خالد سليمان العدسانى غير منشورة، ص١٠.

(٣) سيف الشملان: تاريخ الغوص على اللؤلؤ فى الكويت والخلـيج العربـى، ج١، ص٣٤١.

(٤) يعقوب يوسف الحجى: الكويت القديمة صور وذكريات، ص٢٨.

(٥) الشيخ أحمد محمد بن رزق: أحد تجار الكويت الذى ذاع صيته فى الأفاق، وقـد تجار فى اللآلى، كما أنه أول من استخدم السفن التى تصل إلى البلاد النائية. للمزيد انظر عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت، ط٣، ص ٤٤-٤٥.

(٦) عبد الله الحاتم: من هنا بدأت الكويت، ط٣، ص١٠٤.

(٧) يعقوب يوسف الحجى: المرجع السابق، ص٢٨.

(٨) يعقوب يوسف الحجى: المرجع السابق، ص٢٨.

(٩) عيسى القطامى: دليل المختار فى علم البحار، ط٤، ص٢٢٥-٢٢٦.

(١٠) يعقوب يوسف الحجى: المرجع السابق، ص٢٨.

(١١) جاسم عباس: الكويت تاريخ عريق فى صناعة السفن، صحيفة القبس، ١٣ مـايو ٢٠٠٦م.

(١٢) عبد الحميد الفرس: حديث الذكريات، صحيفة الرأى، العدد ١٠٨٢٦، الكويت، ٢٠ فبراير ٢٠٠٩، ص ١٨-١٩.

(١٣) عبد الفتاح مليجى: رجال وتاريخ، ص٢١٢.

(١٤) كانت الكويت تملك عام ١٩٠٧م ٤٦١ سفينة، يعمل عليها ٩٢٠٠ شخص، للمزيد انظر عادل العيد المغنى: الاقتصاد القديم، ط٢، ص٥٦.

(١٥) سيف الشملان: المرجع السابق، ص٢٦٢.

(١٦) عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت، ط٣، ص٤٥.

(١٧) جاسم عباس : الكويت تاريخ عريق فى صناعة السفن، صحيفة القبس، ١٣ مايو ٢٠٠٦م.

(١٨) "القلافة" مهنة كويتية قديمة أساسها الخبرة والاتقان فى صناعة السفن ، انظر صحيفة القبس ١٩ نوفمبر ٢٠١٥م.

(١٩) جاسم عباس: الكويت تاريخ عريق فى صناعة السفن، صحيفة القبس، ١٣ مايو ٢٠٠٦م.

(٢٠) اللؤلؤ: مادة تفرزها بعض الرخويات المعروفة بقدرتها على إفراز مادة الصدف، أو ما يسمى بعرق اللؤلؤ، ويتركب اللؤلؤ من طبقات رقيقة من كربونات الكالسيوم بشكل أراجوتيت ٩٠% مع نسب متساوية من الماء ومواد عضوية أخرى هى الكونشولين Conchiolin للمزيد انظر: عبد الله يوسف الغنيم: كتاب اللؤلؤ، ص٥٩.

(٢١) عيسى القطامى : المرجع السابق، ص ١٩٧.

(٢٢) سليمان محمد المطر: اللؤلؤ مصايدة فى الماضى واستزراعه فى الحاضر، ص ١٧.

(٢٣) أكبر لؤلؤة عرفها العرب هى (الدرة اليتيمة) وسميت اليتيمة، لأنه ليست هناك درة فريدة مثلها تحاكيها، فهى درة كبيرة حائزة على جميع الصفات المطلوبة، وللدرة اليتيمة فكر طويل فى الكتب وهناك اختلاف فى الروايات حولها منها ما جاء فى كتاب "الجماهير فى معرفة الجواهر" للبيرونى يقول: "فأما الدرة اليتيمة فقد أتى بها هشام بن عبد الملك، للمزيد انظر سيف الشملان: تاريخ الغوص على اللؤلؤ فى الكويت والخليج العربى، ج١، ط١، ص١٥٧.

(٢٤) سيف الشملان: المرجع السابق، ص١٣٣.
(٢٥) سليمان محمد المطر: المرجع السابق، ص١٧.
(٢٦) يقول يوسف القناعي: "إن من اشتهر بتجارة اللؤلؤ، محمد بن علي موسى العصفور ثم هلال المطيري وهذا أكبر طواش في الخليج كله، وقد بلغت ثروته ما يربو على سبع ملايين روبية، ثم حسين وشملان بن على بن سيف، وآل خالد الخضير، وإبراهيم المصنف"، للمزيد انظر يوسف القناعي: صفحات من تاريخ الكويت، ط٥، ص٢٧.
(٢٧) سيف الشملان: المرجع السابق، ص٢٦٢.
(٢٨) الأديب السيد عبد الجليل الطبطبائي: ولد في البصرة، وهو شاعر وفقية، للمزيد انظر عبد الله النوري: خالدون في تاريخ الكويت، ط١، ٤١-٤٤.
(٢٩) بلغ عدد السفن بالكويت عام ١٨٣٣ حوالي ١٥٠٠ سفينة على ظهر كل منها من ٦ – ٦٠ بحارا جمعوا ما قيمته ٣٣,٧٥٠,٠٠٠ روبية، للمزيد انظر: عادل العبد المغني: الاقتصاد الكويتي القديم، ط٢، ص٥٦.
(٣٠) عيسى القطامي: المرجع السابق، ص ١٩٩-٢٠٠.
(٣١) سيف الشملان: المرجع السابق، ص٢٦٢.
(٣٢) كانت الآبار ومياه شط العرب المصدر الأول للمياه حتى منتصف القرن العشرين الميلادي، وعندما توفرت للكويت موارد مالية بعد تصدير النفط عام ١٩٤٦م، تم بناء أول محطة تقطير عام ١٩٥٠ في ميناء الأحمدي، للمزيد انظر مجلة الكويت: مياه الكويت، شوكة نفط الكويت المحدودة العدد ٤٦٥، ١٦ يناير ١٩٧١م، ص٧.
(٣٣) من ضمن الضرائب المفروضة في عهد الشيخ مبارك الصباح ضريبة الثلث على العقارات والبيوت للمزيد انظر سيف الشملان: من تاريخ الكويت، ط٢، ص١٨١.
(٣٤) ج.ج. سلدانها: المرجع السابق، ص٢٧٧.
(٣٥) أعفى الشيخ جابر المبارك (١٩١٥-١٩١٧م) الكويتيين من الضرائب المفروضة على العقارات والبيوت للمزيد: انظر عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت، ط٣، ص٣٢٠-٣٢٣.

(٣٦) سيف الشملان: المرجع السابق، ص١٨١.

(٣٧) يوسف القناعى: المرجع السابق، ص٢٧.

(٣٨) ألن فلييرز أبناء السندباد، ترجمة وتحقيق : نايف خرما، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٢م، ص٥٧٢.

(٣٩) مغاصات اللؤلؤ: هى الأماكن التى يوجد فيها المحار ويسمونها باصطلاحهم (الهيرات)، مفردها (الهير)، وهى فى الفارسية (الهار) وهو محل اللؤلؤ والأحجار الكريمة، للمزيد انظر عيسى القطامى: دليل المختار فى علم البحار، ط٤، ص٢١٧.

(٤٠) سليمان محمد المطير: المرجع السابق، ص٣٨.

(٤١) يوجد اللؤلؤ فى البحار الآتية (الخليج العربى - سيلان - بعض شواطئ الهند - البحر الأحمر - اليابان - إرخبيل سولو فى شمال العراق يورنيو بعض جزر المحيط الهندى – أمريكا الوسطى الغربية – المكسيك - البحر الكاريبى)، للمزيد انظر سيف الشملان : تاريخ الغوص على اللؤلؤ فى الكويت والخليج العربى، ج١، ص١٥٧.

(٤٢) س.ستانلى ج. ماليرى: الكويت قبل النفط، ط٢، ص٤٧ -٤٨.

(٤٣) لم يكتف الكويتيون بالغوص فى البحار الإقليمية، بل توجهوا إلى البحار الدولية ومن أشهرها بحر (جزيرة سيلانالتى) حيث تتوافر فيها مغاصات اللؤلؤ، للمزيد انظر: جاسم الأرملى:صحيفة النهار، العدد ١٠٤٥، الكويت، ١٠ سبتمبر ٢٠١٠م.

(٤٤) من الأماكن التى يستخرج منها اللؤلؤ خليج المكسيك وقطر وعمان والقطيف ومصوع ودهلك واصاب للمزيد انظر: عبد العزيز الرشيد، تاريخ الكويت، دار قرطاس للنشر، ط٣، ص٦٠.

(٤٥) سفن الغوص: (البتيل) وجمع بتاتيل و(البقارة) وجمعها بقاقير (السنبوك) جمعه سنابيك و(البوم) وجمعه أبوام وأيام يستخدم كذلك فى النقل البحرىن وجالبوت وجمعه جواليت، و(شوعى) وجمعه شواعى للمزيد انظر : عادل المعبد المغنى: الاقتصاد الكويتى القديم، ط٢، ص٤٤.

(٤٦) عيسى القطامى : المرجع السابق، ص٢٠٠.

(٤٧) النواخذة : وهو قائد السفينة والمسئول عنها، وعن العاملين عليها، ويكون مالكا لها، أو مؤجر عليها، للمزيد انظر عادل العبد المغنى : الاقتصاد الكويتى القديم، ط٢، ص٤٧.

(٤٨) لكل طائفة من الغواصين الذين تضمهم السفينة وظيفة يقوم بها، واسم يتميز به عن غيره، فالمباشرون لاستخراج اللؤلؤ يسمون (غاصة) جمع (غيص)، والقائمون على رؤوسهم لخدمتهم فى ذلك العمل يسمون (سيوبا) جمع (سيب)، ومنهم من تكون وظيفته كوظيفة (السيب) إلا أن عمله أقل كلفة وأسهل ويسمى الواحد (رضيفا) والجمع (رضفا)، ومنهم من يبحث عن اللؤلؤ فى المحار الذى يلقى على ظهر السفينة بعد أخذ ما فيه رجاء أن يجد فيه شيئا غلفوا عنه ويسمى الواحد (تياياً)، والجمع (تياية) وما يجده يكون جزاء لبعض الخدمة التى يقوم بها فى السفينة، أما الناظر على الجميع، للمزيد انظر عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت، ط٣، ص٥٤.

(٤٩) يقوم النوخذة ببيع اللؤلؤ على الطواش (تاجر اللؤلؤ)، الذي يبحر مستخدما سفينة صغيرة يمر بها من آن إلى آخر على سفن الغوص، للمزيد انظر سليمان محمد المطر: اللؤلؤ مصايده فى الماضى واستزراعه فى الحاضر، مركز البحوث والدراسات الكويتية، ٢٠١٤م، ص٤٠.

(٥٠) سليمان محمد المطر: المرجع السابق، ص٤٠.

(٥١) دليل الكويت: غرفة تجارة وصناعة الكويت، ص٧٤.

(٥٢) يختلف اللؤلؤ من ناحية جماله وأشكاله، فأجمله يسمى (جيونا) ثم (خشنا) ثم (قولوه) ثم (بدله) ثم (ناعما) ثم (بوكه) ثم إذا كان كامل التدوير يسمى (قولا)، وإذا كان مثل نصف الكرة يسمى (بطن الهند)، وأما إذا كان يشبه البيئة (بيضا)، وإذا كان مخروط الشكل يسمى (تنبولا)، وإذا كان قيته فيها بعض الاستطالة يسمى (كاووكيا)، وأغلى أنواعه إذا كان أبيض مشويا بحمرة، وإذا كان ذلك كامل التنوير، ثم يليه ما كان مشربا بالحمرة أشد من الأول ويسمى (بناتيا)، وأما إذا كان ممزوجا بخضره فإنه ردئ لا قيمة له ويسمى (قلابيا)، للمزيد انظر عادل العيد المغنى: الاقتصاد الكويتى القديم، ط٢، ص٤٧.

(٥٣) نوخذة الغوص الذى يذهب إلى الغوص بماله الخاص، هذا النوخذة يرغب البحارة فى الذهاب معه إلى الغوص، لأنه يكون حرا فى بيعه اللؤلؤ من يشاء من الطواشين ويسمى (بياع سوق) للمزيد انظر سيف الشملان: تاريخ الغوص على اللؤلؤ فى الكويت والخليج العربى، جـ١، ط١، ص٢٨٤.

(٥٤) من ضمن الذين يدخلون فى المحصول: (السيب) له ثلثى الغيص، و(الرضيف) نصفه، و(الطباخ) و(النهام متشد البحارة) لكل منهما ثلثى الغيص، و(التباب) له ما وجده من المحار، للمزيد انظر عبد العزيز الرشيد : تاريخ الكويت، ط٣، ص٥٢-٥٧.

(٥٥) عبد العزيز الرشيد : المرجع السابق، ص٥٢-٥٧.

(٥٦) الطواش: الطواشون مفردها الطواش، تاجر اللؤلؤ، وطاش معناها ذهب لشراء اللؤلؤ، والطواشة تجارة اللؤلؤ، وكان فى الكويت عدد كبير من الطواشين الكبار والصغار، والطواشون الكبار يذهبون بسفنهم الخاصة إلى مغاصات اللؤلؤ فى مياه الكويت والإحساء والبحرين وقطر وعمان، وكانوا غالبا ما يزورون بلدة (دارين) فى الإحساء للبيع والشراء، وللاجتماع بزملائهم تجار اللؤلؤ من الإحساء والبحرين وقطر، الذين يصادف أن يزوروا (دارين) للتحدث إليهم بشؤون اللؤلؤ، وللبيع والشراء، للمزيد انظر سيف الشملان: تاريخ الغوص على اللؤلؤ فى الكويت والخليج العربى، جـ١، ط١، ص٢٨٠-٢٨١.

(٥٧) سيف الشملان: المرجع السابق، ص٢٦٢.

(٥٨) سليمان محمد المطر: المرجع السابق، ص٤٥.

(٥٩) كان هناك طواشون يحملون معهم فى سفنهم المؤن كالأرز لبيعها للغواصين، وان منهم النوخذة عيسى القطامى، والعجيب فى الأمر أنه اشترك فى هذا العمل نحو ثلاث سنوات مع المؤرخ حافظ وهبة، الذى كان يذهب بنفسه فى سفينتهما إلى المغاصات لبيع المؤن وشراء ما تيسر من لآلئ، للمزيد انظر سيف الشمان: تاريخ الغوص فى الكويت والخليج العربى، جـ١، ط١، ص ٢٨٢.

(٦٠) سيف الشملان: المرجع السابق، ص٣٠٥.

(٦١) سيف الشملان: تاريخ الغوص على اللؤلؤ فى الكويت والخليج العربى، جـ٢، ط٢، ص٩١.

(٦٢) كانت الكويت تمتلك عام ١٩٠٧م، ٤٦١ سفينة ، يعمل عليها ٩٢٠٠ شخص، للمزيد انظر عادل عبد المغنى: الاقتصاد الكويت القديم، ط٢، ص٥٦.

(٦٣) سيف الشملان : تاريخ الغوص على اللؤلؤ فى الكويت والخليج العربى، جـ١، ط١، ص٢٦٢.

(٦٤) انظر الملحق رقم (١) الخاص بفتوى الشيخ محمد سعيد من علماء بغداد (جامع الإمام أبى حنيفة).

(٦٥) سيف الشملان: المرجع السابق، ص ٢٧٥.

(٦٦) من أشهر الطواويش فى (الحى الشرقى) هلال المطيرى وحسين وشملان بن على أل سيف وإبراهيم المصنف، وعبد الرحمن يوسف الروعى، ويأتى بعدهم عدد ٥٦ طواشا، وأما الطواشون والنواخذة فى (الحى القبلى) فهم قليلون. فأكبر تاجر لؤلؤ كان فيه ناصر يوسف البدر، وأكبر النواخذة كان أحمد بن راشد النجاذة ومسعود المطيرى، وحمد القلاح وعبد الله الدويسان ومسعود الرشيدى وعبد العزيز الياقوت، وعبد الرحمن البرجس وعبد الله العبدان، للمزيد انظر سيف الشملان: تاريخ الغوص فى الكويت والخليج العربى، ج٢، ط٢، ص١٥١-١٧٤.

(٦٧) هلال بن فجحان المطيرى اشتهر بالثراء وبالكرم، فقد كان من المتبرعين لتأسيس المدرسة المباركية ١٩١١م، كما كان عضوا فى مجلس الشورى فى عام ١٩١١م عن (الحى الشرقى) للمزيد انظر يوسف الشهاب : رجال فى تاريخ الكويت، جـ٢، ص٣٠٨.

(٦٨) شملان بن على أحد أعضاء المدرسة المباركية مساهما بماله، كما خصص من ماله لتأسيس مدرسة (السعادة) التى كانت تضم بين جدرانها اليتامى من أبناء الكويت عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م، كما أنه أنقذ هو وأخوه حسين بيوتا كانت تفنى فى أيام الحرب العالمية الأولى، للمزيد انظر عبد الله النورى: خالدون فى تاريخ الكويت، ط١، ص ٢٧-٣١.

(٦٩) إبراهيم المضف: من أهل الكويت الخيرين فقد أوقف أرضه الواقعة فى جزيرة فيلكا على مسجد شعيب، وساهم فى تأسيس مسجد المناعى بالشرق، وأوقف عليها عمارة، وأيضا كان من أوائل المتبرعين لتأسيس المدرسة المباركية عام ١٩١١م، للمزيد انظر: عبد المحسن الخرافى: الأيادى البيض، ط١، ص٩٧.

(٧٠) في هذا العام حدثت هجرة تجار اللؤلؤ إلى (البحرين) و(جزيرة جنة) التابعة للإحساء، بسبب ارتفاع الضرائب المفروضة عليها؛ فحرص الحاكم الشيخ مبارك الصباح على إرجاعهم للكويت، للمزيد انظر عادل العبد المغني: الاقتصاد الكويتى القديم، ط٢، ص٤٩.

(٧١) يعقوب الإبراهيم: نفائس الخبايا من تاريخ الكويت (٢)، صحيفة القبس، العدد ٩٧٠٧، ٢٩ يونيو ٢٠٠٠م، ص٣٥.

(٧٢) عبد العزيز الرشيد: المرجع السابق، ص٣١٠.

(٧٣) عادل العبد المغنى: الاقتصاد الكويتى القديم، ط٢، ص٥٧.

(٧٤) عندما حلت التكبة يعد كساد تجارة اللؤلؤ تأثر أبناء (الحى الشرقى) كثيرًا لأن اعتمادهم الكلى كان على الغوص على اللؤلؤ، وأما أبناء (الحى القبلى)، فكان تأثير نكبة الغوص عليهم أخف وطأة لارتباطهم بالتجارة والسفر وبالأعمال الأخرى، للمزيد انظر سيف مرزوق الشملان: تاريخ الغوص على اللؤلؤ، ج٢، ص ١٥٢.

(٧٥) سيف مرزوق الشملان: المرجع السابق، ص ١٣٤-١٣٥.

(٧٦) جون كينيث جالبريت: تاريخ الفكر الاقتصادى، ص١٢٩.

(٧٧) عيسى القطامى : المرجع السابق، ص٢٢٤.

(٧٨) سيف مرزوق الشملان: المرجع السابق، ص١٣٥.

(٧٩) حسابات الغوص منها (السلف)، و(التسقام)، و(الخرجية)، و(البروة)، للمزيد انظر: سيف مرزوق الشملان: تاريخ الغوص على اللؤلؤ، جـ٢، ص٩٣-٩٤.

(٨٠) سيف مرزوق الشملان : المرجع السابق ، ص ١٢٣-١٢٤.

(٨١) فاريا ستارك: فاريا ستارك فى الكويت ١٩٣٢-١٩٣٧م، ص٥٧.

(٨٢) عبد الله الحاتم: المرجع السابق، ص٢٩٧.

(٨٣) غانم الغانم: صحيفة الأنباء، الكويت، ٢٥ سبتمبر ٢٠١٠م.

(٨٤) بعدما حل (المجلس التشريعى) عام ١٩٣٩م، أعاد الشيخ عبد الله السالم ولى العهد، وقتئذ ضريبة الغوص وجعلها (أسوايه) أى نصف الأولى، حيث خفضها عليهم، وظلت ضريبة الغوص سارية المفعول حتى لفظ الغوص أنفاسه الأخيرة،

للمزيد: أنظر سيف الشملان: تاريخ الغوص على اللؤلؤ فى الكويت والخليج العربى، ج١، ط١، ص٣٠٩.

(٨٥) عادل العبد المغنى: المرجع السابق، ص٤٨.

(٨٦) جاسم الأرملى: صحيفة النهار، العدد ١٠٤٥، الكويت، ١٠ سبتمبر ٢٠١٠م.

(٨٧) عيسى صالح القناعى سافر مع على بن حسين بن على آل سيف بصفة مترجم، للمزيد انظر سيف مرزوق الشملان: تاريخ الغوص على اللؤلؤ، جـ٢، ص٢٧٣.

(٨٨) تجار اللؤلؤ فى باريس كانوا طيلة اقامتهم يتصلون بمكتب تاجر مجوهرات هندى، وكان المسؤول عن بيع لآلئهم، للمزيد أنظر: سيف مرزوق الشملان: تاريخ الغوص على اللؤلؤن ج٢، ص ١٢٣-١٢٤.

(٨٩) سيف مرزوق الشملان: المرجع السابق، ص١٢٣-١٢٤.

(٩٠) رغم كساد اللؤلؤ كان الكويتيون يخرجون للغوص بحثا عن اللؤلؤ، فقد عثر على ابن مبارك الدوب عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م على لؤلؤة فريدة شاع خبرها، واشتراها الشيخ أحمد الجابر بمبلغ ٢٠ ألف روبية، للمزيد انظر : سيف الشملان: تاريخ الغوص على اللؤلؤ فى الكويت والخليج العربى، جـ١، ط١، ص٣١٦.

(٩١) فى عام ١٩٤٨م خرجت ٨٢ سفينة فقط جمعت ما قيمته ٨٥٠,٠٠٠ روبية، للمزيد انظر عادل العبد المفتى: الاقتصاد الكويتى القديم، ط٢، ص٥٧.

(٩٢) فى عام ١٩٥٨ لم يزد عدد سفن الغوص التى خرجت لصيد اللؤلؤ عن (١١) سفينة، للمزيد انظر عادل العبد المفتى: الاقتصاد الكويتى القديم، ط٢، ص٥٧.

(٩٣) عيسى القطامى: المرجع السابق، ص٢٠٠.

(٩٤) من أكبر نواخذة الغوص عام ١٩٥٥م، النوخذة راشد بن عليان الرشيد ومعه (٢٤) غيصا باعوا بنحو مائة ألف روبية، والنوخذة فلاح بن حمد الفلاح ومعه (٢٠) غيصا باعوا بنحو أربعين ألف روبية والنوخذة إبراهيم المليفى ومعه (١٠) غيصا باعوا بنحو أربعين ألف روبية، والنوخذة محمد الجير ومعه (٩) غيصا باعوا بنحو ثمانية عشر ألف روبية، والنوخذة سالم بن دويله الرشيدى ومعه (١٠) غيصا باعوا بنحو ثلاثة عشر ألف روبية، للمزيد انظر سيف مرزوق الشملان: تاريخ الغوص على اللؤلؤ، ج٢، ص ١٣٥.

(٩٥) سيف مرزوق الشملان: تاريخ الغوص على اللؤلؤ، ج٢، ص١٣٥.

(٩٦) صنعت سفن النقل البحرى من خشب الصاج المستورد من ميناء (كاليكوت) الواقعة جنوب الهند فى مقاطعة ملبار، للمزيد أنظر : عيسى القطامى: دليل المختار فى عالم البحار، ط٤، ص ٢٢٤-٢٢٥.

(٩٧) عيسى القطامى: المرجع السابق، ص ٢٢٤-٢٢٥.

(٩٨) عيسى القطامى: المرجع السابق، ص ٢٢٤-٢٢٥.

(٩٩) دليل الكويت: غرفة التجارة وصناعة الكويت، ص ٧٤.

(١٠٠)عبد الحميد الصانع: الماء، مجلة كاظمة، العدد ١، يوليو ١٩٤٨م، ص ١٨-١٩.

(١٠١)دلال الغانم: تاريخ المياه فى الكويت، صحيفة الأبناء (الملحق) باب الكويت للصحافة والنشر العدد ٤٥٢، ٣ أبريل ١٩٨٥م، ص١٠-١١.

(١٠٢)مريم جويس: الكويت ١٩٤٥-١٩٩٦م رؤية إنجليزية – أمريكية، ترجمة: مقيد عبدونى، ط١، دار أمواج للنشر والتوزيع، لبنان، ٢٠٠١م، ص١٩.

(١٠٣)دلال الغانم: المصدر السابق، ص١١.

(١٠٤)مريم جويس : المرجع السابق، ص١٩.

(١٠٥)عيسى القطامي: المرجع السابق، ص ٢٢٥ - ٢٢٦.

(١٠٦)عيسى القطامي: المرجع السابق، ص ٢٢٤-٢٢٥.

(١٠٧)عيسى القطامي: المرجع السابق، ص ٢٤٩.

(١٠٨)صحيفة القبس: "القلافة" مهنة كويتية قديمة أساسها الخبرة والإتقان فى صناعة السفن، ١٩ نوفمبر ٢٠١٥م.

(١٠٩)تكونت لهذه الشركة هيئة إدارية من ستة أعضاء من ذوي الأسهم الكبيرة، وهم الحاج عبد اللطيف القناعي مديراً، والحاج علي البنوان ومرزوق الطحيح ويوسف العبد الوهاب العدساني والسيد عبد اللطيف الطبطبائي والسيد يعقوب السيد يوسف، للمزيد انظر عبد الله الحاتم: من هنا بدأت الكويت، ص ٣٢٠.

(١١٠)عبد الله الحاتم: المرجع السابق، ص ٣٢٠.

(١١١)عيسى القطامي: المرجع السابق، ص ٢٤٩.

(١١٢)جاسم الأرملي، صحيفة النهار: العدد ١٠٤٥، الكويت، ١٠ سبتمبر ٢٠١٠م.

(١١٣)عادل العبد المغني: المرجع السابق، ص ٦١.

ملحق رقم (١)

فتوى الشيخ محمد سعيد من علماء بغداد (جامع الإمام أبي حنيفة).

المصدر: سيف الشملان: تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي، جـ١، طـ١، ص ٢٧٨.

قائمة المصادر والمراجع

- **أولاً**: التفسير الميسر: سُورَةُ فاطِرٍ، المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م.
- **ثانياً: المصادر.**

١ - دليل الكويت: غرفة تجارة وصناعة الكويت، دولة الكويت.

- **ثالثاً: المذكرات.**

١ - خالد العدساني: مذكرات خالد سليمان العدساني، غير منشورة.

- **ثالثاً: المراجع العربية والمعربة.**

١ - ألن فليرز: أبناء السندباد، ترجمة وتحقيق: نايف خرما، مطبعة حكومة الكويت، دولة الكويت، ١٩٨٢م.

٢ - ج.ج.سلدانها: التاريخ السياسي للكويت في عهد مبارك، ترجمة: فتوح الخترش، طـ١، دولة الكويت، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٣ - جون كينيث جالبريت: تاريخ الفكر الاقتصادي، ترجمة: أحمد فؤاد بلبع، مراجعة: اسماعيل صبري عبد الله، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، سبتمبر ٢٠٠٠م.

٤ - س.ستانلي ج.ماليري: الكويت قبل النفط، مذكرات س.ستانلي ج. ماليري الطبيب في البحرين والكويت ١٩٠٧م-١٩٤٧م، ترجمة وتقديم: محمد غانم الرميحي، طـ٢، دار قرطاس للنشر، دولة الكويت، ١٩٩٧م.

٥ - سليمان محمد المطر: اللؤلؤ مصايده في الماضي واستزراعه في الحاضر، مركز البحوث والدراسات الكويتية، ٢٠١٤م.

٦ - سيف الشملان: من تاريخ الكويت، دار ذات السلاسل، طـ، دولة الكويت، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

٧ - سيف الشملان: تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي، جـ، طـ١.

٨ - تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي، جـ٢، طـ٢، ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٩ - عادل العبد المغني: الاقتصاد الكويتي القديم، طـ ٢، ١٩٨٧م.

١٠ - عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت، طـ٣، دار قرطاس للنشر، ١٩٩٩م.

١١ - عبد الله الحاتم: من هنا بدأت الكويت، طـ٣، المطبعة العصرية، الجمهورية اللبنانية، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

١٢ - عبد الله النوري: خالدون في تاريخ الكويت، طـ١، دار ذات السلاسل، ١٩٨٨م.

١٣ - عبد الله يوسف الغنيم: كتاب اللؤلؤ.

١٤ - عبد المحسن الخرافي: الأيادي البيض، طـ١، دراماتك للإنتاج والتوزيع الفني، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

١٥ - عبد الفتاح مليجي: رجال وتاريخ، (د - طـ) ١٩٧٤م.

١٦ - عيسى القطامي: دليل المحتار في علم البحار، طـ ٤، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.

١٧ - فريا ستارك: فريا ستارك في الكويت ١٩٣٢م و١٩٣٧م، إعداد وتقديم:عبد الله يوسف الغنيم، طـ١، مركز البحوث والدراسات الكويتية، دولة الكويت، ٢٠١٠م.

١٨ - مريم جويس: الكويت ١٩٤٥م-١٩٩٦م رؤية انجليزية-أمريكية، ترجمة: مفيد عبدوني، طـ١، دار أمواج للنشر والتوزيع، الجمهورية اللبنانية، ٢٠٠١م.

١٩ - يعقوب يوسف الحجي: الكويت القديمة صور وذكريات، مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٧م.

٢٠ - يوسف الشهاب: رجال في تاريخ الكويت، وزارة الإعلام، دولة الكويت، جـ٢.

٢١ - يوسف القناعي: صفحات من تاريخ الكويت، طـ٥، ذات السلاسل، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

- **رابعاً: الدوريات.**

١ - صحيفة الأنباء: يوميه، دولة الكويت.

- العدد ٤٥٢، ٣ إبريل ١٩٨٥م.
- ٢٥ ديسمبر ٢٠١٠م.

٢ - صحيفة الراي: يومية، دولة الكويت.

- العدد ١٠٨٢٦، الكويت، ٢٠ فبراير ٢٠٠٩م.

٣ - صحيفة القبس: يومية، دولة الكويت.

- العدد ٩٧٠٧، ٢٩ يونيو ٢٠٠٠م.
- ١٩ نوفمبر ٢٠١٥م.
- ١٣ مايو ٢٠٠٦م.

٤ - صحيفة النهار: يومية، دولة الكويت.

- العدد ١٠٤٥، الكويت، ١٠ سبتمبر ٢٠١٠م.

٥ - مجلة الكويت: دولة الكويت.

- العدد ٤٦٥، ١٦ يناير ١٩٧١م.

٦ - مجلة كاظمة: دولة الكويت.

- العدد١، يوليو ١٩٤٨م.

اليمن من خلال دفاتر المهمة العثمانية
(١٥٢٠ - ١٥٦٦م)[*]

د. غالب عبد احمد العربيات
جامعة البلقاء التطبيقية – كلية
السلط للعلوم الإنسانية
قسم العلوم الأساسية

التمهيد

تُعد اليمن واحدة من الولايات العربية التي لم تستنجد بالسلطان العثماني سليم الأول (١٥١٢ - ١٥٢٠م)، ولم تكن من جملة البلدان التي دخلها قبل او بعد تهنئته بالنصر العظيم الذي حققه على طومان باي – اخر سلاطين المماليك في مصر - في موقعة الريدانية علي مشارف القاهرة (١٥١٧م)، وفي تلك الآثناء, وفي أعقاب ذلك النصر قدم البحار العثماني (الريس بيري) * تقريراً مطولاً للسلطان سليم عن اليمن وموقعها، وأهميتها، وفي اليوم الثاني من تقديم هذا التقريراستدعى السلطان سليم الأول هذا البحار وطالب منه توضيحاً عما ورد في تقريره، الذي جاء فيه:" إن تقديم شريف مكة والمدينة الولاء للدولة العلية لن يتحقق إلا بالسيطرة على اليمن، لأنها الحاضنة الرئيسة للحرمين الشريفين (مكة والمدينة) وحصنها المنيع".

وقد أُعجب السلطان سليم الأول بما جاء في تقرير الريس بيري، ولكنه

(*) مجلة المؤرخ المصرى، عدد يناير ٢٠١٦.

تخوف من خوض مغامرة باتجاه اليمن، كونها محفوفة بالمخاطر لبعدها ووعورة تداريسها، وتحتاج إلى قوة بحرية كبيرة، في الوقت الذي رابط فيه الأسطول الذي أنشأه والده (بايزيد الثاني) علي شواطئ البحر المتوسط لحماية الشواطئ الجنوبية منه من غارات البرتغاليين والأسبان، كما أن السلطان سليم كان محارباً برياً شرساً ويكره في نفس الوقت خوض المعارك دخل البحار، وإكتفي سليم آنذاك بالرسائل التي وردت من بعض مماليك اليمن يعلنون فيها خضوعهم للسيادة العثمانية، فضلاً عن ذلك لم يكن بإمكان سليم الابتعاد أكثر من ذلك عن عاصمته استانبول بعد ضمه لمصر، سيما وأن له أقرباء كانوا يتحينون كل فرصة للانقضاض على عرشه، وهو المعروف عنه في سبيل الحفاظ على هذا العرش فعل كل شيئ، لدرجة انه يُتهم بدس السم لوالده، ولاحق إخوته أحمد وقرقوط وقتلهم وقتل أولادهم، حتي لا ينافسه أحد علي عرش السلطنة العثمانية.

وسط هذا التجاذبات الفكرية ما بين التوجه إلى اليمن أو ترك الفكرة في السنوات الأخيرة من حياة سليم الأول، وفي ضوء ميل إبنه وخليفته سليمان الأول (القانوني) لإنجاز ما تركه والده، وجد سليمان الأول أنه من الضروري فتح اليمن بهدف الحفاظ على الحرمين الشريفين(مكة والمدينة)، لأنهما بدون فتح اليمن، والسيطرة عليه فإن الاحتفاظ بالحرمين الشريفين وحمايتهما من خطر البرتغاليين الذين يجوبون البحر الأحمر والخليج العربي يُعد أمراً شبه مستحيل بحسب تقرير الريس بيري، ومن هنا شرع سليمان القانوني وأركان دولته في تنفيذمشروع الحملة العثمانية علي اليمن منذ عام ١٥٢٢.

أولاً: مظاهر إهتمام السلطان سليمان القانوني باليمن.

تولى السلطان سليمان القانوني العرش في الأعوام (١٥٢٠ - ١٥٦٦م)

ولأسباب جيواسترتيجية لم يكن بإمكانه فور توليه الحكم إعداد حملة برية كبيرة لفتح اليمن، ومن ثم اكتفى بما يعتبر آنذاك السيطرة الاسمية عليها،تاركاً للمماليك، اللذين أعلنوا الولاء له، إدارتها ريثما ينتهي من مشكلاته مع القوي الدولية الأخري المعادية له. وفي سنة (١٥٢٢)رآي السلطان سليمان أخيراً ان الوقت قد حان لتجهيز حملة بحرية تنطلق من ميناء السويس بهدف فرض السيادة العثمانية الفعلية علي اليمن، ومن أجل ذلك كلف الصدر الأعظم إبراهيم باشا(*) بإعداد هذه الحملة البحرية لكي تتوجه إلى اليمن.

ودأب الصدر الأعظم على إعداد هذه الحملة(١)، ومنحه السلطان سليمان صلاحيات واسعة تخوله فعل ما يريد في سبيل إعدادها وتجهيزها، خاصة وأن أصواتاً هنا وهناك في الخليج بدأت تدعوا السلطان العثماني ليسرع بطرد البرتغاليين وإبعاد خطرهم عن جزيرة العرب، في وقت أراد فيه السلطان أن يوسع عملياته العسكرية شرقاً وغربا. وبذلك كان الصدر الأعظم في تلك الأثناء يتحمل مسؤولية خاصة في مسألة فتح اليمن وفي نفس الوقت طرد البرتغاليين من شواطئ الخليج،هذا بالإضافة الي أعباءمسؤولية تسوية مشكلات الدولة العثمانية مع الصفويين في جنوب العراق من ناحية، والعودة من ناحية آخري لمحاولة فتح فيينا بعد فشل فتحها مرتين من قبل.

ثانياً: مشروع الحملة البحرية علي اليمن في عهد سليمان القانوني.

توجه الصدر الأعظم إلى مصر بناءً على طلب من السلطان العثماني، وأخذ معه الطاقم اللازم لصناعة السفن واتخذ من ميناء السويس مركزاً رئيساً لصناعة السفن اللازمة لحملة فتح اليمن بالقوة وإخضاعها بالكامل للسيادة العثمانية، ومن هنا بدأ الصدر الأعظم يدير الأحداث التي تتيح له دراسة كل أوضاع اليمن وتداريسها وحجم القوة العسكرية المطلوبة

للسيطرة عليها، وفي ٢٣ رجب ٩٣١هـ/١٥٢٢م جاءه كتاب من حسين الرومي(*) المتواجد في مدينة جدة، يعلمه فيها أنه أعلن الطاعة والولاء للدولة العلية، وأن وجوده في جدة يخدم الدولة العلية، ولكنه يود لو كُلف بالتواجه الي اليمن، فمن اليمن يؤدي واجبه الديني ويضبط الأمن ويعمل على استقرار الأوضاع في هذه المنطقة المضطربة.

أما قطب الدين المكي فيذكر أن سليمان الرومي(*) المتواجد فعلاً في اليمن آنذاك هو الذي شجع حسين الرومي علي القدوم إلى اليمن[٢]، وعلي كل حال وصل حسين إلى اليمن في ٦ ربيع الأول لسنة ٩٣٢هـ/١٥٢٥م علي رأس قوة برية محدودة، بعد أن أذن له الصدر الأعظم بذلك، واعداً إياه بولاية اليمن بعد تحريرها من المماليك والطاهريين[٣].

ويفهم من تحركات الصدر الأعظم أنه كان يحاول إيجاد أنصار للدولة العثمانية في اليمن التي كانت في تلك الأثناء تعيش حالة صراع ما بين ثلاث قوى هي: الدولة الطاهرية (من بقايا الدولة العباسية)، والدولة المملوكية التي أعلنت الولاء للسلطان سليم الأول، والقوة الزيدية من السكان المحليين، في حين أن الدولة الطاهرية والدولة المملوكية كانتا غريبتان عن اليمن وليستا من أصل يمني[٤].

وتفيدنا دفاتر المهمة التي أطلعنا عليها ومنها حصلنا علي مادتنا العلمية، أن الصدر الأعظم إبراهيم باشا ركز في تلك المراحلة الأولى على جعل ميناء الحُديدة مركزاً بحرياًصالحاً لإستقبال القوة البحرية العثمانية، وسعي للإستفادة من شواطئ سهل تهامه مستغلاً الناحية المذهبية، كون سكانه من السنية، إضافة إلى أن قبائل تهامه السنية أصبحت آنذاك حلقة الوصل بين الصدر الأعظم وحسين الرومي ونقلت الرسائل بينهما، وأنها هي التي أبلغت الصدر الأعظم بوصول حسين الرومي الي مشارف اليمن[٥].

من ناحية آخري غدت في ذلك الوقت اليمن مقسمة بين ثلاث سلطات متنافسة ومتصارعة الي حد كبير وهما: اسكندر القرماني(*) المتواجد في زبيد(*)، وسليمان الرومي العازم على مهاجة زبيد وانتزاعها من اسكندر القرماني، وحسين الرومي المتواجد آنذاك في الحديدة كوالى أو كحاكم مُكلف من جانب الصدر الأعظم العثماني. بيد الصدرالأعظم، الذي كان يرسم الخطوات الأولى لإخضاع كل اليمن للسيادة العثمانية، أرسل في أوئل عام ١٥٢٦ حملة بحريةمصغرة الي شواطئ اليمن،وتألفت من عشرين سفينة وحملت على ظهرها أربعة آلاف جندي وأسند قيادتها إلى خير الدين حمزة(٦).

بقي الصدر الأعظم في مصر يشرف على إعداد سفن الحملة الكبري التي يأمل ان تتوجه إلى اليمن، غير أن السلطان سليمان القانوني استدعاه إلى استانبول علي عجل لكي يشاركه في حملة جديدة لمهاجمة فيينا في صيف سنة (١٥٢٦م)، فعهد الصدر الأعظم إلى أحد آغواته لكي يتابع تجهيز السفن اللحملة الكبري المزمع ارسالها الي اليمن، وعاد أثر ذلك إلى استانبول.

وفي أعقاب فشل تلك الحملة في فتح فيينا، كلف السلطان الصدر الأعظم بالعودة إلى مصر، حيث ظل بها حتى سنة (٩٤٠هـ/١٥٣٣م)، إلى أن طلب السلطان منه مرة أخري الحضور لإعداد حملة لإستكمال فتح العراق، وبالفعل تمكن إبراهيم باشا من فتح العراق سنة (١٥٣٤م)(٧)، وبذلك لم يتفرغ الصدر الأعظم إبراهيم باشا من الناحية الفعلية لمتابعة تنفيذ الحملة البحرية علي اليمن.

وسرعان ما تبدلت الأحداث وتبدل صانعيها، فإبراهيم باشا قُتل، وتولى (صهر) السلطان رستم باشا(*) منصب الصدر االأعظم، وتراخي السلطان سليمان عن متابعة سير الأحداث في أنحاء دولته، وترك للصدر

الأعظم إدارة الدولة بناء على نصيحة زوجه روكسلانه[٨].

أماتلك الحملة البحرية المصغرة على اليمن،التي تم تجهيزها في السويس والحُديدة، والتي أرسلها إبراهيم باشاسنة(٩٣٢هـ/١٥٢٦م) فقد أقحمت نفسها فيدائرة الصراع الدائر آنذاك بين القوي النتصارعة في اليمن بمجرد أن وصلت إلى الشواطئ اليمنية، ودخلت الزعامات المؤيدة للعثمانيين في صراع مرير فيما بينها على السلطة في الجزء الذي أعلن الولاء للعثمانيين، وازدادت الأحداث اليمنية تشابكاً وسخونة بعد مقتل قائد هذه الحملة خير الدين حمزة.

كما قام مصطفى بيرم ابن أخت سليمان الرومي بحركة إنفصالية غير متوقعة، عندما غادر زبيد وتوجه إلى جزيرة كمران**، وبنى حصناً له بها[٩]، ومنه حاول مهاجمة عدن، الا أنه لأسباب غير مفهومة قرر مغادرة جزيرة كمران إلى الهند بناءً على دعوة سلطان كجرات*.

وبذلك نستخلص من دفاتر المهمة أن الحملة التي أرسلها الصدر الأعظم إبراهيم باشا سنة (٩٣٣هـ/١٥٢٦م) لم تحقق أي نجاح يذكر، بعد ان قُتل قائدها خير الدين حمزة- كما سبقت الإشارة إلى ذلك - فور وصوله لشواطئ اليمن، وتفاقم الصراع بين سليمان الرومي وحسين الرومي، وفرار مصطفي بيرم ابن أخت سليمان الرومي بمن بقي من جنود هذه الحملة، حيث أنطلق بهم من جنوب اليمن إلى الهند، وفي ضوء هذاضاعت عساكر تلك الحملة ما بين اليمن والهند[١٠].

ومرة آخري وجه السلطان سليمان فرماناً بضرورة تحرك حملة تالية وأقوي من سابقاتها بعداكتمال بناء سفنها في ميناء السويس، وكانت تلك الحملة الأخيرة التي تحركت لليمن تتألف من (٨٠) سفينة على متنهاعشرين ألف جندي من مصر والشام، ومن بينهم سبعة آلاف انكشاري، وقد عُهد

قيادة هذه الحملة إلى سليمان باشا الخادم(*) الذي تولي أيضاً إدارة ولاية مصر منذ سنة (٩٣١هـ/١٥٢٥م)، وانطلقت هذه الحملة من ميناء السويس في الخامس عشر من محرم لسنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م[١١].

وصلت الحملة العثمانية الأخيرة إلى اليمن وفرضت سلطان الدولة العثمانية على معظم أراضيها، وكان خضوعها للإدارة العثمانية ما بين اعتماد القوة، والغدر كما حدث مع عامر بن داود الطاهر(*)، والبعض الآخر آثر السلامة وقدم الطاعة، غير أن تجاوزات الولاة الذين خلفوا بهرام باشا(*) أفسدوا السمعة التي كان العثمانيون يحيطون بها أنفسهم. فلقد اعتاد قراء تاريخ الدولة العثمانية على اعتماد سلاطينها لدى تحرك قواتهم بالتستر بالجهاد في سبيل الله وحماية المسلمين، ولنا في فتوى شيخ علي الجمالي الحلبي للسلطان سليم الأول عند مهاجمته للشام ومصر عامي ١٥١٦ و ١٥١٧ عبرة وموعظة حسنة[١٢].

وفي الحقيقة كان فرمان السلطان سليمان القانوني الي سليمان باشا الخادم والذي نص علي ضرورة السيطرة علي اليمن ومحاولة الوصول مرة أخري إلى ديو(*) - بعد فشل محاولة عام ١٥٠٩ - مظاهرة جهادية روجها سليمان باشا الخادم لنفسه أمام الآخرين، علي الرغم مما أدعاه من معاكسة الريح له[١٣] بعد فشله في الوصول الي هدفه وهدف العثمانيون في ديو. علماً بأن الإبحار إلى اليمن لم يكن شتاء، وكل الجغرافيين يعلمون أن شتاء اليمن وما جاورها ليس حزيران أوانه وإنما أواخر أيلول[١٤]. ومع ذلك يعتبر بعض المؤرخين المؤيدين للدولة العثمانية أن السيطرة على جزيرة كمران تعني السيطرة على البحر الأحمر، ولكن في تقدير البعض الآخر أن الآمر ليس كذلك، وأن اليمن بكاملها تُعدحمايةالجزيرة العربية ولاسيما الحرمين الشريفين[١٥].

ثالثاً: تطور السياسة العثمانية في إدارة اليمن

أحدثت إدارة العثمانيين لليمن مباشرة تبدلاً في هوية الصراع الدائر على الساحة اليمنية، ويعود الفضل في إزالة القوة الطاهرية ومن بعدها المماليك إلى القائد المخضرم سليمان باشا الخادم، الذي هيمن على عدن بالحيلة والدهاء، وكانت معظم قواته متواجدة في زبيد وسهل تهامه، كما أن قبائل تهامه وقفت على الحياد في هذا الصراع إلتزاماً منها بكتاب الطاعة والولاء الذي أرسلته في وقت سابق إلى السلطان سليمان القانوني(١٦).

وفيما بعد تولى إدارة اليمن عدد من الولاة معظمهم ماتوا قتلاً، وكان أبرزهم أويس باشا(*) الذي قتل على يد حسن بيلوان أحد مماليك اليمن وإليه يعود الفضل في دخول العثمانيين تعز(١٧).

إن قراءة الوثائق العثمانية منذ استلام مصطفى باشا النشار(*) فرمان توليه آمر اليمن، حتى تكليف سنان باشا (*) بإعداد حملة ثالثة لفتح اليمن فعلياً، أمر مُربك للقراء والكُتّاب، لأن الوثائق تُعد بالمئات خلال المراحل الأولى من(١٥٢٦-١٥٣٨م). علماً بأن كل المصادر العثمانية والعربية تعد سنة (١٥٣٨م) هو العام الفعلي لفتح اليمن من قبل العثمانيين من خلال الحملة البحرية التي قادها سليمان باشا الخادم. وواقع الأمر، فإن الوثائق التي تتناول الوجود العثماني قبل حملة رابعة أُرسلت في سنة ١٥٦٩م، شددت على ضرورة حفظ الأمن وتدعيمه، وعدم السماح للعساكر الهمايونية بممارسة أي ظلم على أهالي اليمن.

رابعاً: موقف القبائل اليمنية من الوجود العثماني في اليمن

حيث ورد إلى مقام الصدر الأعظم كتاب من أهالي تعز يطالبون الدولة العلية بمنح مدينة تعز ولاية منفصلة عن صنعاء، لأن تعز أراضيها

واسعة ومزروعاتها كبيرة، وإنتاجها وفير، وقبائلها قوية، فوافق الصدر الأعظم على تلبية رغبة أهالي تعز، علماً بأن فقهاءصنعاء وعلمائها طالبوا بعزل الوالي محمود باشا، ولم يستجب لطلبهم إلا بعد أن شكلوا وفداً للقاء الصدر الأعظم الذي استقبلهم وأحسن وفادتهم غير أن كتاب تقسيم اليمن قد أرسل إلى الوالي رضوان باشا(*) يقضي بتقسيم اليمن إلى ولايتين، فعهد إلى رضوان بك ولاية صنعاء، وإلى مراد بك(*) ولاية تعز(١٨) ورد والي اليمن إلى مقام الصدر الأعظم يشرح فيه واقع اليمن، فجاءه كتاب الصدر الأعظم، بإبقاء الوضع على ما هو عليه فوجه كتاباً إلى حسن باشا بكلربكي والي اليمن(*).

لقد بقيت شؤون وأحوال اليمن مضطربة، فالصدر الأعظم محمد كوبريلي حاول إصلاح شؤون الدولة، لكن السلطان سليم الثاني (١٥٦٦-١٥٧٤م) كان غير مبالٍ بشؤونها وعلاوة على أن والدته روكسلانه وزوجه نور بانو اليهوديتين هما اللتين تصرفتا بإدارة الدولة بما يُسرع بها إلى الهاوية(١٩).

خامساً : عجز العثمانيين عن فهم اليمنيين وواقعهم

لقد أدى اليمنيون دورا مشرفاً في الفتوحات، وبرزت شخصيات يمنية قيادية، خدمت الإسلام وقادته إلى افريقية منتصراً ومنها عبر إلى الأندلس، غير أن الشقاق الذي تسلل إلى صفوف حكام العرب المسلمين لاعلاقة بمجمل لقادة العرب ولاسيما اليمنيون منهم .

لم يكن اليمنيون جهلة في التحزبات ولا الوعد والانسحاب ولا بالوفاء والشجاعة، كل هذه المؤهلات متوافرة بكثرة في اليمنيين، ولكن العثمانيين تصوروا أن كل البلاد العربية واحدة الطباع ولا فرق بين سكان بلاد الشام واليمن، فبلاد الشام تخضع لسيطرة المماليك واليمن تخضع لسيطرة المماليك

وتناسوا عقلية اليمني وقساوة أرضه ،وامتناع الفتيات اليمنيات عن الزواج بالانكشارية(*)، فيذكر جاد الله في مؤلفه أن الجنود الأتراك اضطروا بسبب تعالي الفتيات اليمنيات إلى اعتماد الشدة وعدم الرحمة هذا من جهة، واضطروا الدولة إلى عدم الالتزام بما أقره الفاتح عدم إبقاء الجنود لأكثر من ستة أشهر[٢٠] هذا الإبقاء أفقد الجنود صبرهم ويدلل على ذلك أنهم استسلموا للأمام محمد القاسم سنة ١٦٣٥م دون قتال وهذا ما يؤكد أن العساكر العثمانية لم تبذل أي شجاعة في اليمن كما عهد إليها [٢١]

صحيح أن تقرير الريس بيري إلى السلطان سليم الأول حول أهمية اليمن أسهم في التوجه العثماني إليها لا أنهم يريدون حكم اليمن بل هناك دوافع إستراتيجية كان أبرزها حماية الأماكن المقدسة والتحكم بمضيق باب المندب لمنع البرتغاليين وغيرهم من الوصول إلى الخليج العربي فلقد كان الجانب العثماني هو الذي يقرر، في حين ظل الجانب اليمني غائباً عن ساحة التحليل.

وماذا تقول المصادر عن اليمنيين..؟ تقول : يخطئ من يعتقد أن اليمنيين لم ينالوا من العلم إلا القليل فمنهم من امتلك معرفة علمية فائقة قبل قدوم العثمانيين، وأثناء تواجدهم في ولايات الدولة العثمانية ، ويعلق بشار أوزجان على الجانب العلمي في اليمن بالقول إن اليمنيين يجيدون القراءة وعلم الحديث والفقه أما العلوم التطبيقية فبلاد الشام متقدمه عن غيرها لأن مسيحيها افتتحوا مدارس ولو حملت هويات طائفية أو مذهبية فإنها مهدت لدراسة عدد من العلوم والتفوق بها.

يتضح من خلال هذه الدراسة أن هناك إشكاليات عدة متجذرة في تاريخ اليمن، فقراءة اليمن قراءة جيدة يتطلب تقسيمه إلى عدة مراحل: -

المرحلة الأولى: (١٥٢٠-١٥٣٨م) وتتمثل في الخطوات التي أعدت لفتح اليمن.

المرحلة الثانية: (١٥٣٨-١٥٦٩م) وتتمثل بمرحلة دخول سليمان باشا الخادم وسنان باشا وفتح اليمن فعلياً.

وتميز ولاة هذه المرحلة خلال عقد الثلاثينات والأربعينات من القرن السادس عشر بمواجهة الثورات القبلية من جهة، والأئمة الزيديين من جهة أخرى.

المرحلة الثالثة: (١٥٧٠ - ١٥٧١م) وهي المرحلة التي واجهتها اليمن بعد حملة سنان باشا.

وإذا كان البحث قد حاول إيضاح ملابسات المرحلة الثانية التي تولاها ولاة الفتح التي انتهت بإسناد الولاية إلى ازدمير باشا، ومرحلة فوضى ونهب جسدّها محمود باشا الذي أضاع جهود ولاة فتح اليمن .

أن سوء تصرف الولاة زاد من شعبية الأئمة الزيديين، ويخطئ من يقرأ تاريخ اليمن حديثه ومعاصره على أساس مذهبي، وسوف يجد أن المصالح القبلية هي المحرك الأساس الذي شمل معظم مناطق اليمن ، ولهذا فلا العثمانيين رحموا اليمنيين، ولا الأئمة خففوا من ضرائبهم عليهم. ومما يشفع للأئمة أنهم من السكان المحليين وأنهم ليسوا غرباء كالعثمانيين الذين لم يوفقوا في الوصول الي ولاة يحكمون اليمن وفي نفس الوقت مخلصين للدولة العلية.

وهذا التجاذب ما بين الحكمة والاتزان، والفوضى والنهب. ترعرع على هامش التجاذب الحقيقي بينهما فإستغل الإمام مطهر ذلك وبدأ بالتفاعل

مع اليمنيين لزيادة شعبيته مما أدى لزيادة قوته، لا سيما بعد قيام الوالي رضوان باشا بضرب إسماعيلية اليمن الذين كانوا في حرب مع الأئمة.

إن جهل الوالي ينعكس سلباً عليه وعلى مؤيديه، وهذا ما حدث مع الوالي رضوان باشا، لأن محمود باشا مارس النهب والسلب، وقتل بعض فقهاء اليمن وعلمائها،في الوقت الذي لم يستجب فيه الصدر الأعظم إلى كتاب قضاة اليمن وفقهائها الذين شكلوا وفداً لمقابلتة،غير أن معظم أعضاء الوفد استغل وجوده أمام الصدر الأعظم فانصرف إلى تأمين مطالب أعضائه الخاصة.

وهنا تكمن المفارقة الحقيقية، فاليمن ازدادت تطلعاً إلى الأئمة الزيدية كمنقذ لهم، رغم أن نسبتهم بالمقارنة بغيرهم من اليمنيين لم تكن كبيرةً، لكنها على الأقل رجحت كفة الأئمة، فاضطرت الدولة العثمانية إلى إرسال سنان باشا بحملة عُدّت من قبل المؤرخين بالفتح الثاني العثماني لليمن منذ سنة (١٥٧٠-١٥٧١م).

الخاتمة

إن قراءة دفاتر المهمة التي توضح التجهيزات المتعددة لفتح اليمن مربكة بشكل يقف الباحث حائراً بين فرمانات السلطان سليمان الأول (القانوني)، وبين توجيهاته التي كانت ترد إلى إتباعه بشكل أمر، ومما يزيد من صعوبة الدراسة أن رجال الإدارة العثمانية كانوا تجهل اليمن وجغرافيتها، ولهذا اوصلت إلى سلطانها أخباراً بعضها قريب من الدقة وبعضها الآخر إرضائي بامتياز .

ليس من مهام البحث تقييم تلك المرحلة، وإنما أبرز وتحليل حوادثها وملابساتها ولهذا اضطر البحث إلى التوسع في قراءة الحوادث، ولا شك بأن هذه القراءة شابها اضطراب في بعض جوانبها، لأن فرمانات السلطان العثماني عن طريق ديوانه عدت بالمئات ولم يعتمد منها إلاعدة دفاتر، وكانت انتقائية بامتياز تطلعاً لإيضاح الجهد والنفقات التي استهلكتها حملات اليمن قبل وصولهم فعلياً إليها .

كما وردت أسماء بعض الشخصيات العسكرية فاضطر الباحث للكشف عن هويتها من خلال المصادر العثمانية التي ذكرتهم،ولاسيما وقائع نويس أي (تسجيل الوقائع) البالغ عددها (١٠٧) سجلاً، كما كشفت سجلات أخرى تفاصيل أكثر حول تلك الشخصيات ، فلجأ الباحث الي تلك السجلات بالإضافة إلى غالبية المصادر العثمانية، والمراجع العربية التي تناولت اليمن خلال فترة الدراسة .

الهوامش:

*الريس بيري: هو بحار عثماني تجول في بحار كثيرة، وامتلك خبرة ممتازة، وقدم تقريره إلى السلطان سليم ١٥١٧م .أنظر: وقائع نويس (تسجيل الوقائع)، سجل ٣٥.

إبراهيم باشا: هو قائد ماهر،اهلته خبرته إلى إقامة علاقة وطيدة مع السلطان سليمان فاختاره صدراً أعظم، ولقب باشا بفاتح العراق. حسين مؤنس ،الجارية روكسلانا ، بيروت ، مطابع المستقبل ،دون تاريخ، ص ٢٩.

(١) أرشيف رئاسة الوزراء، مهمة دفتري رقم ٣ تاريخ ٢٣ رجب ٩٣١هـ/١٥٢٢م ، ملحق رقم ١.

*حسين الرومي: هوأحد مماليك السلطان ،أوفد من الحجاز إلى اليمن بناء على أمر من الصدر الأعظم. للمزيد انظر: سجل الوقائع، سجل ٢٦.

**سليمان الرومي: قائد عثماني ،أوفد من الحجاز إلى اليمن بأمر من الصدر الأعظم. للمزيد انظر، وقائع نوتيس، سجل١٨.

(٢) مهمة دفتري رقم ٣ ص ٣٧، ولم نتمكن من العثور على جواب الصدر الأعظم حول الكثير من التساؤلات .

(٣) المصدر السابق نفسه. وحول الدولة الظاهرية أنظر أحمد سالم بن شيبان، الوجود المملوكي في اليمن ١٥١٥ -١٥٣٨م، الشارقة، ٢٠٠٢م، ص١٥١.

(٤) أحمد سالم بن شيبان، الوجود المملوكي في اليمن، دار الثقافة العربية، ٢٠٠٢م، ص ١٧ وما بعدها.

(٥) هذا تصورشخصي تم استنتاجه من خلال مراسلات الصدر الأعظم إلى عيونه في اليمن .

*اسكندر القرماني: هو قائد عثماني أوفد إلى اليمن، وأسند إليه مهام كثيرة. للمزيد انظر: محمد جاد الله، الأتراك العثمانيون في اليمن ،الموصل،١٩٦٧، ص٣٨ .

**زبيد: مدينة كانت عاصمة للدولة الزيادية (أول دولة مستقلة عن الدولة العباسية) انظر: محسن عايض على، ولاية اليمن خلال الاصلاحات والتنظيمات في ولاية اليمن، رسالة دكتوراه غير منشورة، دمشق، ٢٠١٤ ، ص١٧ .

(٦) AtifpaşayemenTarihi, Dersaadet 1325 c.I.s.G (عاطف باشا، يمن

تاريخي، دار السعادت ١٣٢٥، جلد١، ص٦). وحول خير الدين حمزة: فقد كان خير الدين قائداً اغتيل في اليمن. للمزيد انظر: جاد الله مرجع سابق، ص ٥٦.

(٧) CengizOrhonlu. ibrahimpaşaTehirukatI, Istanbul, 1989. s.16(')
(جنكيز أورهانلو ، تحركات إبراهيم باشا، استانبول ١٩٢٩م، ص ١٦.

(٨) *رستم باشا: هو من الأنكشارية، ومن أصل كرواتي، وصل إلى منصب الصدارة العظمى وتزوج ابنة السلطان سليمان. وللمزيد انظر: جاد الله، ص٦٧ - ٦٨.

(٩) لزيادة الاطلاع على دور روكسلانه، انظر:حسين مؤنس، الجارية روكسلانه، ص٢٩ .حيث تصف المصادر العثمانية رستم باشا بالكرواتي البغيض.

**جزيرة كمران: تقع على البحر الأحمر شمال الحديدة، وللمزيد انظر:الأطلس العربي.

(١٠) سيد مصطفى سالم، الفتح العثماني الأول لليمن، ص١٦٦.

*سلطان كجرات: كجرات مملكة إسلامية على ساحل الهند الغربي التي تحتل شمال هذا الساحل، وعاصمتها أحمد اباد، واستنجد سلطان كجرات آنذاك بالسلطان الغوري. وللمزيد انظر: محمد بن أحمد اياس بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة ،١٩٦٠م،ص ١٠٥.

(١١) Doç, Drihasansüeygasirma, yemenisyonlariaistanbul, 1880.s.93
. ترجمة : إحسان ثريا صرما، العصيانات اليمن، استانبول ١٩٨٠م، ص ٨٣.

** سليمان باشا الخادم: هو قائد عثماني كلف بقيادة الحملة سنة ١٥٣٨م منطلقاً من السويس وهو أحد مماليك السلطان سليم الأول المقربين إليه، سيد مصطفى سالم ، الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥م، القاهرة، ٢٠٠٧، ص١٧٣-١٧٤.

(١٢) مهمة دفتري رقم ٦ لسنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م. فقد ورد في أكثر من فرمان سلطاني بتحذير الولاة من الاعتداء على الأهالي وتحذير العساكر من ذلك.

**عامر بن داود الطاهر : هو آخر الملوك الظاهرين قتل غدراً من قبل سليمان باشا الخادم وبموته انتهت الدولة الظاهرية من اليمن.انظر: سالم ،مرجع سابق ص ٨٣ ومابعدها.

*** بهرام باشا:هو شخصية عسكرية، عينه السلطان سليمان حاكماً على اليمن. للمزيد انظر:عبد الكريم رافق العرب والعثمانيون ،دمشق ١٩٧٤م، ص ٧٢.

(١٣) أفتى السلطان سليمان الأول قبل مهاجمة السلطنة المملوكية سنة (١٥١٦م) شيخ

الإسلام علي الجمالي وقادة السلطان سليم حاضرون وقال السلطان سليم: ما رأيك في أمة (يقصد المماليك) تنقش على دنانيرها آيات من القرآن الكريم، وهي تعلم أن اليهود والنصارى يتداولونها وبقية الملاحدة من أهل الهوى والملل قيد مرتكبين أفظع الخطايا بحملهم إياها إلى أماكن الخلاء لقضاء حاجاتهم، فما هو الحكم الشرعي على هذه الأمة؛ فرد الشيخ علي الجمالي: بإبادة هذه الأمة إذا لم تقلع عن ارتكاب هذا العمل الشائن. وللمزيد عن ذلك انظر: عبد الرحمن فهمي، النقود العربية ماضيها وحاضرها، القاهرة، ١٩٦٥م، ص١١٣ .

ديو: معركة بحرية انهزم فيها الأسطول المملوكي سنة ١٥٠٩م، وهي أشهر موانئ كجرات. للمزيد انظر: سيد سالم، مرجع سابق، ص ٨٢.

(١٤) يذكر الدكتور محمد خير فارس في محاضراته عن الحملة العثمانية على اليمن أن التظاهر بإرسالها إلى الهند هي الأخرى مظاهرة دينية أعلنها فرمان سليمان باشا الخادم بتاريخ ١٥ محرم ٩٤٠هـ/١٥٣٣م ،مهمة دفتري رقم ٤ ص٧٠، حيث يحضه فيها الوصول إلى ديو، لكن سليمان تظاهر بأن الريح عاكسته فعاد إلى عدن.

(١٥) مهمة دفتري رقم ٤ ص٣٦، انظر الملحق رقم (٤).

(١٦) كما يرد بحسب تقرير الرئيس بيري، مكتبة نور عثمانية، رقم ٦٧٢٣، والتقرير مكون من (١٥) صفحة .

(١٧) وجه أهالي زبيد وبعض قبائل تهامه كتاب طاعة وولاء لسلطان المسلمين سليمان القانوني بتاريخ ١١ ذي الحجة ٩٥٠هـ/١٥٤٢م، وذلك في عهد الوالي مصطفى باشا النشار الذي نشر النصوص إلى نصفين متساويين، للمزيد انظر: Doç, Dr, HulusIyavuzIyemen, de osmanLI, Hakimiyeti, istanbul .1948.s.54، ترجمته: خلوصي ياوزو، الحاكمية العثمانية في اليمن، استانبول، ١٩٤٨م، ص٥٤.

أويس باشا: هو شخصيه عثمانية أرسله السلطان سليمان إلى اليمن، وفيما بعد عينه والياً عليها فاغتيل، وعندما سمع بمقله صرخ " ويح قلبي لقد قتلت أخي ابن أبي"، فوهو ابن السلطان سليم الاول من إحدى جواريه رباه في صفوف جيشه خوفاً من زوجة اليهودية (هلغه) وكانت تعلم به ،بعد وفاته طلبت من ابنها بإبعاده فأرسل إلى

اليمن. وللمزيد انظر:

اسماعيل حقي ازون تشارسلي، التاريخ العثماني، انقره، ١٩٥٤،ج٥ ،ص٣٥٦.

وانظر

ismaiLHakkI, osmanLITarIhi, Ankara c.l.s.368

ترجمة: إسماعيل حقي جارشلي، التاريخ العثماني، أنقرة، مجلد ١٩٦٥،١م، صفحة ٣٦٨.

**مصطفى باشا النشار. عين والياً على اليمن وسمي بالنشار لأنه كان ينشر اللصوص إلى قسمين متساويين سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ١٨٨.

*** سنان باشا: هو أحد القادة المكلفين بإعادة الاستقرار إلى اليمن ،مهمة دفتري، رقم ٧ ،ص١٠٨.

*رضوان باشا: والي اليمن .

**مراد بك: احد ولاة اليمن كلف من قبل السلطان سليمان. للمزيد: مهمة دفتري، رقم ٧، ص ٨٧.

(١٨) انظر: ملحق رقم: ٩ و ١١.

***حسن باشا بكلربكي: هو والي اليمن. مهمة دفتري، رقم ٧ ،ص ٨٥.

(١٩) وللمزيد عن مرحلة السلطان سليم الثاني. انظر: محمود عامر، الدولة العثمانية تتهم سلاطينها، دمشق ٢٠٠٣، ص١١٥؛

Ali Kemal Meram, padişahanaIarI, istanbul 19297s.207.

ترجمة: علي كمال مرام، أمهات السلاطين، استانبول ١٩٩٧م، ص٢٧.

(٢٠) دفتر مهمة، رقم ٧ ، ص ٢٥٤.

(٢١) **قِظل**: لفظة تعني أحمر ولفظه (دكْز)الكاف في اللغة العثمانية تلفظ نوناً ومعناها البحر.

(٢٢) **همايون**: مؤلفة من لفظتين، هما: منطقة، ويون: سعيد.

(*) هناك قرابة عشر رسائل متبادلة بين السلطان سليمان والصدر الأعظم لم أتمكن من العثور عليها.

(٢٣) أوه – لفظة تعني سهل أي سهل تهامة.

(٢٤) **أوسته**: معناها معلم، أما لفظة دريا تعني البحر، ومصطلح قبطان دريا، أمير البحر أي قائد الأسطول العثماني، ولفظة دريا كلمة يونانية الأصل.

(٢٥) مهمة دفتري، رقم ٤، ص ٨٦.

(٢٦) حسين مؤنس ، الجارية روكسلانه، مرجع سابق، ص ٦٨ . وللعلم فقد بنى الصدر الأعظم قصراً سماه باسمه، وبعد مقتله أُمر بتسميته بقصر النخيل.

(٢٧) **قزل دكز**: البحر الأحمر (الكاف هنا تلفظ نوناً).

(٢٨) مهمة دفتري، رقم ٦، ص ٧٨.

(٢٩) بكلربكية تعادل إيالة (ولاية)، وسميت بكلركلية تيمناً بحاكمها بكلربكلي أمير الأمراء، وهو بثلاثة أطواغ، والطوغ ذيل الفرس وظل مصطلح بكلربكي معتمداً حتى سنة ١٥٨٧م.

(٣٠) السنجق(Sancak) تعني الراية، العلم، البيرق، وتعني أيضاً تنظيم إداري مصغر ومتفق على أنه لواء، فالولاية تقسم إلى سناجق.

(٣١) فيرد تونبشق: عشق السلاطين، دار الروائع، بيروت ١٩٦٦م، ص ٣٧ وما بعدها.

• هناك اضطراباً كبيراً تعكسه هذه الوثيقة، حيث يتخللها مضمون التعاون وضرورة تأمين العساكر المطلوبة لحفظ الأمن وحراسة الطرق وقشلات العساكر.

(ملاحق الدراسة)

وثيقة رقم (١)

من سلطان المسلمين إلى الصدر الأعظم دام إقباله

إن اليمن من ممالكنا المحروسة وعلينا حمايتها من الكفار (البرتغاليين) فعليك إعداد الحملة بأسرع وقت ممكن، ولقد زودناكم بصلاحيات واسعة تخولكم مخاطبة ولاتنا في أية ولاية، ولدينا معرفة بأن ولاية مصر لا تتوافر فيها الأخشاب،فوجهنا فرماناً إلى حاكم بيره جيك بتزويدكم بالأخشاب اللازمة لإعداد سفن الحملة، كما كلفنا والي حلب بتأمين القير والأدوات الأخرى المتوفرة في ولايته.

لتسارعوا بإعداد السفن اللازمة لنقل عساكرنا إلى جهة اليمن ولتعملوا على تقصي الأخبار عن حال اليمن، وتأمين عيوناً لنا في اليمن، ولإعلامنا عما وصلتم إليه من تجهيز.

٥ رجب ٩٣١هـ/١٥٢٤م

ذي الحجة ٩٣٤هـ/١٥٢٧م

وأفادت المصادر، أن الصدر الأعظم جهز الحملة المتجهة لمحاربة البرتغاليين، وفي طريق عودتها، تتجه إلى اليمن لفتحها، وفي هذه الأثناء جاءه فرمان من السلطان سليمان القانوني ينص على ما يلي:

وصلت إلى مسامعنا عن الانتهاء من تجهيز الحملة المكلفة بالذهاب إلى اليمن عليكم توخي الحذر في معاملة أهل اليمن، فاليمن بلاد سئمت من كثرة الصراعات، وعليكم عدم ممارسة الظلم والقسوة بحقهم، كما ينبغي أن تحذر عساكرنا الشاهانية من الاعتداء وارتكاب مخالفات على رعيتنا وتكون قد خالفت إرادتنا السامية(٢٢).

٢ رجب ٩٤٦هـ/١٥٢٩م

مهمة دفتري رقم (٢)

إلى مقام الصدر الأعظم إبراهيم باشا دام إقباله

وصلت إلى مسامعنا أنكم باشرتم بإعداد أسطولنا الهمايوني وتجهيزه لإرساله إلى اليمن بمهمة عاجلة بهدف دحر الكفار وطردهم من ديار ممالكنا، وإذا تم إعداد الجيوش فعليكم توخي الحذر في معاملة أهل اليمن، فاليمن بلاد سئمت من كثرة الصراعات، وحذر الشاويته من الاعتداء على الأهالي وممارسة الظلم وفرض أية ضيافة (رسم الضيافة) عليهم، كما ينبغي أن تحذر عساكرنا الشاهانية من الغفلة والتواكل أو ارتكاب مخالفات، لن نسامح آغوات الانشكارية إذا حدث عكس إرادتنا السامية.

٢ رجب ٩٤١هـ/١٥٢٤م

إن قراءة واعية للوثيقة السابقة تؤكد أن السلطان سليمان القانوني حرص على حماية سواحل البحر الأحمر وسواحل الخليج من (الكفار) ويقصد بهم البرتغاليون الذين تمركزوا على سواحل البحر الأحمر والخليج

العربي، كما يحذر الشاويشه وآغوات الإنكشارية من الغفلة والتواكل أو ممارسة الظلم على الأهالي، كما نوه الفرمان السلطاني بشكل واضح على أوضاع اليمنيين وما تعرضوا له من متاعب وإنقسامات.

وثيقة رقم (٣)

إلى مقام الصدر الأعظم إبراهيم باشا دام إقباله

علمنا بوصول سليمان الريس إلى طرفكم بمصر المحروسة حاملاً معه معلومات عن اليمن، بينما كنتم تعدون سفننا الهمايونية لنصر المسلمين في اليمن وطرد البرتغاليين الكفرة الذين استباحوا الحرمات واعتدوا على مسلمي سواحل (قظل ذكز)[٢٣]" البحر الأحمر "، بعدما عجز الخائن المملوكي قانصوه الغوري عن دحرهم، مع أن آبائنا وأجدادنا قدموا له مساعدات مادية وسفن حربية وأرسلوا له رجالاً لطردهم من ديار المسلمين، وأن سليمان الريس أعلمكم بأنه طلب من سليمان الرومي إقناع حسين الرومي المتواجد في جدة بضرورة التوجه إلى اليمن، وأن المذكور بلغ اليمن وعهدتم إليه إدارة زبيد وما جاورها بهدف رعايتهم لأن أهلها مؤيدون لخلافتنا العلية العثمانية.

لتأمر أسطولنا بالتوجه حالما تطمئن لموقفنا في اليمن، ولترسل مساعدات إلى أهالي زبيد وأهل الحديدة، ولتكن عيناك ساهرة على اليمن، وقد وجهنا أمرنا إلى والي بيره جيك لتأمين حاجة السويس من الأخشاب والقير والبارود، ولتكثر من ولائك لعتبتنا الهمايونية.

غرة محرم ٩٣١هـ/١٥٢٤م

مهمة دفتري (٤)

إلى إبراهيم باشا دام إقباله، فرمان بيورلدي

أعلمتمونا أن الريس سليمان الروحي أخبركم أن الفوضى تنتشر في كل أنحاء اليمن، وأنها مملكة لا حاكم فيها ولا سلطان وأن المماليك الذين قدموا لنا الولاء يسهمون في نشر الفوضى والرعد كما أنهم دخلوا الصراع الدائر في اليمن، كما أن حسين الروحي استولى عليها، ولطالما الأمر كذلك، وأسطولنا الهمايوني مجهز بالرجال والعتاد لِمَ تأمرونه بالتحرك بإعادة الأمر والاستقرار إلى اليمن، وقبل تحرك أسطولنا الهمايوني[٢٤]، بلغهم تحذيرنا لهم من ممارسة التعدي والعبث بأرزاق الأهالي، فهؤلاء رعيانا وحمايتهم واجب ديني.

إننا نحذر آغوات الانكشارية من التراخي في القيام بواجباتهم وليمتنعوا عن ارتكاب أي سوء لأننا لن نتسامح مع مرتكبي السوء، كما يتطلب الأمر منهم ملاحقة الكفار الذين اعتدوا على الأمة المحمدية، أرسل مع قبطان باشا عساكرنا الشاهانية، وأعلمنا فور تحرك الأسطول، ليكن هدفك إطاعة إرادتنا السنية.

٢٥جمادى الآخر ٩٣١هـ/١٥٢٤م

دفتري رقم (٦)

إلى سلطان البرين وخاقان البحرين وقاهر ملوك الأرض أدام الله دوله

لقد حمل إلينا سليمان الريس المؤيد لجلالتكم أخباراً عن اليمن، وبناء على معلوماته المؤكدة قمنا بإسناد إدارة زبيد إلى حسين الرومي لخبرته في الإدارة وصلاته المتينة مع وجهاء جدة، وقد كلفنا حسين الرومي بتحديد وبيان أوضاع أهالي اليمن في تهامة والحديدة لتأمينها. لأنهم يعانون ظلماً من الآخرين، كما وجهناه لِمَ فيه خير الأهل ليزدادوا محبة بخليفة المسلمين، وقد أصبح الأسطول الهمايوني المعدّ إلى اليمن شبه كامل، وسنكمل تزويده بخيرة مقاتلينا من العساكر الشاهانية، وقد لمسنا تشوقاً من قبل عساكرنا بالذهاب إلى اليمن لنصرة رعاياك الذين قدموا الولاء والطاعة.

أدام الله عزكم ونصركم على أعدائكم

١٤ رمضان ٩٣٢هـ/١٥٢٥م

لقد غادر الصدر الأعظم مصر في غره ذي الحجة لسنة ١٥٢٦م بناء على توجيه فرمان سلطاني، لأن السلطان سليمان ينوي مهاجمة فيينا وقد عهد إلى بيري ريس بالإشراف على إعداد الأسطول وتجهيزه استعداداً للتحرك إلى اليمن.

وثيقة رقم(٦)

إلى مقام الصدر الأعظم إبراهيم باشا دام إقباله

أعلمتنا سابقاً أن حسين الرومي وصل اليمن، وأنكم عهدتم إليه زبيد الموالية لسدتنا، لهذا فإن الأمر يقتضى منكم مدّه بالمساعدة ودعمه لتقوى شوكته، وحالما تطمئن إليه جهز حملة بحرية كمقدمة للحملة لاستطلاع الرأي، ومعرفة أحوال اليمن وإشغال أهلها ليتسنى لهذه الحملة تأدية مهمتها التي أسندتها إليه، واطلعنا على ما يحدث في جده، ولا تحرك أسطولنا الهمايوني باتجاه اليمن إلا بعد إعلامنا عن تجهيزاته رجالاً وعتاداً، ولتكن يقظ كما عرفناه عنك من كياسة ولباقة لتطمئن قلوبنا على أخوتنا في اليمن الذين يعانون من تعنت عامر الطاهري والزيدية الذين يفرضون على أتباعهم غرامات عينية ونقدية تحت مسمى الزكاة، ولتعمل على فرض سلطتنا وهيبتنا لنتمكن من صون أبناء ملتنا، ولتقرأ الفاتحة عن أرواح آبائنا وأجدادنا لمجاورتكم مهد المصطفى صلى الله عليه وعلى آله الطيبين(*).

٢٩ ربيع الأول لسنة ٩٣٢هـ/١٥٢٥م

دفتر مهمة رقم (٧)

حكم إلى بكلربكي مصر

أرسل حكمي الشريف إلى بكلربكي اليمن حتى يقوم بإرسال الذي تم إعداده إلى ميناء ... ومنه إلى السويس بمصر وعليه فقد أمرت عندما يصلك حكمي أن تقوم على وجه السرعة بإرسال الحاكم إلى المشار إليه مع خير جاويش أحد جاويشية مصر وبمشيئة الله يكون الإقدام والاهتمام بإرسال (١٠٠) قنطار من البارود.

بدون تاريخ

وثيقة رقم (٨)

حكم إلى بكلربكي مصر

كنا قد وجهنا قبجي السراي الهمايوني مصطفى إليكم، وقد زودناه بما يلزم لتأمين رعيتنا في أوه تهامة والحديدة[٢٥]، كما يطلب منكم تزيد السفن الهمايونية المتوجهة إلى الحديدة بالسلاح والمؤن قبل انطلاق الحملة الهمايونية التي أعدها الصدر الأعظم، ولتكن يقظاً كما عهدناه بكم من تفاني في سبيل دولتنا العلية.

غره محرم ٩٣٣هـ/١٥٢٦م

دفتري مهمة رقم (٩)

إلى سلطان البرين وخاقان البحرين سلطان المسلمين

المعظم سليمان خان دام عزه

بتوجيهات السامية، تمكنا من إيجاد حلفاء لنا في اليمن يتضرعون إلى رب العباد في كل جمعة صلاة بدوام عزكم ورفعة شأنكم وهم يقرون بالطاعة العمياء إلى سلطان المسلمين وحامي ديارهم، ولقد وصلنا إلى مصر المحروسة تتابعاً سليمان الريس الذي مر إلى الحرمين الشريفين تبركاً، وعلمنا بأن المسلمين يتعرضون لأذى كبير، لأنهم أعلنوا الطاعة والولاء لمولانا سليمان خان ودولته العلية، وأن أهل تهامة والحديدة يستنجدون بسلطان المسلمين، فقمنا بإرسال حملة صغيرة مؤلفة من عشرين سفينة مع أربعة آلاف فارس من خيرة عساكرنا الشاهانية، وأن الأخشاب التي أرسلها إلينا والى بيره جك حطت في السويس لتأمين حاجات الأسطول الهمايوني المعدّ للتوجه إلى اليمن، وبحسب إرادتكم السامية قمنا بما يلزم على أتم وجه، ساعين إلى إرضاء الله وإرضائكم، ولتكن رايتكم مرفوعة وصور سيفكم الميمون حامياً للضعفاء والمساكين أدامكم الله وأدام عزكم.

عبدكم إبراهيم باشا

٢٣ ربيع الآخرة ٩٣٢هـ/١٥٢٥م

دفتر مهمة رقم (١٠)

حكم إلى يكلربكي مصر

علمنا بأن السفن الهمايونية أصابها بعض الأضرار في ميناء السويس وقد وجهنا عدد من الاستاواتدريا[٢٦] لتصليحها وبناء سفن جديدة، فأمرنا والي بيره جك بتزويدكم بما يلزم من الأحشاب، وليتم الأمر وإعلامنا فور وصول إمدادات بيره جك لكم، ولتعمل بما عرف عنك من كياسة لخدمة دولتنا المصانة.

٩٣٧هـ/١٥٣٠م

وثيقة رقم (١١)

إلى مقام الصدر الأعظم إبراهيم باشا دام إقباله

علمنا بأن الحملة التي توجهت إلى اليمن بقيادة خير الدين حمزة قد وصلت إلى اليمن، ودار صراع بين سليمان الرومي وخير الدين حمزة وانتهت بمقتل حسين، ومن قتل خير الدين.

لإعلامنا عن أحوال العسكر التي كانت على ظهر السفن الهمايونية، وهل توجهت الحملة إلى الهند للاتحاد مع سلطان كجرات لطرد البرتغاليين أم أن عساكر السفن ضاعت في مناطق زبيد وتهامة[٢٧].

١٤ رمضان ٩٣٣هـ/١٥٢٦م

تعقيب:

لم نتمكن من العثور على الرد الذي أرسله الصدر الأعظم إلى السلطان سليمان، ولا نتصور بأن بالصدر الأعظم أخفى عن السلطان أخبار الحملة التي أرسلها، لأن الصدر الأعظم يرتبط بالسلطان بعلاقات حميمة، وإذا كان السلطان سليمان قد أمر بخنق إبراهيم باشا بعد فتح العراق فلأن روكسلانه كانت تكن له حقداً كبيراً[٢٨].

وثيقة رقم (١٢)

إلى بكلربكي مصر حكم

علمنا أن السفن الهمايونية المكلفة بفتح اليمن قد أصبحت جاهزة بعتادها وعساكرنا الشاهانية الراغبون برفع الراية العثمانية على جبال اليمن وسواحل (قزل دكز)[٢٩]، وقد عُهد إليكم قيادة الحملة فلتحذر سوء التعامل مع العساكر ولتحذر ممارسة الظلم على أهل اليمن، اعلمونا ساعة التحرك وساعة الوصول وليكن إيمانكم بالله[٣٠].

١٥ محرم ٩٤٥هـ/١٥٣٨م

تعقيب:

لم نعثر على وثيقة تفيدنا بعدد السفن وعدد العساكر، وقد أكدت المصادر العثمانية أن السفن البالغ عددها ٨٠ سفينة كانت مجهزة تجهيزاً كاملاً وأن سبعة آلاف انكشاري من مختلف الأصناف قد شارك في الحملة، وكذلك فإن سيد مصطفى سالم أشار في مؤلفه أن الحملة بلغت ثمانين سفينة، وعلى متنها عشرين ألف، أما راشد فقد أفاد أن ٨٥ سفينة حملت على متنها ٢٤ ألف جندي منهم عشرة آلاف انكشاري من مختلف الأصناف.

للمزيد أنظر: تاريخ راشد باشا،استانبول، ١٩٠٩م ، ج١، ص١٥٧.

وثيقة رقم (١٣)

إلى سليمان باشا بكلربكي مصر

وصلنا كتابكم المتضمن الانتهاء من إعداد الحملة وإن بحوزتكم عدد كبير من السفن من القادرغات والغليوطات، وأنكم جهزتم السفن بالمدافع ورماة النبال والسهام، وقد أمرنا والي الشام أن يمدكم بالعساكر الهمايونية وعدد من الآغوات والشاويشه والقوليه.

احذر أن تغفل عيناك عن حملتك ليل ونهار واختر نوابك من خير قادتكم، وأرسل عيوناً قبل التحرك، كما أمرنا والي جدة بمراقبة الطريق، وأعلمنا أنه نصب مدافع جر لمساعدتكم إذا دعت الحاجة، وعليك بعد اخضاع اليمن لطاعتنا متابعة طريقالجهاد لنصرة المسلمين في كجرات، ولتعملوا سوية على طرد الكفار من سواحل ممالكنا، عهدنا بك الحيطة والحذر، ولتكن يدنا الخيره في البلاد التي تحل بها.

والأمر لمن له الأمر كدر.

١٠ محرم ٩٤٥هـ/١٥٣٨م

وثيقة رقم (١٤)

صفحة رقم ٦٠٧

حكم رقم ١٦٨٦٠

حكم إلى بكلربكلي اليمن

لقد أرسل قاضي إب ويُعد أن خطاباً وصل إلى سدة سعادتنا، وقد عرض فيه أن محمود (دام إقباله)بكربكلي ولاية اليمن السابق، كان قد قطع عند فتح قلعة حلب وولاية بغداد (١٢٠) كيسا من المال [ضرائب على أهلها] وأنه عندما يؤخذ المال من الرعايا بمقدار (٢٠٠٠) كيس فإنهم لا يتحملون ذلك، مما جعلهم يغادرون الأرض مشتتين في أطراف الدنيا، فكان أن رُفع عنهم بعد ذلك مقدار (٢٠) كيس فلم يعدمسجل على الولاية مرة أخرى (٢٠) كيساً من المال فكان أن تشتتوا وتعبت كثير من القرى وخلت المساجد والمدارس من الناس، والآن قد اجتمع العلماء والفقهاء وسائر الفقراء من أهالي الولاية ورأوا أنه منذ أن تقرر (١٢٠) كيساً من المال خربت الولاية وتفرق أهاليها وأنه بتحميل أموال الذاهبين على عاتق الباقين بها كان سبباً في خراب الولاية كلياً. وعلى ذلك فقد أمرت أن تنظر هذا الأمر فإن كان ما عرضوه يتم تحصيل المال حسب ما يمكن أن يتحملوه ولزمنٍ (لفترة) وحتى يعود كل شيء إلى نصابه ويعمر المكان وتقوم بالتحصيل حسبما هو ممكن.

وثيقة رقم (١٥)

من قضاة اليمن وعلمائها وفقهائها إلى مقام الصدارة العظمى دام إقباله

كنا قد أعلنا وبملء إرادتها الطاعة والولاء لسلطان المسلمين خاقان البرين والبحرين وواظبنا بالدعاء للدولة العلية، وأن أهالي اليمن ملتزمون بالطاعة وهم جنود إلى جناب عالي الهمام.

وأما بعد فإن حالة البلاد ساءت بسبب جشع الوالي محمود باشا الذي ارتكب أعمالاً سيئة بحق الفقيه عبد الملك اليمني واتهمه بالسرقة لدار السكة، فصلبه وأخذ أمواله وشرد عياله، وقد فاقت أعماله السيئة.

والوالي محمود باشا اشتهر بحب الفتنة منذ أن تولى إمرة الحج المصري وأن شريف جدة منع دخوله إلى جدة، كما وجه كتاباً إلى مقام جناب الصدر الأعظم يعمله فيه بأفعال محمود باشا.

نحن قضاة وعلماء اليمن غير راضين عن تصرفاته، ونأمل من جناب مقام الصدر الأعظم عزله من ولاية اليمن.

عنهم أحمد الفقيه بين عبد الملك اليمني ٩٧١هـ/١٥٦٣م

<u>تعقيب:</u>

لم يتلقَ فقهاء اليمن جواباً، فشكلوا وفداً وتوجهوا به إلى استانبول في العاشر من شهر صفر ٩٧٢هـ/١٥٦٤م.

وثيقة رقم (١٦)

حكم إلى رضوان باشا بكلركي اليمن

لما كانت ولاية اليمن في أقصى الحدود من ممالكنا المحروسة وعلى درجة كبيرة من إتساع الأراضي، فقد وُجد من المناسب تقسيمها إلى (٢) بكلركيه[٢٩] حتى يسهل بذلك حفظها وحراستها، فولاية صنعاء التي هي (١٧) سنجقاً[٣٠] جعلت بكربكلية واحدة، ووضعت تحت تصرفك وبالنسبة للدفاتر التي تتبعك سواء كانت سناجق وسواء كانت مقاطعات أرسلت إليك، وصارت مقاطعات السناجق المسطرة بالدفتر تابعة إلى بكلربكيتك، وصار الرجوع إليك فيما يتعلق بأمورها فتقوم بالخدمة فيها على الوجه الذي تراه مناسباً، أما ولاية اليمن التي هي (١٢) سنجقاً فإن دفتر أمراء سناجقها ومقاطعاتها أيضاً قسمت ووجهت على أنها بكلربكية إلى مراد دام إقباله، وعليه فقد أمرت أن تقوم بالتصرف على السناجق والمقاطعات التي تعينت لك بناءاً على أمري وتقوم على ضبطها فتكون دائماً معه بقلب رجل واحد ورأي واحد وعلى حسن الاتحاد والاتفاق في ضبط البلاد وربطها وأن تقوموا في أمر ورعاية الدين والدولة بكل أنواع المساعي الجميلة وتبذل كل ما وسعك في تنفيذ مرادنا الهمايوني.

غرة صفر ٩٧٢هـ/١٥٦٤م

وثيقة رقم (١٧)

استناداً إلى الوثائق المقربة من السلطان سليمان القانوني أنه أُصيب بداء المفاصل، فعزلته زوجه روكسلانه بعدما أحاطته بكل ما يسعده ويزيل الحزن عنه، وتفردت بالحكم يساعدها صهرها رستم باشا وقد توفي السلطان سنة ١٥٦٦م وخلفه على تولي العرش ابنه من زوجه روكسلانه سليم الثاني ١٥٦٦ - ١٥٧٤م، ولقبته المصادر (يزيد التركي) لكثرة لهوه ومجونه[٣١].

لقد تميز القانوني عن والده سليم الأول بأنه لم يكن ميالاً إلى سفك الدم، وكذلك ابنه سليم الثاني الذي لم يحرك ساكناً وإذا كان قد أمر بفتح قبرص فلأن اليهودي يوسف مندي نانسي كان يشجعه وقد وعده السلطان سليمان الثاني بأن يعنيه ملكاً على قبرص، وحينما علم مصطفى باشا قائد الأسطول سأل السلطان عن وعده فأجابه بالنفي ووجه كلمات سيئة بحق هذا اليهودي. للمزيد (عشق السلاطين) فيه التفاصيل كافة.

ملحق رقم (١٨)

حكم إلى بكلربكي اليمن

إن طائفة القول (العبيد) أي الانكشارية الموجودة بإيالة صنعاء لا تكفيها ما يرد إليها من خزينتها، وأنه إذا ما لزم الأمر وكان السير على العدو ميسراً واستدعت الحاجة بعد ذلك فأمرك أن تقوم بجمع الخزينة والعساكر بمقدار كافٍ، وعلى ذلك فإنه عندما تلزم الخزينة لطائفة العسكر الموجودة بصنعاء ويطلبها المشار إليه، عليك أن تعطيها إليه بالقدر الكافي حتى إذا ما دعت الحاجة لعدة أو دعت الحاجة للعسكر لأجل حفظ وحراسة البلاد، وطُلبت منك [الخزينة] سواء قمت بنفسك أو أرسلتها بمقدار كاف بالسفن عليك بالمعاونة كما يجب، وأن تكون بالاتحاد والاتفاق في حفظ وحراسة البلاد والولاية وتكونا معاً ظهيراً ومعيناً أحدكما الآخر(*).

٢٣ شوال ٩٧٣هـ/١٥٦٥م

ملحق رقم (١٩)

حكم إلى حسن باشا بكلربكلي اليمن

فيما يتعلق بأن مصطفى باشا والي الشام الذي وُجهت إليه ولاية اليمن مع رتبة الوزارة قد خرج إلى ميناء زبيد في أوائل ربيع الأول ٩٧٣هـ/١٥٦٥م وأن المكتوب الذي أرسلته بشأن أحوال اليمن قد وصل، وأن العساكر التي تم تعيينها إلى جانبه من استانبول ومصر والشام قد أرسلت وأن الذخائر والبارود والمهمات قد أرسلت قبل العساكر مع خمسة سفن، وإلى أن تصل العساكر يجب الاهتمام بحفظ البلاد وحراستها، وأنه قد أرسلت رتب إمارة السناجق والآغوات التي تم عرضها، ولهذا أُرسلت الأوامر بصددها.

١٣/ رجب ٩٧٥هـ/١٥٦٧م

<u>تعقيب:</u>

لم تقتصر الأوامر السلطانية بإعلام حسن باشا بالإجراءات المتخذة حيال تسوية أوضاع اليمن وتحسين أحوال القوات العثمانية فيها ولهذا فقد وجه حكم إلى الوزير مصطفى باشا يأمره بالتحرك إلى اليمن، وقد جاء في الفرمان الهمايوني تفصيلات ما سيصرف من أموال وما سيفعله وذلك على النحو الآتي.

حكم إلى حضرة الوزير مصطفى باشا المرسل للخدمة في اليمن فيما يتعلق بأن الوزارة وجهت بمرتب قدره (١٥٥,٥٥٥) أقجة .

ملحق رقم (٢٠)

صفحة رقم ١٢٨

حكم رقم ٢٧٠

حكم إلى بكلربكلي اليمن

فيما يتعلق بابن قبطان السويس أرسل بالأسطول إلى عدن لأجل منع اعتداءات البرتغاليين على السفن التجارية القادمة من الهند، وإنه إذا لزمه شيء من الذخيرة يجب إعدادها.

إن البلاد واسعة والبرتغاليين يحاولون تملك هذه البلاد لامتصاص خيراتها واستعباد المسلمين أصحاب البلاد وأهلها، فيلزم أن تحافظوا على تلك البلاد وتمنعوا البرتغاليين الكفار من الاستقرار فيها والاعتداء على أهلها.

إن الأمر يقتضي منكم الوحدة، فوحدة الصف ومواجهة الأعداء ومنعهم من التحكم بالمسلمين واجب وعليكم التلاحم، ولتكن كلمة الله هي العليا وراية المسلمين خفاقة مع هلالنا ولتكن يقظاً دوماً.

٢٤ ذي القعدة ٩٧٥هـ/١٥٦٧م

المصادر والمراجع

أولاً:المصادر

- ابن إياس (محمد بن أحمد)، بدائع الزهور في وقائع الزهور، تحقيق محمد مصطفى، الأجزاء ٣-٥، القاهرة، (١٩٦٠-١٩٦٣م).
- أرشيف رئاسة الوزراء، استانبول، مهمة دفتري، وهي بالآلاف.
- تقرير قوجي بك، مكتبة نور عثمانية، رقم (٦٧٩٣).
- وقائع نويس (تسجيل الوقائع)، وهي بالمئات تم ترقيمها حتى سجل (١٠٧).

ثانيا:المراجع

- أحمد سالم شيبان، الوجود المملوكي في اليمن (١٥١٥-١٥٣٨م)، الشارقة ٢٠٠٢ م.
- إسماعيل حقي تشارشلي، التاريخ العثماني، أنقرة، ١٩٤٥م.
- جنكيز اورهانلو، تحركات إبراهيم باشا، استانبول، ١٩٢٩م.
- حسين مؤنس ،الجارية روكسلانا، مطابع المستقبل، بيروت،(د.ت).
- سيد مصطفى سالم، الفتح العثماني الاول لليمن، القاهرة، ٢٠٠٧ م.
- عاطف باشا، يمن تاريخي، دار السعادة، ١٣٢٥ هـ.
- عبد الرحمن فهمي، النقود العربية، ماضيها وحاضرها، القاهرة، ١٩٦٥م.
- عبد الكريم رافق ،العرب والعثمانيون، دمشق، ١٩٤٧م.

- فيرد تونبشق: عشق السلاطين، دار الروائع، بيروت، ١٩٦٦م.
- محسن عايض علي، ولاية اليمن خلال الإصلاحات والتنظيمات ١٨٢٦-١٩١٨م، رسالة دكتوراه غير منشوره، دمشق، ٢٠١٤ م.
- محمد جاد الله، الأتراك العثمانيون في اليمن، الموصل،١٩٦٧م.

ثالثا: مراجع مترجمة:

Doç, Dr, HulusIyavuzIyemen, de osmanLI, Hakimiyeti, istanbul , -
ترجمته: خلوصي ياوزو، الحاكمية العثمانية في اليمن، استانبول، ١٩٤٨م.
Doç, Drihasansüeygasirma, yemenisyonlariaistanbul, 1980.-
ترجمة : إحسان ثريا صرما، العصيانات اليمن، استانبول، ١٩٨٠م.
- ismaiLHakkI, osmanLITarIhi, Ankara c.l.s.368.
ترجمة: إسماعيل حقي جارشلي، التاريخ العثماني، أنقرة ،١٩٦٥م.

الشيخ العباسي المهدي مفتي الديار المصرية وكتابه "الفتاوى المهدية"(*)

الباحثة/ فاطمة حافظ

تحت إشراف الأستاذ الدكتور: محمد عفيفي

حين رحل محمد علي في أواخر الأربعينات من القرن التاسع عشر، كانت مؤسسات الدولة المصرية قد أرسيت، وكان على خلفائه من الحكام استكمال بناءها ووضع الهياكل التشريعية التي تنظم عمل المؤسسات ويتحاكم وفقا لها الأفراد، ولم يكن هذا ممكنا إلا بإنشاء جهاز بيروقراطي حديث قادر على ضبط عمل هذه المؤسسات، وكان عماد هذا الجهاز نخبة من الإداريين والبيروقراطيين المصريين الذين حلوا تدريجيا محل الأتراك والعناصر المملوكية غير المصرية التي شكلت هذا الجهاز فيما سبق، وداخل هذا الجهاز البيروقراطي نما الإفتاء الرسمي حيث عمدت الدولة إلى تعيين عدد كبير من المفتين للعمل ضمن الجهاز الإداري للدولة، فكان في كل مؤسسة تقريبا مفتي يضبط عملها وفقا للشريعة، فكان لدينا مفت لكل مديرية (محافظة) ومفتي للأوقاف، ومفتون للمجالس القضائية في الأقاليم، ومفتي بكل محكمة شرعية بل كان لدينا مفتي للضبطية وآخر للمعية السنية، وقد تربع على هرم الجهاز الإفتائي مفتي الديار المصرية الذي اشترطت الدولة منذ عهد محمد علي أن يكون حنفي المذهب، وأن يحكم ب "أرجح الآراء في

(*) مجلة المؤرخ المصرى، عدد يناير ٢٠١٦.

المذهب"، وذلك بعد قرون عرفت فيها مصر التعددية الفقهية في المحاكم.

وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر شغل الشيخ العباسي المهدي [١٢٤٣/ ١٣١٥هـ - ١٨٢٧/ ١٨٩٧م]، هذا المنصب باستثناءات قليلة للغاية[١]، وقد لعب المهدي دورا مهما في عملية التشريع المصري، وكانت آرائه محل اعتبار الدولة وملزمة للجهات المعنية، وقد جمع الشيخ هذه الآراء بالإضافة إلى الفتاوى المقدمة إليه من الجهات المختلفة ونشرها تحت عنوان "الفتاوى المهدية" التي تعد أوسع مجموعه إفتائية قانونية مصرية في القرن التاسع عشر، وقد حظيت هذه المجموعة باهتمام الدارسين الأجانب مثل رودلف بيترز، جوديث تاكر، كينيث كونو، إلا أنها لم تحظ باهتمام مماثل من قبل الدارسين المصريين، رغم أنه يتعذر فهم طبيعة العلاقة بين الشريعة والدولة من جهة وبين الشريعة والمجتمع من جهة أخرى خلال هذه الحقبة دون العروج على الفتاوى المهدية، غير أن دار الإفتاء المصرية أقدمت خلال العام الماضي على إعادة نشرها في عشرين مجلدا، بعد تحقيقها وتنقيحها إفادة للباحثين والدارسين.

الشيخ العباسي المهدي: سيرة ذاتية

ولد الشيخ محمد العباسي المهدي الحفني الحنفي في الاسكندرية عام ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م لأسرة معروفة مشهود لها بالعلم والثراء، كان جده محمد المهدي الحفني قبطيا وأسلم في صباه، ودرس بالأزهر وصار شيخا من شيوخه المعدودين، وتقرب من الأمراء والكبراء ومنحوه التزامات عديدة في البحيرة والمنوفية والجيزة وحصّل من ذلك ثروة طائلة، وذاع صيته مع قدوم الحملة الفرنسية لحسن علاقاته بالفرنسيين وعاش مكرما في عهد محمد علي، ورغم شهرته العلمية لم يترك مؤلفات علمية لانهماكه في تحصيل أموال التزامه وتداخله في الدعاوى والفتاوى[٢] أما الأب محمد أمين المهدي فقد

درس العلم بالأزهر وتولى إفتاء الديار المصرية حتى وفاته عام ١٢٤٧ هـ/ ١٨٣١م، وتابع بنجاح نهج والده في تنمية ثروة الأسرة حتى أنه عقد شراكة تجارية مع ابراهيم نجل محمد علي(٣).

نشأ الشيخ المهدي في ظل هذه الأسرة التي جمعت بين الثراء والنفوذ المعنوي وتأهلت بذلك للارتباط بعلاقات مباشرة مع الأسرة العلوية الحاكمة ومع بعض النخب التركية الحاكمة، وقد انعكس ذلك على حياة الطفل العباسي المهدي الذي رحل أبوه وهو في الثالثة من عمره فلم يكابد الفاقة أو الحرمان، ولم تعرف حياته التوترات المعتادة التي تحدث لمن فقد أباه في هذه السن الباكرة، وكان لهذا أثره على تكوينه الفكري لاحقا الذي اتسم بالثبات والاتزان، كما اتسمت آراؤه الفقهية ومواقفه السياسية بالعقلانية وعدم الانسياق وراء الانفعالات حتى الدينية منها.

كان طريق المهدي مرسوما بدقة وممهدا كي يتابع درب أبيه وجده؛ فقد تعهدته الأسرة بالرعاية وشرع في حفظ القرآن في الأسكندرية ثم حضر القاهرة عام ١٢٥٥هـ فأتم حفظ القرآن بها، وفي عام ١٢٥٦ ه جلس لتلقي العلم وكان من شيوخه: إبراهيم السقا الشافعي وخليل الرشيدي الحنفي والبلتاني الحنفي، ولم يتم دراسته بالأزهر حتى فاجأه قرار تعيينه مفتيا للديار المصرية عام ١٢٦٤ هـ وهو في حلقة الدرس يحضر مقدمة السعد للشيخ السقا ولم يتجاوز الحادية والعشرين من عمره وفي ظل وجود من يفوقه سنا وعلما، وقد لعبت علاقات الأسرة الدور الأهم في هذا التعيين إذ جاء تعيينه بناء على توصية من عارف بك شيخ الإسلام في استانبول الذي ولي قضاء مصر من قبل حين اقترح على ابراهيم نجل محمد علي تعيين أحد أنجال الشيخ أمين المهدي في منصب والده.

لم تكن مهمة المهدي يسيرة فكان عليه أن يواصل استكمال تكوينه الشرعي ونهض بعبء هذه المهمة بنفسه فجلس في بيته يطالع الكتب الفقهية

المعتمدة في الفقه الحنفي فقرأ "الأشباه والنظائر" لابن نجيم و"الدر المختار" لعلاء الحصفكي وغيرهما حتى نال من الدراسات الفقهية نصيبا وافرا، ويصف المهدي معاناته خلال هذه الفترة بالقول لقد تلقيت نبأ تعييني "على عضدي وساعدي إذ لولا عناية الخالق ما تسنى لي الولوج في تلك المضايق" ومما شجعه على ذلك كما يقول كان علمه بأن والده كان مفتيا وأنه يسير على درب أبيه[٣].

وما هي إلا فترة وجيزة حتى تمكن من تحصيل الملكات الفقهية اللازمة لمنصبه الذي شغله بضعة عقود فلم تحفظ عليه بادرة خطأ أو مخالفة للشرع وهو ما يعزوه أحمد تيمور إلى "أنه تولاه وهو صغير والعيون شاخصة إليه فكان لا يفتي فتوى إلا بعد المراجعة والتدقيق والتعب الكثير فحصلت له بذلك ملكة فيه حتى صار معدوم النظير، لا يجاريه مجار في هذا المضمار"[٤].

وقد شاع عن الشيخ المهدي أنه لا يفتي إلا بالأقوال المعتمدة في المذهب الحنفي، ولا يخضع في فتواه لإكراهات الحكام والسياسة، وهناك العديد من الحوادث التي تبرهن على صدق ذلك؛ ففي خلال حكم عباس أراد أن يستولي على جميع ما بيد ذرية جده محمد علي مدعيا أنه قدم مصر لا يمتلك شيئا وأن ما خلفه ليس تركة عنه وإنما هي أموال الأمة ويجب ردها إليها، وأراد فتيا من الشيخ المهدي إلا أنه رفض وراجعه في الفتوى إلا أنه أصر على الامتناع، فأصدر أمرا بنفيه إلى أبي قير لكنه تراجع عنه في اللحظة الأخيرة بعد أن صعد المهدي إلى السفينة المخصصة لنفيه برفقة صديقه الشيخ أبو العلا الخلفاوي[٥]، وفي عهد إسماعيل تعرض لموقف مماثل حينما أراد الخديوى الاستيلاء على الأوقاف الأهلية وتعويض أهلها واستفتى بعض العلماء في ذلك فأجابوه ودبجوا الرسائل الفقهية في جواز ذلك، وأصر المهدي على عدم الجواز، فجمع الخديوى بينه وبين مخالفيه من العلماء في مجلس فناظرهم وفند آرائهم جميعا، وفي عهد توفيق رفض التوقيع على

فتوى عزل الخديوي رغم أن العرابيين ألحوا في ذلك وأرسلوا إليه أكثر من مرة فأجابهم أنه لا يوقع بيده ولكن لهم أن يأخذوا خاتمه ليوقعوا بدله إن كانت المسألة غصبا، فأسقط في أيديهم وتولوا عنه(٦).

تسمح لنا هذه المواقف بالاستنتاج أن المهدي تمتع بشخصية قوية وأنه مارس عمله باستقلالية ونزاهة، وهو ما أكسبه احترامًا ونفوذا بين العام والخاص، فكانت فتاواه محط احترام ورأيه هو الرأي الفصل في المسألة، ولم يُعرف أن أحدهم اتهمه قط بالميل إلى الخصم أو بتلقي رشوة لتعيين أحد القضاة أو المفتين في منصبه، ولم نرصد له حالة واحدة في الفتاوى انحاز فيها لأبناء النخبة الحاكمة على حساب غيرهم، وقد استطاع المهدي أن يجمع بين منصبي شيخ الأزهر ومفتي السادة الحنفية مرتين، الأولى كانت عام ١٢٨٧ حتى محرم ١٢٩٩، والثانية كانت في ذي القعدة ١٢٩٩ وحتى ١٣٠٤هـ.

على الرغم من تعدد المصادر التي تحدثت عن سيرة الشيخ المهدي إلا أنها جميعا تستقي من مصدرين: الأول ما كتبه نجله محمد عبد الخالق المهدي، وقد كان شائعا آنذاك أن يقوم الابن بعمل ترجمة لأبيه إن كان عالمًا يسجل فيها مآثره وأعماله، وقد نقل عنه جورجي زيدان وعلي مبارك وغيرهما. والثاني ما ذكره أحمد تيمور في كتابه (أعيان القرن الثالث عشر) ويبدو أنه كان يعرف المهدي شخصيا أو أنه كان قريبا من دائرته الأسرية إذ قدم عنه معلومات أصلية لم نجدها في مصادر أخرى.

ومع أصالة المعلومات التي يقدمها المصدران إلا أنها لا تتطرق إلى الملامح الشخصية للشيخ المهدي ولم تهتم بإيراد تفاصيل عن أصدقائه وتلامذته وعن علاقاته بمجتمع العلماء في مصر وخارجها، وهي تطرح شكوكا حول دقة الترجمة وحياديتها وبخاصة إذا صدرت عن الابن الحريص على إبراز المحاسن وتضخيمها بل ربما سرد الوقائع خلافا للحقائق، ومن

أمثلة ذلك ما كتبه نجل المهدي ونشرته مجلة الهلال من أن الشيخ البنا الذي تولى بعد عزل أبيه من منصبه كان "من أتباع المترجم [الشيخ المهدي] مقتديا برأيه واثقا باقتداره في العلم وغيرته في العلم حتى إذا سألته الحكومة أن يقضي في أمر مهم أعلنها بأنه لا يقول في الأمر شيئا إلا بعد أن يعرض على المترجم" وقد أثار ذلك اعتراض أحد القراء -ربما يكون من أقارب الشيخ البنا- الذي اتهم كاتب الترجمة بأنه "استغلظه القلم عندما أراد المدح والإطناب" مؤكدا أن أحدا لم يقل من قبل أن الشيخ البنا كان تابعًا للشيخ العباسي أو أنه امتنع عن إجابة الحكومة كما ادعى الشيخ عبد الخالق(٧).

لم يترك المهدي مؤلفات فقهية سوى كتابه الفتاوى المهدية، ويرجح ذلك أن ابنه في ترجمته لم يذكر سواه ولو افترضنا أنه خلف مؤلفات أخرى لكان أجدر به أن يقدم بيانا بها، فضلا عن أن المؤرخين لسيرة المهدي المعاصرين لم يثبتوا أي مؤلفات أخرى له(٨)، وقد ضمن المهدي الفتاوى المهدية رسالة أسماها "الصفوة المهدية في إرصاد الأراضي المصرية" وهي رسالة قصيرة وجهها لسعيد باشا أفاد فيها بعدم جواز إبطال الإرصاد (الوقف) على الأراضي(٩).

تعريف بكتاب الفتاوى المهدية

في (مايو ١٨٨٧م /شعبان ١٣٠٤هـ) أتمت المطبعة الأزهرية بالتعاون مع الأزهر طباعة سبع مجلدات "الفتاوى المهدية في الوقائع المصرية" ٣٩٩٢ صفحة، وهي أضخم مجموعة إفتائية مصرية خلال القرن، وأول فتوى فيها مؤرخة في السابع عشر من ذي القعدة ١٢٦٤هـ/١٥ أكتوبر ١٨٤٨م وذلك ضمن باب دعوى النسب بالمجلد الرابع، أما آخرها فكانت بتاريخ غرة ربيع الأول ١٣٠٤ هـ/٢٧ نوفمبر ١٨٨٦م من باب الفرائض بالمجلد السابع.

وقد تضمنت الفتاوى المهدية بضع فتاوى شارك فيها جمع من المفتتين: مثل شيخ الأزهر، وسكرتير مفتي الديار المصرية (أمين الفتوى)، وبعض كبار العلماء الذين لم يكونوا جميعهم حنفية، وتلك الفتاوى حدثت في قضايا اختلف فيها العلماء وكانوا ملزمين بالوصول إلى حل في القضايا السياسية المطروحة أو التي تمثل أهمية قانونية.

ويبلغ تعداد الفتاوى في هذه المجموعة الضخمة قرابة ١٣٥٠٠ فتوى، وقد اختارها المهدي للنشر من بين الفتاوى التي رفعت إليه خلال الفترة من (١٢٦٤-١٣٠٤هـ/ ١٨٤٨-١٨٨٦م) وقد انفرد بالإجابة عنها عدا بضع قضايا ذات أهمية شاركه فيها شيخ الأزهر وكبار العلماء، وفتوى وحيدة رفعت إليه ونقل جوابها من فتاوى أبيه[١٠] وقد جاءت جميع الفتاوى بصيغة خبرية عدا فتوى وحيدة جاءت في صيغة شعرية[١١] وهناك بضعة فتاوى حذف منها السؤال واكتفى المهدي بالقول "يُعلم سؤالها من جوابها"[١٢]

وبإمكاننا تصنيف هذا العدد من الفتاوى موضوعيا على النحو التالي: فتاوى ذات طابع اقتصادي[*] ٣٧,١٤ بالمائة، فتاوى قضائية[*] ٣٤,١٦ بالمائة، فتاوى اجتماعية[*] ٢٦,٨، السياسة الشرعية[*] ١,٠١بالمائة، المسائل الدينية[*] ٠,٢٥ بالمائة، أخرى (مقدمة وتقريظ) ٠,٦٤ بالمائة.

أما من حيث الجهات السائلة فيذكر رودلف بيترز أن سبعًا وسبعون بالمائة من جملة الفتاوى وردت من الجهات الرسمية، وهي موزعة كالتالي: المحاكم الشرعية (وأرسلت عادة عبر مجالس المديريات ومحافظة مصر) ٣٣ بالمائة، بيت المال ١٥ بالمائة، الديوان الكتخدائي ١٠ بالمائة، الضابطية ٦ بالمائة، ديوان الأوقاف ٤ بالمائة، الروزنامة ٣ بالمائة، نظارة الحقانية ٣ بالمائة، مجلس الأحكام ٣ بالمائة[١٣]. وهناك عدد من الفتاوى وردت إلى الشيخ من خارج القطر المصري إذ سئل من الهند والروم (تركيا) وتونس وطرابلس الغرب.

ويعد باب "المحاضر والسجلات" أطول أبواب الفتاوى المهدية إذ يشغل المجلد السادس بأسره ويبلغ ٦٠٠ صفحة، علاوة على أربعة عشر صفحة أضافها إليه الشيخ المهدي فيما أستجد من فتاوى في أواخر المجلد السابع، أما أصغرها فهو "العُشر والخراج والجزية" ويقع في صفحة واحدة ويضم فتوتان فقط، وضآلة حجمة يثبت أن السياسة في مصر الحديثة كان يتم صياغتها ذلك الحين وفق مفاهيم بديلة قوامها الوطن والمواطنة بدلا من تلك المفاهيم التي عبرت عن حقب تاريخية سالفة.

ويستلفت النظر أن المهدية خلت من وجود "باب العقائد" واقتصر باب المسائل الدينية على ٢١ فتوى ليس فيهم واحدة تتعلق بالعقيدة، وهو ما يؤكد غلبة الصفة القانونية على الفتاوى وأن انتشار المذهب الحنفي بين عموم المصريين كان ضعيفا حيث توجهوا بتساؤلاتهم الدينية إلى مفتي المذهبين السائدين المالكي والشافعي، وأنهم اضطروا للجوء إلى المفتي الحنفي في المسائل القضائية بعد تخصيص القضاء به.

وقد افتتح الشيخ المهدي جميع الفتاوى بلفظ سئل متبوعًا بالجهة الوارد منها السؤال إن كانت حكومية أو أجنبية ثم صيغة السؤال، واستهل الإجابة بلفظ أجاب ثم نص الإجابة، واختتمت الفتاوى جميعها بعبارة والله تعالى أعلم، والمثال التالي يوضح المقصود:

"(سئل) من طرف بيت المال بما مضمونه رجل تزوج بامرأة وهي مريضة، والذي عقد العقد رجل أمي، ثم بعد ثلاثة أيام من حين التزوج ماتت؛ فهل يكون العقد صحيحا نافذا ويأخذ الرجل ما يخصه بجهة الإرث (أجاب) نعم يرث منها حيث زوجت نفسها منه وهي تعقل ولو في مرض الموت إذا صدر العقد مستوفيا شرائط الصحة والله تعالى أعلم"[١٤].

ويمكن أن نميز في الفتاوى بين تعبيرين مهمين الأول هو "بما مضمونه" وتعني أن الشيخ المهدي تدخل لتعديل صيغة السؤال وقام بعملية

تجريد طالت الأسماء الواردة في نص السؤال وبعض التفاصيل البيروقراطية وأبقى على بنية السؤال كما هي أو ربما عدلها وفق الصياغات القانونية الفقهية لأن لغة الإدارة السائدة كانت أقرب إلى العامية منها إلى الفصحى، أما الآخر فهو "بما نصه" وتعني أن المهدي سينقل حرفيا نص السؤال الوارد إليه دون حذف أو تعديل، وبطبيعة الحال فإن الغالبية العظمى من الفتاوى جاءت معدلة، وقلة أوردها الشيخ بنصها لأهميتها؛ وغالبها ينتمي إلى الفتاوى الواردة من المحاكم والمجالس القضائية.

معالم المنهج الإفتائي لدى الشيخ العباسي المهدي

إذا كان التمييز بين السؤال والجواب منهجية تراثية اتبعها المهدي إلا أننا نلحظ أنه لم يقتفي أثر هذه المنهجية كاملة فهو لم يستعمل مثلا الرموز الإفتائية "زيد وهند وعمرو" عوضا عن أسماء المستفتتين، وغالبا ما حذف اسم السائل إلا أنه أبقى عليه في حالة ما إذا كان السائل شخصية معروفة أو كان الاسم ضمن محضر دعوى رسمية. كما أنه لم يضع كثيرا من المطالب(*) على الهامش كما فعل كبار مفتيّ الحنفية كابن عابدين (ت١٢٥٠هـ/١٨٣٦م) وخير الدين الرملي (ت١٠٨١هـ/١٦٧٠م).

وقد تفاوتت الفتاوى من بضعة أسطر إلى عدة صفحات، ولم تتشبه الفتاوى العثمانية في أن السؤال الموجه إلى المفتي كان يعاد صياغته من قبل الكاتب وتقتصر إجابته على نعم أو لا.

وقد اتسم منهج المهدي الإفتائي بعدد من الخصائص المميزة في مقدمتها: إثبات تاريخ الفتوى على الهامش وترتيب الفصل من الأقدم إلى الأحدث، وعدم لجوئه إلى الشواهد الدينية من آيات قرآنية وأحاديث نبوية، وعدم اثقال الفتوى بالنصوص الفقهية إلا في حالة ما إذا تطلب الجواب دعما فقهيًا أو توضيحا، واقتصر الجواب على الحكم الشرعي في المسألة، كما بدا

حريصًا على التثبت من صحة السؤال حتى أنه كان يسأل عن صحة واقعة السؤال، وربما استعلم عن بعض المعلومات التي يتضمنها السؤال(١٥) رغم أنه مهمته تنحصر -شرعًا وقانونًا- في الإجابة عن السؤال.

وقد استخدم المهدي في تدوين الفتاوى لغة فقهية قانونية منضبطة ولم يستخدم لغة الإدارة العامية، وهذه اللغة المنضبطة ساعدته على حجب آرائه الذاتية ومنعها من التسلل إلى النص الإفتائي، فلم يعلق على أي فتوى إلا نادرا وفي صورة توجيه عام وليس شخصي، ولم ينزلق إلى إبداء مواقف ذاتية حتى حين يتعلق الأمر بالترجيح بين آراء متعارضة أو مواقف متباينة للقضاة وغيرهم، وهذا لا يعني انتفاء حضوره الذاتي فمن المحال أن ينتج الإنسان نصا موضوعيا مطلقا، وإنما يعني أنّ شخصيته التي تميل إلى الانضباط وعدم الخلط بين الذاتي والموضوعي قد طغت على النص فغلبت القانوني على الذاتي.

من ناحية أخرى فإننا نلحظ أن المهدي في بعض الأحيان لم يكن يجيب عن كافة مفردات الفتوى، ربما اعتقادا منه أنها متضمنة في إجابته عن المفردات الأخرى، ومن أمثلة ذلك الفتوى التالية: باع رجل عبده البالغ بعد أن أغضبه دخوله على الحريم، ولكن زوجة الرجل استرجعت العبد من المشتري وأرادت أن يمكث العبد معها في بيتها. وقد سأل الزوج مفتي الديار المصرية (١) هلْ يستطيع منعها من ذلك (٢) هل يجوز للزوجة كشف وجهها أمام العبد (٣) وعما إذا كان الزوج مخولا بأن يسكنها في مسكن آخر يفي في تقديره بالمتطلبات الشرعية؛ وأجاب بأن عبد المرأة (أجنبي) ومسموح له أن يرى وجهها وكفيها فقط، وإن خاف الشهوة يحرم عليه النظر إلى وجهها، وعلاوة على ذلك، فإن العبد مسموح له بأن يدخل غرفتها دون إذن، ونفقات العبد -الذي يخدم الزوجة دون سواها- واجبة على الزوج الذي

لا يحق له أن يحضر لها خادما آخر إلا إذا وافقت، ولا يحق للزوج أن يخرج الخادم من بيت زوجته إلا إذا كان العبد غير موثوق به ويختلس أموالا للتسوق، ففي تلك الحالة يستطيع الزوج استبداله بعبد آخر يمكن الوثوق به ، ولم يجب المفتي على السؤال الثالث للزوج الغاضب وأعفى نفسه من تذكير الزوج بأنه ملزم بتوفير مسكن يفي بالمتطلبات الشرعية[١٦].

الموقف من الاجتهاد

أفصح المهدي في مقدمته عن أنه سيفتي وفقا للآراء التي صححها الأئمة الأعلام في المذهب الحنفي، وقد تقيد بهذا النهج على نحو صارم، فلم يقم بترجيح أو تصحيح رأي على آخر، ولم يجتهد لاستنباط رأي في نازلة جديدة ليس فيها نص في المذهب إلا في حالات جد نادرة كفتوى التلغراف:

فحين سئل عن حكم العمل بما ورد في التلغراف بثبوت هلال رمضان أو الفطر؛ فهل يعد ذلك ثبوتا شرعيا بحيث يلزم الحاكم الشرعي أهل تلك الجهة بالصوم وإن لم يشهد شهود على صحة ما ورد بالتلغراف، فأجاب بأن الأصل في ثبوت الهلال هو إخبار جمع من الناس أو شاهدين عدلين، وأنه يلزم أهل القرى الصوم بسماع المدافع ورؤية القناديل الدالة على دخول الشهر، معتبرا أن الأخبار الواردة بالتلغراف تنزل منزلة "خبر الواحد" بإثبات الهلال، وبالتالي "لا يكون موجبا للقاضي الحكم بذلك وإلزام الناس به، غاية الأمر أن من وقع في قلبه صدق الخبر يلزمه الصوم" واختتم فتواه بالقول "هذا ما ظهر لي" ليبين أن هذا ليس تقليدا منه لأحد الأقوال في المذهب، وإنما هذا ما ظهر له في هذه المسألة[١٧].

وفي فتوى أخرى تسأل عن الملابس الأوروبية والأكل بأدوات المائدة الحديثة كالشوكة والسكين أبدى الشيخ نزوعا اجتهاديا إذ ذهب إلى جواز ذلك معتبرا أن ذلك ليس تشبها مذموما ومستشهدا بأقوال لفقهاء المذهب الحنفي

ترى أن التشبه لا يكون مكروها في جميع الأحوال فهناك حالات يجوز فيها التشبه إن كان فيها صلاح للعباد، واستشهد على ذلك بفعل أبي يوسف حين ارتدى نعلا بمسامير ليس من لباس المسلمين وبرره بأن الأرض البعيدة لا تُقطع إلا بها[١٨].

وفي المقابل من ذلك فقد تمسك بالآراء الفقهية السابقة وكان يتردد كثيرا في إبداء رأي مخالف لها، فحين سئل من الهند عن أن باب الرق والعبودية انقطع بآية (فإما منا بعد وإما فداء) أجاب بأن الآية وردت في مشركي قريش يوم بدر وهؤلاء لا يجوز فيهم الاسترقاق أصلا، وقد نسخت عند أبو حنيفة بقوله تعالى "فاقتلوا المشركين كافة" التي نزلت في سورة براءة وهي آخر ما نزل من القرآن، والدلائل على نسخها وبقاء الرق واستمراره كثيرة كآية كفارة اليمين والقتل والظهار وآية حِل الاستمتاع بملك اليمين، وكذا الأحاديث والإجماع على هذا، إذ ثبت الاسترقاق بعد غزوة بدر بفعله عليه الصلاة والسلام في مواطن كثيرة[١٩].

وربما كانت طبيعة عمل المهدي وراء لزومه التقليد؛ فقد كان مكلفا من الدولة بتطبيق القانون وفقا لأصح الآراء في المذهب الحنفي ومراقبة تطبيق المؤسسات الحكومية له، ومثل هذا العمل في جوهره أقرب إلى "البيروقراطية الفقهية" منه إلى الاجتهاد الذي ينبغي أن يسم عمل المفتي والفقيه، ولكن المسألة فيما نعتقد لم تكن إلزاما من الدولة وحسب، فقد كتب الشيخ صراحة ينبغي "أن نقف عند النصوص الواردة.. والفقه نقلي لا عقلي وهو أمانة في أعناق الرجال"[٢٠] فضلا عن أنه كان يعتقد بإخلاص في مذهبه وصلاحيته للقضاء بين الناس دون المذاهب الأخرى، ويستلفت نظرنا أنه لم يكن يتطرق لآراء المذاهب الأخرى ولو على سبيل العرض والمقارنة مع المذهب الحنفي، ولم نسجل له حالة واحدة أفتى فيها برأي من خارج المذهب، وحينمَا كانت الدولة تضطر لتبني رأي من خارجه[٢١] كمسألة

الغائب والمفقود[*]، كان يعهد بها إلى مفتي الأحكام لمرونته ومراعاته المصالح[٢٢].

ويمكن أن نقارن بين المهدي ومفتي حنفي آخر عاش قريبًا من عصر المهدي واختلف معه في منهجيته هو ابن عابدين مفتي دمشق الشهير (ت ١٨٣٦م)، ففي فتاويه "العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية" يبدو بوضوح أنه يتمتع بنزوع اجتهادي إذ كان حريصا على نقل الآراء داخل المذهب ومناقشتها بالتعليق أو الترجيح أو التضعيف، وهو ينقل -أحيانا- عن المذاهب الأخرى ويفتي بها دون حرج[٢٣]، ومن أهم ما يميزه أنه صاحب حضور شخصي فكثيرا ما يكتب (أقول) أو (قلت) ثم يعرض لأرائه الفقهية في المسألة أو ربما أضاف من خبراته الحياتية إلى المسألة، وكان عارفا باللغة التركية ومطلعا على الفتاوى العثمانية وقد أدمج بعضها ضمن فتاويه وقد أجاب عن بعض الفتاوى الواردة إليه بالتركية، وكان كثير الإجلال للسلطان والدولة العثمانية فلم يرد ذكرهما إلا مصحوبا بالدعاء[٢٤]. ويمكننا أن نعزو الاختلافات -بشكل جزئي- إلى عدم تولية ابن عابدين مناصب رسمية فظل يمارس الإفتاء الحر، ولم يتكسب سوى من التجارة مثل أبيه، ومن ثم لم يكن هناك قيد على آرائه الذاتية ولم يكن ملزمًا باتباع رأي فقهي معين تلزمه به الدولة، ومن جهة أخرى فقد جعله الاشتغال بالتجارة على تماس مباشر مع الجماهير وواقعهم المعاش ومتغيراته التي لا تتوقف، وقد انعكس هذا على فتاويه التي لم تجمد عند رأي فقهي سالف تجاوزه الواقع.

نخلص من هذا كله أن اشتغال الشيخ المهدي ضمن البيروقراطية الإدارية للدولة المصريةقد ترك أبلغ الأثر على عمله الإفتائي الذي اصطبغ بطابع البيروقراطية، وحال بينه وبين الاجتهاد، إذ كان مكلفا من قبل الحكومة بتطبيق أصح الآراء في المذهب الحنفي دون سواه على الوقائع المرفوعة إليه الأمر الذي ترك آثاره على حركة الاجتهاد الفقهي بمصر خلال هذه الفترة.

الهوامش:

(١) خلال الفترة الممتدة من (١٢٦٤-١٣١٣هـ/ ١٨٤٨-١٨٩٥م) التي تسبق تأسيس دار الإفتاء، تعاقب شخصين فقط على منصب مفتي الديار، وهما الشيخ محمد العباسي المهدي والشيخ محمد محمد البنا، فقد تم تعيين الشيخ المهدي عام ١٢٦٤ هـ، واستمر يشغله حتى ١٣٠٤ هـ، ثم تعين الشيخ البنا لمدة عامين فقط (١٣٠٤-١٣٠٦) وأعيد المهدي إلى منصبه حتى عام ١٣١١ ه، ثم تعين البنا مجددا (١٣١١-١٣١٣هـ).

(٢) عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣، ج٤، ص ٣٧٢.

(٣) علي مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة، القاهرة: المطبعة الأميرية الكبرى، ١٣٠٦هـ، ج١٧ ص ١٠-١١.

(٤) محمد العباسي المهدي، الفتاوى المهدية في الوقائع المصرية، القاهرة: المطبعة الأزهرية، ١٣٠١/١٣٠٤هـ، ج١، ص ٤.

(٥) أحمد تيمور، تراجم أعيان القرن الثالث عشر، القاهرة: دون تاريخ، ص ٧٧.

(٦) انظر الترجمة التي أعدها الشيخ محمد عبد الخالق المهدي لوالده الشيخ المهدي في: جورجي زيدان، مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، القاهرة: مطبعة الهلال، ط٣، ١٩٢٢، ج ٢، ص ١٧٨-١٨٨.

(٧) أحمد تيمور، المرجع السابق، ص٧٢-٧٨.

(٨) الشيخ العباسي والشيخ البنا، الهلال، ع ١٧٧-١٨٧، القاهرة: ١٩ ربيع الثاني ١٣١٨هـ، ١٤ أغسطس ١٩٠٠م، ص ٦٧٣-٦٧٤.

(9) Rudolph Peters, Muhammad al-Abbasi al-Mahdi (D. 1897), Grand Mufti of Egypt,and His "al-Fatawa al-Mahdiyya" , Islamic law and Society, Vol. 1, No. 1. (1994), p. 73

(١٠) الفتاوى المهدية، ج٢، ص ٦٤٥-٦٥٠ بتاريخ ١٣ صفر ١٢٧٥هـ/٢٢ يناير ١٨٩٥م.

(١١) الفتاوى المهدية، ج٤، ص ٥٦٧، بتاريخ ٥ شعبان ١٢٦٧/ 5 يونيو 1851م

(١٢)الفتاوى المهدية، ج١، ص ٢٩٩-٣٠٠، بتاريخ ٢٣ ربيع الثاني ١٢٦٩هـ/ 2إبريل 1853م.

(١٣)من أمثلتها: الفتاوى المهدية، ج٢، ص ٣٢، بتاريخ ٢٢ ذي القعدة ١٢٦٥هـ/٨ أكتوبر ١٨٤٩.

(*) تشمل الفتاوى الاقتصادية الفصول التالية: الشركة، الوقف، البيوع، الكفالة، الحوالة، الوكالة، الإجارة، الشفعة، القسمة، القرض، المداينات، الرهن، المضاربة، الوديعة، العارية، الهبة، الأراضي الأميرية، إحياء الأرض الموات.

- تشمل الفتاوى القضائية الفصول التالية: المحاضر والسجلات، الدعوى، القضاء، الجنايات والديات، القضاء، الشهادات، الصلح، الإكراه، الغصب.
- *تضم الفتاوى الاجتماعية الفصول التالية: النكاح، المهر، الطلاق، الجهاز، العدة، ثبوت النسب، الحضانة، النفقة، اللقيط واللقيطة، المفقود، الحجر والمأذون وبلوغ الغلام، العتق، المزارعة والمساقاة، الحيطان وما يتضرر به الجيران، الوصايا، الفرائض.
- *ليس هناك باب يحمل عنوان السياسة الشرعية لكننا اعتبرنا أنها تشمل "باب التعزير وحكم الردة وحد القذف والبغاة" وأضفنا له باب "الحظر والإباحة" حيث رجحنا أن مراجعة الشيخ المهدي للمطبوعات تحمل طابعا سياسيا لأنها كانت تراعي في الكتب المجازة ألا تخل "بالدين أو النظام أو الآداب العمومية"، راجع: الفتاوى المهدية، ج٥، ص ٣٠٠، بتاريخ ١٠ ربيع الثاني ١٣٠١ هـ.
- *جمع الشيخ المهدي الفتاوى الدينية المرسلة إليه في باب أطلق عليه " كتاب فيما يتعلق بأركان الإسلام الخمس والطهارة والأنجاس" وكما نلحظ فقد أدمج مجموعة أبواب فقهية ضمن العنوان.

(14) Rudolph Peters, Muhammad al- Abbasi al- Mahdi,opcit, p.69.

(١٥)الفتاوى المهدية، ج ١، ص٥٦، بتاريخ ٨ ربيع الثاني ١٢٧١هـ/٢٨ ديسمبر ١٨٥٤م.

- المطالب هي عبارة قصيرة توضح مضمون السؤال وأحيانا الإجابة، وهي بمثابة عنوان للفتوى، وهي طريقة تصنيفية شائعة يلجأ إليها المفتون لخدمة الدارسين وتسهيل استخراج المسائل من الفتاوى.

(١٦)من أمثلة ذلك سؤاله للبعض عن "مشد البلد" وماهية علاقته بشيخ البلد وهل يختلف في ذلك عن "الغفير" حتى يستطيع أن يحدد هل تقبل شهادته بحق شيخ البلد أم ترفض؟ مثله في ذلك مثل الغفير الذي يتوقع منه عدم مخالفة شيخ البلد، مجلس الأحكام، كود

٠٠٣٣٠٣-٠٠٢٠-٠٠ رقم ٢١، بتاريخ ٢٥ صفر ٢١/١٢٧٩ أغسطس ١٨٦٢م، ص٥.

(١٧) الفتاوى المهدية، المجلد الخامس، ص ٢٩١-٢٩٢ (١٨ رجب ١٢٧٠هـ).

(١٨) الفتاوى المهدية، ج١، ص١٣-١٤ بتاريخ ٥ ذي الحجة ١٠/١٢٩٤ ديسمبر ١٨٧٧م.

(١٩) الفتاوى المهدية، ج٥، ص ٣٠٧-٣٠٩، بتاريخ ٢٠ محرم ١٣٠٢هـ/ ٨ نوفمبر ١٨٨٤م.

(٢٠) الفتاوى المهدية، ج٥، ص٣٠٥-٣٠٦ بتاريخ ٢ محرم ١٣٠٢هـ/٢١ أكتوبر ١٨٨٤م.

(٢١) الفتاوى المهدية، ج٣، ص٣٦٩ بتاريخ ١ محرم ١٢٨٣هـ/١٥ مايو ١٨٦٦م.

(٢٢) يعتقد رودلف بيترز أن الالتزام بتطبيق القانون وفق "أصح الآراء في المذهب الحنفي" أضر بحركة الاجتهاد الفقهي في الدولة العثمانية والولايات التابعة لها لأنه جعل مهمة المفتي تطبيق الآراء التي ثبتت صحتها أو القانون وقلص كثيرا من حرية الفقهاء في استنباط أحكام جديدة،

Rudolph Peters, What does it mean to be an official madhab? Hanafism and the Ottoman empire', in P. Berman, R. Peters and F.E. Vogel (eds.), The Islamic school of law, Cambridge: Harvard University Press , 2005, P.148-158.

- شكلت مسألة الغائب والمفقود الذي لا يعرف مستقره واحدة تحديا أمام الأجهزة القضائية، إذ أن الدعاوى التي يكون أحد أطرافها كان شرعا ترجئ لحين عودته، كما أثارت إشكاليات أخرى تتعلق بالزوجة التي كانت تنتظر زوجها أعواما دون عودته وتظل بلا نفقة فتضطر لطلب الطلاق وعندئذ يرفض المفتي الحنفي تطليقها وفقا لأصح الآراء في المذهب المعمول بها قضائيا.

(٢٣) مجلس الأحكام، كود ٠٠٣٣٠٨-٠٠٢٠ بتاريخ ٥ شوال ١٢٧٦ هـ/٣ أغسطس ١٨٥٩م، ص٦٢

(٢٤) محمد أمين الشهير بابن عابدين، العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية، دون تاريخ، ج٢، ص١٤٩.

(٢٥) نفس المرجع السابق، ج١، ص ١٠٣.

المصادر والمراجع

أولا: الوثائق غير المنشورة

مجلس الأحكام

٠٠٣٣٠٣-٠٠٢٠٠

٠٠٣٣٠٨-٠٠٢٠٠

ثانيا: المصادر والمراجع العربية

١. أحمد تيمور، تراجم أعيان القرن الثالث عشر، القاهرة: دون تاريخ، ص ٧٧.

٢. جورجي زيدان، مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، القاهرة: مطبعة الهلال، ط ٣ ، ١٩٢٢، ج ٢

٣. الشيخ العباسي والشيخ البنا، الهلال، ع ١٧٧-١٨٧، القاهرة: ١٩ ربيع الثاني ١٣١٨هـ، ١٤ أغسطس ١٩٠٠

٤. عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣، ج٤، ص ٣٧٢.

٥. علي مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة، القاهرة: المطبعة الأميرية الكبرى، ١٣٠٦هـ.

٦. محمد العباسي المهدي، الفتاوى المهدية في الوقائع المصرية، القاهرة: المطبعة الأزهرية، ١٣٠١/١٣٠٤هـ، ج١، ص ٤.

٧. محمد أمين الشهير بابن عابدين، العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية، دون تاريخ.

ثالثا: المراجع الأجنبية

1. Rudolph Peters, What does it mean to be an official madhab? Hanafism and the Ottoman empire', in P. Berman, R. Peters and F.E. Vogel (eds.), The Islamic school of law, Cambridge: Harvard University Press , 2005

2. Rudolph Peters, Muhammad al-Abbasi al-Mahdi (D. 1897), Grand Mufti of Egypt,and His "al-Fatawa al-Mahdiyya" , Islamic law and Society, Vol. 1, No. 1. (1994),

مشروع مارشال والوحدة الأوروبية(*)

د. مرفت صبحى
كلية الآداب - جامعة القاهرة

يعد مشروع مارشال نواة للوحدة الأوروبية، وقد بدأ المشروع كفكرة طرحت من قبل وزير الخارجية الأمريكى جورج مارشال، ثم تبلورت في شكل قانون عرف بقانون الإنعاش الأوروبى لمساعدات دول أوروبا الغربية لانعاش اقتصادها فى أعقاب الحرب العالمية الثانية. ولما كان من شروط برنامج المساعدة الأمريكى أن تقدم دول أوروبا الغربية برنامجا موحدا حتى تتلقى المساعدة، فقد عملت على التنسيق فيما بينها للاستفادة من هذا العون، ثم طورت هذا التنسيق، والمؤسسات التى أنشئت لإدارة أموال المساعدة الأمريكية، واستفادت منهما فى بدء أولى مراحل الوحدة الأوروبية والمتمثلة فى السوق الأوروبية المشتركة التى أصبحت تعرف دولها بالاتحاد الأوربى. والذى بدأ بعضوية ست دول ثم وصل إلى ٢٨ دولة.

تأتى أهمية إلقاء الضوء على هذا الموضوع باعتباره نموذجا لدول تمكنت من الاستفادة من العون الخارجى، ووضعت برامج محددة المدة لإعادة بناء اقتصادها، والتكامل فيما بينها بشكل أدى لأن تصبح تجمعا اقتصاديا سعى للتنسيق فيما بين دوله فى المجالات الأخرى.

(*) مجلة المؤرخ المصرى، عدد يناير ٢٠١٦.

تعريف مشروع مارشال وأهدافه:

بفشل مؤتمر موسكو لوزراء خارجية الدول المنتصرة فـــى الحـــرب العالمية الثانية مارس / أبريل لعام ١٩٤٧ فى بحث مســتقبل ألمانيـــا، وأن تجاهل المناقشات العلنية لحاجة أوروبا لإعادة البناء، هذا فى الوقت الذى لم تكن فيه هناك سياسة رسمية واضحة لدول غرب أوروبـــا، رأت الولايـــات المتحدة أن الحل لا يحتمل تأخيرا، وتقرر إزالة كل الشكوك بخطـــاب مهـــم لوزير الخارجية الأمريكى جورج مارشال (George Marchell) ألقاه فى الخامس من يونيو ١٩٤٧ لخريجى جامعة هارفرد، وفيه قدم عرضًا أمريكيـــا لإنعاش اقتصاد أوروبا، وإعادة بنائها، حيث حدد الخطاب مشاكل الاقتصـــاد الأوروبى، وعرض تقديم مساعدات أمريكية لإنعاشه، ودعـــا دول أوروبـــا للاجتماع لوضع خطة تمولها الولايات المتحدة لإعادة بنائها. وفى نفس اليوم دعا الرئيس الأمريكى ترومان (Truman) إلى مؤتمر صحفى بعد أن تصدر خطاب مارشال عناوين الصحف للتواصل مع الإعلام الأوروبى وبخاصـــة الإعلام البريطانى، وتم قراءة الخطاب على قناة BBC[١].

وقبل الحديث عن أهداف مشروع مارشال بالتفصـــيل ينبغـــى إلقـــاء الضوء على سياسة المساعدات الأمريكية الخارجية، والتى ترتكـــز بشـــكل رئيسى على أولويات الأمن الأمريكى ومصالح أمريكـــا القوميـــة والدوليـــة وخصوصا فى المناطق ذات الأهمية الحيوية[٢]. فعقب الحرب العالمية الثانية كانت معظم دول أوروبا قد دمرت -إلى حد كبير - البنية الأساسية لغالبيـــة مدنها التى تعرضت للدمار، وتأثرت وسائل النقل سواء البرى أو البحـــرى، واستنفذ معظم مخزونها من المواد الغذائية، وإن كانت هناك بعـــض القـــرى والمدن الصغيرة التى لم يصبها الدمار بشكل كبير، إلا أنها أصبحت معزولة

نتيجة تدمير الطرق ووسائل النقل، هذا علاوة على البرد القارس الذى اجتاح دول شمال غرب أوروبا فى شتاء ١٩٤٦-١٩٤٧[٣].

وبهذا أصبحت أمريكا - من خلال عرضها - الدولة الوحيدة فى العالم القادرة على إعادة بناء أوروبا، باعتبارها الدولة التى لم تتضرر البنية التحتية لها فى الحرب العالمية الثانية، حيث إنها دخلت الحرب متأخرة عن باقى الدول الأوروبية، ولم تحدث معارك على أراضيها، وظل احتياطيها من الذهب محفوظاً، وتمتعت باقتصاد قوى، كما شهدت أمريكا فى سنوات الحرب أسرع نمو اقتصادى فى تاريخ الأمم بعد أن أصبحت مصانعها تدعم جهودها وجهود الخلفاء فى الحرب [٤].

وكنتيجة لندرة الذهب والدولارات لدى دول غرب أوروبا عقب الحرب، ومع عودة المصانع الأمريكية لإنتاج سلع استهلاكية وفق خطط طويلة الأمد للازدهار الاقتصادى، وما تطلبه ذلك من وجود أسواق لتصريف هذه السلع على نطاق واسع لدى دول أوروبا[٥]، فقد أشار رئيس مجلس الاستشاريين الاقتصاديين الأمريكي إلى أن هناك تراجعا متوقعا فى العمال خلال عام ١٩٤٧، وأن الانخفاض الأساسى الذى سيصيب صادرات أمريكا سيؤثر بشكل محزن على الإنتاج والأسعار والتوظيف وأنشطة الأعمال[٦].

علاوة على ذلك هناك سلع حيوية كالقمح بها نقص، وإن استمرار هذا الوضع الحرج سيلقى بظلاله على كاهل أمريكا؛ لأنها صاحبة الاقتصاد الأقوى فى العالم، وإن الجهود القصوى لأمريكا ستساعد فى خفض عجز القمح باعتباره أهم سلعة حيوية من ٩ ملايين طن إلى ما يتراوح ما بين ٥ – ٦ ملايين طن. وإن إضافة ما يتراوح ما بين ٤ -٥ ملايين طن سيزيد - بشكل كبير - من فرص نجاح برنامج المساعدات للدول الأجنبية[٧].

لذلك يجب تحديد الطلبات الخاصة بالاقتصاد الأوروبي والأمريكين على قناعة بإن هذه الطلبات يمكن مواجهتها من خلال أعمال فردية وجماعية بشرط أن تبذل الحكومات والشعوب قصارى جهدها للتغلب على الصعوبات التى خلفتها الحرب، وإن أى صعوبات خطيرة تظهر من خلال العلاقات الاقتصادية الخارجية يمكن التغلب عليها بالتعاون مع الدول الأخرى. وأوضحت الحكومة الأمريكية أن أهداف سياستها الأوروبية هى زيادة إجمالى الإنتاج فى أوروبا الغربية بنسبة ٢٥% خلال خمس سنوات بشكل يساعد على تحسين مستوى المعيشة، وتحقيق التقدم فى هذه الفترة فى وقت كانت فيه أمريكا تهتم بتوفير متطلبات الدفاع والإجراءات الحكومية بموجب اتفاقية التعاون الاقتصادى الأوروبى التى تحتاج إلى العمل المشترك كضرورة لتحقيق هذه الأهداف(٨).

ويذهب المؤرخون إلى إن إعادة بناء ألمانيا فى ظل الحماية الأمريكية كانت جوهر مشروع مارشال. وإن استمرار الوجود العسكرى الأمريكى فى أوروبا يمثل إنعاشا ذاتيا، وتعاونا اقتصاديا. وأن مشروع مارشال يفرض وجود مجموعة من المؤسسات للتعاون الاقتصادى مع أوروبا، وتحرير التجارة فى أوروبا(٩).

كذلك كان مشروع مارشال -إلى حد كبير- حربا من أجل العقول للانتصار على الشيوعية الدولية باعتبارها الأيديولوجية المعادية للنظام الرأسمالى بعد الحرب العالمية الثانية، وهى أيديولوجية قائمة على افتراض أن نخبة الحزب الشيوعى تعرف خير الشعوب أكثر من الشعوب نفسها، لهذا كان الأمريكيون يحاربون من أجل عقول الأوروبيين الذين ظنوا أن الشيوعية هى الحل لمشاكل الفقر والبطالة(١٠).

ولما كان انتشار الشيوعية فى الغرب يعتمد على انتشار البؤس بشكل يثبت فشل الرأسمالية، وإقناع الجميع بأن أمريكا تنوى فرض سـيطرتها[١١]، فقد تعددت آراء المسئولين فى وزارة الخارجية الأمريكيـة حـول تطبيـق مشروع المساعدات، فيرى البعض أنه يجب على أمريكا أن تتبـع سياسـة الثواب والعقاب فى منح المساعدات؛ وذلك من خلال تقديم مسـاعدة أكثـر للدول التى يزيد إنتاجها، ويجرى بها تحسن حقيقى، وتشـارك بقـوة فـى الجماعة الأوروبية المنظمة، وإعطاء عون أقل للـدول التـى تسـير علـى سياستها القديمة، وتحافظ على إنتاج منخفض، وترتفع بها الأسعار. وحتـى تتجنب أمريكا الاتهامات بتدخلها فى الشئون الداخلية للدول كان ينبغى عليها أن تعمل على رفع المستوى الحقيقى للمعيشة فى أوروبا، وطمأنة بريطانيـا بأن أمريكا لا تضع فى اعتبارها المنافسة معها على الأسـواق الأوروبيـة، ونتيجة لهذا يرى البعض أنه على أمريكا أن تستخدم قوتها بنشـاط وعـزم وحكمة وذكاء وإنسانية، بذل مجهود أكثر لتنظيم أوروبا أو تـرك السـاحة للاتحاد السوفيتى للاستيلاء على هذه الدول لذا يجب [١٢].

وقد أظهر اثنان من الباحثين البريطانيين فى بداية الحرب البـاردة أن العداء المتزايد تجاه الاتحاد السوفيتى، يحتاج لعلاقات تعاون مـع الولايـات المتحدة، لا سيما أن قرار أمريكا بإصدار قانون الإنعاش الأوروبى، اعتبـره الاتحاد السوفيتى تهديدًا لأمنه لدرجـة أن سـتالين (Stalin) حـاول منـع الولايات المتحدة من إغراء دول الكتلة الشرقية وأبعادها عن مجـال تـأثير الاتحاد السوفيتى، التخلى عن الدعوة للتعاون الوثيق وشـدد قبضـته علـى أوروبا الشرقية، وفرض حصارا على دولها والإيعاز إليهـا بـأن مشـروع مارشال سيكون له تأثير مأساوى على أوروبا؛ لأنه سيجعل عشرات الملايين

من البشر يعيشون تحت حكم استبدادى(١٣).

ولما كانت وزارة الخارجية الأمريكية ترى أن الوحدة الأوروبية على النسق الرأسمالى هى الطريق لدعم الاستقلال الاقتصادى، فقد التقى ممثلون من ست عشرة دولة أوروبية فى باريس فى الثانى عشر من شهر يوليو عام ١٩٤٧ لحضور أول اجتماع للجنة التى شكلت للتعاون الاقتصادى الأوروبى، بينما اهتم الاتحاد السوفيتى بصيانة أوروبا الشرقية بقوة، وجعلها منطقة محمية، حتى أنه رفض السماح لتشيكوسلوفاكيا، وبولندا أو أية دولة أخرى بحضور المؤتمر(١٤). خصوصا بعد أن علم بأن التمويل سيمتد إلى أية دولة تظهر الرغبة فى التعاون الاقتصادى، وأن ألمانيا أيضا سيمتد إليها العون بشكل يؤثر على قدرة السوفيت على ممارسة سيطرتهم على ألمانيا الشرقية(١٥).

وبينما أعطت الحرب الباردة أهمية ملحة للبرنامج، وحشدت العقول والأفكار فى كل مكان لخدمته، فإن منظمة الكومينفورم وقفت ضد مشروع مارشال، وهى منظمة دولية أسسها الكرملين فى شهر أكتوبر من عام ١٩٤٧ بهدف واضح وصريح ألا وهو مقاومة مشروع مارشال عن طريق تنسيق الجهود السياسية للأحزاب الشيوعية، وتوجيه الجهود الدعائية إلى الدول الأوروبية، هذا فى الوقت الذى كانت تقود فيه القوات الشيوعية تمرداً مسلحاً فى اليونان، وبدت الأحزاب الشيوعية قادرة على الاستيلاء على السلطة فى إيطاليا، وإشاعة الفوضى فى فرنسا، ومعرفة ما تريد تحقيقه فى ألمانيا(١٦).

وأمام ما كان يقوم به الاتحاد السوفيتى فى أوروبا وتطور الأحداث غير المتوقعة والمثيرة للمخاوف فى آسيا بسرعة فى عام ١٩٥٠، وغزو كوريا الشمالية لكوريا الجنوبية فى شهر يونيو، ساد اتجاه لإعادة تسليح

أوروبا الغربية بشكل عام باسم "الأمن المشترك"، لــذا أجــرى الكــونجرس تعديلات فى عامي ١٩٥١، ١٩٥٢ على قانون برنامج الانعاش الأوروبــى، لزيادة الإنتاج العسكرى للدفاع القومى ضد التهديد السوفيتى فى الوقت الذى كانت تزداد فيه السلع الاستهلاكية، لإعادة بناء القوات المسلحة التى تراجعت كثيرا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية[١٧].

واستخدمت كل دولة بطريقتها الخاصة الزخم الــذى وفــره مشــروع مارشال، حيث حصل الدنماركيون على مواد خام وإمدادات للطاقة. وقدرت شعوب أخرى كسكان مناطق الاحتلال الألمانية - أكثر من أى شئ – المواد الغذائية التى وفرها برنامج الإنعاش الأوربى، وفى إيطاليا واليونان استخدمت المساعدة فى إعادة بناء السكك الحديدية والطرق وإمدادات الطاقة الكهربائية، وجاءت الاستثمارات الصناعية فى المقام الأول فــى فرنســا. واســتخدمت بريطانيا حصتها تقريباً لتسديد ديون الحرب، وتعويم الجنيه الإســترلينى[*]. وتعتقد النمسا والسويد، كل بطريقتها الخاصة، بأن ارتباطها الناجح بــالغرب يعود إلى مشروع مارشال[١٨].

وعلى الرغم من استمرار الأحزاب الشيوعية فى النمو فى كــل مــن إيطاليا وفرنسا، فقد بقيت هاتان الدولتان متجهتين نحو الغرب مع اســتمرار الحرب الباردة. ولعل ألمانيا استفادت أكثــر مــن الجميــع، لأن الانــدماج الأوروبى الذى تم تصوره وتبنيه فى برنــامج الانعــاش الأوروبــى أتــاح لجمهورية ألمانيا الاتحادية النمو، وتبديد شكوك جيرانها. وهذا مــا جعــل مشروع مارشال يعتبر التطور السياسى الأبرز فى فترة مــا بعــد الحــرب العالمية الثانية [١٩].

أوروبا والاستفادة من المشروع:

بعد سماع وزير الخارجية البريطانى (بيفن) (Bevein) خطاب وزير الخارجية الأمريكى مارشال اتصل على الفور بوزير الخارجية الفرنسى (جورج بيدالت) (Georges Bidailt) لتجهيز رد فعل أوروبى سريع، وقبول العرض الأمريكى(٢٠). وفحصت الحكومتان الإنجليزية والفرنسية باهتمام التصريح الذى ألقاه مارشال فى جامعة هارفرد، ورحبتا -برضا كبير - وزير الخارجية الأمريكى، وبإعداد برنامج اقتصادى من الأوروبيين أنفسهم(٢١). وأن الولايات المتحدة مستعدة لتقديم استطاعتها لتنفيذ هذا البرنامج، واعتبر وزيرا خارجية إنجلترا وفرنسا أن هذا العون ضرورى، مثمر لدفع الدول الأوروبية لبذل أقصى جهد لتنمية مصادرها حتى تعود لإنتاجها قبل الحرب، هذا إلى جانب حاجتها للمعدات الصناعية التى لا غنى عنها، والمتاحة على نطاق واسع فى القارة الأمريكية، والتى يجب أن يقوموا باستيرادها. أن الأحوال الاقتصادية فى أوروبا تتطلب ضرورة الإسراع بعمل برنامج شامل، تعده كافة الدول الأوروبية التى ترغب فـي المشاركة فيه، وبالتنسيق المناسب مع الأمم المتحدة(٢٢).

علاوة على ذلك ذهب الفريق الذى كان يعمل على تخطيط سياسات المساعدات الأمريكية إلى ضرورة أن يكون برنامج العون المقترح مناسبًا وعمليا ومصمما لجعل أوروبا الغربية تقف اقتصاديًا على أقدامها، وتتعهد الحكومة الأمريكية بإعلانه رسمياً على مسئوليتها الخاصة. أما دول أوروبا فيجب أن تتحمل مسئوليتها تجاه البرنامج، وعليها أن تعد برنامجًا موحدًا وموافقًا عليه من عدة دول أوربية لأسباب سياسية واقتصادية ونفسية. ولكى يصبح البرنامج دوليًا فينبغى أن يأتى طلب المساعدات موحداً من مجموعة

من الدول الصديقة، وليس من دول منفردة[٢٣].

وجاءت استجابة دول أوروبا سريعة؛ وذلكبعقد مؤتمر في باريس لإعادة بناء أوروبا فى الثانى عشر من يوليو من عام ١٩٤٧[٢٤] حيث اجتمعت ست عشرة دولة لتحديد شكل المساعدة التى ستقدم من أمريكا، وكيفية توزيعها، مع رغبة كل دولة فى تحقيق مصالحها، لذا طالت المفاوضات وشابتها بعض التعقيدات، لكنها فى النهاية مرت بسلام[٢٥].

وفى ضوء ما سبق تمت مشاورات فى أوائل عام ١٩٤٨ بين كل من إنجلترا وفرنسا وإيطاليا بشأن اقتراح تقديم تقرير دورى من كل دولة لتوضيح موقفها عندئذ، كما جاء فى مؤتمر باريس، ومناقشة تشكيل منظمة أوروبية تعمل على التنسيق فيما بين الدول الأوروبية لمواجهة مشاكل الإنعاش الأوروبى، ويقدم التقرير إلى باريس لتخصيص المساعدات الأمريكية لكل دولة بناء على دراسة ظروفها[٢٦].

وفيما يتعلق بانضمام ألمانيا -المناطق المحتلة من قبل أمريكا وبريطانيا وفرنسا- لمشروع مارشال – فقد أيدت إيطاليا انضمام ألمانيا للنظام الأوروبى، بينما كانت سويسرا والأراضى المنخفضة والسويد تشايع هذا البرنامج[٢٧].

وفى هذا السياق وقع الحلفاء على خطة مشروع التصنيع فى التاسع والعشرين من مارس من عام ١٩٤٦، والتى بموجبها تقرر تقليل الصناعة الألمانية الثقيلة إلى النصف عن مستوى عام ١٩٣٨ من خلال تدمير ١٥٠٠ مصنع فى يناير ١٩٤٧. وبسيطرة الحلفاء على مجلس مستقبل ألمانيا الاقتصادى تم وضع حدود لإنتاج الصلب الألمانى، وأصبحت أقصى نسبة إنتاج يسمح بها ٥,٨ مليون طن سنويا، وهى كمية تساوى ٢٥% من الإنتاج

قبيل الحرب، وأصبح يتمركز معظم إنتاج الصلب في منطقة الاحتلال البريطاني ، كما حدد مستوى إنتاج السيارات بـ ١٠% من مستوى ما قبل الحرب[٢٨].

وعلى الرغم من ذلك سعى الحلفاء لإنعاش اقتصاد ألمانيا الغربية[*] من خلال توجيه جزء من مساعدات مشروع مارشال الاقتصادية لإصلاح العملة في عام ١٩٤٨؛ وذلك بإصدار مارك ألماني جديد حل محل المارك الألماني القديم (الذى كان قائما في الفترة من ١٩٣٥-١٩٤٨)، ووقف انتشار التضخم، مما أدى إلى تقوية اقتصاد ألمانيا ن رغم هذا أقدم الحلفاء على تفكيك صناعتي الفحم والصلب الألمانيتين، حيث انتهوا من ذلك نهائيا في عام ١٩٥١، ورغم ذلك تأكد الألمان أن ألمانيا هى المستفيد الأول من مشروع مارشال الذى يعد مسئولا عن إنعاش الاقتصاد الألماني في عام ١٩٥٠[٢٩].

ومع أهمية مشروع مارشال بالنسبة للانعاش الأوروبى، فقد أصبح واضحا بنهاية عام ١٩٤٩ أن رؤي الدول الشريكة في البرنامج اختلفت - بشكل كبير - في نواح رئيسية معينة عن رؤى المخططين الأمريكان، ورغم حاجة حكومات أوروبا الغربية الماسة لأموال برنامج الإنعاش الأوروبى، إلا أنها سعت إلى تجنب الاعتماد الدائم على أمريكا، والعمل على الحصول على المساعدات الأمريكية بشروط تحقق بصورة أكبر أهدافها السياسية[٣٠].

وقد بذل البريطانيون جهودًا استثنائية لمقاومة إصرار مشروع مارشال على التكامل الاقتصادى العاجل مع بقية أوروبا، كذلك قاوم الهولنديون الضغط لتفكيك إمبراطوريتهم باسم التجارة الحرة، ورفض النمساويون صرامة إصلاح سككهم الحديدية ونظامهم المصرفى كما رغب الأمريكيون. كما رفض الشعب اليوناني عملة الجديدة لبرنامج الإنعاش الأوروبى؛ لأنهم

كانوا يعتقدون بأن الجنيهات الذهبية هى الشكل الموثوق الوحيد لتبادل العملة. وأبلغ رئيس الصناع الإيطاليين رئيس البعثة الأمريكية فى روما بأنه مهما أصبحت المنسوجات الصناعية رخيصة، فإن النساء الإيطاليات سيفضلن دوما الملابس المصنوعة فى المنزل من مواد طبيعية، وقال إن الأغذية المعلبة قد تباع بأسعار رخيصة جدا، ولكن التقاليد الإيطالية للطبخ ستكون دائما هى المفضلة، كما ستظل الشركات الصغيرة والمهارات الحرفية التقليدية أساسية بالنسبة لمستقبل إيطاليا، تماما كما كانت فى الماضى[٣١].

المساعدات الأمريكية لأوروبا قبل بلورة المشروع فى شكل قانون:

نظرًا للظروف التى كانت تمر بها دول أوروبا الغربية والمتمثلة فى العجز فى ميزان مدفوعاتها، وعدم توافر دولارات أو ذهب لديها لسد هذا العجز، فى الوقت الذى كانت فيه هناك ضرورة لشراء سلع ضرورية من أمريكا، فقد جرت مناقشات بين المسئولين الأمريكيين حول ضرورة تقديم مساعدات أمريكية لهذه الدول قبل أن تتم الموافقة على مشروع مارشال، ويصبح قانوناً فى أبريل من عام ١٩٤٨. حيث أدركوا أن عديد من الدول الأوروبية تعانى من هذا العجز وعلى رأسها بريطانيا التى بلغ العجز لديها ٢,٢٥ بليون دولار، وفرنسا التى بلغ العجز لديها ١,٧٥ بليون، كما بلغ العجز فى إيطاليا بليونًا، وأيضا فى منطقة الاحتلال الإنجليزى الأمريكى بألمانيا بلغ العجز بها نصف بليون، ليصل بذلك إجمالى العجز إلى ٥ بلايين دولار فى الدول الكبرى فقط، هذا بخلاف الدول الصغرى[٣٢].

وقد شهدت الفترة منذ النصف الثانى من عام ١٩٤٧ إلى الربع الأول من عام ١٩٤٨ ترديا للموقف الأوروبى بدرجة ملحوظة، ويرى مخططو السياسة الأمريكية أنه لا يوجد ضمان لمواجهة أمريكا طلبات للمساعدات

العاجلة لبعض هذه الدول بما يوفر لها الأمان السياسى والاقتصادى [٣٣].

لذا فإن الموقف التشريعى المطلوب لنجاح برنامج صادرات الأغذية، والفحم، والصلب، والمعدات الرأسمالية لا يمكن إنجازه بدون اتخاذ إجراءات تنتهى فى ٣٠ يونيو ١٩٤٧، منها: أولا: ضمان توزيع متوازن للإمدادات بين الاقتصادين المحلى والخارجى، وهذا يتطلب وجود سياسة توزيعية تأخذ فى الاعتبار قائمة محددة من السلع التى يوافق عليها وزيرا الخارجية والتجارة بكل دولة، وهو أمر ضرورى للسياسة الاقتصادية الخارجية الأمريكية، كذلك لابد من وجود سلطة لتحديد الأولويات لتوجيه الشركات المنتجة لثبات مجموعة محددة من العناصر. وثانيا: استمرار الرقابة على الصادرات المطلوبة كوسيلة للامدادات المصدرة للدول النامية، وقد أوصى الرئيس بهذه التشريعات للكونجرس. ثالثا: إعطاء السلطة الحق فى تحديد الأولويات فى النقل، وهذه السلطة مطلوبة لضمان الاستخدام الأمثل لتسهيلات النقل وبخاصة تعريفات السيارات، والتى بدونها سيصبح من العسير تحريك السلع المصدرة مثل الفحم والحبوب بالنسب المطلوبة [٣٤].

ولضمان نجاح برنامج تصدير كميات ضخمة من السلع الأمريكية مثل الفحم والحبوب يجب إجراء تكليفات تجارية بحرية ضمان الاستخدام الأمثل للملاحة، وذلك من خلال تشغيل البواخر الحكومية لتغطية المصاريف بما فيها مصاريف سحب السفن الاحتياطية من الأسطول، وإذا فشل الحصول على هذه التشريعات، فإنه سينتج عن ذلك كارثة كبيرة فى توفير الإمدادات الأمريكية، وعدم قدرة الملاحة على تحقيق أهداف الصادرات الأساسية [٣٥].

وتعد أوروبا أكثر مناطق العالم عجزا فى إنتاج الفحم، وتبلغ الفجوة بين المتاح والمطلوب منه فى عام ١٩٤٧ حوالى ٣٦ مليون طن مترى. ومن

أكبر الدول المستوردة للفحم فرنسا، وإيطاليا، وبلجيكا، والدنمارك، وهولندا، والسويد، والنرويج، وهى ذات أهمية بالنسبة لأمريكا؛ لأنها تحصل على ٤٠% من إجمالى وارداتها فى عام ١٩٤٧ من الدول الأوروبية الأخرى، والباقى من الولايات المتحدة، ولحدوث إنعاش لأوروبا يجب أن تستمر صادرات الفحم الأمريكى إليها فى أعلى درجاتها خلال عام ١٩٤٧، ولفترة معقولة فيما بعد طبقاً لظروف صادرات أمريكا؛ لأن ورادات أوروبا من الفحم تؤدى إلى استنزاف مواردها من الدولار. وتمثل تعريفة النقل البحرى أكثر من نصف قيمة تكلفة كل طن من الفحم الأمريكى يصل إلى الموانئ الأوروبية، ولذلك يجب أن تكون لبرنامج التنسيق لزيادة إنتاج الفحم الأوروبى أولوية كبيرة، مع استمرار إجراءات تكريس مبادئ سياسة الحصص الدولية بتنسيق احتياجات التوزيع اعتمادًا على إمدادات الفحم المتاحة[٣٦].

أما فيما يتعلق بالصلب، فلا توجد بيانات مناسبة لإعطاء صورة دقيقة عن وضع الصلب العالمى لعدة سنوات ، وإن عديدًا من الدول -بما فيها بعض الدول الأوروبية - وتتطلب واردات حقيقية تعتمد بصفة أساسية على ألمانيا، وسوف يعوق النقص فى الصلب الأوروبى برنامج إعادة الأعمار بها، والذى يعتمد جزئيا على الفحم، ولا تستطيع المصانع الأمريكية تغطية الطلب المحلى الكبير منه، والمشاركة الفعالة فى الصادرات المطلوبة، ولكن أمريكا اللاتينية ودول منتجة أخرى لديها فرص بعيدة المدى أفضل للسوق الأوروبية[٣٧].

وهناك سلع ضرورية أخرى كالأسمدة النيتروجينية، والتى واجه العالم نقصاً فيها، ففى عام ١٩٤٨ وصل الطلب الأمريكى عليها إلى مستوى غير

مسبوق، كما ازداد الطلب عليها فى العالم وتحديدا فى أوروبا والشرق الأقصى، ونتيجة إنهاك التربة فى وقت الحرب، ونقص السماد العضوى، ولهذا أصبح ضروريا وجود نوع من أنواع السيطرة والضبط على الأسمدة(٣٨).

هيكلة المشروع على شكل قانون:

مر مشروع مارشال بعدة خطوات أو مراحل إلى أن ظهر على شكل قانون، حيث بدأ باقتراح قدم من قبل الدول الأوروبية بطلب ٢٢ بليون دولار كعون من أمريكا لإعادة إعمارها، مرورا بمشروع قانون تقدم به الرئيس الأمريكى ترومان فى ديسمبر من عام ١٩٤٧ إلى الكونجرس يتضمن مساعدات لدول غرب أوروبا تصل إلى ١٧ بليون دولار، وقد قوبل هذا المقترح بمعارضه فى الكونجرس خصوصا من أعضاء الحزب الجمهورى الذين دائما ما تبنوا سياسة العزلة خوفا من الإسراف الحكومى الكبير، وكذلك من اليساريين الذين رأوا أن المشروع بمثابة علاوة أو إعانة مالية للمصدرين الأمريكيين ولاستقطاب أطراف العالم الشرقى والغربى(٣٩).

وقد قام مارشال بجولات متعددة فى البلاد لكسب التأييد لهذا المشروع، وجذب الجمعيات النسائية لدورها الفعال فى إقناع الكونجرس بتقديم معونات لدعم دول غرب أوروبا (٤٠). ثم تراجعت المعارضة للمشروع -بشكل كبير- نتيجة لسقوط الحكومة الديمقراطية فى تشيكوسلوفيكيا فى فبراير من عام ١٩٤٨ وتحولها لدولة شيوعية، وهذا مما ساعد فى مرور مشروع القانون فى الكونجرس فى مارس من نفس العام بتأييد من الحزبين، وتوفير الأموال الخاصة بهذه المساعدات(٤١).

وحتى إصدار القانون، وإتمام الآليات المتعلقة بترتيبات المخصصات

المالية(*) طبقا لبرنامج العون، فقد اقترحت الحكومة الأمريكية بدء المناقشات على أساس اعتمادات برنامج الانعاش الأوروبى المتاحة للالتزام بهـا منـذ الأول من أبريل وحتى ٣٠ يونيو ١٩٤٨، بنسب مبدئية على النحـو التـالى بملايين الدولارات، إنجلترا ٣٧٥، فرنسا ٣٧٥، ايطاليا ١٧٠، هولنـدا ٩٠، مناطق الاحتلال البريطانى فى ألمانيا ٧٥، النمسا ٦٥، اليونان ٥٥، بلجيكـا ولكسمبورج ٢٠، الدنمارك ١٥، النرويج ١٥ ، مناطق الاحتلال الفرنسى فى ألمانيا ١٥، أيرلندا ١٠، السويد ١٠، تركيا ١٠، أيسلندا(٤٢).

ثم صدر قانون العون الاقتصادى لعام ١٩٤٨، والذى عرف بقـانون العون الخارجى فى ٣ أبريل ١٩٤٨، ليحدد شروط المساعدات، وضـمانات جماعية للدول المشاركة لبذل أقصى جهدها لتحقيق برنامج الانعاش المشترك الذى قام على مساعدة الدول لبعضها، والتعاون المشترك كوحـدة واحـدة، بالإضافة إلى أن القانون فرض على كل دولة عقد معاهدة ثنائية مع أمريكـا تقبل بها تلقى المساعدة، فقد اشترط أن تعمل إدارة العون الاقتصادى ECA - التى سيأتى الحديث عنها تفصيلا فيما بعد - فى غضون ثلاثة شهور.

كذلك أنه تقرر ضم تركيا لبرنامج الإنعاش الأوروبى، وتم تخصـيص مبلغ ١٠ ملايين دولار لها سنويا، ورغم أن هذا المبلغ كان غيـر مـرضٍ للمسئولين الأتراك الذين أبلغوا السفير الأمريكى بأنقرة بأن ذلـك سـيعرقل موافقة البرلمان التركى عليه، ولكنه حاول إقناعهم بأن هذه التقديرات مبدئية، وقد تتم زيادتها فيما بعد، علاوة على أن تركيـا يمكنهـا الحصـول علـى مساعدات أخرى من البنك الدولى(٤٣).

كيفية إدارة البرنامج وآليات توظيف أموال المعونات :

عقب إصدار قانون العون الخارجى أسس الرئيس ترومان إدارة العون

الاقتصادى لتتولى تنفيذ برنامج الانعاش الأوروبى طبقا للقانون، وبدأت عملها فى يوليو من عام ١٩٤٨، وكانت مهمتها الأساسية تدعيم الاقتصاد الأوروبى، وتعزيز الإنتاج الأوروبى لتوفير الدعم للعملة الأوروبية، وتيسير التجارة الدولية خصوصا مع أمريكا، والتى تتطلب أوروبا غنية للاستيراد من أمريكا[٤٤]، وترأس هذه الإدارة بول جى هوفمان (Paul G. Hoffman)[*]، ومثلها رجل أعمال أمريكى بكل عاصمة أوروبية لتقديم الدعم والنصيحة لها للتقدم فى العمل[٤٥].

وما ميز برنامج الانعاش الأوروبى عن أى برنامج مساعدات آخر هو تأسيس صندوق حساب فى كل بنك وطنى خاص يشتمل على الإيرادات من المبيعات المحلية للسلع التى يوفرها برنامج الانعاش الأوروبى، لأن معظم المساعدة، لم تكن كما تصور الأوروبيون، مجانا أو فى شكل سيولة نقدية. بل جاءت فى العادة كبضائع أمريكية، وبيعت فى مزادات، ثم وضعت قيمتها بالصندوق، للإنفاق على جهود إعادة الإعمار القومى والتحديث كما اتُفق عليه بين بعثة إدارة التعاون الاقتصادى والحكومات فى الدول المشاركة[٤٦]، كما تقرر أن تدفع الدول هذه التحويلات لبرنامج الإنعاش الأوروبى، بعملتها المحلية وليس بالدولار[٤٧].

وفي إطار خروج المشروع للتطبيق العملى أرسل وزير الخارجية الأمريكى لبعض المكاتب الدبلوماسية فى أوروبا الملامح الأساسية لخطة العمل، والتى تتمثل فى إنه فى ضوء رغبة كل دولة فى الحصول على المساعدات يجب التصديق على الاتفاقية من برلمانها، وبذل كافة الجهود لوضع اتفاقية ثنائية قبل ١٠ من يونيو إذا كان ذلك ممكنا – طبقا للمادة ١١٥ بقانون الاتفاقيات الثنائية، وذلك لكل الدول المشتركة – وما لم يتم تفعيل هذه

الاتفاقية فى ٣ يوليو ١٩٤٨ لا يرخص بمد المساعدة بعد ذلك التاريخ[٤٨].

ومع هذا أبدت بعض الدول تحفظها على عقد اتفاقيات ثنائية ما لم تتبين شروطها، ومنها السويد التى كانت تتمسك بتقاليد الحياد، وترغب فى التأكيد على أن برنامج الانعاش لن يصبح سياسيا قبل أن يدخلوا بحماس فى الاتفاقية[٤٩].

وقد أوصى مجلس الاستشاريين القومى للقضايا المالية والنقدية الدولية بشروط الدفع، حتى تتفق مع شروط بنك التصدير والاستيراد الأمريكى طبقا لقانون عام ١٩٤٥ فيما يتعلق بسبل وأهداف القروض التى سيوافق عليها حال عرضها عليه من قبل إدارة العون الاقتصادى، والتى أقر بأنها شروط دفع متساوية بين كل الدول المشتركة فى برنامج العون الاقتصادى، وتطابق استحقاق سداد الأقساط لأطول مدى حتى لا تمثل عبئا، وتكون مبادئ الدفع بصفة عامة، وليس فقط خلال فترة قانون إدارة العون الاقتصادى لعام ١٩٤٨، ويجب ألا يزيد معدل الفائدة السنوى عن ٣,٥%، ولا يجب أن تعوق الشروط المختلفة القرض الفردى طالما أن مجموع الأعباء السنوية المقترضة لا تكون مختلفة -بشكل أساسى- مع الشروط العامة. وأيضا حين تكون الدول المقترضة قادرة على الدفع فى مدة قصيرة لكل المساعدات التى تحصل عليها، كما يجب الأخذ فى الاعتبار السؤال الذى يتضمن عقود القروض، والموافقة على تأجيل مواعيد الدفع، أو التعديل فى تكلفة الخدمات فى عام السداد، وصرامة ميزان المدفوعات[٥٠].

ويمكن أخذ ألمانيا كمثال نظرًا لأهميتها، ولأنها تمثل مشكلة معقدة لبرامج الإنعاش؛ لأن مشتريات الدول المشتركة فى برنامج الفحم الألمانى ستساهم فى حدوث توازن فى مشتريات ألمانيا من صادرات تلك الدول من

السلع الغذائية وخصوصا الدنمارك والنرويج وهولندا وبمقدار أقل إيطاليا، التى فضلت السلطات الأمريكية فى ألمانيا الموافقة على استخدام أموال المساعدات لشراء المواد الغذائية عالية التكلفة من هذه الدول، وترك تحديد طريقة لدفع لهذه الدول من واردات الفحم الألمانى الذى رخص به للقوات العسكرية الأمريكية فى ألمانيا، والذى يتطلب استيراده توفير الدولارات، وإذا غطت الدولارات التمويل المخصص لشراء هذه الدول للفحم الألمانى فإن ألمانيا ستستقبل إيرادات إضافية من الدولارات زيادة عن المخصص لها من إدارة العون الاقتصادى[٥١]. ومع هذا فإن ٦٠ % من الاعتماد المالى طبقا لقواعد إدارة العون الاقتصادى يجب استثمارها فى الصناعة، مع مراعاة تجنب الصناعات الثقيلة قدر المستطاع، وهذا الاعتماد لعب دورًا أساسياً فى إعادة تصنيع ألمانيا خلال الفترة ١٩٤٩-١٩٥٠، حتى أن ٤٠% من الاستثمارات فى ألمانيا كانت وجهته لصناعة الفحم[٥٢].

ولما كانت أوروبا قد استنفذت معظم احتياطياتها الدولارية فى فترة الحرب، فقد كان عون مشروع مارشال يمثل الوسيلة الفريدة لاستيراد السلع من الخارج فى بداية المشروع، والتى تركزت فى المواد الغذائية والطاقة، ولكن بعد ذلك تحولت المشتريات لاحتياجات إعادة البناء التى كانت تحتاج إليها بصفة رئيسية. وفى السنوات الأخيرة تحت ضغط الكونجرس الأمريكى، ومع اندلاع الحرب الكورية زادت كميات المساعدات، لإعادة البناء العسكرى لأوروبا الغربية من إجمالى ١٣ بليون دولار، حيث أشارت بعض المصادر إلى أنه منذ منتصف عام ١٩٥١ ذهبت ٣,٤ بليون دولار للواردات من المواد الخام والمنتجات شبه المصنعة، وحوالى ٣,٢٢ بليون للمواد الغذائية والأسمدة، وحوالى ١,٩ بليون للآلات، وهياكل السيارات، والمعدات، ثم ١,٦

بليون لمواد الطاقة[٥٣].

وقد قسمت مساعدات مشروع مارشال بين الدول المشاركة على أساس ظروف كل دولة حيث أعطى قدر كبير من المساعدات للدول صاحبة القدرة الصناعية الكبيرة بهدف إنعاش أو بعث أوروبا. كما قدم مزيد من المساعدات لدول التحالف أقل من تلك المعطاة لدول المحور أو الدول المحايدة . ويبين الجدول التالى مساعدات مشروع مارشال لبعض الدول فى بعض السنوات[٥٤].

ترتيب البلاد طبقا للمبالغ التى حصلت عليها: القيمة بـ المليون دولار

البلاد	٤٩/٤٨ مليون$	٥٠/٤٩ مليون$	٥١/٥٠ مليون$	الإجمالى
إنجلترا	١٣١٦	٩٢١	١٠٦٠	٣٢٩٧
فرنسا	١٠٨٥	٦٩١	٥٢٠	٢٢٩٦
ألمانيا	٥١٠	٤٣٨	٥٠٠	١٤٤٨
إيطاليا وتريستا	٥٩٤	٤٠٥	٢٠٥	١٢٠٤
هولندا	٤٧١	٣٠٢	٣٥٥	١١٢٨
بلجيكا ولكسمبورج	١٩٥	٢٢٢	٣٦٠	٧٧٧
النمسا	٢٣٢	١٦٦	٧٠	٤٦٨
الدنمارك	١٠٣	٨٧	١٩٥	٣٨٥
اليونان	١٧٥	١٥٦	٤٥	٣٧٦
أيرلندا	٨٨	٤٥	صفر	١٣٣
أيسلندا	٦	٢٢	١٥	٤٣

المصدر: "the Marshall plan" Http://en.m.wikipedia.org

ومن الجدول السابق يتبين للوهلة الأولى أن هناك تبايناً كبيراً فى قيمة المساعدات التى أعطيت للدول، ولكن مع إمعان النظر يمكن القول بأن حجم المساعدات توازن مع حجم الدول ومواردها، وعدد سكانها، ومن هذا المنطلق يمكن الأخذ فى الاعتبار أنه كان هناك توازن فى توزيع المساعدات، إلى حد كبير، مع عدم تغافل ميلها نحو دول التحالف بشكل أكبر، وهناك سؤال يطرح نفسه لماذا لم تشترك إسبانيا ضمن قائمة الدول التى استفادت من مشروع مارشال؟ وللإجابة على هذا السؤال يمكن القول بأن إسبانيا فى عام ١٩٤٠ كانت تحت حكم الديكتاتور فرنكو (Franco)، ولم تصبح عضوًا فى الأمم المتحدة حتى عام ١٩٥٠، ولم تشترك فى حلف الناتو (NATO) أو الاتحاد الأوروبى حتى عام ١٩٨٠، والذى هيأ لها تأسيس النظام الديمقراطى بها فى عام ١٩٧٠[٥٥].

المنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادى (OEEC):

اجتمعت اللجنة الأوروبية للتعاون الاقتصادى بكامل هيئتها بوزارة الخارجية الفرنسية فى ١٦ من أبريل لعام ١٩٤٨، وتم توقيع الوثائق الدبلوماسية التى كان من أهم نتائجها تأسيس منظمة أوروبية للتعاون الاقتصادى على قواعد مؤقتة حتى ٢٩ يوليو لعام ١٩٤٨، وحتى يكتمل العدد اللازم للتصديق، وقد تحددت أربع قوائم لبناء المنظمة الجديدة وكان هناك ملحق يتضمن شروطًا إضافية تتعلق بمهمة السكرتارية العامة للمنظمة[٥٦].

وقد شملت المسودة الأولى لقانون تأسيس المنظمة بعض البنود على رأسها إقرار الامتيازات، وتوفير استثناءات مالية للمنظمة، والعمل لاتخاذ ترتيبات مناسبة لخلق علاقات وثيقة مع ممثل الولايات المتحدة الأمريكية فى أوروبا وبما يتماشى مع قانون العون الاقتصادى لعام ١٩٤٨، والمساعدة فى

تنفيذه بهمة، لأن هذا سيكون أفضل وسيلة للوصول إلى نص موحد، متوافق مع مبادئ الملكية المتعلقة بالشئون الخارجية(٥٧).

كما اختيرت باريس لتكون المركز الرئيسى للمنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادى، وشغل روبرت مارلين (Robert Majolin) منصب السكرتير العام حتى عام ١٩٥٥، ثم خلفه بعد ذلك رينيه سيراجيت (Rene Sergent) الذى استمد سلطته من مجلس الإدارة، والذى انحاز له، ولم يتفق بسهولة مع الوزراء أعضاء الدول، واللجان الفنية، وكانت مهمة المنظمة الأساسية الإشراف على توزيع العون طبقا لبرنامج الانعاش الأوروبى، وتعزيز التعاون بين الدول المشتركة، وبرامج الإنتاج المحلية لإعادة بناء أوروبا، وتطوير التجارة داخلها عن طريق تخفيض التعريفات الجمركية وإزالة العوائق الأخرى التى كانت تعوق توسيع التجارة، ودراسة إمكانية خلق اتحاد جمركى أو منظمة تجارة حرة، ودراسة تعدد طرق الدفع، وكذا تحقيق شروط الاستخدام الأمثل للعمالة(٥٨).

وقد شارك ممثلو الدول الأعضاء – السابق ذكرها - فى مجلس المنظمة، بالإضافة إلى شخصيات معروفة فى ذلك الوقت. وتقرر أن تتخذ قراراتها بالإجماع، وحدد المجلس لجنة تنفيذية من سبعة أعضاء ممثلين للدول لهم سلطات جزئية فى الاجتماعات كاملة الهيئة، ويتكون البناء الهيكلى للمنظمة الأوروبية من خمس عشرة لجنة فنية رأسية وخمس أفقية مسئولة عن : الغذاء ، والزراعة، والفحم، والطاقة، وبترول، وحديد وصلب، ومواد خام، والآلات، ومعادن غير حديدية، ومنتجات كيماوية، وخشب، ولب الثمار، والأوراق، والمنسوجات، ونقل بحرى وبرى، وبرامج، وميزان مدفوعات، وتجارة، والمدفوعات الأوروبية، والداخلية، وقوة العمالة(٥٩).

وفى سبتمبر من عام ١٩٥٠ تم تأسيس اتحـــاد مـــدفوعات أوروبـــى (EPU) تحت رعاية المنظمة، وكان له ثلاث أهداف، منها إزالة المعوقـــات أمام تحويل العملات الأوروبية، وإزالة القيـــود الكميـــة، وكـــذا حظجـــزر الممارسات التجارية الثنائية(٦٠). وبالرغم من استقلال الاتحاد عن مشـــروع مارشال، إلا أن إدارة العون الاقتصادى دعمت السحب علـــى المكشـــوف، وقابلية التحويل للدولار طبقا لنظام بـــرايتن وودز (Bretton Woods)(*)، ورفعت معظم الرقابة على رؤوس الأموال فى أوروبا، وحددت نظاما أوربيا ثابتا للتبادل كمرحلة أولي لتحرير التجارة بين الدول الأعضاء، وتم حل اتحاد المدفوعات فى ٢٧ ديسمبر من عام ١٩٥٨(٦١).

كذلك رتبت المنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادى تحت رعايتها وكالة الإنتاج الأوروبية فى عام ١٩٥٢ K(EPA) والتى كانت مهمتها اســـتئناف الإنتاج الأوروبى منذ ذلك العام بدعم مالى كبير من الولايات المتحدة، لهـــذا أرسلت إرسال بعثات من ١٥ دولة لزيارة المصانع والشـــركات الأمريكيـــة للاستفادة مما وصلت إليه من تقنية(٦٢).

وقد نجحت المنظمة الأوروبية فى تحرير ٦٠% من التجارة الداخليـــة الخاصة، ثم ارتفعت النسبة إلى ٨٤% فى عام ١٩٥٥، ثم إلى ٨٩% فى عام ١٩٥٩(٦٣)، ومع ذلك تضاءل دورها بعد عام ١٩٥٢، ويُعزى ذلـــك إلـــى النهاية غير المتوقعة لمشروع مارشال، والتحول المتتـــابع لحلـــف شـــمال الأطلنطى، وسياسة الأمن الجماعى التى دمجت المساعدة الاقتصادية والعون العسكرى(٦٤).

كما قدمت وكالة الأمن الجماعى للمنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادى بعض المقترحات فى أول يناير من عام ١٩٥٢، منها مناقشة استخدام حلف

شمال الأطلنطى فى نقل المساعدات الاقتصادية بدلاً من المنظمة الأوروبيـة للتعاون الاقتصادى ، هذا فى الوقت الذى أعطت فيه المعاهـدة العسـكرية للأطلنطى الإفادة من المنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادى ولجانها، وفريق من الخبراء، والنتائج الإحصائية، وأخذت بريطانيا موقفـا لصـالح اللجنـة الاقتصادية لحلف شمال الأطلنطى على أمل التخلص من المنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادى، وذلك عندما اهتمت بالتوصل لتسوية فى سبتمبر من عام ١٩٥١ فى حلف شمال الأطلنطى فى مؤتمر (أوتواه) لوضع لجنـة خاصـة (تضم بعض الشخصيات) أوكلت إليها دراسة مسائل التطـوير الاقتصـادى لدول حلف شمال الأطلنطى، مع الأخذ فى الاعتبار الارتبـاط للإمكانيـات الاقتصادية لكل عضو، وتطورت اللجنة الاقتصادية لحلف شمال الأطلنطـى لملء مجال نشاط المنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادى[٦٥]، وتحولت فـى عام ١٩٦١ إلى المنظمة الأوروبية للتعاون والتنمية (OECD)، وبذلك أنهت المنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادى أعمالها[٦٦].

رابطة الفحم والصلب نواة للوحدة الأوروبية (CSC):

فى إطار مشروع مارشال الذى قدم عونا لـدول أوروبـا الغربيـة، واشترط التنسيق فيما بينها، بدأت أوروبا تشعر بأهميـة العمـل الموحـد، والمصالح المشتركة – كما سبق ذكره - ومن ثم بدأت بعـض تلـك الـدول الأوروبية تخطو خطوات عملية نحو الوحدة، وتكوين اتحـادات أو روابـط لتوحيد الجهود، وإزالة العوائق، والاستثمار الأمثل لمواردها، وجاء منهـا - على سبيل المثال - رابطة الفحم والصلب الأوروبية.

وترجع فكرة الرابطة إلى اقتراح لرئيس الوزراء الفرنسـى شـومان (Rebert Schuman) فى مايو من عـام ١٩٥٠ بتكـوين إدارة مشـتركة

لصناعة الفحم والصلب فى فرنسا وألمانيا الغربية، والذى أدى إلــى خطــة شومان عام ١٩٥١ لتأسيس رابطة الفحم والصلب التى ضمت ألمانيا الغربية، وفرنسا، وإيطاليا، وبلجيكا، وهولندا، وليكسمبورج[٦٧]. واتفقت تلك الرؤيــة الفرنسية لإعادة بناء فرنسا بعد الحرب ونقل مركز الصناعات الثقيلــة فــى أوروبا من ألمانيا إلى فرنسا. مع سياسة أمريكا المتبعة بعد الحــرب والتــى قامت على مبدأ مشروع مورجنتوا (Morgentheu) [*] الذى اهتم بتقليــل وتقليص الصناعات الألمانية الثقيلة، وإعادة بناء اقتصاد ألمانيا على أســاس الصناعات الخفيفة والزراعية، وهذه السياسة الأمريكية جاءت متوافقة مــع استمرار عون أمريكا لأوروبا، وشحن الآلات والفحم والصلب إليهــا عبــر الأطلنطى[٦٨].

ومن أهم أهداف رابطة الفحم والصلب التصدى لاحتكــارات رجــال الأعمال[٦٩]، ومن الملاحظ أن بريطانيا لم تكن عضوًا فى الرابطة، مع أنهــا من الدول الأوروبية الكبرى المنتجة للفحم والصلب، لذا حرصت الســلطات العليا للرابطة – الذراع التنفيذى لرابطة الفحم والصلب – على الاتفاق مــع بريطانيا، وهذا من أجل ضمان دعمها للرابطة، وأنها ليســت فقــط وســيلة لتقوية رابطة الفحم والصلب، بل أيضا وسيلة لتشجيع الوحدة الأوروبية[٧٠].

وفى ديسمبر من عام ١٩٥٤ وقعت اتفاقية بين إنجلترا ورابطة الفحــم والصلب ركزت بشكل أساسى على التشاور، وتبادل المعلومات بين الحكومة البريطانية من جانب والسلطة العليا والمجلس الوزارى لممثلى الرابطة، التى تتعلق بإنتاج، وتسويق الفحم والصلب، وترتيبــات الأســعار، والعــلاوات، والتطوير التقنى والأبحاث، وإمدادات الفحم والصلب والمواد الخام الأخرى، واتجاهات الإنتاج، والاستهلاك، والصادرات والواردات وكــل مــا يتعلــق

بتجارة الفحم والصلب، والرسوم أو التعريفات الجمركية والعوائق التجارية الأخرى، والنظر فى تقليلها(٧١).

وفى هذا السياق قدمت أمريكا قرضًا قيمته بـ ١٠٠ مليون دولار للسلطة العليا لرابطة الفحم عكَس اهتمام أمريكا بدعم التحرك تجاه الوحدة الأوروبية(٧٢). وتشجيع السلطة العليا على استخدام قوتها على نطاق واسع من أجل تحقيق سوق مشتركة للفحم والصلب(٧٣). وفى ضوء الاتجاه نحو الوحدة الأوروبية كانت.لرئيس السلطة العليا للرابطة عدة أفكار منها إعطاء حافز جديد نحو التوحد من خلال اكتساب دعم عدد من العواصم الأوروبية، وإخضاع زيوت البترول والطاقة الكهربائية لسلطان السلطة العليا، وإيجاد إطار عمل منفصل منظم لتوحيد النقل والطاقة النووية داخل الدول الأعضاء الست فى الرابطة(٧٤).

الأفكار والمناقشات حول توحيد أوروبا :

قبل خروج فكرة السوق الأوروبية المشتركة للنور دارت عدة مناقشات حول أفكار تتعلق بالوحدة بين المسئولين الأوروبيين على حدة، أو بين الأمريكيين، أو كليهما معا؛ ففى أحد اجتماعات وزراء الدول الأوروبية المعنية بمشروع مارشال فى ستراتسبرج (Strasbourg) طرحت بعض الأفكار البناءة حول توحيد أوروبا، وخرجوا بتصريح يؤكد الاحتياج إلى هذه الوحدة لإعادة تسليح وتقوية أوروبا اقتصاديا، وأن يكون إعادة التسليح الأوروبى دون إضعاف المستوى المعيشى الأوروبى، وأشار التصريح إلى أنه بعد فترة البداية، وزيادة رأس المال المخصص لإعادة التسليح، وزيادة الطاقة الإنتاجية ستتجه أوروبا للعمل لإحداث تقدم فى مستوى المعيشة(٧٥).

كذلك اهتمت الهيئات الاقتصادية الخارجية بهذا الموضوع، حيث

أصدرت إدارة العمليات الخارجية الأمريكية (FOA) تقريرًا حول أهمية الوحدة الأوروبية مفاده أن الحل الطويل الأمد الوحيد يشمل التوسع الاقتصادى وتوحيد أوروبا وإن سياسة أمريكا الاقتصادية الخارجية فى أوروبا يجب أن تستمر لتدعم التوسع الاقتصادى، وزيادة الإنتاجية، وقابلة التحويل، وتقليل الحواجز التجارية، وزيادة التجارة الحرة، وفى النهاية توحيد أوروبا(٧٦) وعلى الممثلين الأمريكيين بذل مزيد من الجهود حتى لا تعارض بريطانيا الوحدة الأوروبية(٧٧).

وفى إطار هذا الموضوع كان للمنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادى مشاركة فعالة من خلال مقترح قدمه رئيس المنظمة فى يونيو عام ١٩٥٠ يقوم على عمل خطة للتكامل الاقتصادى لأوروبا، وتقود إلى خلق سوق أوربية موحدة بعد أن طلبت الدول ذات الثقل التجارى توقيع عقود شراء طويلة الأجل بأسعار معقولة، وتم تقديم قائمة اقتراحات مشتركة للأهداف لتحرير الائتمان المالى الأوروبى لتسريع تحرير التجارة من خلال بنك الاستثمار الأوروبى، الذى تقرر تكوينه مع السوق المشتركة(٧٨).

ولعب مشروع مارشال دورا كبيرا فى توحيد أوروبا، فمعظم القادة الأمريكيين والأوروبيين شعروا بأن الوحدة الأوروبية أصبحت ضرورية لضمان السلام والازدهار فى أوروبا، لذلك استخدام مشروع مارشال كمرشد لدعم الوحدة، وخدمة المنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادى التى ستستخدم كمركز للتدريب، وهيكل بيروقراطى أو حكومى فى النهاية من قبل الوحدة الاقتصادية الأوروبية(٧٩).

وفى ضوء المناقشات بين المسئولين الأمريكيين والأوروبيين سأل مندوب الأراضى المنخفضة ما المفترض أن تفعله أمريكا للبرنامج الأمريكى

بعد انتهاء مدة مساعدات مشروع مارشال؟ فأكد المسئولون الأمريكيون أن أوروبا الغربية أمامها أن تختار ما بين اتحاد فيدرالي طوعى، أو غير طوعى إجبارى كما حدث فى أوروبا الشرقية، فى كل الأحوال يجب البحث فى كيفية توحيد أوروبا، وتحديد آلية انضمام بريطانيا لاتحاد فيدرالى أوروبى(٨٠).

ومنذ أوائل الخمسينيات برزت أهمية توحيد الجهود الأوروبية فى المجال الزراعى – فضلا عن تشكيل الروابط السابق ذكرها كرابطة الفحم والصلب – كإرهاصات نحو السوق الأوروبية المشتركة، وحدثت اختلافات فى الآراء بين دول أوروبا حول الاقتراح الذى قدمه مسئول كبير فى وزارة زراعة الهولندية لإرسال دعوة لحضور اجتماع لمناقشة آلية تكامل الزراعة الأوروبية برئاسة وزير زراعة فرنسى سابق والذى كان يرعى الخطة الفرنسية للوحدة الزراعية، فى وقت ذهبت فيه الدنمارك إلى دعوة الدول المشتركة فى مشروع شومان لمناقشة تكامل الزراعة(٨١).

وفى هذا الصدد أوضح الممثل الفرنسى أن منظمة تسويق الزراعة الأوروبية ستساهم فى حدوث التوحيد الاقتصادى والسياسى للدول الأوروبية، وتنمية الصلابة الأوروبية الحقيقية، لأنه بدون سياسة زراعية أوروبية لا يمكن الوصول إلى إنتاج زراعى على نطاق واسع، وسيصبح الوضع الغذائى فى أوروبا أسوأ، وعندئذ ستعتمد أوروبا أكثر فأكثر على منطقة الدولار(٨٢)، هذا فى الوقت الذى أثنى فيه وزير الخارجية الأمريكية على الجهود الأمريكية لتحقيق أهداف التكامل الزراعى، وزيادة مستوى الاستهلاك الغذائى فى أوروبا، وتوفير درجة من الأمن للزراعة الأوروبية، والحصول على فوائد لصالح الوحدة الأوروبية الاقتصادية(٨٣).

ويبدو أن سياسة الولايات المتحدة كانت دعم جهود أوروبا الغربية تجاه التوحد السياسي والاقتصادي في إطار حلف شمال الأطلنطي، والتي عبر عنها مجلس السياسات الاقتصادية الخارجية الأمريكي (CFEP)(*) في مراجعته لاقتراح السوق المشتركة، حيث عبر عن الاهتمام بالترتيبات المتعلقة بتطوير الزراعة، والرقابة على ميزان المدفوعات، والتعريفات، وممارسات رجال الأعمال المقيدة، وحرية انتقال رأس المال والعمالة، وقرر المجلس في ٢٠ نوفمبر من عام ١٩٥٦ التعهد بمراجعات إضافية عندما يصبح عرض السوق الأوروبية المشتركة مدروسا. وفي رسالة الرئيس الأمريكي ايزنهاور في ٥ يناير من عام ١٩٥٧، في التصريح المشترك مع رئيس الوزراء الفرنسي وفي ٢٨ فبراير من ذات العام أعاد تأكيد دعم الولايات المتحدة لمساعي الوحدة الاقتصادية لأوروبا الغربية، وأكد الرئيس على الاتفاق الكامل للدول الست على أهمية ربط دول ما وراء البحار بالسوق المشتركة(٨٤).

معاهدة روما نواة السوق الأوروبية المشتركة

قبل توقيع معاهدة روما دارت بعض مناقشات بوزارة الخارجية الأمريكية في يناير من عام ١٩٥٧ تناولت ما ذكره وزير الخارجية الفرنسي من أن حكومته تأمل خلال الأيام القليلة القادمة في الحصول على أصوات مؤيدة في الجمعية الفرنسية التوقيع على معاهدة السوق الأوروبية المشتركة، وذكر أن تنمية تلك السوق يمكن تيسيرها من خلال وزير الخارجية البريطاني "لأنه أهم عضو أوروبي من حزب المحافظين"، وظهر كداعم للوحدة الأوروبية، في حين صرح وزير الخارجية الأمريكي بأنه من الأهمية بمكان لمستقبل أوروبا أن يتم التوقيع على المعاهدة الأوروبية للطاقة الذرية،

والسوق المشتركة، وأكد فى باريس على دعمه لفكرة الوحدة الأوروبية[٨٥]، ورغم ذلك فأن بريطانيا لم تكن من الدول الست الموقعة على معاهدة روما، ولم تصبح عضوًا فى السوق المشتركة منذ تأسيسها.

وقد وُقع على معاهدة السوق الأوروبية المشتركة من قبل ست حكومات – أعضاء رابطة الفحم والصلب طبقا لمشروع شومان كما سبق ذكره -، ووفر الإطار العام لمعاهدة روما الأساس للتجمع الاقتصادى والذى يهتم بتأسيس اتحاد مستهلكين للدول الأعضاء على مدى ١٢-١٥ عاما، والعمل على إزالة التعريفات والقيود الخاصة بالتجارة فيما بينها، من خلال إيجاد تعريفة مشتركة، وسياسة تجارية للدول المشتركة فى السوق، والتقى أعضاء اللجنة للنقاش حول الاتفاقية العامة للرسوم والتجارة (GATT) فى جنيف فى ٢٤ أبريل من عام ١٩٥٧، وعقدوا العزم على اتخاذ اتفاقية الجات كإجراء مؤكد نحو معاهدة السوق الأوروبية المشتركة حينما تخرج إلى النور[٨٦].

كذلك تضمنت معاهدة السوق الأوروبية المشتركة بنوداً كان من أهمها: إزالة القيود على حركة رأس المال والعمالة بين الدول المشتركة، وإزالة ممارسات رجال الأعمال المقيدة، وتأسيس سياسة زراعية مشتركة خلال الفترة الانتقالية تقوم على نظام الأسعار المنخفضة، وعقود شراء طويلة الأجل، وإيجاد مخرج لمشاكل ميزان المدفوعات، والعمل على تيسير تدفق العمالة، وإزالة المعوقات على التجارة بين الدول الأعضاء، وتأسيس بنك استثمار مسئول عن تمويل مشروعات استثمارية خاصة وعامة فى الدول الست للوفاء بالمعايير الموضحة فى المعاهدة، والعمل على تطوير اقتصاد المناطق المستقلة عبر البحار التابعة للدول المشتركة من خلال اعتماد مالى

خاص، تأسيس مؤسسات موحدة مشتركة مصممة للتأكيد على تحقيق أهداف المعاهدة[٨٧].

وفى تقرير لمجلس السياسات الاقتصادية الخارجية الأمريكى أوضح أن معاهدة السوق الأوروبية المشتركة تتواكب مع أهداف سياسة الولايات المتحدة فى أوروبا الغربية، لذا فإن العديد من المشاكل المهمة المتعلقة بسياسة تجارية ذات طابع خاص بالزراعة، والتى تم التركيز عليها من قبل معاهدة السوق المشتركة يجب أن تكون موضع نقاش مع دول (Messina)، ودويلات جنوب إيطاليا كصقلية ..إلخ فى إطار عمل منظمة الجات لحماية المصالح التجارية لدول العالم الثالث[٨٨]، وأكد السكرتير المساعد للشئون الاقتصادية الدعم الأمريكى لتنمية وتطوير السوق المشتركة، وإيجاد طريقة مناسبة لربطها بمبادئ منظمة الجات لحماية منطقة التجارة فى أوروبا الغربية[٨٩].

وفى إطار خطوات الوحدة الأوروبية جاءت خطوة أخرى فى عام ١٩٥٨ بتأسيس الوكالة الأوروبية للطاقة النووية بموجب المنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادى[٩٠].

النتائج والدروس المستفادة من مشروع مارشال:

كان محدداً أن ينتهى مشروع مارشال فى عام ١٩٥٣ لكن أوقفت أى جهود لمده إلى هذا التاريخ بسبب التكلفة المتزايدة للحرب الكورية، وإعادة التسليح وعداء الجمهوريين الأمريكيين الذين حصلوا على أغلب المقاعد فى انتخابات الكونجرس لعام ١٩٥٠ للمشروع، حتى أنهم أعلنوا معارضة المحافظين مد المشروع حتى انتهى فى عام ١٩٥١ - بينما استمرت الأشكال الأخرى للعون الأمريكى لأوروبا بعد ذلك خلال الأعوام من ١٩٤٨ -١٩٥٢

بشكل أدى لأن تشهد أوروبا أسرع مدة للنمو فى تاريخها حتى زاد الإنتاج الصناعى بنسبة ٣٥% وتضاعف الإنتاج الزراعى بشكل أساسى إلى ما كان عليه قبل الحرب، واختفى الفقر والجوع فى السنوات اللاحقة للحرب مباشرة، وشهدت أوروبا الغربية – بشكل غير محدود - عقدين من النمو، وارتفاعًا فى مستوى المعيشة، ودارت مناقشات بين المؤرخين لتقييم مشروع مارشال، ورفضت غالبيتهم فكرة أن البرنامج بمفرده أنعش أوروبا بشكل خارق، لأن المؤثرات تظهر أن الانتعاش العام كان فى طريقه وأن المشروع أسرع بهذا الانعاش لكنه لم يبدأه(٩١). كما أن مشروع مارشال أوجد صيغة لنجاح العلاقات الأمريكية الأوروبية فى ظل : إعراب أمريكا عن المصالح المشتركة، وخلق إطار عام سياسى اقتصادى مشترك يشمل شراكة فى تحمل الأعباء، واستجابة أوربية مهمة فى تاريخ الوحدة الأوروبية (٩٢).

وقد أكد رئيس اللجنة الوزارية الأمريكية أن التعاون الوثيق الذى تحقق خلال الخمس سنوات التى تلت الحرب العالمية الثانية بين الدول الأوروبية قد تم الوصول إليه بهدف الهروب من سيطرة الغزو الشيوعى(٩٣)، وبفضل هذا انخفض التأثير الشيوعى على أوروبا الغربية بشكل كبير، وقلت شعبية الأحزاب الشيوعية بالمنطقة، ومع رواج مشروع مارشال، وتقوية العلاقات التجارية بين تلك الدول، وتشكيل حلف شمال الأطلنطى، ثم تخلف بعض الدول الأوربية عن المشاريع الأوربية علاقة واضحة على أن القارة ائنذاك كانت منقسمة(٩٤).

كذلك كان برنامج المساعدة الفنية من أقوى ملامح مشروع مارشال؛ فمن خلاله تم إرسال أكثر من ٢٤ ألفاً من القيادات الأوروبية إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى زيارات عمل ودراسة اطلعوا خلالها على نشاط

المؤسسات الديمقراطية، وحكومات الولايات، والحكومات المحلية الفعالة، والجامعات المفتوحة، والجمعيات الطوعية، ومنظمات المجتمع المدنى، والجمعيات المدنية التى تعمل بجد فى مساعدة الجيران، وتقابلوا وجها لوجه مع تعددية تعمل فى مجتمع مواطنين قادرين، وحكومة متعددة المستويات(٩٥).

ومن الملاحظ أن عددًا كبيرًا من مسئولى الإدارة التنفيذية العليا لمشروع مارشال أتوا من القطاع الخاص، وحاولوا اتخاذ القرارات المؤيدة لحلول تقوم على أساس السوق بدلا من القرارات الحكومية الموجهة من القمة إلى المستويات الأدنى، وكان هؤلاء الإداريون يتوقعون العودة إلى القطاع الخاص بعد أداء مهمتهم، ولذلك كان تركيزهم فى اتخاذ القرارات على "أداء المهمة" التى جاءوا من أجلها، فلم يركزوا على أنها ستكون "مهمتهم"، وكان لهم أسلوب إدارى متميز يهدف إلى تحقيق النتائج، ولا ينحنى لرغبات ساسة أوروبا الذين كانوا يريدون استخدام موارد المعونة فى الخدمات العامة بدلا من التنمية الاقتصادية(٩٦).

** * *

من العرض السابق يمكن القول أن دول أوروبا الغربية منذ قيام الثورة الصناعية بدأت التنافس الاستعمارى فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر على وجه الخصوص، ومع احتدام الصراع حول المستعمرات ومناطق النفوذ بدأت تظهر تحالفات وتكتلات وسباق محموم للتسلح كان من نتيجته أن اندلعت حربان عالميتان فى أقل من ربع قرن أثرت على مكانة وقدرات القوة الأوروبية التقليدية، حيث إن الحرب وخاصة الثانية خلفت دماراً كبيرا سواء فى الدول المنتصرة أو المهزومة فى البنية الأساسية، واستنفدت العديد من موارد تلك الدول، مما أدى إلى تراجع مكانتها على الساحة العالمية، وإفساح

المجال أمام بزوغ قوتين جديدتين فى أعقاب تلك الحرب ألا وهما: الولايات المتحدة الأمريكية كزعيمة للعالم الرأسمالى، والاتحاد السوفيتى كزعيم للنظام الاشتراكى لتبدأ مرحلة جديدة من التنافس بين القطبين الرئيسيين فيما عرف بسنوات الحرب الباردة.

وفى بداية تلك الفترة، أى فى النصف الثانى من أربعينيات القرن العشرين بدأت دول أوروبا الغربية تفكر جديًا فى نبذ الخلافات فيما بينها لمحاولة إعادة بناء دولها، وأدركت أن ظروف المرحلة لن تمكنها من العودة كدول قوية كل على حدة، ومن ثم رسمت سياسة استراتيجية بعيدة المدى تبدأ بتعاون مشترك، وقبول عون خارجي لإعادة البناء حتى تتمكن فى المستقبل من الوقوف على أقدامها، ومحاولة إعادة مكانتها على الساحة العالمية، ولكن على شكل تجمع، وليست منفردة كما كانت فى السابق.

وقد تلاقت هذه الاستراتيجية الأوروبية مع مصالح الولايات المتحدة الأمريكية فى السنوات الباكرة من الحرب الباردة بعد أن بدأت الأخيرة تستشعر الخطر من تنامى السياسة السوفيتية فى استقطاب دول شرق أوروبا، والزحف الوئيد نحو دول الغرب، كذلك خشيت أمريكا من أن يتعرض اقتصادها لأزمة اقتصادية ثانية إذا ما فقدت أسواق أوروبا الغربية، لذا بدأت ما عرف بسياسة المساعدات لتلك الدول حتى تتمكن من إعادة بناء نفسها كى تقف حائط صد أمام السوفيت، وبدأت أولى الخطوات بمبادرة ترومان، ثم مشروع مارشال الذى يعد موضوع هذا البحث.

ومن هذا المنطلق بدأت دول أوروبا الغربية فى تلقى معونات مشروع مارشال، ووضع برنامج موحد فيما بينها للاستفادة من هذا العون، ومحاولة إزالة العوائق التجارية، وتكوين اتحاد جمركى، واتحاد مدفوعات، وقابلية

العملات للتحويل حتى تحقق الاستفادة القصوى من عون مشروع مارشال – مع الاستفادة القصوى أيضا من تنمية مواردها الذاتية – وهذا مكنها فيما بعد من اتخاذ خطوات أخرى نحو التقارب فيما بينها حتى بعد انتهاء معونات هذا المشروع، وذلك عن طريق بعض الاتحادات إلى أن استطاعت أن تضع اللبنة الأولى فى صرح الوحدة الاقتصادية الأوروبية بتجمع ست دول من دولها فى معاهدة روما لسنة ١٩٥٧، وتكوين السوق الأوروبية المشتركة، وبهذا تبين أن العون الأمريكى كان بمثابة القوة الدافعة، وليس المحرك الرئيسى نحو توحيد أوروبا.

هوامش البحث:

(1) https://en.m.wikipedia.org, "Marshellplan", "The Marchell speech"
(2) Frus, Diplomatic papers, 1947, vol.III. "policies and principles for extention of us Aid to foreign Nations, p.208.
(3) https://en.m.wikipedia.org, "Marchell plan", "European war destruction"
(4) FRUS, Diplomatic papers, 1947, vol.III. op.cit., p.209, https:// en.m.wikipedia.org,op.cit.
(5) https:en.m.wikipedia.org, op.cit.
(6) FRUS, Diplomatic papers, 1947, vol.III . op.cit. pp.210, 211.
(7) Ibid: pp.211, 212.
(8) Frus, Diplomatic papers, 1947, vol.IV. Telegram from the Assistant Administrator for programs, ECA (Porter) to the Administrator for Economic Coöperation (Loster), Paris, 29 August, 1951. p.54.
(9) Ritschl, Albrecht: "The Marshall plan 1948-1951" EH. Net Encyclopedia edited by Robert Whaples. 10 february, 2008.

(١٠) جوردون أو. أف. جونسون: الدروس المستفادة من مشروع مارشال.
, 2002.www.cipe-arabia.org.January

(11) http://proQuest.,uni.com/ the Marchasll plan and the time when America Helped Save Europe. Assocaition of the united stated Army January 2008.
(12) FRUS, Diplomatic papers, 1951, vol.IV. "Memorandum by Senator Brein McMahon to the president". Washington, December 5, 1951 pp.78, 79.
(13) http:iimuse.fhu.edu/search/results. "Marshall plan"
(14) State dept, Marshall Plan Placed Europe on Path Toward Unity, Washington May 22, 2007.
(15) https://en.m.wikipedia.org. "The Marshall Plan".

(١٦) حيدر وسام، مشروع مارشال.. الضير فى إعادة إحيائه من جديد؟
, org>asp.22/8/2007www.mahewar

(١٧) نفس المقال، نفس الموقع، نفس المؤلف.

(*) التعويم يعنى طرح العملة فى السوق لتحدد قيمتهـا حسـب متطلبـات العرض والطلب.

(١٨) نفس المقال، نفس الموقع، نفس المؤلف.

(١٩) نفس المقال، نفس الموقع، نفس المؤلف.

(20) https://en.m.wikipedia.org. "The Marshall Plan".
(21) FRUS, Diplomatic papers, 1947, vol.III, telegram from the Ambassador in France (caffery) to the secretary of state, dated June 18, 1947, p.259.
(22) Ibid.
(23) Ibid, Policy with respect to American Aid to Western Europe, views of the policy planning staff, pp.226, 227.
(24) Ibid, telegram from the British cahrgi (John Balfonr) to the secretary of state, Washington, dated July 16, 1947, p.331.

(25) http://en.m.wikipedia.org "Marshall plan".
(26) FRUS, Diplomatic papers, 1947, vol.III Ibid, 1948, telegram from the Ambassador in Italy (DUNN) to the Secretary of State, Rome, January, 23, 1948, p.373.
(27) Ibid, 1947, telegram from the tlalian Embassy to the Department of State, dated 27/7/1947, p.337.
(28) https: en.m.wikipedia.org."the Marshall plan".

(*) نتيجة اندماج مناطق الاحتلال الثلاث الإنجليزية، الأمريكية والفرنسية عام ١٩٤٩ طبقا "لاتفاقية برتسبريج".

(29) FRUS. Diplomatic papers, 1948, vol. III, p.380.

(٣٠) حيدر وسام، مقال السابق، الموقع السابق.

(٣١) نفس المقال، نفس الموقع

(32) FRUS, Diplomatic papers, 1947, vol.III. Memorandum by the under secetary of state of Economic (clay ton), pp.230, 231.
(33) Ibid, Memorandum prepared by the policy planning staff, Washington, dated 14/8/1947, p.361.
(34) Ibid, policies and principles for the Extention of us.Aid to foreign nation, pp.213, 214.
(35) Ibid.
(36) Ibid, p.212.
(37) Ibid, p.213.
(38) Ibid.
(39) https: en.m.wikipedia.org."the Marshall plan".
(40) A new letter of FRI's center for the study of America and the west, lessons from the Marshall plan, volume I number 3, January 1998.
(41) https: en.m.wikipedia.org."the Marshall plan".

(*) اختلفت المصادر حول المبلغ التى رخص به قانون العون الخارجى لبرنامج الانعاش الأوربى ما بين ١٣ بليون و ١٧ بليون ولم أتمكن من ترجيح أى رقم مطابق للرقم الصادر

(*) النمسا ١٥ ابريل، دنمارك ٢٠ أبريل، المناطق المنخفضة، ٢٠ أبريل، إيطاليا ٢١ أبريل، نرويج ٢٢، فرنسا ٢٤ أبريل، ايسلندا ٢٨ أبريل، ايرلندا ٢٨ أبريل، بلجيكا ٣٠ أبريل، انجلترا ٣٠ أبريل، ليسكمبورج ٣ مايو ، سويد ٤ مايو، يونان ١٢ مايو، ألمانيا مناطق المحتلة من قبل انجلترا مع حدود فرانكفورت ١٤ مايو ، المانيا مناطق الاحتلال الفرنسى ٣ يونيو، تركيا ١٨ مايو.

لا يوجد فى الاتفاقيات ما يتعارض مع السيادة القومية للدول المشاركة على العكس، توضع الاتفاقيات برنامج الشراكة لعمل فريق موحد أمريكى أوربى يتلائم للأهداف

العامة.

ليس هناك الزام للمشاركة فى النظام الاقتصادى الأمريكى، بهدف السيطرة الأمريكية على العكس تحتوى الاتفاقيات على شروط تساهم لتحرير التجارة بين الدول الأوروبية.

(42) FRUS. Diplomatic paper 1948, vol.III, Telegaram from the secretary of state to certain diplomatic oifficars in Europe. Washington, March, p.39 4.
(43) FRUS. Diplomatic paper 1948, vol.III, Current Economic Developments May 3, 1948, p.434.
(44) https://en.m.wikipedia.org "the Marshall Plan"

(*) رئيس شركة سنو دبيكر للسيارات سابق "حيدر وسام، مقال السابق، نفس الموقع السابق".

(45) https://en.m.wikipedia.org "the Marshall Plan"

(٤٦) حيدر وسام، نفس المقال السابق، الموقع السابق.

(47) https://en.m.wikipedia.org "the Marshall Plan"
(48) FRUS. Diplomatic paper 1948, vol.III, The secretary of State to Certain Diplomatic offices in Europe, Washington, 30 April 1948, p.432.
(49) Ibid, tentatire recorery Allocation Bring some protests; OEEC programming gets under way. May 3, 1948, pp.434, 435.
(50) Ibid, Minites of the 93rd meeting of the National Advisory Council on International Monetary and Linancial problems. April 21, 1948, p.429.
(51) Ibid, tentatire recovery Allocation Bring some protests, OEEC programming gets under way May 3, 1948.
(52) https:// en.m.wikipedia.org "The Marshall plan".
(53) Ibid.
(54) Ibid.
(55) U.S. Department of State, Bareau of international Information Programs U.SINFO Webehat transcript.
(56) FRUS, Diplomatic Paper, 1948, vol.III, Editorial Note, pp.423, 424.
(57) Ibid.
(58) www.oEcd.org.
(59) Ibid.
(60) Ibid

(*) وقعت هذه الاتفاقية فى يوليو ١٩٤٤ وكان الهدف الرئيسى لها تثبيت سعر الصرف بين دول العالم (وهو يعنى إن النظام يقوم على أساس ربط كل العملات بالدولار الأمريكى بدلا من الذهب وقد تم تحديد سعر الصرف على أن كل ٣٥ دولار يساوى أوقية من الذهب أى أن كل دولار يساوى ٠,٨٨٦٧١ جرام ذهب.

– أحمد سليم (تعريب صليب بطرس ساويرس): نظم النقد الدولى ونظام النقد المصرى،

مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٤٨.

(61) https://en.m.wikipedia.org "the Marshall Plan"
(62) www.oEcd.org
(63) Ibid.
(64) www.oEcd.org.
(65) Ibid.
(66) John Gimbel, The origins of the Marshall plan (1976); I Manual Wexler, The Marshall Plan Revisited (1983); Michael Hogan. OEEC/ The Marshall Plan 1987.
(67) European Union, Marshall Plan Placed European path Toward Unity. www.Europe. Eu, dated 22 may 2007.

(*) اقتراح أولا من قبل وزير الخزانة الأمريكى مورجنتوا فى مذكرة بعنوان اقتراح بخصوص ألمانيا عقب الاستسلام أن قوات الاحتلال فى ألمانيا عقب الحرب العالمية الثانية تتضمن وسائل للقضاء على الصناعات الحربية وإزالة أوندمير أى صناعة أساسية للقوة العسكرية. وهذا يتضمن إزالة وتدمير جميع المصانع والمعدات فى منطقة الدهر.

https://en.m.wikipedia.org.
(68) https://en.m.wikipedia.org "the Marshall Plan" 1948-1951.
(69) FRUS. Diplomatic papers. 1955, 1957, vol. IV, Report by the department of state of the council on Foreign Economic Policy, Washington, 16 March 1955, p.263.
(70) FRUS. Op.cit., Analysis of reported cartedl aspects in the schuman plan. March 1955, p.262.
(71) Ibid, p.268.
(72) FRUS.op.cit., Report by the department of State to the Council on Foreign Economic Policy, Washington, March 16, 1955 p.265.
(73) FRUs. Op.cit., Memorandum from the Assistant Secretary of State for Economic Affairs (Waugh) to the under secretary of State (Hoover), Washington February 14, 1955, p.263.
(74) FRUS. Op.cit., Memorandum from the Assitant Secretary of State for European Affairs (Merchant) to the Secretary of State, Washington, 12 April, p.279.
(75) FRUS. Diplomatic papers, 1951, vol.VI, telegram from the Deputy united states special representative in Europe (wood) to the Administrator for economic cooperation (foster), Paris, August 7, 1951, p.44.
(76) FRUS. Diplomatic papers, 1955-1957, vol.IV. Report by the foreign operations Administration to the council on foreign economic policy, Washington, March 16, 1955, pp.272, 273.
(77) FRUS, Depto of State, 1950, III, Western Europe: Minites of the seventh Meeting of the policy staff, dated 24 January 19509. Washington p.261.
(78) www.OECD. org
(79) http://en.m.wikipedia.org "The Marshall plan"

(80) FRUS: Diplomatic papers, 1951, vol.IV, telegram from the concul at starsbourg (Andrews) to the Acting secretary of state. Strasbourg, November 22, 1951, p.67

(81) FRUS. Op.cit, telegram from the chargé in the Nether lands (trimble) to the secretary of state. The hagae, December 24, 1951, p.85.

(82) FRUS. Op.cit. telegram from the consulat Strasbourg (Andrews) to the department of state Strasbourg. February 28, 1951, pp.13, 14.

(83) FRUS: op.cit., telegram from the secretary of state to the Embassy infrance. Washington, April 30, 1951, p.21.

(*) مجلس السياسة الاقتصادية الخارجية الأمريكى هيئة على مستوى رفيع أسست من قبل الرئيس الأمريكى ايزنهاور فى ديسمبر ١٩٥٤ لتنسيق تنمية السياسة الاقتصادية الخارجية للولايات المتحدة.

http://en.m.wikipedia.org.

(84) FRUS. Diplomatic papers, 1955-1957, vol.IV. Report to the council on Foreign economic policy regarding the The European Common market 1957. p.550.

(85) FRUS. Op.cit., Memorandum of a conversation, Department of State Washington, January II, 1957, p.502.

(86) FRUS. Op.cit., report to the council forgin economic policy regarding the European Common market. 1957, p.551.

(87) Ibid.

(88) Ibid.

(89) FRUS. Diplomatic papers, 1955, 1957, vol. IV, Memorandum of a conversation, department of State, Washington, September 26, 1957, p.563.

(90) https://en.m.wikipedia.org. "The Marshall Plan"

(91) Ibid.

(92) A new letters of FPRI's center for the study of America and the west lessons from the Marshall Plan, vol.1 Number 3, January 1996.

(93) FRUS. Diplomatic papers, 1951, vol.VI, telegram from the consul at Strasbourg (Andrews) to the department of state, May 9, 1951, p.26.

(94) http://en.m.wikipedia.org "The Marshall plan"

(٩٥) يناير ٢٠٠٢، "جوردون أو.اف جونسون" www.cope-arabia.org

(96) Ibid.

- (ERP) Europe recovery Program.
- برنامج الانعاش الأوربى
- (ECA) Economic Cooperation Administration

- إدارة العون الاقتصادى
- (OEEC) organization for European economic cooperation
- المنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادى
- (OECD) Organization for European Cooperation and Development

المنظمة الأوروبية للتعاون والتنمية

- (EPU) European payments union

اتحاد المدفوعات الأوربى

- (CSC) Cool and Steel Community

رابطة الفحم والصلب

- (NATO) North Atlantic Treaty Organization

منظمة حلف شمال الأطلنطى

- (OCCF) Common/ Central Office of Consumers of Scrap Iron

المجلس المركزى لمستهلكى خردة العيد

- (EEC) European Economic Community

اتحاد اقتصادى أوربى

- (EPA) European Productivity Agency

وكالة الإنتاج الأوروبية

- (FOA) Foreign Operations Administration

إدارة العمليات الخارجية

- (CFEP) Council on Foreign Economic Policy

مجلس السياسات الاقتصادية الخارجية الأمريكى

- (GATT) The General Agreement on Tariffs and Trade

الاتفاقية العامة للتجارة والتعريفات.

نشاط تيريل الدبلوماسي في الدولة العثمانية ١٨٩٣-١٨٩٧م[*]

د. يوسف حسين يوسف عمر
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك.
قسم التاريخ
"جامعة الأقصى" بغزة - فلسطين

المقدمة:

تعود بداية العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية والدولة العثمانية إلى أواخر القرن الثامن عشر والسنوات الأولى من القرن التاسع عشر، حيث بدأت بعلاقات تجارية بين البلدين، تطورت فيما بعد إلى إقامة علاقات سياسية ذات أبعاد دينية وثقافية.[١]

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية قد أعطت الأولوية للأنشطة التجارية في البحر الأبيض المتوسط، فعملت من أجل تصدير العديد من المنتجات، مثل الذرة والسمك المملح وغيرهما من البضائع، وحتى لا تكون هناك أي عراقيل لتجارتها هذه؛ اضطرت إلى توقيع اتفاقية مع الجزائر عام ١٧٩٥م، كما أبرمت فيما بعد اتفاقيات مماثلة مع طرابلس وتونس،[٢] وكثيراً ما كان المسافرون والتجار الأمريكيون يزورون الموانئ العثمانية منذ عام ١٧٩٧م، مثل سميرنا Smyrna (أزمير حالياً) والإسكندرية وبيروت،[٣]

---

[*] مجلة المؤرخ المصرى، عدد يناير ٢٠١٦.

ورغم ذلك لم يكن هناك أي اتفاق متبادل بين البلدين، حيث أدارت الولايات المتحدة أعمالها من خلال القناصل البريطانيين الذين حصلوا على مبالغ مالية ضخمة من أجل إنجاز هذه الأعمال، الأمر دفع الولايات المتحدة جدياً إلى التفكير في توقيع اتفاقيات رسمية مع الدولة العثمانية. وحتى ذلك الوقت يمكن وصف العلاقات بين الولايات المتحدة والدولة العثمانية بأنها كانت علاقات "في حدها الأدنى".(٤)

في ذلك الوقت بدأ النشاط التبشيري الأمريكي في الدولة العثمانية والذي يرجع إلى تأسيس "المجلس الأمريكي لمفوضي الإرساليات الخارجية" American Board Of Commissioners For Foreign Missions (ABCFM) الذي تأسس في بوسطن Boston بولاية ماساتشوستس Massachusetts في يونيه عام ١٨١٠م، كمنظمة تبشيرية تسعى لنشر المبادئ المسيحية البروتستانتية وتعاليم الانجيل.(٥) حيث قرر هذا المجلس في ٣ نوفمبر ١٨١٩م أن يبدأ برنامج عمله في الدولة العثمانية(٦). وفي عام ١٨٢٠م بدأ المبشرون الأمريكيون بالتدفق إلى الدولة العثمانية،(٧) حيث وصل إلى أزمير (سميرنا) في ١٥ يناير ١٨٢٠م كلٌ من ليفي بارسونز Levi Parsons (١٧٩٢-١٨٢٢م) وبليني فيسك Pliny Fisk (١٧٩٢-١٨٢٥م)، وكانا أول مبشرَين أمريكيَين بروتستانتيّين يصلان إلى الدولة العثمانية. وكانت سمِيرْنا قد شكلت مكاناً مناسباً كي تكون محطة دائمة ومناسبة للعمل التبشيري بدلاً من القدس، كونها منطقة تجارية مفتوحة، وذلك بناء على تعليمات مشددة من المقر الرئيسي للمجلس الأمريكي في بوسطن.(٨)

ومهما يكن من أمر، فقد تمخض عن العمل الدبلوماسي والتبشيري الأمريكي؛ قيام الدولة العثمانية بالاعتراف رسمياً "بالملة" البروتستانتية عام

١٨٥٠م.[٩] كما استطاع المبشرون في شهر أغسطس ١٨٦٨م بناء كلية روبرت Robert College، وذلك نسبة إلى المساهم الرئيسي فيها الثري الأمريكي كريستوفر ر. روبرت Christopher R. Robert[١٠]، والتي تعد أول مؤسسة للتعليم العالي في الدولة العثمانية.[١١]

كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد عينت ديفيد أوفلي David Offley (١٧٧٩ - ١٨٣٨م) "كوكيل تجاري" في أزمير في وقت مبكر من عام ١٨١١م،[١٢] وفي عام ١٨٣٠م أَلَحّ وزير الخارجية الأمريكي مارتن فان بورين Martin Van Buren (مارس ١٨٢٩ - مايو ١٨٣١م) وقادة البحرية الأمريكية والتجار المؤثرين على إدارة الرئيس الأمريكي أندرو جاكسون Andrew Jackson (مارس ١٨٢٩ - مارس ١٨٣٧م) من أجل إجراء مفاوضات مع الدولة العثمانية للتوصل إلى اتفاقية تفاهم تجاري تشمل التبادل الدبلوماسي وفتح مكاتب قنصلية،[١٣] وبالفعل جرت مفاوضات بين الولايات المتحدة والدولة العثمانية، والتي أفضت إلى التوصل إلى معاهدة ثنائية رسمية في ١٠ مايو ١٨٣٠م، وهي المعاهدة التي مثلت أساس العلاقات الأمريكية العثمانية حتى بداية الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م، حيث حصل الأمريكيون على نفس الحقوق والامتيازات الممنوحة للدول الأوروبية في الدولة العثمانية، كما سمحت للمبشرين الأمريكيين العاملين بإنشاء المزيد من البعثات والمدارس والمستشفيات التبشيرية،[١٤] كما منحت المعاهدة رسمياً امتيازات تجارية هامة للولايات المتحدة باعتبارها الدولة الأولى بالرعاية، كما أعطت السفن الأمريكية الإذن لعبور البحر الأسود.[١٥] وفي المقابل، ووفقاً لمادة منفصلة وسرية من المعاهدة، وعدت الولايات المتحدة بمساعدة العثمانيين من أجل بناء سفنهم الحربية، وتحقيقاً لهذه الغاية ستقوم الولايات المتحدة بتزويدهم بالأخشاب الأمريكية، وبعد سنة تقريباً تم التصديق على

هذه المعاهدة من قبل الكونغرس الأميركي.[١٦] وكان هذا الاتفاق قد أدى إلى تطور التجارة الأمريكية تدريجياً لتصبح في عام ١٨٧٦م التجارة الرابعة من حيث الحجم مع الدولة العثمانية.[١٧] وفي ١٣ سبتمبر ١٨٣١م وصل ديفيد بورتر David Porter (١٨٣١ - ١٨٤٣م) كأول قائم بالأعمال الأمريكي Chargé d'Affaires في إستانبول،[١٨] حيث بذل كل جهد ممكن حتى وفاته وفاته عام ١٨٤٣م من أجل تحسين العلاقات الدبلوماسية بين البلدين.[١٩] وفي عامَ ١٨٤٥م أرسلت الحكومة العثمانية أول قنصل لها إلى بوسطن في الولايات المتحدة الأمريكية.[٢٠]

وأثناء الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١ -١٨٦٥م) عبرت الحكومة العثمانية عن تعاطفها مع الوحدة الأمريكية، لذلك وكرد فعل على ذلك، قام الوزير الأمريكي المفوض في إستانبول إدوارد جوي موريس Edward Joy Morris (يونيه ١٨٦١ - أكتوبر ١٨٧٠م) بالكتابة إلى وزير الخارجية الأمريكي وليام ه. سيوارد William H. Seward (مارس ١٨٦١ - مارس ١٨٦٩م) في محاولة منه لإيجاد مقاربة منه لواقع الحال بين البلدين حيث قال: "إن بعض القوى المسيحية في أوروبا تبدو غير مبالية بمصيرها" (أي مصير الدولة العثمانية).[٢١] لهذا أرسلت إدارة أبراهام لنكولن Abraham Lincoln (مارس ١٨٦١ - أبريل ١٨٦٥م) تعليمات إلى موريس كي يعبر للسلطان عن رغبة الإدارة الأمريكية في تطوير المصالح الاقتصادية بين البلدين إلى أقصى حد ممكن. لذلك تم عقد اتفاقية تجارية بين البلدين في ٢٥ فبراير ١٨٦٢م حيث بدأت السفن الأمريكية تبحر في المياه العثمانية دون عوائق.[٢٢]

رغم ذلك بقيت العلاقات الأمريكية مع الدولة العثمانية منذ ذلك الوقت في إطار العلاقات التجارية والحفاظ على حياة المبشرين والمؤسسات

التبشيرية الأمريكية حتى قيام الحرب الروسية العثمانية ١٨٧٧-١٨٧٨م حيث قررت الولايات المتحدة منع تصدير السلاح للدولة العثمانية، وبقت الأمور على حالها حتى نشأت المسألة الأرمنية من جديد عام ١٨٩٣م.[٢٣]

تيريل[٢٤] ومنصب الوزير المفوض.

كانت الإدارة الأمريكية منذ أوائل عام ١٨٩٣م منقسمة على نفسها حول العديد من القضايا السياسية، وخصوصاً في ولاية تكساس التي كانت مسقط رأس الكسندر وتكنس تيريل Alexander Watkins Terrell، حيث عملت هذه الولاية بِجدٍ من أجل أن يكون تيريل هو المرشح الأول لشغل منصب سفير أو قنصل عام في الخارج. لذلك تم عرض العديد من الاقتراحات لتعيينه قنصلاً عاماً في اليونان أو سويسرا، إلا أن تيريل كان يرغب في السفر إلى الشرق لمواصلة اهتماماته في دراسة التاريخ والفنون وجمع المخطوطات الشرقية القديمة، لذلك كان احتمال إرساله إلى الدولة العثمانية يُشكل له جاذبية خاصة. وفي أوائل أبريل ١٨٩٤م اجتمع تيريل وعضو الكونجرس جوزيف د. سايرس Joseph D. Sayers مع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ستيفن جروفر كليفلاند Stephen Grover Cleveland (مارس ١٨٩٣ - مارس ١٨٩٧م) في فترة رئاسته الثانية، حيث قال سايرس لكليفلاند: أن تيريل كان يدعم بقوة وفد تكساس، وأن كل واحد من هؤلاء كان صادقاً في دعم كليفلاند في الانتخابات الأخيرة. وفي ١٢ أبريل ١٨٩٣م أرسل كليفلاند اسم تيريل لمجلس الشيوخ الأمريكي للمصادقة عليه كي يكون وزيراً مفوضاً للولايات المتحدة الأمريكية (سفير) في إستانبول، وبعد بضعة أيام تمت المصادقة على هذا القرار.[٢٥]

ولقد عبر تيريل عن سعادته لصدور هذا القرار مؤكداً أنه سيكون

قادراً على زيارة الأراضي المقدسة "فلسطين" كجزء من واجباته كوزير مفوض في إستانبول، وأنه سيكون في قلب واحدة من أهم نقاط الاحتكاك الرئيسية للدبلوماسية الأوروبية. ونفى الشائعات عن رغبته في الحصول على أي دور وطني له في مجلس الشيوخ الأمريكي، مؤكداً أن جُلّ ما يرغب فيه هو تنمية إحساسه وشغفه وحبه لجمع التحف القديمة والمقتنيات النادرة، خصوصاً المخطوطات والكتب والأعمال الفنية في الشرق، الذي كان له عند تيريل سحر خاص.[٢٦]

عمد تيريل قبل أن يبدأ رحلته مع زوجته وإحدى بناتها إلى الدولة العثمانية إلى تنظيم شؤونه المالية والاقتصادية، خصوصاً وأنه سيغيب عن ولايته مدة ليست بالقصيرة قد تصل إلى حوالي أربع سنوات،[٢٧] وبعد أن تم له ذلك، قام بمغادرة الولايات المتحدة الأمريكية في رحلة استغرقت ما يقرب من ثلاثة أسابيع عن طريق القوارب والقطارات، حيث وصل إستانبول في منتصف يونيه ١٨٩٣م، وسرعان ما وجد تيريل نفسه في خضم مهامه "الرسمية الصعبة والمعقدة"، حيث كان من المتوقع أن يلتزم الدبلوماسيون الأمريكيون في الخارج بطاعة كل القواعد المتبعة من قبل وزارة الخارجية. لذلك لم يكن له الحق في اتخاذ مواقف معينة بخصوص الأحداث الداخلية في الدولة العثمانية، مع وجود أوامر مشددة خاصة بضرورة تجنب المجادلات العامة عند تقديم التقارير إلى وزارة الخارجية الأمريكية في واشنطن.[٢٨]

علم تيريل بعد أيام قليلة من وصوله إستانبول أن الصحف الأمريكية الشمالية هاجمت شخصه، الأمر الذي أثار غضبه وجعله يقدم استقالته، مما دفع وزير الخارجية الأمريكي والتر كوينتين جريشام Walter Quintin Gresham (مارس ١٨٩٣ - مايو ١٨٩٥م) إلى القول بأنه من المُهين القيام بتقديم الإستقالة، مؤكداً أن الهجوم على تيريل من قبل الصحافة كان اجتراراً

لما حدث إبان الحرب الأهلية الأمريكية بين الشمال والجنوب.[٢٩]

لم يكن للولايات المتحدة الأمريكية مفوضية خاصة بها أو مرافق دبلوماسية في الدولة العثمانية، لذلك اضطر تيريل في البداية إلى السكن في فندق لندريز Hotel Londres، ثم انتقل بعد ذلك إلى فنادق أخرى، قبل أن يقوم باستئجار مسكن له. وكبداية كان عدد موظفيه الشخصيين قلائل، لذلك وقع كثير من الأعمال على كاهله، ورغم أنه كان لديه سكرتير يُدعى جيمس و. ريدل James W. Riddle؛ إلا أن تيريل كان يعتمد أكثر على السكرتير الثالث له، إلى جانب ترجمان تركي آخر يُدعى أ. أ. غارغيولو A. A. Gargiuloمن أجل الترجمة والمساعدة الحاسمة في التعامل مع "البيروقراطية" العثمانية، خصوصاً وأن تيريل لم يكن يتكلم اللغة الفرنسية التي كانت اللغة الدبلوماسية السائدة في ذلك الوقت.[٣٠]

تيريل وقضية العثمانيين الحاصلين على الجنسية الأمريكية.

كانت قضية الرعايا العثمانيين –خصوصاً الأرمن- المهاجرين والحاصلين على الجنسية الأمريكية "المُجَنّسين" من أوائل القضايا التي شغلت تيريل والعلاقات العثمانية الأمريكية في ذلك الوقت، خصوصاً وأن هذه المسألة كانت قضية خلافية بين البلدين منذ سنوات طويلة[٣١]، حيث رفضت الدولة العثمانية اعتبار هؤلاء مواطنين عثمانيين، وبالتالي لا يملكون حق العودة إليها كعثمانيين، باعتبارهم من مثيري الفتنة داخل الدولة، وخصوصاً أولئك الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة منذ عام ١٨٦٩م دون علم السلطات العثمانية.[٣٢]

لذلك أكد وزير الخارجية الأمريكي جريشام لتيريل في ٢ سبتمبر ١٨٩٣م على أهمية معالجة قضية هؤلاء المُجنسين مع السلطات العثمانية

بالطرق السلمية، داعياً إياه في الوقت نفسه إلى التمسك بمبدأ مونرو Monroe Doctrine (٢ ديسمبر ١٨٢٣م) والقاضي بعدم تدخل الولايات المتحدة في شؤون الغير والعكس.[٣٣] لذلك رد تيريل على جريشام في ٢٩ سبتمبر ١٨٩٣م بأن الحالة غير المرضية للعلاقات الخاصة بين الولايات المتحدة والدولة العثمانية بخصوص الأرمن الحاصلين على الجنسية الأمريكية تزداد يوماً بعد يوم بشكل أكثر إحراجاً للبلدين.[٣٤]

وبدأ تيريل بالتوضيح لجريشام في ٢ أكتوبر ١٨٩٣م بأن السلطات العثمانية اعتقلت اثنين من المواطنين الأمريكيين -الذين وُلدوا في الدولة العثمانية وهاجروا إلى الولايات المتحدة وحصلوا على جنسيتها - وذلك بعد عودتهم إليها، أحدهما يُدعى ريديغيان Redighian تم اعتقاله في إستانبول، والآخر يدعى أ. متزيج A. Metzig وقد جرى اعتقاله في سلانيك، وكلاهما من أصول أرمنية. وأكد تيريل أن هذين الشخصين كانا يحملان جوازات سفر صادرة عن السلطات الرسمية في الولايات المتحدة، مؤكداً أنه رفض مناقشة حق الاغتراب من عدمه مع الجكومة العثمانية، ومطالباً بتأمين الافراج عن هذين الشخصين.[٣٥]

وأكد تيريل أن متزيج قد اعتقل في سلانيك بقرار من الحاكم العثماني فيها باعتباره مواطناً أمريكياً وليس عثمانياً، معتبراً بأنَ قراره هذا كان بناءً على تعليمات من الحكومة العثمانية، التي اعتبرت متزيج مواطن أجنبي من الولايات المتحدة، الأمر الذي دفع تيريل إلى الاعتراض على طريقه القبض عليه، والتي تمت في الفندق دون تمكينه حتى من أخذ أمتعته الشخصية، موضحاً بأن مثل هؤلاء يحملون جوازات سفر أمريكية وفق قانون الهجرة الأمريكي؛ وبالتالي يجب على الولايات المتحدة توفير الحماية اللازمة لهم. لذلك قام تيريل بإجراء مقابلة مطولة مع ناظر الخارجية العثماني سعيد حليم

باشا (1885-1896م) من أجل التوضيح له بأن هذه الاعتقالات تنتهك وبشكل صارخ المعاهدات بين البلدين، داعياً إياه إلى توقيع اتفاق خاص بين البلدين بخصوص المواطنين العثمانيين الحاصلين على الجنسية الأمريكية، وهو الامر الذي رحب به سعيد باشا. لكن وحتى يوم ٢ أكتوبر ١٨٩٣م لم يسمع تيريل أي جديد بهذا الشأن، ولا بشأن اطلاق سراح المُعتَقَلَين الأرمِنَيين اللذين تم اعتقالهما سابقاً(٣٦)

لذلك أرسل تيريل إلى سعيد باشا في ٣٠ سبتمبر ١٨٩٣م بشأن متزيج مؤكداً له أن القبض عليه تم دون توجيه أي تهمة من قبل السلطات العثمانية، الذين صادروا جواز سفره، ومنعوه من أخذ أمتعته الشخصية التي تركها في الفندق، وأن هذا الرجل قد وصل قبل أيام قليلة إلى الدولة العثمانية، وأنه حصل على الجنسية الأمريكية قبل عامين، مؤكداً أن القنصل العثماني في نيويورك يوسف أفندي والحاكم المحلي للشؤون السياسية في سلانيك اعتبرا أن متزيج ولد في بورغاس Bourgas داخل الدولة العثمانية، وبالتالي لا يمكن اعتباره مواطناً أمريكياً فقط، ولا يمكن أن تتم حمايته من قبل الولايات المتحدة. وأوضح تيريل لسعيد باشا أن هذا الأمر قد حدث أكثر من مرة مع المواطنين الأرمن الذين تجنسوا بالجنسية الأمريكية، وأنه لا يمكن إلقاء القبض على شخص ما على أساس أنه هاجر للولايات المتحدة دون موافقة السلطات العثمانية الرسمية، مؤكداً على حماية هؤلاء المواطنين وكأنهم ولدوا في الولايات المتحدة، طالباً في الوقت نفسه وقف مثل هذه التصرفات(٣٧).

أرسل جريشام إلى تيريل في ٤ أكتوبر ١٨٩٣م طالباً منه المزيد من التفاصيل بشأن مطالب الحكومة العثمانية، والأسس التي تمت عليها عملية اعتقال هذين الشخصين، وهل تم الاعتقال لانتهاكهما بعض القوانين؛ أم

لأنهما عادا إلى الدولة العثمانية.[٣٨] ورد تيريل في اليوم التالي بأن الاعتقال كان لأنهما سافرا إلى الولايات المتحدة دون علم السلطات العثمانية الرسمية، وأن الاعتقال كان بهدف طرد هؤلاء من الدولة.[٣٩]

ومهما يكن من أمر؛ فقد أخبر تيريل جريشام في ١٢ أكتوبر ١٨٩٣م بأنه حصل من الحكومة العثمانية على اعتراف بالجنسية الأمريكية لريديغيان ومتزيج، والذينَ تم إلقاء القبض عليهما سابقاً، وبناء عليه سيتم إطلاق سراحهما والسماح لهما بمغادرة الدولة دون أي مشاكل.[٤٠] كما أرسل تيريل إلى جريشام يخبره بأن الحكومة العثمانية سوف تتخلى عن سياستها الخاصة بسجن الرعايا العثمانيين الذين يحملون الجنسية الأمريكية، والذين هاجروا دون الحصول على موافقة السلطات، لكنها ستحتفظ بحقها في طرد الأشخاص غير المرغوب فيهم، حتى ولو كانوا مواطنين أمريكيين أو من الحاصلين على الجنسية الأمريكية،[٤١] ورغم أنه تم إطلاق سراح ريديغيان ومتزيج؛ إلا أن جريشام أرسل إلى تيريل تلغرافاً في ١٨ نوفمبر ١٨٩٣م يدعوه فيه إلى الاحتجاج ضد أي عقوبة يتعرض لها الأرمن الحاصلين على الجنسية الأمريكية، ورفض التعامل معهم كمجرمين، والاحتجاج على سجنهم لفترة طويلة جداً، مع التأكيد على الاعتراف بحق الحكومة العثمانية في طردهم.[٤٢] كما ذكرت صحيفة شيكاغو هيرالد Chicago Herald أن الرئيس الأمريكي كليفلاند دعا إلى توقيع معاهدة ثنائية مع الدولة العثمانية بخصوص الرعايا العثمانيين الحاصلين على الجنسية الأمريكية.[٤٣]

على الرغم من أن تيريل كان قدم أوراق اعتماده للسلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م) والحكومة العثمانية فور وصوله إلى إستانبول؛ إلا أنه لم يحظ بفرصة لعقد اجتماع موسع مع السلطان حتى ديسمبر ١٨٩٣م، حتى تلقى تيريل دعوة من السلطان لمقابلته عشاء يوم ٢٣ ديسمبر ١٨٩٣م،

ورأى تيريل أن ذلك يُعد مناسبة اجتماعية لإظهار الدبلوماسية الأمريكية بطريقة راقية، حيث تحدث أثناء المقابلة ببراعة ولباقة مع السلطان. وبهذه الطريقة استطاع تيريل أن يسرق الأضواء ويتفوق تدريجياً على السفراء الأوروبيين في العاصمة إستانبول. ومن هنا ظهرت فرصة جدية لتيريل لإظهار ما يمكنه القيام بفعله على الساحة الدولية.[٤٤]

تيريل والمسألة الأرمنية.

تصاعدت الأحداث التي قام بها الأرمن أكثر وأكثر داخل الدولة العثمانية، وسرت الأخبار الخاصة عما سُميّ "بالمجازر" الأرمنية أوائل تسعينات.القرن التاسع عشر، والتي وصلت أخبارها الى الصحف الأمريكية، وخصوصاً صحيفة نيويورك تايمز The New York Times. ورغم كل ما أثير وقيل عن ارتكاب السلطات العثمانية من جرائم ضد الأرمن: إلا أن تيريل كان حتى أوائل عام ١٨٩٤م مقتنعاً بشأن النوايا السيئة للأرمن سواء المقيمين منهم في الدولة العثمانية أو المهاجرين الذين حصلوا على الجنسية الأمريكية من الذين تأثروا بالمجتمعات الثورية، وفعلوا كل شيء ممكن من أجل دعم النشاط التبشيري في المناطق الأرمنية. حيث قال تيريل: "إن الأرمن الذين تآمروا ضد الحكومة العثمانية يفكرون في كثير من الأحيان بالعنف ضد أعدائهم، وأساليبهم المتبعة يمكن أن تكون متسمة بالتهور". كما قال لزوجته: "إن السلطان مستاء من المسألة الأرمنية"، واعتبر أن "الأرمن يُقادون بتصميم أحمق إلى حيث حتفهم". وبعد ذلك بعام واحد "انفجرت" أفكار تيريل في رسالة جديدة إلى زوجته حين قال: "إن الأرمن كجنس يُعَدُون أكثر الناس جحوداً، كما يُعَدُون في نفس الوقت أكبر الكذابين على وجه الأرض".[٤٥] وعبر تيريل عن قناعته بأن العنف كان نتيجة تحريض الأرمن

والمبشرين، مشيراً إلى أن الفوضويين الأرمن كانت لهم مخططات تخريبية، ولن يهدؤوا حتى الحصول على تعاطف العالم المسيحي.(٤٦) لذلك كان الأرمن عبئاً دائماً على تيريل.(٤٧)

كان التصرف الأولي والطبيعي لتيريل في ذلك الوقت هو تصديق التفسير والرؤية العثمانية للأحداث الجارية مع الأرمن، والشك في صحة المزاعم الأرمنية. حيث أكد له السلطان ومساعديه بأن الأرمن كانوا متمردين وقد حملوا السلاح ضد الدولة العثمانية، وهو الأمر الذي أكدته بعض الصحف الأمريكية،(٤٨) وأن الجيش العثماني كان يتعامل مع العنف الثوري الأرمني مثل أي "حكومة شرعية في العالم". لكن مع ازدياد الأحداث ضد الأرمن، عبر تيريل لحكومته عن شكوكه بأن الأتراك ربما كانوا على خطأ، إلا أن هذا الأمر لم يطل كثيراً، حيث سرعان ما تم "استقطاب" تيريل مجدداً وأصبح متعاطفاً من جديد مع الدولة العثمانية، الأمر الذي أزعج المبشرين الأمريكيين والأرمن على حد سواء، حيث تأكد لديهم أسوأ مخاوفهم الخاصة بفقدان شخص مؤثر بحجم تيريل على دولته وعلى الدولة العثمانية(٤٩).

غادر تيريل الدولة العثمانية في مطلع أبريل ١٨٩٤م حيث وصل الى نيويورك بعد ما يقرب من ثلاثة أسابيع، حيث ذهب إلى واشنطن ليقدم تقريرين إلي الرئيس الأمريكي كليفلاند ووزير خارجيته جريشام. وأعرب تيريل في التقريرين عن رضاه على الطريقة التي يتم فيها حماية مصالح الولايات المتحدة الأمريكية في الدولة العثمانية، رغم أن كليفلاند وجريشام كانا حذرين من نشاطاته الدبلوماسية.(٥٠)

عاد تيريل إلى الدولة العثمانية في منتصف شهر يوليه ١٨٩٤م، حيث كان عازما بشدة على جمع القطع الأثرية لنفسه ولجامعة تكساس.(٥١) وما إن جاء خريف عام ١٨٩٤م حتى جاء الوقت الذي هُددت فيه واجبات

تيريل المهنية، لتجعل منه شخصاً مثيراً للجدل بشكل كبير بين المبشرين والأرمن ووزارة الخارجية الأمريكية. ففي أواخر أغسطس وحتى أوائل سبتمبر ١٨٩٤م، دارت اشتباكات بين الأتراك والأرمن في منطقة ساسون Sassoun، الأمر الذي نتج عنه سلسلة من "المذابح" التي تعرض لها الأرمن، والتي استمرت لعامين قادمين. حيث قام المدافعون عن الأتراك بإلقاء اللوم على الأرمن وأهدافهم الثورية، وكان تيريل من أولئك الأشخاص. بينما قام المعادون لها بتحميل الدولة العثمانية المسؤولية المطلقة على هذه الأحداث.(٥٢)

وعندما نشرت الصحف الأمريكية تقارير مفصلة عن الفظائع الأرمنية المزعومة، التزم تيريل الصمت حول هذه المسألة مع وزارة الخارجية الأمريكية ، حتى أرسل إليه جريشام من واشنطن يوم ٢٥ نوفمبر ١٨٩٤م قائلاً له: "إنه على الرغم من وجود مزاعم بشأن وجود أحداث حدثت في سبتمبر الماضي، إلا أنك لم تُبرق ولم تكتب لي حتى الآن حول هذا الموضوع"،(٥٣) مما اضطر تيريل إلى الرد على جريشام بعد ثلاثة أيام قائلاً: إن التقارير الواردة في الصحف الأمريكية عن الفظائع العثمانية بحق الأرمن في ساسون مثيرة ومبالغ فيها، وكانت عمليات القتل نتيجة الصراع بين الأرمن المسلحين والجنود الأتراك، وأن الصدر الأعظم أحمد جواد شاكر باشا Ahmed Cevat Şakir Pasha (سبتمبر ١٨٩١ -يونيه ١٨٩٥م) يقول أنه كان من الضروري قمع التمرد، والذي أسفر بعد المعركة عن مقتل نحو ٥٠ من الأتراك، وما بين ٣٠٠-٤٠٠ من الأرمن المسلحين بالبنادق.(٥٤) لكن تيريل لم يلبث وأن أرسل إلى جريشام تلغرافاً في ٣٠ نوفمبر ١٨٩٤م ذكر فيه رغبة السلطان عبد الحميد في موافقة الرئيس الأمريكي على مشاركة قنصل الولايات المتحدة في ساسون ميلو أ. جويت Milo A. Jewett في

لجنة التحقيق العثمانية الخاصة بشأن الفظائع المزعومة بحق الأرمن ووضع تقرير مستقل عن الأحداث، حيث عبر تيريل عن اعتقاده بأن الموافقة الأمريكية على هذا الطلب سيؤدي إلى فائدة عظيمة للمبشرين الأمريكيين في آسيا الصغرى، حيث يتمنى السلطان وجود ممثل لقوة محايدة مثل الولايات المتحدة الأمريكية، وأن السلطان طلب رداً على طلبه هذا خلال أيام قليلة.(٥٥)

لذلك لم يطل رد جريشام الذي أرسل الى تيريل في ٢ ديسمبر ١٨٩٤م، بأنه يقدر ثقة السلطان عبد الحميد؛ إلا أن الرئيس الأمريكي كليڤلاند لا يُرحب بالمشاركة في لجنة التحقيق العثمانية من خلال مشاركة مندوب أمريكي.(٥٦) الأمر الذي دفع السفير العثماني في واشنطن الكسندر ماڤروياني بك Aleksandr Mavroyeni Bey إلى الطلب من الحكومة الأمريكية تحقيق رغبة السلطان في انضمام الولايات المتحدة إلى لجنة التحقيق بشأن أحداث ساسون، الأمر الذي غيّر قليلاً من موقف الرئيس الأمريكي، الذي وافق مبدئياً على مشاركة جويت من خلال مرافقة لجنة التحقيق العثمانية فقط -بشرط عدم اعتباره عضوا فيها- مع التأكيد على عدم انضمامه للجنة أثناء إصدار أي تقرير أو التوقيع عليه.(٥٧)

أرسل تيريل إلى جريشام بتاريخ ٢ ديسمبر ١٨٩٤م بأن المعلومات الواردة من السفير البريطاني في إستانبول فيليب كوري Philip Currie (١٨٩٣-١٨٩٨م) تُشير إلى أن الخسائر في الأرواح في المناطق الأرمنية أكثر بكثير مما تم ذكره في البرقية التي أرسلها سابقاً بتاريخ ٢٨ نوفمبر.(٥٨)

دفعت الأحداث المتلاحقة في المناطق الأرمنية إلى قيام الرئيس الأمريكي كليڤلاند في ١١ ديسمبر ١٨٩٤م إلى القول: بأن الأخبار قد وصلت إليه حول ارتكاب أعمال وحشية مزعومة ضد الأرمن في الدولة العثمانية، وخاصة الأرمن الحاصلين على الجنسية الأمريكية، وأشخاص آخرين بسبب

كونهم مسيحيين، وأن هذه الأخبار للأن مَرَدُهَا إلى التقارير الصحفية، في الوقت الذي تُنكر فيه الحكومة العثمانية مثل هذه الأعمال وخصوصاً في ساسون، على أن أحد التقارير الأمريكية التي وردت من تيريل في إستانبول بتاريخ ٢٨ نوفمبر ١٨٩٤م أنكرت حدوث مثل هذه الأعمال الوحشية، مؤكدة أن تقارير الصحف الأمريكية كان مبالغاً فيها، وأن القتل كان بين المسلحين الأرمن والجنود الأتراك حيث قتل ٥٠ من الأتراك و٣٠٠-٤٠٠ من الأرمن، وأنه كان من الضروري قمع التمرد. واستمر كليفلاند قائلاً: بأن برقية أخرى من تيريل بتاريخ ٢ ديسمبر ١٨٩٤م أشارت إلى أن المعلومات التي حصل عليها من السفير البريطاني في إستانبول كوري تفيد بأن الخسائر في الأرواح كانت أكبر مما ورد في البرقية التي تم إرسالها بتاريخ ٢٨ نوفمبر، وأن الأعمال الوحشية ارتكبت بالفعل ضد المواطنين؛ وخصوصاً الأرمن الحاصلين على الجنسية الأمريكية، أو الذين أعلنوا عن نيتهم الحصول على الجنسية الأمريكية. وأشار كليفلاند إلى وجود خلط وغياب للمعلومات التفصيلية حول ما يحدث حقاً في الدولة العثمانية، مشيراً إلى رغبة الحكومة العثمانية في التحقيق في هذه الادعاءات المزعومة من خلال لجنة تحقيق خاصة، وأنها طلبت مشاركة جويت في هذه اللجنة. وأكد الرئيس الأمريكي على أهمية التزام السلطات العثمانية ببنود اتفاقية برلين ١٨٧٨م[٥٩] بشأن إصلاح أحوال الأرمن وإعطائهم حقوقهم.[٦٠] في الوقت الذي أرسل فيه جريشام إلى تيريل في أواخر ديسمبر ١٨٩٤م كي يعلمه برفض الولايات المتحدة اقتراح السلطان عبد الحميد الثاني انضمام جويت بأي شكل كان إلى لجنة التحقيق العثمانية وتقديم تقرير مستقل، وذلك دون إبداء أسباب الرفض.[٦١]

أرسل تيريل إلى جريشام بأنه قابل السلطان عبد الحميد الثاني لمدة ٣

ساعات، حيث ناشد الأخير الولايات المتحدة الأمريكية مجدداً المشاركة في لجنة التحقيق عبر جويت، وأكد تيريل بأن السلطان يشعر بحرج كبير، بل ويعتبر أن هذا الرفض بمثابة إهانة للدولة العثمانية، الأمر الذي بعث على القلق عند تيريل.(٦٢) وقد يكون ذلك سبب قيام جريشام بإخبار تيريل في ٢٤ ديسمبر ١٨٩٤م أن السلطان لن يقوم بالضغط مجدداً على الولايات المتحدة بعد قيامها برفض السماح لجويت بالمشاركة في لجنة التحقيق.(٦٣) ولا يُفهم في حقيقة الأمر مُراد جريشام من ذلك الأمر؛ إذا ما علمنا أن عشرات الوثائق الأمريكية التي تُبودلت بعد ذلك تثبت بأن الدولة العثمانية جددت مطالبها مراراً وتكراراً بشأن مشاركة جويت في لجنة التحقيق.

ومهما يكن من أمر؛ فقد طلب كليفلاند وجريشام من تيريل اتخاذ إجراءات فورية من أجل تأمين الأرمن من قبل السلطات العثمانية بما يتناسب ومظاهر الحضارة الحديثة.(٦٤) كما طلبا منه عبر عشرات الرسائل والبرقيات ابتداء من ٩ ديسمبر ١٨٩٤م حماية البعثات التبشيرية البروتستانتية الأمريكية العاملة في المناطق الأرمنية من الدولة العثمانية، والعمل على تهدئة المسيحيين الأرمن قدر الإمكان.(٦٥)

تيريل وأزمة الثقة مع جريشام.

ارتكب تيريل عدة أخطاء في علاقته مع السلطان عبد الحميد الثاني وذلك من وجهة نظر المؤرخ لويس ل. جولد Lewis L. Gould، الذي اعتبر أن تيريل كان يبالغ في إمكانياته وقدرته على الإقناع، كما فشل في الاعتراف بأن السياسات الوطنية، وليس العلاقات الشخصية؛ هي التي تحكم ما يفعله الأتراك مع المبشرين والأرمن، وأن السلطان كان لطيفاً بما يكفي، لكنه ضُلّلَ من قبل مستشاريه، لذلك ظل تيريل يردد مراراً وتكراراً أنه

سيسعى لإقناع السلطان؛ من أجل تغيير سياساته الخاصة، على أساس أن مساعديه قد خدعوه، وأنه لم يسمع الحقيقة عن الأحداث. كما أخطأ تيريل مرة أخرى عندما اعتقد أنه استطاع أن يقيم علاقات شخصية خاصة مع السلطان.(٦٦)

أدت هذه الأخطاء إلى جلب الإهانة والتوبيخ لتيريل. ففي ديسمبر ١٨٩٣م بعث جريشام برقية إلى تيريل عن حالة المواطنين الأميركيين من أصول عثمانية، حيث أبدى جريشام سخطه من قيام تيريل باستخدام لغة دبلوماسية أكثر توسعاً من خلال المقارنة بين دستور الولايات المتحدة ودستور بريطانيا، حيث اعتبر جريشام أن تصريحات تيريل حول بريطانيا والولايات المتحدة "ليس لها لزوم فحسب؛ بل وغير دقيقة". مؤكداً أن إعلان تيريل كان يجب أن يتماشى مع ما يتناسب وسياسة حكومة الولايات المتحدة، مطالباً إياه كذلك باتخاذ موقف من مسألة تدخله في الشؤون العثمانية الخاصة، والذي ينبع من أنه لا مصلحة للولايات المتحدة بتحمل مثل هذه المواقف. وقد يكون هذا سبباً من أسباب كراهية تيريل لجريشام، ولكن لا يبدو أن موقف الأخير غيّر من موقف تيريل أو طريقة تعامله أو اقترابه من الحكومة العثمانية.(٦٧)

لذلك جلب تيريل إلى نفسه سلسلة من برقيات التوبيخ من جريشام خلال الأشهر الأربعة الأولى من عام ١٨٩٥م. ففي ٣٠ يناير طلب جريشام من تيريل أهمية إظهار المزيد من الحذر وأخذ الاحتياطات اللازمة عند مناقشة المسائل المتعلقة بالسياسات القارية، وبعد أسبوعين طلب جريشام منه "الامتناع التام عن قول أو فعل أي شيء قد يشير إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تحاول التأثير على الطريقة التي يجري فيها تنفيذ معاهدة برلين لعام ١٨٧٨م بين روسيا والدولة العثمانية، مما دفع على الاعتقاد عند

تيريل بأن المبشرين يشنون عليه حملة تحريضية شديدة داخل أروقة الحكم الأمريكية، الأمر الذي دفعه إلى القول بأن معارضة المبشرين له قد تبرر تركه هذا العمل ونقله إلى عمل دبلوماسي آخر. لذلك رد جريشام بسرعة على تيريل معتبراً أن "ما قد يظنه العنصر التبشيري بالنسبة لموقف هذه الحكومة أو ما يتعلق بأعمالك كممثل لها؛ لا تبدوان سبباً كافياً لنقلك لمهمة أخرى. ورغم ذلك ظل تيريل يتعرض من قبل جريشام للإذلال والتوبيخ،(٦٨) بسبب وصول مئات الرسائل من قبل المبشرين الأمريكيين إلى وزارة الخارجية الأمريكية، والتي تتهم تيريل بالتقاعس في حماية المبشرين والمواطنين الأمريكيين في الدولة العثمانية. كما تلقي تيريل شخصياً الكثير من الرسائل والبرقيات من المبشرين لنفس الهدف، ومنها رسالة القس جورج ف. هيريك George F. Herrick رئيس المؤسسة التبشيرية الأمريكية The American Missionary Institution في ٢ فبراير ١٨٩٥م والتي تناشده العمل من أجل وقف المذابح والجرائم بحق الأرمن والمبشرين الأمريكيين المقيمين في الدولة العثمانية.(٦٩)

استمرت أزمة الثقة بين جريشام وتيريل. ففي أوائل أبريل ١٨٩٥م أخبرت وزارة الخارجية الأمريكية السفير الأمريكي في لندن توماس فرنسيس بايارد Thomas Francis Bayard (١٨٩٣ -١٨٩٧م) "بأن وزير الخارجية مستاء جداً من سلوك تيريل في إستانبول"،(٧٠) كما اعتبر جريشام أن عمل تيريل في إستانبول كان "قذراً" Slovenly وأن "هناك خطر من كون تيريل يعمل على إحراج نفسه وحكومته بمحاباته للسلطان".(٧١)

كل ذلك دفع تيريل إلى الشعور بالغضب والإحباط من انتقادات جريشام والمبشرين الدائم له، وجعلته يتقدم بطلب إجازة لمدة ثلاثين يوماً، الأمر الذي اعتبره البعض بمثابة تقديم للاستقالة. وفي منتصف مايو ١٨٩٥م

علم تيريل أن وزارة الخارجية لن تعطيه أي إجازات نظراً للظروف غير المستقرة في الدولة العثمانية، وأنه يجب أن يبقى في منصبه حتى إشعار آخر.[٧٢] ويبدو أن السلطان عبد الحميد قد شعر أو امتلك المعلومات اللازمة حول علاقة تيريل السيئة مع جريشام والمبشرين، لذلك عرض عليه مبادرة كي يتخلى عن منصبه الرسمي ويصبح وكيلاً للصحافة في الدولة العثمانية، إلا أن تيريل رفض ذلك.[٧٣]

تيريل ووزير الخارجية الأمريكي الجديد "أولني".

توفي وزير الخارجية الأمريكي جريشام في ٢٨ مايو ١٨٩٥م، ونجح النائب العام ريتشارد أولني Richard Olney (يونيه ١٨٩٥ - مارس ١٨٩٧م) في خلافته. ولم يكن لموت جريشام أي اهتمام أو اعتبار عند تيريل ولم يشكل ذلك له أي خيبة أمل، خصوصاً أن علاقات تيريل مع وزير الخارجية الجديد كانت أكثر انسجاماً بكثير من خلفه جريشام.[٧٤]

في ذلك وقت حثت القوى الأوروبية السلطان عبد الحميد في مايو ١٨٩٥م على إجراء إصلاحات للتخفيف من المظالم التي تقع على الأرمن، وذلك بدعم ضمني من روسيا، الذين لم يكن لديهم مصلحة في رؤية دولة أرمنية مستقلة على حدودهم. وطلبت هذه القوى من السلطان القيام بإجراءات محددة خلال الأشهر الأربعة المقبلة؛ إلا أن السلطات العثمانية ماطلت كثيراً في هذا الأمر خصوصاً عندما كان الهدوء النسبي يعم المناطق الأرمنية.[٧٥]

إلا أن الأمور لم تكن كذلك دائماً على هذه الدرجة من الهدوء، حيث أرسل تيريل إلى أولني في ٢ أكتوبر ١٨٩٥م قائلاً له: إن عدة مئات من الأرمن ساروا متجهين علانية إلى الباب العالي يسألونهم الإنصاف من المظالم، وعندما علم البطريرك الأرمني بذلك حاول منعهم؛ إلا أن الأرمن لم

يستجيبوا له، وحدث تصادم بين الأرمن والشرطة العثمانية، مما أدى إلى مقتل ما يقرب من ٦٠ من الأتراك والأرمن على حد سواء. وأكد تيريل أن الأرمن حملوا المسدسات، وأن مسلسل القتل استمر من الطرفين. كما أكد بأن الحكومة العثمانية تعتبر بأن هذه المظاهرات والأحداث نظمتها منظمة الهنشاك(٧٦) الأرمنية، التي قامت بالكثير من الأعمال الإرهابية. وعبر تيريل عن اعتقاده بأن الحكومة العثمانية قادرة على كبح جماح التعصب والارهاب الأرمني.(٧٧)

كما أرسل تيريل إلى أولني في اليوم التالي ٣ أكتوبر ١٨٩٥م رسالة أخبره فيها أن "الإرهاب" كان موجوداً في إستانبول طيلة الأيام الثلاثة الماضية بين السكان الأرمن، وهناك خوف مطلق بأن تصبح جميع الأجناس التي تدين بالمسيحية في خطر من قبل المسلمين و"المتعصبين". وذكر تيريل أنه قبل بضعة أيام تم إرسال رسالة من "مجهول" إلى الصدر الأعظم أحمد جواد شاكر باشا أي يوم الاثنين ٣٠ سبتمبر، ذكر فيها بأن عدداً كبيراً من الأرمن سوف يذهبون إلى مقر الحكومة العثمانية من أجل تقديم التماس لرفع الظلم عنهم، وهو أمر أفضل بكثير من مقابلة الصدر الأعظم أحمد جواد شاكر باشا للمقاومة الأرمنية. وأكّد تيريل أنه كان على علم بأن الحكومة العثمانية أخطرت البطريرك الأرمني بذلك، وأنه كان من المتوقع أن يتم منع تجمع الأرمن أمام مقر الحكومة العثمانية حتى لا تتحمل عواقب ذلك. وفي صباح يوم ٣٠ سبتمبر ١٨٩٥م، وأثناء الخدمة الإلهية (القُداس) في البطريركية، نصح البطريرك الشعب الأرمني بالتحلي بالصبر والحكمة محاولاً منعهم من التحرك، إلا أن موجه من الانتقادات وُجهت له، حيث تحركت مجموعة كبيرة من الشباب وعددهم بالمئات تجاه مقر الحكومة العثمانية الذي كان على بعد ميل واحد، وما إن وصلوا إلى بُعْد مئات

الخطوات منه، حاولت الشرطة وقف تقدمهم، الأمر الذي أحدث حالة من الصدامات بينهما، استخدم خلالها الأرمن المسدسات بكثرة، فقتلوا ضابط تركي برتبة رائد، إلى جانب العديد من رجال الشرطة. وأكد تيريل أن الذي لم يكن موجوداً قد يكون لديه شك حول من قام بالأحداث، ولكن الاعتقاد السائد هو أن الأرمن كانوا أول من بدأها. وأشار تيريل إلى الاختلاف في عدد القتلى الذي يُقدر في هذه الفترة من ١٥ إلى ٥٠ شخصاً. كما ذكر تيريل أن يوم الثلاثاء ١ أكتوبر مر دون جلبة إلا في منطقتين، حيث قُتل اثنين من الأرمن بالعصي والحجارة، كما قُتل نحو ٢٥ من العمال الأرمن الذين احتلوا خاناً (دكاناً) من قبل بعض "الرعاع" الأتراك بالعصي والسكاكين، إلى جانب قتل ٥٠ آخرين في خان آخر في إستانبول. وفي كلتا الحالتين تم نقل الجثث في الليل بعيداً من أجل إخفائها، كما قُتل اثنين آخرين قرب مدرسة بروتستانتية في إستانبول، بالإضافة إلى قتل ٧ من الأرمن في سكوتاري Scutari قرب إستانبول. وأشار تيريل إلا أن التقديرات تشير إلى أنه تم اعتقال ما بين ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ من الأرمن المسلحين خلال اليومين الماضين لإرساله هذه الرسالة.[٧٨]

وفي صباح الأربعاء علم تيريل أن السيدة نيويل Mrs. Newell والسيدة شيشمانيان Shishmanyan، وهما سيدتين أمريكيتين تعملان في المدرسة الأمريكية في وسط الحي الأرمني من إستانبول كانتا في خوف شديد بسبب تصاعد الأحداث في المناطق الأرمنية. حيث عمل تيريل للانتقال إلى هذه المنطقة من أجل توفير الحماية لهما، وبعد أن قام بذلك، ذهب من فوره إلى مدير الشرطة، وطالبه بحماية فعالة لجميع الأميركيين بمن فيهن السيدات في إستانبول وسكوتاري Scutari، كما كانت السلطات العثمانية قد وعدت به من قبل.[٧٩] كما جدد تيريل طلبه هذا من خلال رسالة بعث بها

إلى ناظر الخارجية العثماني سعيد باشا كي يوجه تعليماته الخاصة بحماية الأميركيين إلى جميع المحافظات في الدولة العثمانية.[٨٠]

أما بخصوص الأرمن أنفسهم فقد أخبر تيريل أولني بتاريخ ٨ أكتوبر ١٨٩٥م بأن أكثر من ألف من الأرمن ظلوا مختبئين بصمت في كنائسهم في بيرا Pera وإستانبول بأوامر من القيادات الثورية الأرمنية، وأن جميع محلاتهم التجارية كانت لا تزال مغلقة.[٨١] كما ذكر تيريل يوم ٢٦ أكتوبر ١٨٩٥م أن الصدر الأعظم أحمد جواد شاكر باشا أخبره أن الأرمن في بتليس Bitlisهاجموا المسلمين عندما كانوا يؤدون الصلاة في المساجد ظهر أمس، وأن الدولة العثمانية تسعى من أجل استعادة الهدوء.[٨٢]

وفي ٣١ أكتوبر ١٨٩٥م أكد تيريل أن المبشرين الأمريكيين سوف يُغادرون مقاطعة ساسون،[٨٣] وأن الأمر أصبح بيد المبشرين ليقرروا بأنفسهم إذا ما كانوا سيتركون ساسون في الوقت الحاضر أم لا، مع التأكيد على سلامتهم المكفولة من قبل السلطات العثمانية المحلية.[٨٤] كما أكد تيريل أن هناك مجزرة كبيرة وقعت ضد الأرمن في سيواس Sivas، وأن السلطات العثمانية استعادت النظام تدريجياً، وأن الأجانب تم تأمينهم تحت حراسة مشددة.[٨٥] خصوصاً بعد أن وصلت برقية من جويت إلى تيريل والذي بدوره أرسلها إلى أولني بأن ٨٠٠ أرمني و١٠ أتراك قتلوا خلال الأيام القليلة الماضية في هذه المنطقة.[٨٦]

كما انتشرت المذابح ضد الأرمن في مناطق أخرى مثل ميرزفون Merzifon وأماسيا Amasya وعنتيب Antep وغيرها من المناطق.[٨٧] لذلك كان كل ما يهم وزارة الخارجية الأمريكية وتيريل في ذلك الوقت هو العمل على تأمين المبشرين والمواطنين الأمريكيين المقيمين في هذه المناطق، وخصوصاً في المقاطعات الأسيوية من الدولة العثمانية.[٨٨]

وعندما أخبر تيريل أولني بأن جميع المبشرين والمواطنين الأمريكيين قد أصبحوا بأمان، أرسل أولني إلى تيريل يُعبر عن سعادته بذلك، معتبراً أن مثل هذه الأخبار تثلج الصدور.(٨٩)

تيريل وقضية التعويضات من الدولة العثمانية.

أثناء الأحداث الدامية بين الأرمن والسلطات العثمانية، تضررت بعض الممتلكات الأمريكية في هاربوت، حيث أُحرقت ٨ منازل للمبشرين الأمريكيين،(٩٠) الأمر الذي دفع وزارة الخارجية الأمريكية للطلب من تيريل تقدير الخسائر، والذي بدوره قدّر قيمة الخسائر بـــ ١٠٠ ألف دولار،(٩١) لذلك طلب أولني من تيريل إرسال إخطار خاص إلى الحكومة العثمانية بشأن دفع التعويضات التي تم تقديرها عن هذه الأضرار،(٩٢) مطالباً بضرورة قيام الدولة العثمانية بالدفع الفوري،(٩٣) رغم تأكيد الحكومة العثمانية أنها غير مسؤولة عن تدمير الممتلكات الأمريكية، وأن الجنود العثمانيين بذلوا جهوداً كبيرة من أجل حماية الرعايا الأمريكيين في هاربوت وغيرها من المَناطق، مؤكدين أن مثيري الشغب الأرمن هم الذين قاموا بإحراق المباني والممتلكات الأمريكية.(٩٤)

وبسبب تأكيد الدولة العثمانية عدم مسؤوليتها عن الأضرار التي لحقت بالأمريكيين في هاربوت، ومماطلتها في دفع التعويضات، طلبت وزارة الخارجية الأمريكية من تيريل أن يحصل على إذن من الحكومة العثمانية من أجل دخول السفينة ماربلهيد Marblehead إلى مضيق البسفور؛ إلا أن تيريل أكد أن السلطان سيرفض ذلك حتى لا يكون ذلك مبرراً لتدخل بقية القوى الأوروبية.(٩٥)

لذلك أكد مجلس الشيوخ الأمريكي في ٤ ديسمبر ١٨٩٥م أنه يجب

على الرئيس الأمريكي كليڤلاند إصدار تقرير عن الأضرار التي لحقت بممتلكات المواطنين الأميركيين في الدولة العثمانية،[٩٦] حيث أعد كليڤلاند تقريراً مطولاً قدمه إلى مجلس الشيوخ أكد فيه أنه لا يوجد أي مواطن أمريكي أصيب أثناء الأحداث بين الأرمن والدولة العثمانية، ولكن الأضرار قد وقعت بالفعل في الممتلكات الأمريكية في هاربوت، والتي تقدر بحوالي ١٠٠ ألف دولار، كما أبلغ كليڤلاند مجلس الشيوخ أنه أوعز إلى ثلاث سفن حربية أمريكية وهي: سان فرانسيسكو San Fransisco وماربلهيد Marblehead وميناپوليس Minneapolis للتواجد في الموانئ العثمانية مثل أزمير وأضنة وبيروت والإسكندرونة، من أجل منع أي اعتداءات أخرى على المواطنين الأمريكيين، وتأمين التعويضات التي طلبتها الولايات المتحدة عن الخسائر الأمريكية.[٩٧] وعندما سألت الحكومة العثمانية عن سبب زيارة هذه السفن، ألمح تيريل إلى أن السبب الحقيقي وراء ذلك هو حماية المصالح الأميركية في المناطق النائية من الدولة العثمانية، مؤكداً أن مجيء هذه السفن كان لأهداف ودية.[٩٨]

ومهما يكن من أمر؛ فقد أكد تيريل في مذكرة موجهة إلى ناظر الخارجية سعيد باشا على خطر الأحداث السابقة على سلامة وحياة الأميركيين وممتلكاتهم، وضرورة قيام الحكومة العثمانية بواجبها تجاه اتخاذ احتياطات السلامة اللازمة نحوهم[٩٩]، لذلك أرسلت الحكومة العثمانية مذكرة إلى تيريل في ٥ ديسمبر ١٨٩٥م تبلغه بأن أوامر جديدة وصارمة أُعطيت إلى المسؤولين العثمانيين في جميع المحافظات من أجل حماية الأجانب، كما طمأنت الحكومة العثمانية تيريل بخصوص ضمان سلامة أرواح وممتلكات المواطنين الأميركيين في كل المحافظات العثمانية،[١٠٠] وأنها اتخذت إجراءات هامة في سبيل ذلك، كان منها عزل بعض الضباط العثمانيين.

ورغم ذلك اعتبرت حكومة الولايات المتحدة أن ما حدث من إقالة قائد الدرك العثماني في ماراش Maraş وعزل بعض الضباط العثمانيين في أماكن أخرى إجراءات غير كافية لتهدئة الأحداث هناك، الأمر الذي أساء للعلاقات بين البلدين، باعتبار ذلك تدخلاً سافراً في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية.(١٠١) إلا أن تيريل كان يدعو إلى حل وسط بين الولايات المتحدة والدولة العثمانية من خلال قيام الأخيرة بدفع التعويضات عن الأضرار التي لحقت بالأمريكيين وأملاكهم. وعلى الرغم من تصعيد الموقف من قبل المبشرين الأمريكيين والمبالغة في تقدير الخسائر من أجل تعقيد الأمور وتصعيدها بين البلدين، وإجبار الولايات المتحدة على التدخل لصالح قضية الأرمن؛ إلا أن تيريل كان واضحاً في مراسلاته مع الحكومة الأمريكية بشأن أهداف المبشرين، حيث أكد أنه لا يطلب أكثر من التدخل من أجل حماية المصالح الأمريكية في الدولة العثمانية ودفع التعويضات المطلوبة، ولم يمض تيريل إلى أبعد من ذلك أبداً.(١٠٢)

تيريل والجهود الإغاثية للأرمن.

واصلت الصحافة الأمريكية والجمهوريون هجومهم مجدداً على تيريل نهاية عام ١٨٩٥م، متهمة إياه بالتقصير في حماية المبشرين والمواطنين الأمريكيين والتغاضي عن "الجرائم الفظيعة" ضد الأرمن، "والتي تُشكل جرائم ضد الحضارة الحديثة". ورغم هذا الاتهام إلا أن السيناتور روجر كوارلس ميلز Senator Roger Quarles Mills (مارس ١٨٩٢ - مارس ١٨٩٩م) أنكر أن تيريل أهمل المبشرين والمواطنين الأمريكيين والمخاطر التي يواجهونها. وأشار إلى أن قرب تيريل من السلطان والهجوم عليه بسبب علاقاته الشخصية معه أمر لا يستحق سوى الازدراء.(١٠٣) كما

رأت وزارة الخارجية الأمريكية نفسها مجبرة على الدفاع عن أدائه. ولتهدئة هذا الغضب أرسل أولني رسالة إلى الكونجرس دعم فيها سجل تيريل ونشاطه في إستانبول،[١٠٤] الأمر الذي غير قليلاً من صورة تيريل النمطية، حيث قالت صحيفة نيويورك تريبيون The New York Tribune، -والتي لطالما انتقدت تيريل فترة طويلة- أن تيريل أدى واجبه "بشجاعة وحكمة بقدر ما كان يمكنه أن يفعل".[١٠٥]

وكان من الصحف الأمريكية التي اهتمت كثيراً بالمسألة الأرمنية وأحداثها صحيفة تصدر في نيويورك تدعى "كريستين هيرالد" Christian Herald، حيث قام أحد الأشخاص الذين يعملون فيها ويدعى وليام ويلارد هوارد William Willard Howard بجمع الأموال والتبرعات في الولايات المتحدة وإرسالها من أجل توزيعها على الأرمن في مدينة وان Van وغيرها من المدن الأرمنية، وهو الأمر الذي أكده تيريل، حيث ذكر أن هذه المساعدات تم إرسالها عبر أمين صندوق لجنة الإغاثة الأرمنية التابعة للمجلس الأمريكي القس وليام و. بيت Rev. William W. Peet، وقد تم توزيعها من قبل رئيس بعثة بيت الكتاب المقدس في إستانبول Head of the Bible House Mission وأمين جمعية الكتاب المقدس الأمريكيةSecretary American Bible Society القس هنري أوتس دوايت Rev. Henry Otis Dwight في مدينة وان الأرمنية.[١٠٦]

في ذلك الوقت نشر أمين لجنة الإغاثة الأرمنية الوطنية Secretary, the National Armenian Relief Committee المبشر الأمريكي فريدريك ديفس جرينRev. Frederick Davis Greene في عام ١٨٩٥م العشرات من الرسائل التحريضية ضد الدولة العثمانية والتي نشرها في كتابه الذي انتشر على نطاق واسع، والمعنون باسم "الأزمة الأرمنية في

تركيا"The Armenian Crisis in Turkey"[١٠٧] والذي كتب تقديمه عالم الاجتماع الدكتور القس يوشيا سترونج Rev. Josiah Strong، حيث لفت هذا الكتاب انتباه تيريل الذي شعر بالقلق من أن ذلك من شأنه أن يعيق أي عمل دبلوماسي كان يُفترض أن يجري بعيداً عن المبشرين العاملين في المجلس الأمريكي.[١٠٨]

وكانت "مساعدة الأرمن" هي العنوان الذي اتخذه المبشرون الأمريكيون، حيث ذكرت صحيفة نيويورك تايمز أنه على الرغم من كل "الترهيب" الذي مارسته السلطات العثمانية والأكراد ضد الأرمن؛ إلا أن المبشرين الأمريكيين بقوا في الأناضول معلنين أنهم لا زالوا صابرين على الحكومة العثمانية، مما استدعى بتيريل إلى القيام بالطلب من الأخيرة حماية المبشرين الاميركيين في هاربوت وغيرها من المناطق من القوات العثمانية التي اتهمها بأنها أطلقت الأكراد للقتال ضد الأرمن.[١٠٩]

أثيرت قضية التعويضات الأمريكية المطلوبة من الدولة العثمانية مجدداً، حيث قام مجلس الشيوخ الأمريكي في ٢٧ يناير ١٨٩٦م بالموافقة على القرار الذي صاغه رئيس لجنة الشؤون الخارجية السناتور شيلبي مور كولوم Shelby Moore Cullom، والذي دعا فيه الرئيس الأمريكي كليفلاند إلى الشروع في الخطوات اللازمة للحصول على التعويضات المطلوبة من الحكومة العثمانية.[١١٠]

تيريل وجهود الصليب الأحمر الأمريكي.

كانت الدعاية الأرمنية لا تزال في أوجها في الولايات المتحدة بسبب قيام المبشرين الأمريكيين والأرمن بممارسة أنشطة مختلفة من خلال القيام بتزويد الولايات المتحدة والدول الأوروبية بالتقارير اللازمة عما أسموه

"المظالم والمذابح الأرمنية" من أجل تشويه صورة الدولة العثمانية وصياغة رأي عام معادٍ للأتراك وتعميق الكراهية لها في هذه الدول.(١١١)

لذلك ذكرت صحيفة نيويورك تايمز أن ٦ من الأتراك هاجموا البعثة التبشيرية الأمريكية في أورفا في ١ يناير ١٨٩٦م، مما أدى لوفاة أحد المبشرين الأمريكيين، لذلك قام تيريل بإرسال أسماء هؤلاء المتورطين بهذا الاعتداء إلى السلطات العثمانية لاتخاذ الاجراءات العقابية الرادعة بحقهم، كما أرسل بلاغاً بالحادثة مع الأسماء الستة إلى صحيفة يونايتد برس United Press في الولايات المتحدة لنشر تفاصيل الحادث.(١١٢)

ومع تزايد الأحداث في المناطق الأرمنية وتصاعدها يوماً بعد يوم برز أهمية الجانب الإغاثي بشكل كبير للأرمن، حيث قدم القس الدكتور جودسون سميث Rev. Judson Smith مع السيد سبنسر تراسك Mr. Spencer Trask إلى مقر الصليب الأحمر في واشنطن لحثهم على قبول تحمل المسؤولية الخاصة بجمع وتوزيع الأموال الخاصة بإغاثة الأرمن، خصوصاً وأنهم اعتادوا على التجارب والمسؤوليات ومشاق عمل الإغاثة الميدانية، مما ساعد على اختمار الفكرة جيداً وبدت تقضي رويداً رويداً على تردد الصليب الأحمر بشأن ذلك. وفي يناير ١٨٩٦م وافقت كلارا بارتون Clara Barton مؤسسة الفرع الأمريكي من جمعية الصليب الأحمر على الذهاب الى المناطق الأرمنية لتوزيع المواد الغذائية والإمدادات "لضحايا المجزرة" الذين كانوا يتضورون جوعاً، والذين لا يمكن الوصول إليهم في مئات البلدات والقرى. وساعد على اتخاذ هذا القرار أن فِرَق الصليب الأحمر لديه طواقم مدربة جيداً في الميدان، كما أن الدولة العثمانية كانت واحدة من الدول الموقعة على معاهدة الصليب الأحمر في جنيف، والتي كانت قد وقعت عليها بعد تردد طويل في يوليه ١٨٦٥م.(١١٣)

وكانت الدولة العثمانية قد أعلنت مسبقاً رفضها أي نشاط لمنظمة الصليب الأحمر داخل المناطق الأرمنية، لذلك فقد أرسل الصليب الأحمر برقيات للتأكد مما إذا كان قرار المنع لا زال سارياً، لكن شيئا لم يصلهم بهذا الخصوص. ورغم ذلك غادرت فرق الصليب الأحمر نيويورك إلى الدولة العثمانية يوم ٢٢ يناير ١٨٩٦م، والشكوك لا تزال تساورهم من المجهول الذي قد ينتظرهم.(١١٤)

لذلك تدخل تيريل لدى الحكومة العثمانية لصالح الصليب الأحمر الأمريكي، الأمر الذي تمخض عنه قيام السلطات العثمانية بالسماح لبارتون وبعثة الصليب الأحمر بالدخول إلى الدولة العثمانية دخولا رسمياً وقانونياً والقيام بالأعمال الإغاثية، مما أدى إلى قيام علاقات صداقة متينة بين تيريل وبارتون؛ استمرت حتى وفاتها في أبريل ١٩١٢م.(١١٥)

وكان تيريل قد أعرب أكثر من مرة عن أسفه لمعاناه الشعب الأرمني داخل الدولة العثمانية نتيجة الأحداث الدامية، كما عبر عن تعاطف الشعب الأمريكي ورغبته الشديدة في مساعدتهم، مشيراً إلى جهود المبشرين الذين كان لهم دور كبير في تحمل أعباء مساعدة وإغاثة الأرمن، ولهذه الأسباب أكد تيريل ضرورة أن يكون العمل من أجل مساعدة الأرمن عملاً إنسانياً بحتاً ولا يحمل في طياته أي أسباب أو أهداف سياسية أو عرقية أو دينية.(١١٦) وقد يُفهم من لهجة تيريل السابقة أنه ربما أراد أن يُخفف من هجوم المبشرين الأمريكيين ومناصريهم عليه، وخصوصاً في الصحف والدوائر الأمريكية الرسمية، مؤكداً في الوقت نفسه على التزامه بالسياسة الأمريكية العامة من خلال أن تكون مساعدة وإغاثة الأرمن لهدف إنساني بحت وليس لأهداف أُخرى.

وما أن وصلت بعثة الصليب الأحمر إلى الدولة العثمانية حتى كان

هناك حوالي ١٠ آلاف شخص في ماراش وزيتون يعانون من الأوبئة مثل: الحمى والتيفوئيد والتيفوس والدسنتاريا والجدري، وكان الأرمن يموتون بأعداد هائلة، حيث لم يكن هناك أي طبيب من الأرمن، مع وجود كميات قليلة من الأدوية والمواد الغذائية.(١١٧)

ومهما يكن من أمر؛ فقد منحت وزارة الخارجية الأمريكية تيريل إجازة رسمية في شهر مارس ١٨٩٦م، حيث بدأ بتجهيز نفسه للعودة. لكن وقبل مغادرته كتب تيريل إلى شقيقه جوزيف Joseph قائلاً: بأن "إنجلترا لعبت بالبطاقات الخاصة بها على نحو فاضح، وكان من الممكن تجنب كل هذه المجازر، لكن سياستها كانت مختلفة. وبالإضافة الى هذا فإن الصحافة الأمريكية والكونجرس الأمريكي أساءا معاملة الباب العالي، وهو ما سيدمر نفوذها هنا". وعندما نُشرت هذه الأسطر الخاصة بتيريل في صحيفة واشنطن بوست Washington Post تسببت في ضجة كبيرة في واشنطن، والأهم من ذلك أنها أضافت حلقة جديدة من حلقات الاعتقاد السائد في المجتمع التبشيري بأن تيريل يجب أن يذهب بلا رجعة. وعندما وصل تيريل إلى أوستن Austin في أبريل ١٨٩٦م، مكث فيها شهرا لرؤية ومتابعة شؤونه الشخصية. ويوم ١٢ مايو ١٨٩٦م تلقى تيريل برقية من وزارة الخارجية الأمريكية طلبت منه الحضور مباشرة إلى واشنطن.(١١٨)

كان استدعاء تيريل إلى واشنطن بمثابة استجابة للطلبات المقدمة من المواطنين الأمريكيين المرتبطين بالمبشرين البروتستانت، وذلك لعقد اجتماع مع الرئيس كليفلاند لمناقشة البديل المحتمل له، حيث تمت المقابلة بين تيريل وأعضاء من الخارجية الأمريكية بوجود الرئيس كليفلاند يوم الجمعة ١٥ مايو ١٨٩٦م، وكان البعض يدفع باتجاه أن يقوم تيريل بتقديم استقالته كي يتولى منصبه رجل آخر يكون أكثر منه خبرة. لذلك عندما وصل تيريل إلى

واشنطن؛ وجد أن هناك هجوم حكومي عنيف عليه، وخصوصاً من أولئك الذين يدعمون العمل التبشيري.(١١٩)

فشل الهجوم على تيريل، حيث لم يكن كليفلاند وإدارته يريدون دوراً أكبر مما كان موجوداً في الدولة العثمانية، وخُلصَ البيت الأبيض إلى ترك تيريل في مهمته، حيث عاد لمنصبه في إستانبول في يونيه ١٨٩٦م.(١٢٠)

أحداث البنك العثماني.

قامت مجموعتان تتكونان من عشرات المهاجمين من جمعية الداشناك(١٢١) الأرمنية المزودين ببنادق الماوزر في ظهيرة يوم ١٤ أغسطس ١٨٩٦م بمهاجمة المكتب الرئيسي للبنك العثماني الذي يقع في حي غلاطة في إستانبول، في حين هاجم مسلحون آخرون من الأرمن قوات الأمن العثمانية في منطقة سماتيا Samatya في إستانبول وغيرها بقصد خلق حالة من الإلهاء للقوات العثمانية.(١٢٢) الأمر الذي أدى إلى رد فعل عنيف من السكان المسلمين ضد الأرمن، وانتقال الأحداث بقسوة إلى العاصمة إستانبول.

ومهما يكن من أمر؛ جددت الولايات المتحدة مطالبها الخاصة بضرورة قيام الدولة العثمانية بدفع التعويضات عن ممتلكاتها التي تضررت في هاربوت، لذلك التقى تيريل بالسلطات العثمانية في ٣ ديسمبر ١٨٩٦م، حيث كرر مطالبه بضرورة دفع الحكومة العثمانية التعويضات المطلوبة، مؤكداً ضرورة الحصول من الدولة العثمانية على جواب بشأن ذلك(١٢٣)، وفي اليوم التالي أعرب سفير الدولة العثمانية في واشنطن ماڤروياني بك عن رغبته في تأجيل البث في هذه المسألة لحساسيتها المفرطة.(١٢٤) وفي يوم ٢٣ ديسمبر ١٨٩٦م اعتبر وزير الخارجية العثماني الجديد توفيق باشا أن عدم

القبول بمطالب تيريل والولايات المتحدة بشأن دفع التعويضات من شأنه أن يُولّد ضغوطاً أمريكية وأوروبية من أجل القبول بها.[١٢٥] لذلك فهمت الدولة العثمانية أن حكومة الولايات المتحدة كانت ولا تزال تحت تأثير الأحداث في المناطق الأرمنية، وتسعى للحصول على تنازلات من خلال ابتزاز الدولة العثمانية بحجة "الدفاع عن حقوق الأرمن".[١٢٦] ورغم ذلك؛ بقيت مشكلة التعويضات مشكلة مستعصية لا تجد لها حلاً إلا عام ١٩٠١م، وذلك عندما تم إرسال الطراد الأمريكي كنتوكي Kentucky إلى ميناء أزمير مع أوامر لقائد الطراد بالضغط على الحكومة العثمانية من خلال التهديد العسكري حتى يتم دفع التعويضات، الأمر الذي نتج قيام الحكومة العثمانية بتسديد قيمة هذه التعويضات والبالغة ١٠٠ ألف دولار إلى الولايات المتحدة الأمريكية في شهر يونيه ١٩٠١م.[١٢٧]

استقالة تيريل من منصبه.

استأنف زعماء المنظمات التبشيرية وأنصارهم انتقاد تيريل من جديد ومهاجمته واتهامه بالتقصير منذ أكتوبر ١٨٩٦م، وخصوصاً بعد سلسلة "المذابح" والتي كان آخرها في إستانبول، كما تضامنت الكثير من الصحف الأمريكية مع المبشرين، حيث قالت صحيفة نيويورك تايمز في إحدى افتتاحيتها، "إن جهود تيريل كانت تمثل فشلاً مؤسفاً للغاية، وأنه كدبلوماسي كان مُغرّراً به من قبل الحكومة العثمانية". لذلك وفي أواخر نوفمبر ١٨٩٦م فاز الجمهوري وليام ماكينلي William McKinley (مارس ١٨٩٧- سبتمبر ١٩٠١م) في الانتخابات الرئاسية الأمريكية، لذلك أرسل تيريل باستقالته إلى كليفلاند، والتي دخلت حيز التنفيذ رسمياً في ٤ مارس ١٨٩٧م وهو اليوم الأول لتولي ماكينلي مهامه كرئيس جديد للولايات المتحدة الأمريكية.[١٢٨]

غادر تيريل إستانبول للمرة الأخيرة في ١٥ يوليه ١٨٩٧م، حيث وصل إلى أوستن في ٣ أغسطس،[١٢٩] وقرر أن يكتب عن تجاربه في الدولة العثمانية، فنشر مقالاً في مجلة سنشري مجازين Century Magazine اعتبر فيه أن السلطان عبد الحميد كان "أقدر عاهل مؤهل للسيادة في أوروبا". أما بالنسبة للأرمن؛ فقد أكد أن السلطان "لم يكن من طبعه أن يكون قاسياً بلا داعٍ في كل شيء"، مؤكداً أن علاقته الشخصية كدبلوماسي مع السلطان عبد الحميد جعلته يراهن بحياته الدبلوماسية وسمعته الشخصية.[١٣٠]

الخاتمة.

يتضح من الدراسة أن الولايات المتحدة الأمريكية لم يكن لديها طموحات إقليمية في الدولة العثمانية وممتلكاتها، كما أن الأخيرة لم تكن تشكل تهديداً لمصالحها. لذلك لم تشهد العلاقات بين البلدين أي أزمة حقيقية مثيرة للجدل. وكانت معظم المشاكل الرئيسية بين البلدين في ذلك الوقت تتمحور في إطار الطلب من تيريل حماية المبشرين والمواطنين الأمريكيين فقط، وخصوصاً إبان المسألة الأرمنية، وقد قام تيريل بفعل كل جهد مستطاع من أجل توفير هذه الحماية.

ولقد سعى تيريل بدوره إلى الاحتفاظ بعلاقات ودية مع الدولة العثمانية وصداقة حقيقية مع السلطان عبد الحميد الثاني، لذلك يمكن القول بأن تيريل كان أقرب ما يكون تفهماً للدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد منه للمبشرين الأمريكيين والأرمن، وهو الأمر الذي جلب عليه نقمة المبشرين والصحافة الأمريكية، وتوبيخ رؤسائه في وزارة الخارجية. ورغم ذلك استطاع تيريل أن يوجد نواة لعلاقات أكثر نشاطاً وتوسعاً مما كان في السابق من خلال دعوة بلاده دائماً إلى إيجاد حلول وسطية بين الولايات المتحدة والدولة العثمانية.

الهوامش:

(١) Hülagü, M. Metin. "Osmanlı'dan Cumhuriyet'e Misyoner, Ermeni, Terör ve Amerika Dörtgeninde Türkiye", İslâmî Araştırmalar, 2007, 20, 4, Nevşehir Üniversitesi, Fen-Edebiyat Fakültesi, Nevşehir, s. 429.

(٢) Güler, Yavuz. "Osmanli Devleti Dönemi Türk- Amerikan İlişkileri 1795-1914", Gazi Üniversitesi Kirşehir Eğitim, Fakültesi Dergisi, Cilt. 6, Sayı 1, 2005, s. 230.

(٣) Erhan, Çağri. "Ottoman Official Attitudes towards American Missionaries", The United States and the Middle East: Cultural Encounters, Yale University, 7-8 December 2000, The Turkish Yearbook, Vol. XXX, p. 192.

(٤) Shelton, Elizabeth W. Faith, Freedom, and Flag: The Influence of American Missionaries in Turkey on Foreign Affairs 1830-1880, Faculty of the School of Continuing Studies and of the Graduate School of Arts and Sciences, Degree of Doctor of Liberal Studies, Washington, D.C: Georgetown University, April 4, 2011, p. 42.

(٥) Kantarcı, Şenol. Amerika Birleşik Devletleri'nde Ermeniler ve Ermeni Lobisi (İstanbul: Aktüel, 2004), s. 59-60; Günay, Nejla. "Amerikan Misyonerlerine Anadolu Halkının Tepkisi ve Bunun Osmanlı-Amerikan İlişkilerine Etkileri", Gazi Akademik Bakiş, Cilt 1, Sayı 2, Yaz 2008, s. 119; Ümit, Devrim. "The American Protestant Missionary Network in Ottoman Turkey 1876-1914", International Journal of Humanities and Social Science, Vol. 4, No. 6, April 2014, p. 18.

(٦) Morton, Daniel O. (ed.). Memoir of Rev. Levi Parsons, First Missionary to Palestine from the United States (Hartford: Cooke & Others, 1830), p.221-230; Turan, Ömer "Amerikan Misyonerlerinden E. Smith ve H.G.O. Dwight'a Göre 1830-1831 Yıllarında Ermeniler", Ermeni Soykırımı İddiaları-Yanlış Hesap Talat'tan Dönünce, der, Mustafa Çalık, Ankara, Cedit Neşriyat, 2006, s.194-195; Özcoşar, İbrahim. 19 Yüzyilda Mardin Süryanileri, Tarih Anabilim Dalı, Yakınçağ Tarihi Bilim Dalı, Doktora Tezi, Tezi Yöneten Doç. Dr. Ayhan Öztürk, Erciyes Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, Nisan 2006, s. 283; Mutlu, Şamil. Osmanlı Devleti'nde Misyoner Okulları (İstanbul: Gökkubbe Yayınları, 2005), s. 285-286; Bozan, Oktay. "XIX. Yüzyilin İkinci Yarisinda Mardin'de Amerikan Misyonerlerinin Faaliyetleri", e-Şarkiyat İlmi Araştırmalar Dergisi, Sayı: XII, Kasım 2014, s. 25; Ümit. "The American", p. 24.

(٧) Grabill, Joseph L. Protestant Diplomacy and the Near East- Missionary Influence on American Policy 1810-1927 (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1971), p. 33-34; Alan, Gülbadi - Bolat, Gökhan. "The American Board And The Ottoman Women's Education", History Studies, ABD ve Büyük Ortadoğu İlişkileri Özel Sayısı, Relationships of the USA and The Great Middle East, Special Issue 2011, p. 106; Aydın, Mithat. "Amerikan Protestan Misyonerlerinin Ermeniler Arasındaki Faaliyetleri ve Bunun Osmanlı-Amerikan İlişkilerine Etkisi", Osmanlı Tarihi Araştırma ve Uygulama Merkezi Dergisi OTAM, Ankara, Sayı:19, Yıl:2006, s. 81; Fratantuono, Ella M. Self-Righteous Beneficence: American Diplomat and Missionary Perceptions of the Ottoman Empire 1908-1914, Honors Thesis in, Department of History, Richmond:

University of Richmond April, 2008, p. 21; Kantarcı. Amerika, s. 59-60; Günay. "Amerikan", s. 119; Bozan, "XIX. Yüzyilin", s. 24;

(٨) Bond, Alvan. Memoir of the Rev. Pliny Fisk, Late Missionary to Palestine (Boston: Crocker & Brewster, 1828), p. 106; Morton. Memoir, p. 221-30; Turan. "Amerikan", s.194-195; Ümit. "The American", p. 24; Bozan. "XIX. Yüzyilin", s. 24-5; Özcoşar. 19 Yüzyilda, s. 283; Mutlu. Osmanlı, s. 285-6; Fratantuono. Self-Righteous, p. 21; Kantarcı. Amerika, s.59-60; Alan - Bolat. "The American", p. 106; Grabill. Protestant, p. 5.

(٩) Hopkins, J. Castell. The Sword of Islam or Suffering Armenia, Annals of Turkish Power and the Eastern Question (Brantford: The Bradley-Garretson, 1896), p. 402; Erhan. "Ottoman", p. 200; Günay. "Amerikan", s. 120; Bozan. "XIX. Yüzyilin", s. 26; Grabill. Protestant, p. 14; Fratantuono. Self-Righteous, p. 22; Ümit. "The American", p. 28.

(١٠) Grabill. Protestant, p. 20-3; Fratantuono. Self-Righteous, p. 22; Erhan. "Ottoman", p. 204.

(١١) Grabill. Protestant, p. 20-3; Fratantuono. Self-Righteous, p. 22.

(١٢) Gordon, Leland G. American Relations with Turkey 1830-1930, An Economic Interpretation (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1932), p. 7-12; Fendoğlu, Hasan Tahsin "Amerika Birleşik Devletlerinin Misyonerleri ve Osmanlı Devleti", Türkler, Cilt. XIV, Ankara: Yeni Türkiye Yayınları, 2002, s. 194; Bağçeci, Yahya. "Osmanli Devleti'nde Amerikan Misyonerlerinin, Ermenilere Yönelik Eğitim Faaliyetleri", Turkish Studies, International Periodical For the Languages, Literature and History of Turkish or Turkic, Volume 3/4, Summer 2008, s. 173; Ümit. "The American", p. 28; Bozan. "XIX. Yüzyilin", s. 25.

(١٣) Payaslian, Simon. United States Policy Toward the Armenian Question and the Armenian Genocide (New York: Palgrave Macmillan, 2005), p. 2.

(١٤) Daniel, Robert. American Philanthropy in the Near East 1820 -1960 (Athens: Ohio University Press, 1970), p. 41-70; Lippe, John M. Vander. "The Other Treaty of Lausanne: The American Republic and Official Debate on Turkish-American relations", The Turkish Yearbook, Vol. XXIII, 1993, p. 32; Ortaylı, İlber "Osmanlı İmparatorluğu'nda Amerikan Okulları Üzerine Bazı Gözlemler", Amme İdaresi Dergisi, sayı 14, 1981, s. 87; Karaş, Zeynep. Ermen terrör Örgütü: Asala, Atilim Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü Uluslararasi Ilişkiler Anabilim Dali, Yüksek Lisans Tezi, Tez Danişmani Doç. Dr: Idris Bal, Ankara, 2007, s. 25.

(١٥) Kurat, Akdes Nimet. Türkiye ile Amerika Birleşik Devletleri Arasindaki Münasebetlere Ait Arşiv Vesikalari (Ankara: Ankara Üniversitesi Basımevi, 1970), s. 287; Şimşir, Bilal N. "Ermeni Propagandasının Amerika Boyutu Üzerine", Tarih Boyunca Türklerin Ermeni Toplumu İle İlişkileri Sempozyumu, Ankara, Atatürk Üniversitesi Yay. 1985, s. 82; Günay, Nejla. "Amerikan Misyonerlerine Anadolu Halkının Tepkisi ve Bunun Osmanlı-Amerikan İlişkilerine Etkileri", Gazi Akademik Bakış, Cilt 1, Sayı 2, Yaz 2008, s. 118; Ortaylı, "Osmanlı", s. 87; Karaş. Ermen, s. 25; Ümit. "The American", p. 28; Bozan. "XIX. Yüzyilin", s. 25-6.

(١٦) Porter, Admiral David D. Memoir of Commodore David Porter of the United State Navy (Albany: J. Munsell, 1875), p. 399-405;Ümit. "The American", p. 28; Erhan. "Ottoman", p. 192.
(١٧) Şimşir. "Ermeni", s. 82; Ortaylı, "Osmanlı", s. 87; Günay. "Amerikan", s.118; Karaş. Ermen, s. 25.
(١٨) Porter. Memoir, p. 399-405; Ümit. "The American", p. 28; Erhan. "Ottoman", p. 192.
(١٩) Ümit. "The American", p. 28.
(٢٠) Payaslian. United, p. 2.
(٢١) Loc. Cit.
(٢٢) Loc. Cit.
(٢٣) Güler. "Osmanli" s. 235.
(٢٤) ولد تيريل في ٣ نوفمبر ١٨٢٧م في مقاطعة باتريك Patrick County في فيرجينيا Virginia. انتقلت عائلته وهو في سن مبكرة إلى ميسوري Missouri عام ١٨٣١م. وهناك درس القانون وتخرج من جامعة ميسوري، وأصبح يمارس المحاماة في سانت جوزيف St. Joseph بولاية ميسوري عام ١٨٤٩ في سن الثانية والعشرين. في عام ١٨٥٢م انتقل تيريل إلى أوستن في تكساس Texas، حيث شغل منصب قاضي محكمة المقاطعة من ١٨٥٧م حتى ١٨٦٣م. استقال تيريل للانضمام كرئيس لفوج سلاح الفرسان في الجيش الكونفدرالي. قيل أن تيريل قاتل في عدة معارك كُبرى في لويزيانا Louisiana. بعد أن حصل على رتبة عميد Brigadier General، اختار منفى اختياري في المكسيك في نهاية الحرب الأهلية، ولكن سرعان ما عاد الى ولاية تكساس في ربيع عام ١٨٦٤م بعد إعادة الإعمار، خدم في كل من مجلس الشيوخ عن ولاية تكساس ومجلس النواب، كما خدم ١٦ عاماً في المجلس التشريعي للولاية. من ١٨٩٣ حتى عام ١٨٩٧، كان وزيرا مفوضاً للولايات المتحدة في الدولة العثمانية في ولاية الرئيس الأمريكي جروفر كليفلاندGrover Cleveland الثانية. من ١٩٠٩-١٩١١م أصبح تيريل عضوا في مجلس جامعة تكساس. كما أصبح رئيساً للجمعية التاريخية لولاية تكساس حتى وفاته في ٨ سبتمبر ١٩١٢م في مينيرال ويلز Mineral Wells بتكساس، ودفن في مقبرة الولاية.
Sutherland, Jonathan. African Americans at War: An Encyclopedia (California: ABC-CLIO, 200٤), Vol. I, p. 389-90.
(٢٥) Gould. Alexander Gould, Lewis L. Alexander Watkins Terrell, Civil War Soldier, Texas Lawmaker, American Diplomat (Austin: University of Texas Press, 2004), p. ١٢٤.
(٢٦) Ibid, p. ١٢٥.
(٢٧) Loc. Cit.
(٢٨) Ibid, p. 126-7.
(٢٩) Ibid, p. ١٢٧.
(٣٠) Ibid, p. ١٢٩.
(٣١) Bâb-ı Âlî, Nezâret-i Celîle-i Hariciye, Tercüme Odası, Irade Hariciye (I. HR) 15815. In: T.C., Başbakanlik Devlet Arşivleri Genel Müdürlügü, Osmanli Arşivi Daire Başkanliği, Yayın Nu: 85, Osmanli Belgelerinde Ermeni-Amerikan Ilişkileri 1839-1995, I, Ankara 2007.
(٣٢) Mr. Terrell to Mr. Gresham, Legation of the United State, Constantinople, September 23, 1893, No. 70, in United States Department of State / The executive documents of the House of Representatives for the second session of the fifty-third Congress. 1893-94, Vol. 1, Turkey.
(٣٣) Mr. Terrell to Mr. Gresham, Legation of the United State, Constantinople, September 23, 1893, No. 70; Mr. Gresham to Mr. Terrell, Department of State,

Washington, November 18, 1893, Telegram; Mr. Gresham to Miavroyeni Bey, Department of State, Washington, September 2, 1893.

(٣٤) Mekhitarian, Vosgan. (ed). Armenians, Twilight of the Ottoman Era, News Reports from the International Press, The New York Times 1890-1914(Armenia: Genocide Documentation & Research Center, 2011), p. ١٠٧.

(٣٥) Mr. Terrell to Mr. Gresham, Legation of the United State, Telegram, Constantinople, October 2, 1893.

(٣٦) Mr. Terrell to Mr. Gresham, Legation of the United State, Telegram, Constantinople, October 2, 1893, No. 72, Extract

(٣٧) Mr. Terrell to Said Pasha, Legation of the United State, Constantinople, September 30, 1893, Inclosure 3 in No. 72.

(٣٨) Mr. Gresham to Mr. Terrell, Department of State, Washington, October 4, 1893. Telegram.

(٣٩) Mr. Terrell to Mr. Gresham, Legation of the United State, Telegram, Constantinople, October ٥, 1893, Telegram.

(٤٠) Mr. Terrell to Mr. Gresham, Legation of the United State, Telegram, Constantinople, October ١٢, 1893, No. 80.

(٤١) Mr. Terrell to Mr. Gresham, Legation of the United State, Telegram, Constantinople, November 15, 1893, Telegram, Extract.

(٤٢) Mr. Gresham to Mr. Terrell, Department of State, Washington, November 18, 1893, Telegram; Mr. Gresham to Mr. Terrell, Department of State, Washington, December 22, 1893, No. 107; Mr. Terrell to Mr. Gresham, Legation of the United State, Telegram, Constantinople, November 15, 1893,

(٤٣) Bâb-ı Âlî, Tercüme Odası, Numara: 83, Tarih: 20 Haziran sene 1310, Hariciye Nezâreti Siyasî Kısım (HR. SYS), 2827/17. In: T.C., Başbakanlik Devlet Arşivleri Genel Müdürlügü, Osmanli Arşivi Daire Başkanliği, Yayın Nu: 85, Osmanli Belgelerinde Ermeni-Amerikan Ilişkileri 1839-1995, I, 2827/17.

(٤٤) Gould. Alexander, p. ١31.

(٤٥) Ibid, p. ١3٣.

(٤٦) Ibid, p. ١٤٠.

(٤٧) Ibid, p. ١٢9-30

(٤٨) Bâb-ı Âlî, Nezâret-I, Tercüme Odası, Tarih: 30 Haziran sene 1309, Numara: 46, Hariciye Nezâreti Siyasî Kısım (HR. SYS), 2851/29. In: T.C., Başbakanlik Devlet Arşivleri Genel Müdürlügü, Osmanli Arşivi Daire Başkanliği, Yayın Nu: 85, Osmanli Belgelerinde Ermeni-Amerikan Ilişkileri 1839-1995, I, Ankara 2007.

(٤٩) Gould. Alexander, p. ١3٧.

(٥٠) Ibid, p. ١3٤.

(٥١) Ibid, p. ١3٥.

(٥٢) Ibid, p. ١3٧.

(٥٣) Ibid, p. ١3٨.

(٥٤) Mr. Terrell to Mr. Gresham, Pera, November 28, 1894, Telegram, in United States Department of State / Papers relating to the foreign relations of the United States, with the annual message of the president transmitted to Congress, December 3, 1894, Turkey.

(٥٥) Mr. Terrell to Mr. Gresham, Constantinople, November ٣٠, 1894, Telegram; Nezâret-i Celîle-i Hariciye'den fî 12 Cumâdelâhir sene 1312 ve fî 28 Teşrîn-i Sânî sene 1310, Yıldız Esas Evrakı (Y. EE), 159/81. In: T.C., Başbakanlik Devlet Arşivleri Genel Müdürlügü, Osmanli Arşivi Daire Başkanliğı, Yayın Nu: 85, Osmanli Belgelerinde Ermeni-Amerikan Ilişkileri 1839-1995, I, Ankara 2007; Mekhitarian. Armenians, p. 114.

(٥٦) Mr. Gresham to Mr. Terrell, Department of State, Washington, December 2, 1893, Telegram.

(٥٧) Mr. Gresham to Mr. Terrell, Department of State, Washington, December ٥, 189٤, Telegram; Mekhitarian. Armenians, p. 61,79.

(٥٨) Mr. Terrell to Mr. Gresham, Pera (Constantinople), December 2, 1894, Telegram.

(٥٩) اتفاقية برلين في ١٣ يوليه ١٨٧٨م: جاءت لتعديل معاهدة سان استيفانو بعد هزيمة روسيا للدولة العثمانية في الحرب التي نشبت بينهما في الفترة بين عامي ١٨٧٧-١٨٧٨م، حيث اعتبرت القوى الأوروبية الأخرى وخاصة بريطانيا أن بنود معاهدة سان استفانو منحازة كثيراً لروسيا. لذلك طالبت هذه القوى بتنقيح المعاهدة من خلال المشاركة في مؤتمر برلين الذي شاركت فيه: النمسا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وروسيا والدولة العثمانية، الأمر الذي انتهي بتوقيع اتفاقية برلين، حيث نصت المادة ٦١ من الاتفاقية على تعهد الباب العالي بإجراء الإصلاحات دون تأخير في الولايات التي يسكنها الأرمن وحمايتهم من الشركس والأكراد.

Hurewitz, J. C. Diplomacy in the Near and Middle East, A Documentary Record 1535-1914 (New Jersey: D. Van Nostrand Co, 1956), Vol. I. Vol. I, 189-91

(٦٠) Report of the Secretary of State W Q Gresham to the President, Department of State, Washington, December 10, 1894. In Message of the President Grover Cleveland to the Senate of the United States, Senate Ex. Doc. No. 11, Fifty-third Congress, third session, December 11, 1894. "Alleged Cruelties Committed Upon Armenians.

(٦١) Mekhitarian. Armenians, p. ١١٤.

(٦٢) Mr. Terrell to Mr. Gresham, Legation of the United State, Constantinople, December ٢٣, 1894, Telegram.

(٦٣) Mr. Gresham to Mr. Terrell, Washington, December ٢4, 1894, Telegram.

(٦٤) Mekhitarian. Armenians, p. 61.

(٦٥) Ibid, p. ٧١.

(٦٦) Gould. Alexander, p. 13٢.

(٦٧) Ibid, p. 13٣.

(٦٨) Ibid, p. 13٩.

(٦٩) Mekhitarian. Armenians, p. ١١٤.

(٧٠) Gould. Alexander, p. 13٩.

(٧١) Mekhitarian. Armenians, p. 105; Gould. Alexander, p. 13٨.

(٧٢) Gould. Alexander, p. 13٩.

(٧٣) Loc. Cit.

(٧٤) Ibid, p. ١٤٠.

(٧٥) Loc. Cit.

(٧٦) الهنشاك Hunchak، (أي الجرس) هو حزب الهنشاك الاشتراكي الديموقراطي الأرمني The Social Democrat Hunchakian Party التي تأسست في جنيف عام ١٨٨٧م، وذلك من أجل نيل أرمينيا استقلالها عن الدولة العثمانية في ذلك الحين

Redgate, Anne Elizabeth. The Armenians (Oxford: Blackwell, 1998), p. 270; Zeidner, Robert F. "Britain and the Launching of the Armenian Question", International Journal of Middle East Studies, Cambridge University Press, Vol. 7, No.4, Oct. 1976, p. 481.

(٧٧) Mr. Terrell to Mr. Olney, Legation of the United State, Constantinople, October 2, 1895, Telegram, in United States Department of State / Papers relating to the foreign relations of the United States, with the annual message of the president, transmitted to Congress, December 2, 1895, Turkey; Gould. Alexander, p. 140.

(٧٨) Mr. Terrell to Mr. Olney, Legation of the United State, Constantinople, October ٣, 1895, No. 635.

(٧٩) Mr. Terrell to Mr. Olney, Legation of the United State, Constantinople, October ٣, 1895, No. 635.

(٨٠) Mr. Terrell to Turkhan Pasha, Legation of the United State, Constantinople, October ٣, 1895, Inclosure in No. 635.

(٨١) Mr. Terrell to Mr. Olney, Legation of the United State, Constantinople, October ٨, 1895, No. 63٨.

(٨٢) Mr. Terrell to Mr. Olney, Legation of the United State, Constantinople, October ٢٦, 1895, Telegram; Mr. Terrell to Mr. Olney, Legation of the United State, Constantinople, October 30, 1895, No. 656.

(٨٣) Mr. Terrell to Mr. Herbert, Constantinople, October 31, 1895, Inclosure 2 in No. 659.

(٨٤) Mr. Terrell to Missionaries, Constantinople, October 31, 1895, Inclosure ٤ in No. 659, Telegram; Mekhitarian. Armenians, p. ١١٤.

(٨٥) Mr. Terrell to Mr. Olney, Constantinople, November 13, 1895, Telegram.

(٨٦) Mr. Terrell to Mr. Olney, Constantinople, November 1٥, 1895, Telegram; Marsoobian, Armen T. Fragments of a Lost Homeland: Remembering Armenia (London- New York: I.B.Tauris Publishers, 2015), p.75.

(٨٧) Mr. Terrell to Mr. Olney, Pera, November 17, 1895, Telegram.

(٨٨) Mr. Terrell to Mr. Olney, Legation of the United State, Constantinople, November 1٨, 1895, No. 680; Mr. Terrell to Tewfik Pasha, Legation of the United State, Constantinople, November 18, 1895, No. 99, Inclosure in No. 680; Bâb-ı Âlî, Tercüme Odası, Numara: 230, Tarih: 15 Tesrîn-i Sânî sene 1311, Hariciye Nezâreti Siyasî Kısım (HR. SYS) 2857/91. In: T.C., Başbakanlik Devlet Arşivleri Genel Müdürlügü, Osmanli Arşivi Daire Başkanliği, Yayın Nu: 85, Osmanli Belgelerinde Ermeni-Amerikan Ilişkileri 1839-1995, I, Ankara 2007.

(٨٩) Mr. Olney to Mr. Terrell, Department of State, Washington, November ٢١, 1895 , No. ٥٢.

(٩٠) Marsoobian. Fragments, p.75.

(٩١) Mr. Terrell to Mr. Olney, Legation of the United State, Constantinople, November 1٨, 1895, Telegram

(٩٢) Mr. Olney to Mr. Terrell, Department of State, Washington, November 19, 1895, No. 667.

(٩٣) Mr. Terrell to Mr. Olney, Legation of the United State, Constantinople, November 1٨, 1895, Telegram

(٩٤) Tevfik Pasha to Mr. Terrell, Ministry of foreign Affairs, Sublime Porte, Constantinople, December 3, 1895; Günay. "Amerikan", s. 123; Erhan. "Ottoman", p. 206.
(٩٥) Mr. Terrell to Mr. Olney, Legation of the United State, Constantinople, November 21, 1895, No. 685.
(٩٦) Erhan. "Ottoman", p. 207.
(٩٧) Erhan, Çağrı. Türk-Amerikan İlişkilerinin Tarihsel Kökenleri (Ankara, İmge Yay., 2001), s. 321; Hopkins. The Sword, p. 410; Günay. "Amerikan", s. 123-4; Erhan. "Ottoman", p.206-7; Güler. "Osmanli", s. 236-7.
(٩٨) Güler. "Osmanli", s. 236; Erhan, Türk-Amerikan, s. 322; Günay. "Amerikan", s. 123.
(٩٩) Erhan. Türk-Amerikan, s. 321; Günay. "Amerikan", s. 123.
(١٠٠) Mekhitarian. Armenians, p. ٤٤٠; Günay. "Amerikan", s. 123.
(١٠١) Günay. "Amerikan", s. 123.
(١٠٢) Erhan, Türk-Amerikan, s. 329; Günay. "Amerikan", s. 125.
(١٠٣) Gould. Alexander, p. ١٤٠-1.
(١٠٤) Ibid, p. ١٤1.
(١٠٥) Ibid, p. ١٤٠-1.
(١٠٦) Williams, A. W - Gabriel, M. S. Bleeding Armenia, its History and Horrors under the Curse of Islam (Chicago: Publishers Union, 1896). p.404.
(١٠٧) Greene, Frederick Davis. The Armenian Crisis in Turkey, (New York: G.P. Putnam's Sons, 1895); Wilson, Ann Marie. "In the Name of God, Civilization, and Humanity: The United States and the Armenian Massacres of the 1890s", Le Mouvement Social, Numéro Special, L'Humanitaire : XIX-XXI Siècle, 227, April-June 2009, p. 33.
(١٠٨) Wilson. "In the name", p. 33.
(١٠٩) Mr. Terrell to Tevfik Pasha, Legation of the United State, Constantinople, February 1, 1896; Mr. Terrell to Mr. Olney, Legation of the United State, Constantinople, February 6, 1896, No. 803; Kuzgun. "Ermeni", s. ١2.
(١١٠) Erhan. "Ottoman", p. 207.
(١١١) Bâb-ı Âlî, Tercüme Odası, Numara: 295, Tarih: 22 Kânûn-ı Evvel sene 1311, Hariciye Nezâreti'ne fi 27 Tesrîn-i Sânî sene 1895 tarihiyle Washington Sefâret-i Seniyyesi'nden vârid olan 414 numaralı tahrirâtın tercümesidir, Hariciye Nezâreti Siyasî Kısım (HR. SYS, 2858/13). In: T.C., Başbakanlik Devlet Arşivleri Genel Müdürlügü, Osmanli Arşivi Daire Başkanliğı, Yayın Nu: 86, Osmanli Belgelerinde Ermeni-Amerikan Ilişkileri 1896-1919, II. Ankara 2007.
(١١٢) Kuzgun. "Ermeni", s. ١2.
(١١٣) Report America's Relief Expedition to Asia Minor under the Red Cross (Washington DC: The Journal Publishing Co,.1896), p. 4; Marsoobian. Fragments, p. 76.
(١١٤) Report America's Relief Expedition to Asia Minor under the Red Cross, p. ٦.
(١١٥) Report America's Relief Expedition to Asia Minor under the Red Cross, p. ١٠; Gould. Alexander, p. ١٤1.
(١١٦) Report America's Relief Expedition to Asia Minor under the Red Cross, p. ٨.
(١١٧) Report America's Relief Expedition to Asia Minor under the Red Cross, p. ١2.

(١١٨) Gould. Alexander, p. ١٤1.
(١١٩) Ibid, p. 141-2.
(١٢٠) Ibid, p. ١٤٢.
(١٢١) الداشناك Dashnak: هي الاتحاد الثوري الأرمني The Armenian Revolutionary Federation. وهي حركة ثورية تأسست في بتليس داخل الدولة العثمانية عام ١٨٩٠م. كان هدفها نيل الأرمن لاستقلالهم التام عن الدولة العثمانية.
Redgate. The Armenians, p. 270; Zeidner. "Britain", p. 481.
(١٢٢) Bâb-ı Âlî, Daire-i Sadâret, Âmedî-i Divan-ı Hümâyûn, 992, Yıldız Sadâret Resmî Maruzat Evrakı (Y. A. RES), 81/30; Hariciye Nezâreti'nden fî 27 Ağustos sene 1896 tarihiyle, Sefârât-ı Seniyye'ye irsâl kılınacak telgrafnâme-i umumînin tercümesidir, Yıldız Perakende Hariciye Nezâreti (Y. PRK. HR) 22/22. in T.C., Başbakanlik Devlet Arşivleri Genel Müdürlügü, Osmanli Arşivi Daire Başkanliği, Yayın Nu: 96, Osmanlı Belgelerinde Ermeni Isyanları 1895-1896, II Ankara 2008; Dinçer, Sinan , "The Armenian Massacre in Istanbul 1896", Tijdschrift Voor Sociale en Economische Geschiedenis 10, 2013, nr. 4, p. 25; Stebbins, Jeffrey W. Bell and Banner: Armenian Revolutionaries at the End of the Ottoman Empire, Master of Arts in Security Studies, Naval Postgraduate School, California, December 2011, p. 80; Suslu, Azmi. Massacres by the Armenians Against the Turks (Ankara: Koksav-Kok Social and Strategical Research Foundation, 1991), p.١٤.
(١٢٣) Erhan, Türk-Amerikan, s. 332; Günay. "Amerikan", s. 126.
(١٢٤) Günay. "Amerikan", s. 126.
(١٢٥) Erhan, Türk-Amerikan, s. 332; Günay. "Amerikan", s. 126.
(١٢٦) Güler. "Osmanli ", s. 236.
(١٢٧) Loc. Cit.
(١٢٨) Gould. Alexander, p. ١٤٢.
(١٢٩) Ibid, p. ١٤٣.
(١٣٠) Loc. Cit.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق الأمريكية:

1. United States Department of State / The executive documents of the House of Representatives for the second session of the fifty-third Congress. 1893-94, Vol. 1, Turkey.
2. United States Department of State / Papers relating to the foreign relations of the United States, with the annual message of the president transmitted to Congress, December 3, 1894. Turkey.
3. United States Department of State / Papers relating to the foreign relations of the United States, with the annual message of the president, transmitted to Congress, December 2, 1895. Turkey.
4. United States Department of State / Papers relating to the foreign relations of the United States, with the annual message of the president transmitted to Congress December 7, 1896. and the annual report of the secretary of state, Turkey.

ثانياً: الوثائق التركية:

5. Başbakanlik Devlet Arşivleri Genel Müdürlügü, Osmanli Arşivi Daire Başkanliği, Yayın Nu: 85, Osmanli Belgelerinde Ermeni-Amerikan Ilişkileri 1839-1995, I, Ankara 2007.
   - Tercüme Odası, Irade Hariciye (I. HR) 15815.
   - Hariciye Nezâreti Siyasî Kısım (HR. SYS) 2827/17, 2851/29, 2857/91.
6. Başbakanlik Devlet Arşivleri Genel Müdürlügü, Osmanli Arşivi Daire Başkanliği, Yayın Nu: 96, Osmanlı Belgelerinde Ermeni Isyanları 1895-1896, II Ankara 2008.
   - Yıldız Sadâret Resmî Maruzat Evrakı (Y. A. RES) 81/30.
   - Yıldız Perakende Hariciye Nezâreti (Y. PRK. HR) 22/22.
7. Başbakanlik Devlet Arşivleri Genel Müdürlügü, Osmanli Arşivi Daire Başkanliği, Yayın Nu: 86, Osmanli Belgelerinde Ermeni-Amerikan Ilişkileri 1896-1919, II. Ankara 2007.
   - Hariciye Nezâreti Siyasî Kısım (HR. SYS, 2858/13).

ثالثاً: الوثائق الإنجليزية:

8. Hurewitz, J. C. Diplomacy in the Near and Middle East, A Documentary Record 1535-1914 (New Jersey: D. Van Nostrand Co, 1956), Vol. I.

رابعاً: المصادر الإنجليزية المعاصرة:

9. Bond, Alvan. Memoir of the Rev. Pliny Fisk, Late Missionary to Palestine (Boston: Crocker & Brewster, 1828).
10. Greene, Frederick Davis. The Armenian Crisis in Turkey, (New York: G.P. Putnam's Sons, 1895).
11. Hopkins, J. Castell. The Sword of Islam or Suffering Armenia, Annals of Turkish Power and the Eastern Question (Brantford: The Bradley-Garretson, 1896).
12. Morton, Daniel O. (ed.). Memoir of Rev. Levi Parsons, First Missionary to Palestine from the United States (Hartford: Cooke & Others, 1830).
13. Porter, Admiral David D. Memoir of Commodore David Porter of the United State Navy (Albany: J. Munsell, 1875).
14. Report America's Relief Expedition to Asia Minor under the Red Cross (Washington DC: The Journal Publishing Co,.1896).
15. Williams, A. W - Gabriel, M. S. Bleeding Armenia, its History and Horrors under the Curse of Islam (Chicago: Publishers Union, 1896).

خامساً: المراجع الإنجليزية:

16. Daniel, Robert. American Philanthropy in the Near East 1820 - 1960 (Athens: Ohio University Press, 1970).
17. Gordon, Leland G. American Relations with Turkey 1830-1930, An Economic Interpretation (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1932).
18. Gould. Alexander Gould, Lewis L. Alexander Watkins Terrell, Civil War Soldier, Texas Lawmaker, American Diplomat (Austin: University of Texas Press, 2004).
19. Grabill, Joseph L. Protestant Diplomacy and the Near East-Missionary Influence on American Policy 1810-1927 (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1971).
20. Marsoobian, Armen T. Fragments of a Lost Homeland: Remembering Armenia (London- New York: I.B.Tauris Publishers, 2015).
21. Mekhitarian, Vosgan. (ed). Armenians, Twilight of the Ottoman Era, News Reports from the International Press, The New York Times 1890-1914(Armenia: Genocide Documentation &

Research Center, 2011).
22. Payaslian, Simon. United States Policy Toward the Armenian Question and the Armenian Genocide (New York: Palgrave Macmillan, 2005).
23. Redgate, Anne Elizabeth. The Armenians (Oxford: Blackwell, 1998).
24. Suslu, Azmi. Massacres by the Armenians Against the Turks (Ankara: Koksav-Kok Social and Strategical Research Foundation, 1991).
25. Sutherland, Jonathan. African Americans at War: An Encyclopedia (California: ABC-CLIO, 2004), Vol. I, p. 389-90.

سادساً: المراجع التركية:

26. Mutlu, Şamil. Osmanlı Devleti'nde Misyoner Okulları (İstanbul: Gökkubbe Yayınları, 2005).
27. Kantarcı, Şenol. Amerika Birleşik Devletleri'nde Ermeniler ve Ermeni Lobisi (İstanbul: Aktüel, 2004).
28. Kurat, Akdes Nimet. Türkiye ile Amerika Birleşik Devletleri Arasindaki Münasebetlere Ait Arşiv Vesikalari (Ankara: Ankara Üniversitesi Basımevi, 1970).
29. Erhan, Çağrı. Türk-Amerikan İlişkilerinin Tarihsel Kökenleri (Ankara, İmge Yay., 2001).

سابعاً: الأبحاث الإنجليزية:

30. Alan, Gülbadi - Bolat, Gökhan. "The American Board And The Ottoman Women's Education", History Studies, ABD ve Büyük Ortadoğu İlişkileri Özel Sayısı, Relationships of the USA and The Great Middle East, Special Issue 2011.
31. Dinçer, Sinan , "The Armenian Massacre in Istanbul 1896", Tijdschrift Voor Sociale en Economische Geschiedenis 10, 2013, nr. 4, p. 25
32. Erhan, Çağri. "Ottoman Official Attitudes towards American Missionaries", The United States and the Middle East: Cultural Encounters, Yale University, 7-8 December 2000, The Turkish Yearbook, Vol. XXX.
33. Lippe, John M. Vander. "The Other Treaty of Lausanne: The American Republic and Official Debate on Turkish-American relations", The Turkish Yearbook, Vol. XXIII, 1993.

34. Ümit, Devrim. "The American Protestant Missionary Network in Ottoman Turkey 1876-1914", International Journal of Humanities and Social Science, Vol. 4, No. 6, April 2014.
35. Wilson, Ann Marie. "In the Name of God, Civilization, and Humanity: The United States and the Armenian Massacres of the 1890s", Le Mouvement Social, Numéro Special, L'Humanitaire : XIX-XXI Siècle, 227, April-June 2009.
36. Zeidner, Robert F. "Britain and the Launching of the Armenian Question", International Journal of Middle East Studies, Cambridge University Press, Vol. 7, No.4, Oct. 1976.

ثامناً: الأبحاث التركية:

37. Aydın, Mithat. "Amerikan Protestan Misyonerlerinin Ermeniler Arasındaki Faaliyetleri ve Bunun Osmanlı-Amerikan İlişkilerine Etkisi", Osmanlı Tarihi Araştırma ve Uygulama Merkezi Dergisi OTAM, Ankara, Sayı:19, Yıl:2006.
38. Bağçeci, Yahya. "Osmanli Devleti'nde Amerikan Misyonerlerinin, Ermenilere Yönelik Eğitim Faaliyetleri", Turkish Studies, International Periodical For the Languages, Literature and History of Turkish or Turkic, Volume 3/4, Summer 2008.
39. Bozan, Oktay. "XIX. Yüzyilin İkinci Yarisinda Mardin'de Amerikan Misyonerlerinin Faaliyetleri", e-Şarkiyat İlmi Araştırmalar Dergisi, Sayı: XII, Kasım 2014.
40. Fendoğlu, Hasan Tahsin "Amerika Birleşik Devletlerinin Misyonerleri ve Osmanlı Devleti", Türkler, Cilt. XIV, Ankara: Yeni Türkiye Yayınları, 2002.
41. Güler, Yavuz. "Osmanli Devleti Dönemi Türk- Amerikan İlişkileri 1795-1914", Gazi Üniversitesi Kirşehir Eğitim, Fakültesi Dergisi, Cilt. 6, Sayı 1, 2005.
42. Günay, Nejla. "Amerikan Misyonerlerine Anadolu Halkının Tepkisi ve Bunun Osmanlı-Amerikan İlişkilerine Etkileri", Gazi Akademik Bakış, Cilt 1, Sayı 2, Yaz 2008.
43. Günay, Nejla. "Amerikan Misyonerlerine Anadolu Halkının Tepkisi ve Bunun Osmanlı-Amerikan İlişkilerine Etkileri", Gazi Akademik Bakış, Cilt 1, Sayı 2, Yaz 2008.
44. Hülagü, M. Metin. "Osmanlı'dan Cumhuriyet'e Misyoner, Ermeni, Terör ve Amerika Dörtgeninde Türkiye", İslâmî

Araştırmalar, 2007, 20, 4, Nevşehir Üniversitesi, Fen-Edebiyat Fakültesi, Nevşehir.

45. Ortaylı, İlber "Osmanlı İmparatorluğu'nda Amerikan Okulları Üzerine Bazı Gözlemler", Amme İdaresi Dergisi, sayı 14, 1981.
46. Turan, Ömer "Amerikan Misyonerlerinden E. Smith ve H.G.O. Dwight'a Göre 1830-1831 Yıllarında Ermeniler", Ermeni Soykırımı İddiaları-Yanlış Hesap Talat'tan Dönünce, der, Mustafa Çalık, Ankara, Cedit Neşriyat, 2006.
47. Şimşir, Bilal N. "Ermeni Propagandasının Amerika Boyutu Üzerine", Tarih Boyunca Türklerin Ermeni Toplumu İle İlişkileri Sempozyumu, Ankara, Atatürk Üniversitesi Yay. 1985.

تاسعاً: الرسائل العلمية الإنجليزية:

48. Fratantuono, Ella M. Self-Righteous Beneficence: American Diplomat and Missionary Perceptions of the Ottoman Empire 1908-1914, Honors Thesis in, Department of History, Richmond: University of Richmond April, 2008.
49. Shelton, Elizabeth W. Faith, Freedom, and Flag: The Influence of American Missionaries in Turkey on Foreign Affairs 1830-1880, Faculty of the School of Continuing Studies and of the Graduate School of Arts and Sciences, Degree of Doctor of Liberal Studies, Washington, D.C: Georgetown University, April 4, 2011.
50. Stebbins, Jeffrey W. Bell and Banner: Armenian Revolutionaries at the End of the Ottoman Empire, Master of Arts in Security Studies, Naval Postgraduate School, California, December 2011.

عاشراً: الرسائل العلمية التركية:

51. Karaş, Zeynep. Ermen terrör Örgütü: Asala, Atilim Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü Uluslararasi Ilişkiler Anabilim Dali, Yüksek Lisans Tezi, Tez Danişmani Doç. Dr: Idris Bal, Ankara, 2007.
52. Özcoşar, İbrahim. 19 Yüzyilda Mardin Süryanileri, Tarih Anabilim Dalı, Yakınçağ Tarihi Bilim Dalı, Doktora Tezi, Tezi Yöneten Doç. Dr. Ayhan Öztürk, Erciyes Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, Nisan 2006.

النّسق الزّمنيّ في السّيرة النّبويّة لابن هشام
دراسة وصفيّة تحليليّة [*]

د. صلوح مصلح السّريحيّ الحربي
أستاذ مشارك أدب عربي ونقد
كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة
جامعة الملك عبدالعزيز
جدة ، المملكة العربيّة السعوديّة

تدوين السّيرةالنّبويّة:

شكلت السّيرة النّبويّة مادة ثرية للقُصّاص، حيث وجدوا فيها البديل عن القصص ذات المضمون الجاهليّ من ناحية، وأشبعوا رغبة المسلمين في معرفة سيرة نبيهم المصطفى من ناحية ثانية، ولعلّ أولى محاولات كتابة السّيرةالنّبويّة وتدوينها تعود إلى رسائل عروة بن الزّبير إلى عبدالملك بن مروان[1]، ثم تمّ تدوين السّيرة رسميًا بأمر أمير العراق خالد القسري في زمن الخليفة هشام بن عبدالملك [2]. وهكذا بدأ تدوين السّيرةالنّبويّة بجهود متفرقة وجزئية قام بها المحدّثون والإخباريون من أمثال عروة بن الزبير بن العوام الفقيه المحدث (ت ٩٢ هـ)، ثم ألف أبان بن عثمان بن عفان المدني (ت ١٠٥ هـ) صحفًا جمع فيها أحاديث عن حياة رسول الله ﷺ، ثم وهب بن منبه (ت١١٠ هـ)، وغاصم بن عمر (ت١٢٠ هـ)، وشرحبيل بن سعد

(*) مجلة المؤرخ المصرى، عدد يناير ٢٠١٦.

(ت ١٢٣ هـ)، وابن شهاب الزّهري (ت ١٢٤ هـ)، وعبدالله بن ضرم (ت ١٣٥هـ)، وموسى بن عقبة (ت ١٤١ هـ)، ومعمر بن راشد (ت ١٥٠ هـ)، ثم محمد بن إسحاق مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف (ت١٥٢ هـ) "[٣].

ثم تمكن ابن اسحاق من جمع مادة السّيرةالنّبويّة من جميع من سبقوه، كما ضمنّها مروريات شفوية، وخلط فيها الكثير وأدخل عليها الكثير من الشعر المنحول، فقوبلت بالنّقد الشديد، يقول السّيوطيّ: " وكان ممن هجَّن الشّعر، وحمل كل غثاء محمد إسحاق مولى آل مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، وكان أعلم النّاس بالسّير، قبل النّاس عنه الأشعار، وكان يعتذر منها ويقول: لا علم لي بالشّعر، إنما أُوتَى به فأحمله، ولم يكن له عذر، فكتب في السّيرة من أشعار الرّجال الذين لم يقولوا شعرا قط، وأشعار النّساء، ثم تجاوز ذلك إلى عاد وثمود. أفلا يرجع إلى نفسه فيقول: من حمل هذا الشّعر، ومن أداه منذ ألوف من السّنين والله يقول: (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أي لا بقية لهم "[٤].

ويمكن أن نعد سيرة ابن إسحاق نصًّا أكثر تعبيرًا عن شفوية التّراث العربيّ، ثم جاء ابن هشام بعد عقود (٢١٣هـ) فهذّب سيرة ابن إسحاق، ولخصها، واستبعد تاريخ الأنبياء من آدم إلى إبراهيم، وغير هذا من ولد إسماعيل ممن ليسوا في العمود النّبويّ، كذلك حذف بعض الأخبار والأشعار، وزاد عليها مما يعلم[٥]، حتى لقد نسبت فيما بعد إليه، ونسي مؤلفها الأول.

وبغض النّظر عن صحة المرويّات في السّيرة النّبويّة، فإنها عمل سرديّ مهم في الثّقافة العربيّة، أوجد القصص الدّينيّ، وأفسح المجال لأنماط أخرى من السّير مثل كتب التراجم والسّير التّاريخيّة والذّاتيّة.

السّرد في السّيرة النّبويّة:

تجمع السّير بين فضاءي التّاريخ من جانب والأدب من جانب آخر، وتمتلك فضاء التّاريخ لأنّه من صنع مؤرخ قام بتدوين الأحداث والوقائع، وأعاد صياغتها، فنقلها بذلك من المستوى الواقعيّ إلى المستوى الفنيّ. وتمتلك أيضًا فضاء الأدب على اعتبار "أنّ الأدب كلّ ما صاغه الإنسان في قالب لُغوي ليوصله إلى الذّاكرة "[٦]. وبذلك يتمّ استنطاق التّاريخ استنطاقًا أدبيًا، كما يمكن قراءة السّيرة قراءة سرديّة؛ لأن المؤرخ" يحول الحدث أي حدث إلى مادة تاريخيّة عندما يصنعه في تسلسل زمني معين "[٧]، وبذلك يقيم السّرد علاقة جدليَة مع الحياة من جانب، ومع التّاريخ من جانب آخر؛ لأنه ينتج داخل الحياة كما أن الحياة، تنتج داخل السّرد، وبهذا المعنى يمكننا القول بأنّ القصص تُروى، ولكنها أيضًا تُعاش على نحو مُتخيَل "[٨].

ويتحقق في السّيرةالنّبويّة لابن هشام أنموذجًا للبنيّة السرديّة التي تشتمل على الخبر والقصّة... المتصلة بالرّسولﷺ من جملة أقواله وأخلاقه وهديه ومعاملاته في السّلم والحرب، وهو ما أكسبها أهمية في السّرد العربيّ القديم إلى جانب أهميتها الدينية. وقد تم تدوين السّيرةالنّبويّة على يد مؤرخ لذا يكون "استعمال اللّغة فيها للإبلاغ يعني ألّا دخل لنوازع الّذات النّاقلة في تكوين ما يشير إلى المنقول، وجعله بعيدًا عن الانحراف عن جوهره، واستغلاليته لدى إيصاله إلى الآخر "[٩]. ومع ذلك فإنّ السّيرة النّبويّة ليست رواية، فهناك فرق بين المؤرخ والرّوائيّ يكمن في أنّ " المؤرخ يلتزم بالصّورة التي يرسمها بحدود المكان والزّمان، ذات صلة بالمادة التّاريخيّة وخالية من التّناقض... وهذه الأمور غير ملزمة للروائيّ "[١٠] وبذلك فإن "السّيرة نوع من الأدب يجمع بين التّحري التّاريخيّ، والإمتاع القصصيّ، والتخيل فيه آلية لإحياء التّاريخ لا إلى نفيه "[١١] وهذا هو الفرق بين النّصّ

المنتميّ للتّاريخ، وبين ما يعود إلى السّرد التّخيليّ، وبذلك توظف السّيرة النّبويّة السّرد للوصول إلى غايتها التي تتمثل في الإبلاغ الممتع والمؤثر، وفي ذلك يقول عزّ الدين إسماعيل: " إن كتب السّير والمغازي، جمعت بين العلم والفن؛ يتمثل جانب العلم في أن السّير والمغازي تعتمد أساسًا على مادة تاريخيّة، فهي تحكي عن شخوص تاريخيّين، وأحداث ووقائع تاريخيّة في معظمها، وأما جانب الفن فيتمثل في الطّابع القصصيّ الذي تصاغ فيه هذه المادة، فهي إذن مادة تاريخيّة تعرض في قالب قصصيّ"[١٢]. وبذلك تصبح السّيرةالنّبويّة مادة للحكي تحمل بعثًا كاملًا للماضي لاستحضاره، وتوثيق العلاقة به، وربط الماضي بالحاضر ليكون لنا فيه عبرة وعظة، كما أنها تحمل استشرافا حين ترسم مستقبل الأمة وتبشّر به.

الزّمن:

يعتبر الزّمن في مفهومه العام مادة معنويّة مجرّدة، تتشكل منها الحياة، "فهو حيز كل فعل، ومجال كل تغيير وحركة، وهو بالنسبة للإبداع عامة، والقصص خاصة تحضير للجوّ النّفسيّ والاجتماعيّ والتّاريخيّ والأيديولوجي"[١٣].

ويعدّ الزّمن من أخطر عناصر السّرد، فهو في الواقع الخارجيّ خط هلاميّ مُحيّر يتسّم بالضّبابيّة والتّعتيم[١٤]،لذا كان محور جدل بين الكثيرين من الفلاسفة والأدباء والنّقاد وعلماء اللّغة والنّفس والمناطقة – شأنه في ذلك شأن القضايا التّجريديّة التي يصعب تحويرها – لذا قال باسكال "إنّ الزّمن من هذه الأشياء التي يستحيل تعريفها؛ فإنّ لم يكن مستحيلاً نظريًا، فإنه غير مجدٍ عمليًا"[١٥] . ويفترض لوبوك "أنّه ليس ثمّة شيء أكثر صعوبة يجب تأمينه في السّرد من عرض الزّمن في نسق وصيغة يسمحان بتعيين مداه، وتحديد

الوتيرة التي يقتضيها، والرجوع بهما إلى صلب موضوع القصّة"[16]. ويسهم الزّمن في تقريب السّرد من الواقع على المستوى السّطحيّ، وعلى المستوى العميق؛ لأنّه يشارك في إنتاج دلالة بفاعليّة أساسيّة لذا تحدى السّيميائيون السّرديون عن مصطلح التّفعيل الزّمنيّ Temporalization مشيرين به إلى "العملية التي يتم بها إضفاء بُعد زمنيّ على الخطاب"[17] ويعدُ الزّمن عند جيرار جينيت G.Ginette جوهر النّصّ السّرديّ ويرى إمكانية "سرد قصة، دون تعيين مكان وقوعها... بيد أنه من شبه المستحيل عدم موقعها في الزّمن بالنّسبة للفعل السّردِيّ؛ لأنّه لا بد من حكايتها في الزّمن الحاضر أو الماضي أو المستقبل"[18]، فالفعل الذي يعد جوهر العملية السرديّة يحمل في داخله بعدًا زمنيًا، وبذلك لا يوجد سرد بدون زمن، لذا فإنه من أكثر العناصر السرديّة تجليًا في الحكي.

ويعود الفضل في بلورة المفاهيم الزمنيّة للعمليّة السرديّة للشّكلانيين الرّوس Form alistes، لذا اكتسبت مقولة الزّمن في المقاربة الشّكلانيّة أهمية متميزة. ولقد اعتمد هؤلاء الشّكلانيّون في أعمالهم حول العمل الحكائيّ على جهود توماشفسكي Tomachevski الذي ميّز بين المتن الحكائيّ والمبنى الحكائيّ حين أشار إلى مسئوليّة الزّمن في تحديد ذلك، حيث يمثّل المتن الحكائيّ مجموعة الأحداث المتصلة فيما بينها، والتي يقع إخبارنا بها خلال العمل"[19]، بينما يتألف المبنى الحكائيّ " من نفس الأحداث، بيد أنه يراعي نظام ظهورها في العمل، كما يراعي ما يتبعها من معلومات تعينها لنا"[20].

ويتضمن زمن الحكي عند تودوروف نوعين من الزّمن: زمن القصّة، وهو زمن واقعيّ متعدد الأبعاد، إذ يمكن لأحداث كثيرة أن تجري في آن واحد، وزمن آخر هو زمن الخطاب، وهو زمنَ فني ملزم بترتيب الأحداث

بشكل متتالٍ لأغراض جماليّة. وكذلك يميز جيرار جينيت بين نمطين من الزّمن، الأول زمن القصّة الذي يمثّل زمن الأحداث، ويعتبره مرادفا للكتابة الحكائيّة، والثّاني زمن الخطاب الذي يمثل بُنية العمل الأدبيّ، وهو مايطلق عليه "زمن المدلولات النّصيّة التي تتابع خطيًا في الخطاب"[٢١].

ويقسم ميشال بوتور الزّمن تقسيما ثلاثيًا حين ميّز بين "زمن المغامرة؛ وهو زمن القصّة، وزمن الكتابة، وزمن القراءة"[٢٢]. أمّا يمنى العيد فيقسم الزّمن إلى: زمن القصّة الذي يخضع للتتابع المنطقيّ للأحداث وتسلسلها، وزمن السّرد الذي يعتمد على التّلاعب الفني للأديب في تعامله مع الزّمن"[٢٣]، بحيث يقدم ويؤخر في نظام الزّمن، ثم يميز الزّمن الأول – زمن القصّة – إلى زمن القصّ، وهو الذي يوازي زمن الكتابة، أو زمن نهوض السّرد، وزمن الوقائع الذي ينفتح على الماضي ليروي التّاريخ والأحداث الشّخصيّة.

ونخلص من ذلك إلى أنّ الشّبكة الزمنيّة في السّرد متداخلة ومتشبعة، حيث يبرز التّقسيم الثّنائي في مقابل التّقسيم الثّلاثيّ الذي يقحم المتلقي في العملية السرديّة من خلال زمن القراءة، فينصرف الزّمن عن الدّور المنوط به وهو تحديد الأحداث ؛ لذا تبقى الثّنائيّة الزمنيّة التي قال بها تودوروف وهى زمن الخطاب، وزمن القصّة هى الأنسب في حركة السّرد، وهو المفهوم الذي ستأخذ به الدراسة.

التّرتيب الزّمنيّ:

يتطلب السّرد تمثيل مجموعة من الأحداث تسير وفق تتابع وتسلسل زمني يسير بالحكايّة نحو نهايتها الطبيعية، ونتيجة للفرق بين تعدديّة زمن الحكايّة الذي يسمح بوقوع أكثر من حدث حكائيّ في وقت واحد، وأحاديّة زمن السّرد الذي يملك بعدًا زمنيًا واحدًا هو بُعد الكتابة على أسطر

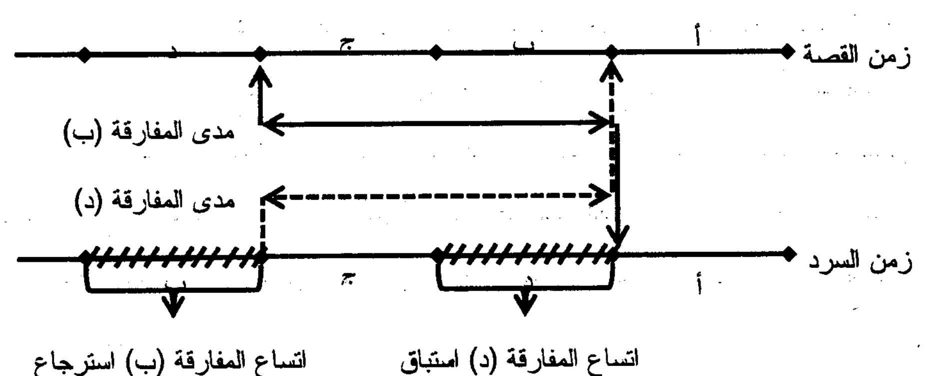
الرّاويّة"[24]، تبرز تداخلات في الزّمن القَبلى والبَعدى، ومرد هذه التّداخلات هو الاختلاف بين الزّمنيّن من حيث طبيعتهما، واستحالة التّوازيّ يؤدي إلى الخلط الزّمني"[25]؛ إمّا بعودة الأحداث إلى الوراء، أو بالقفز بها إلى الإمام، وهو ما يطلق عليه بالمفارقة الزمنيّة، وفيها يفقدالزّمن خطيته بانتقاله بين الأزمنة الثّلاثة (الماضي – الحاضر – المستقبل)، ويتصل هذا الانزياح في الزّمن بموقع السّرد منه. وقد أشار جيرارجينيت إلى هذه التقنيّة بقوله: "تُعنى دراسة التّرتيب الزّمنيّ في الخطاب السّردي بنظام تتابع هذه الأحداث، أو المقاطع الزمنيّة نفسها في القصّة، وذلك لأنّ نظام القصّة هذا تشير إليه الحكايّة صراحة، أو يمكن الاستدلال عليه من هذه القرينة غير المباشرة..."[26]. وبذلك تجوب الأحداث السرديّة الزّمن ذهابًا وإيابًا، تارة استرجاعات، فيكون السّرد استذكاريا يعود بنا إلى الماضي، وتارة استباقات أو استشرافات تمضي بنا إلى المستقبل. ومتى ما جاب السّرد تقنيتي الاستذكار والاستباق ينكسر الزّمن، ويفقد خطيته بفعل هذه المفارقة الزمنيّة، ويصبح للزمن نسق خاص به سواء أكان صاعدًا نحو المستقبل، أم هابطًا اتجاه الماضي.

المفارقة الزمنيّة:

وتعني توقف استرسال الحكي المتنامي، وإفساح المجال أمام نوع من الذّهاب والإياب على محور السّرد انطلاقًا من النّقطة التي وصلها الحكي، ويمكن اعتبار هذه النقطة درجة الصّفر، وتماثل الزّمن الحاضر، ولكل مفارقة سرديّة مدى portee واتساع Amplitude، ومدى المفارقة هو المجال الفاصل بين نقطة توقف السّرد، وبداية الأحداث المسترجعة أو المتوقعة. يقول جيرارجينت: "إن مفارقة ما يمكنها أن تعود إلى الماضي أو

الى المستقبل، وتكون قريبة أو بعيدة عن لحظة الحاضر (....)، إننا نسمي مدى المفارقة هذه المسافة الزمنيّة ويمكن للمفارقة أن تغطي نفسها مدى معينا من القصّة، وهذه المدّة هي ما نسميه اتساع المفارقة"[٢٧] ، ويمكن تحديدها بالأيام والشّهور والسّنوات، كما يمكن تحديد سعة المفارقة من خلال تحديد المساحة أو المسافة التي تحتلها داخل زمن السّرد وتحديدها بالسّطور والصّفحات التي تغطيها داخل البنيّة السرديّة، ويمثّل كل من تقنيّة الاستذكار والاستباق أدوات حاسمة في تغيير وتيرة السّرد، وتحريف تتابعه، وكسر خطه الزّمنيّ.

ويمكن توضيح المدى والاتساع من خلال الشّكل التّاليّ:



ونلاحظ هنا تساوي اتساع المفارقتين معًا، لأن اللحظة (د) تَحلُّ في زمن السّرد محل اللحظة (ب)، كما أن اللحظة (ب) تحل في زمن السرد محل اللحظة (د). ثم إن مدى المفارقة يتحدد بين بداية اللحظة المُفارقة في زمن القصّة وبدايتها في زمن السّرد سواء أكانت استرجاعًا أو استباقًا [٢٨].

تقنيّة الاستذكار Tempsdelaretrospeclion:

يعتبر الاستذكار إحدى التّقنيّات التي تلعب دورًا مهمًا في نظام ترتيب

الأحداث، إذ يتعامل الرّاويّ مع الزّمن بنوع من التّحايل. حيث يترك مستوى القصّ الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضيّة ليفسرها في ضوء المواقف المتغيرة "فيروي لنا فيما بعد ماوقع من قبل "[٢٩]. ويعد الاستذكار "بالقياس إلى الحكايّة التي يندرج فيها حكايّة ثانيّة زمنيًا... ويطلق عليه تسميّة الحكايّة الأولى على المستوى الزّمنيّ للحكايّة الذي بالقياس إليه تتحدد مفارقة زمنيّة بصفتها كذلك"[٣٠].

ويرتبط السّرد الاستذكاري بدافع قوي يتطلب استدعاء أحداث ماضيّة في لحظة حاضرة لوجود علاقة تربط بين الماضي والحاضر، فلا يمكن بحسب رأي غاستون باشلار " إحياء الماضي الا بتقييده بموضوعه بشعورية حاضرة بالضرورة بكلام آخر، حتى نشعر أننا عشنا زمنًا، وهو شعور غامض دائما بشكل خاص"[٣١].

وتعدّ السّير من أكثر السّرديّات احتفاءً بهذه التقنيّة؛ لأن السّرد فيها استرجاعيّ بالأساس، وكل الأحداث المسرودة بالقياس إلى زمنها هي أحداث استرجاعيّة [٣٢]، وبذلك تكون تقنيّة الاستذكار "نوعًا من الذّاكرة الرّوائيّة تربط الحاضر بالماضي، وتفسره وتعلله وتضئ جوانب مظلمة من أحداثه، ومسارات هذه الأحداث في امتدادها وانكساراتها"[٣٣].

وفي السّيرة النّبويّة يُفتح باب الاستذكار من خلال السّند ذاته بصيغة المفرد قال، حدّث، أخبر، أو بصيغة الجمع حدّثنا، أخبرنا... فيدفعنا من خلال الأفعال الماضيّة إلى استحضار النّصّ من الماضي إلى الحاضر الذي يُعدّ بالنسبة للمتلقي ماضيًا أيضًا، وبذلك يتم استدعاء البُنيّةالسرديّة بواسطة السّند الذي يمر عبر مستويات متعددة من تلك البنيّة السرديّة التّاليّة:

"قال ابن إسحاق، وحدثني ثور بن يزيد، عن بعض أهل العلم ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان الكلاميّ: أنّ نفرًا من أصحاب رسول

الله..."[٣٤].

يمكن ترسيم مستويات تقنيّة الاستذكار في البُنيّة السابقة على النحو التّاليّ:

المستوى (١)	ابن هشام	زمن تأليف الكتاب	٢١٨ هـ
المستوى (٢)	ابن اسحاق	راوي	١٥٠ هـ
المستوى (٣)	ثور بن يزيد	راوي	١٥٣ هـ
المستوى (٤)	خالد بن معدان	راوي	١٠٣ هـ
المستوى (٥)	اصحاب الرّسولﷺ	راوي	زمن رسول الله ﷺ

وتتكرر تقنيّة الاستذكار في بدء أغلب البُنىالسرديّة حيث نرتد في كل منها من زمن تأليف الكتاب إلى زمن النّصّ، وقد يكون ارتدادًا معلومًا متدرجًا كما في النّصّ السّابق، وقد يكون إسنادًا مجهولاً، فيقفز الرّاويّ ابن هشام من زمن الحكي إلى زمن الحكايّة مختصرًا ذلك بعبارات نحو: قال العرب، أو حدثني أهل العلم من ذلك البُنيّة التّاليّة: " قال ابن هشام، وحدّثني من أثق به من أهل العلم: أنّ جعفر بن أبي طالب...."[٣٥].

كما نلحظ حضور السّرد الاسترجاعيّ في بُنية المتن، ومن ذلك:

" أنّ نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ قالو له يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك ؟ قال: نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبُشرى أخي عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشّام، واسترضعت في بني سعد بن بكر، فبينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بُهْما لنا، إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجًا، ثم أخذاني فشقا بطني، واستخرجا قلبي فشقّاه، فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه، ثم قال أحدهما لصاحبه، زنه بعشرة من أُمّته، فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال زنه بمئة من أُمّته، فوزنني بهم فوزنتهم،

ثم قال: زنه بألف من أُمَّته، فوزنني بهم فوزنتهم ؛ فقال: دعه عنك فو الله لو وزنته بأمته لوزنها "[٣٦].

وقد اشتملت البُنيّة السرديّة السابقة على حكايّة تتضمن سؤال رسول الله ﷺ وإجابته التي حملت مجموعة بُني حكايّة لأزمنة متعددة شملت زمن سيدنا إبراهيم، ثم زمن سيدنا عيسى، ثم زمن آمنة، فكان فيها رسول الله الدعوة والبُشرى والرُؤيا لم يفصل في ذكر هذه الأزمنة، فكان استرجاعًا سريعًا، ولكنه توقف عند فترة استرضاعه في بني سعد، وحادثة شقّ صدره، وهو ابن عامين، وعلى الرّغم من حدوثها له في زمن طفولته المبكرة إلا أنه يستحضر حكايته بالتفصيل عبر مجموعة من الأفعال الحركية "أتياني – أخذاني – فشقّاه – استخرجا – فطرحا – غسلا – فوزنني – قال – دعه"، ثم انتقلنا في حكايّة شقّ صدره عليه الصلاة والسلام من خلال هذه الأفعال إلى بادية بني سعد وبعد انتهاء هذه الحكايّةعدنا إلى الزّمن الحاضر زمن النَفر وسؤالهم لرسول الله ﷺ. وبذلك تحقق القول في أنّ" الاسترجاع بالقياس إلى الحكايّة التي يندرج فيها حكايّة ثانيّة زمنيًا، تابعة للأولى.... ويطلق عليها تسمية الحكايّة الأولى "[٣٧]. كما استغرق مدى المفارقة الزمنيّة فترة تمتد إلى ما لايقل عن أربعة عقود، وهي أقل فترة يمكن تحديدها، وتقع مابين رضاع رسول الله ﷺ وبعثته، أما سعة المفارقة فتبلغ ثلثي البُنيّة الحكايّة؛ فإذا كانت الحكايّة تشغل عشرة أسطر من طباعة الكتاب فإن المفارقة الزمنية تشغل سبعة أسطر منها مما يدل على مركزية حدث المفارقة في البُنيّة السرديّة.

كذلك نلاحظ ظهور المفارقة الزمنيّة في البُنيّة التّاليّة:

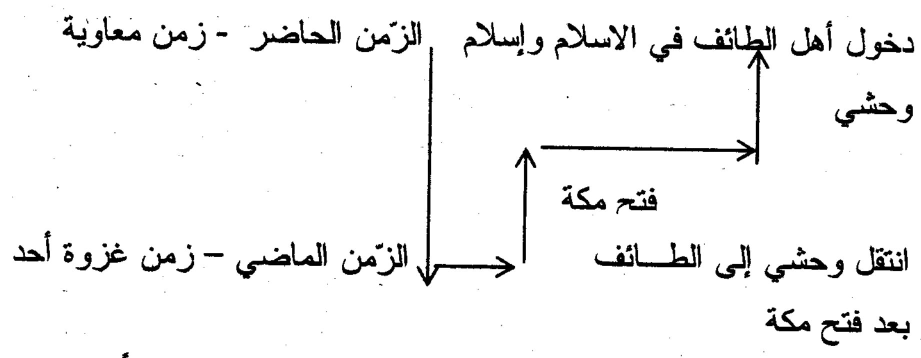
" قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالله بن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضَّري قال:

خرجت أنا وعبيد الله بن عدي بن الخيار، أخو بني نوفل بن عبد مناف، في زمان معاوية بن أبي سفيان، فأدربنا مع النّاس، فلما قفلنا مررنا بحمص – وكان وحشي مولى جُبير بن مُطعم قد سكنها، وأقام بها –فلما قدمناها قال لي عبيد الله بن عدي: هل لك في أن نأتي وحشيًا فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله؟ قال: قلت له: إن شئت. فخرجنا نسأل عنه بحمص.... فلما انتهينا إليه سلمنا فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عدي... قال: فجلسنا إليه فقلنا له: جئناك لتحدثنا عن قتلك حمزة، كيف قتلته؟ فقال: أما أني سأحدثكما كما حدثت رسول الله ﷺ حين سألني عن ذلك، كُنتُ غلامًا لجبير بن مُطْعم، وكان عمُّه طُعيْمة بن عدي قد أصيب يوم بدر، فلما سارت قريش إلى أُحد، قال لي جبير: إن قتلت حمزة عمّ محمد بعمّي فأنت عتيق. قال فخرجت مع النّاس، وكنت رجلا حبشيا أقذف بالحرْبة قذف الحبشة، فلمّا أُخطئ بها شيئًا، فلما التقى النّاس خرجت أنظر حمزة، وأتبصّره حتى رأيته في عرض النّاس مثل الجمل الأورق، يَهُد النّاس بسيفه-هدّا، ما يقوم له شيء، فوالله إني لأتهيّأ له، أريده وأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو مني إذ تقدمني إليه مسباع بن عبد العُزّى، فلما رآه حمزة قال له: هلم إليّ يا ابن مُقَطّعة البُظور. قال فضربه ضربة كأن ما أخطأ رأسه. قال: وهززتْ حَرْبتي، حتى إذا رضيت منها، دفعتها عليه، فوقعت في ثنته، حتى خرجت من بين رجليه، وذهب ليدنو نحوي فغُلب، وتركتُه وإياها حتى مات، ثم أتيتُه فأخذت حربتي، ثم رجعت إلى العسكر، فقعدتُ فيه، ولم يكن لي بغيره حاجة، وإنما قتلتُه لأُعتق. فلما قدمت مكة أُعتُقِت، ثم قمت حتى إذا افتتح رسول الله ﷺ مكة هربتُ إلى الطائف، فمكثت بها فلما خرج وفدُ الطائف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا تغيت عليّ المذاهب، فقلت ألحق بالشّام، أو اليمن، أو ببعض البلاد، فوالله إني لفي ذلك من همّي، إذ قال لي رجل: ويحكَ إنّه والله ما يقتل أحدًا من النّاس دخل

في دينه، وتشهّد شهادته"[٣٨].

وهكذا نلحظ حضور السّرد الاستذكاريّ في البُنيّةالسرديّة السابقة من خلال إجابة وحشي على سؤال عبد الله بن عدي عن كيفية قتله حمزة – رضي الله عنه – ليفتح وحشي بإجابته عن السّؤال الباب علي الزّمن الماضي مرتدًا إليه من زمن السؤال، أي من زمن معاوية إلى زمن غزوة أحد، فيستعرض فيها وحشي بأسلوب مسرحيّ قتله لحمزة (خرجت أنظر حمزة، أتبصره، رأيته، ألتقى النّاس، أستتر بشجرة، هززت حربتي، دفعتها عليه، وقعت في ثنته، أخذت حربتي، رجعت إلى العسكر) ثم يبدأ الزّمن في العودة تدريجيًا إلى الحاضر ويتوقف عند فتح مكة ويصور وحشي هروبه إلى الطائف خوفا من رسول الله ﷺ ويواصل الزّمن عودته إلى الحاضر إلى قدوم رسول الله الطائف، وإسلام أهلها، وإسلام وحشي.

يمكن توضيح حركة السّرد الاستذكاري من خلال الرسم التّاليّ:



ويعكس اضطراب الزّمن في المفارقة السرديّة هبوطًا وصعودًا اضطراب وحشي وقلقه النّفسيّ وتوتره يؤكد هذا التوتر حيرته وتردده الظاّهر من خلال عبارته: تغيت علي المذاهب، فقلت: ألحق بالشّام أو اليمن، أو ببعض البلاد)، وتعكس هذه العبارات الضياع الذي يعيشه وحشي واضطرابه وقلقه، ويؤكد ذلك بالقسم (والله إني لفي ذلك من همّي)، وكل ذلك

انعكس على زمنَ المفارقة الذي ظهر فيه الهبوط بالزّمن والصّعود، هبوط وصعود أنفاس وحشي القلق المتوتر، قلق الإحساس بالذّنب، والخوف من المصير.

ونلحظ اتساع مدى المفارقة في تقنيّة الاستذكار ليمتد فيها من زمن معاوية إلى غزوة أحد، ويتسع مداها – المفارقة – ليبلغ نصف البُنيّةالسرديّة المطبوعة في الكتاب مما يدل على أن السّرد الاستذكاريّ هو بؤرة النّصّ، وما سبقه كان تمهيدًا له.

وهكذا نلحظ اعتماد السّرد في السّيرةالنّبويّة على تقنيّة الاسترجاع التي تظهر في السّند باستحضار النّصّمن الماضي، ويظهر فيها أن مدى المفارقة متسع، ولكنه متدرج، كما تظهر تقنيّة الاسترجاع من المتن من خلال استحضار قصص من الماضي، ويتسع فيها مدى المفارقة بشكل فجائيّ.

تقنيّة الاستباق prolapse:

يُعد الاستباق تقنيّة من تقنيات المفارقة السرديّة، يقوم فيها السّارد بالقفز إلى المستقبل" والتطلع إلى ماهو متوقع أو محتمل الحدوث في العالم المحكي"[٣٩].

وتسمح تقنيّة الاستباق بربط أحداث الحكي ببعضها البعض على الرّغم من المسافة الزمنيّة بين هذه الأحداث، كما تتطلب هذه التقنيّة راويا على دراية ووعي كامل بالحكايّة تمكنه من الانتقال بسرعة إلى الأمام في نفس الإطار الزّمنيّ للحكايّة الأولى، مصورًا الأحداث قبل تحققها.

ويميّز جيرارجينت بين نمطين من الاستباق فيقول:"ستميز من غير مشقة بين استباقات داخلية، وأخرى خارجية، فحدود الحقل الزّمنيّ للحكايّة الأولى يعنيها بوضوح المشهد الأخير غير الاستباقي"[٤٠]

ويتمثل نمطا الاستباق على النّحو التّاليّ:

أ - استباق خارجيّleprolepseexterne:

تقع الاستباقات الخارجيّة على مقربة من زمن السّرد أو الكتابة، أي "خارج حدود الحقل الزّمنيّ للحكايّة الأولى، وتكون وظيفتها ختاميّة في أغلب الأحيان، بما أنها تصلح للدفع بخط عمل ما إلى نهايته المنطقيّة"[٤١].

ب - استباق داخليّleprolepse interne:

ويتميز بكونه " يقع داخل المدى الزّمنيّ للحكي الأول دون أن يتجاوزه"[٤٢]

ويظهر الاستباق في السّيرة النّبويّة بما يحمله من إعجاز نبويّ، بالإضافة إلى بلاغة الاستباقات، وانفتاح الزّمن فيه على المستقبل حين يمضي السارد قدمًا مستبقًا الزّمن، ذاكرًا أحداثًا قبل أوانها، فيقفز بالحكي إلى نقطة لم يصل الخطاب الحكائيّ إليها بعد. من ذلك حكايّة سير رسول الله ﷺ إلى تبوك، فقد ورد سرد استباقي في البُنيّة الحكائيّة، وكانت على النّحو التّاليّ:

"مضى رسول الله ﷺ سائرًا، فجعل يتخلّفُ عنه الرجل، فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان، فيقول: دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه، حتى قيل يا رسول الله، قد تخلف أبو ذر، وأبطأ به بعيره؛ فقال: دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه، وتلوّم أبو ذر على بعيره، فلما أبطأ عليه، أخذ متاعه، فحمله على ظهره، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشيًا. ونزل رسول الله في بعض منازله، فنظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده؛ فقال رسول الله ﷺ كُنْ أبا ذر. فلما

تأمله القوم قالوا: يا رسول الله هو -والله- أبو ذر. فقال رسول الله ﷺ: رحم الله أبا ذر يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبعث وحده"[٤٣].

وعلى الرّغم من قصر الحيّز الزّمنيّ للاستباق في البنيَة الحكائيّة السّابقة حيث لم يتجاوز السّطر، إلا أن امتداده الزّمنيّ في المستقبل كبير جدًا، حيث يمتد إلى الموت، وما بعد الموت، وحياة القبر لينفتح على البعث، وهذا الامتداد الزّمنيّ يضرب في عمق المستقبل والمجهول فيمتد من الحاضر زمن السّير (يمشي وحيدًا)، وهو واقع مشاهد بالنسبة للمتلقي ليمتد مستبقًا الأحداث إلى زمن غيبي لا يعلمه إلا الله امتداده الاستباقيّ متجاوزًا فترة القبر إلى البعث (يبعث وحده)، وإذا كان التّغليب والظّنّ والاحتمال يغلب على أحداث الزّمن الاستباقي عادة بتوقع أحداث قد لا تتحقق[٤٤]، إلا أنّه في حديث رسول الله ﷺ يعد استباقا يقينيًا، وهذا من إعجاز النّبوة، وقد تحقق ذلك، فقد مات أبو ذر وحيدًا ليس معه إلا زوجه وخادمه، "قال ابن إسحاق: فحدثني بُريدة بن سفيان الأسلمي، عن محمد بن كعب القُرضي، عن عبدالله بن مسعود، قال: لما نفى عثمان أبا ذر إلى الرّبذَه، وأصابه بها قدره، لم يكن معه أحد إلا امرأته وغلامه، فأوصاهما أن غسلاني وكفنّاني ثم ضعاني على قارعة الطريق، فأول ركْب يمّر بكم فقولوا: هذا أبو ذر صاحبُ رسول الله ﷺ فأعينونا على دفْنِه.

فلما مات فعلا ذلك به. ثم وضعاه على قارعة الطريق؛ وأقبل عبدالله ابن مسعود في رَهطٍ من أهل العراق عُمّارًا، فلم يَرُعْهم إلا الجنازة على ظهر الطريق، قد كادت الأبل تطأها، وقام إليهم الغلام، فقال: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه. قال فاستهل عبدالله بن مسعود يبكي ويقول: صدق رسول الله ﷺ ، تمشي وحدك، وتموت وحدك، وتُبعثُ وحدك. ثم نزل هو وأصحابه فوارَوهُ، ثم حدثهم عِبدالله بن مسعود حديثه،

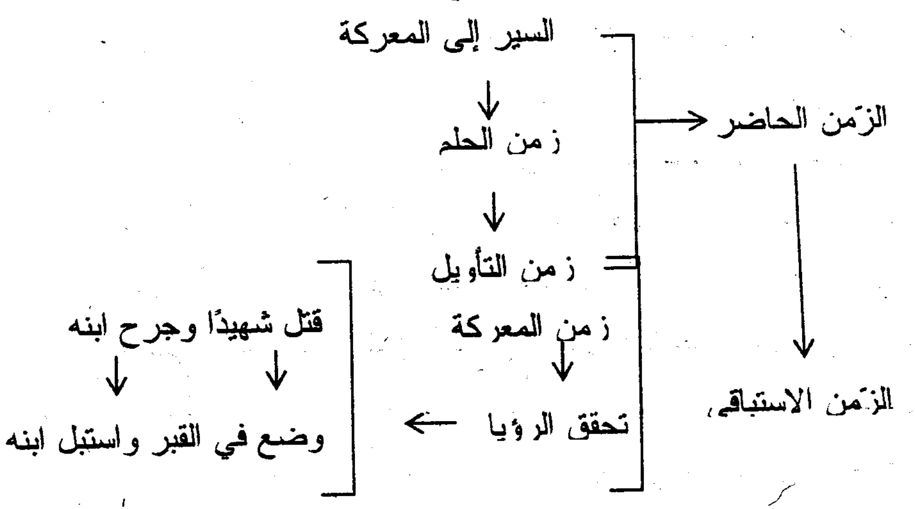
وما قاله رسول الله ﷺ في مسيره إلى تبوك "[٤٥].

ونلحظ أن مدى المفارقة الزمنيّة متسع امتد إلى زمن استباقيّ هو زمن موت أبي ذر، ثم بعثه إلا أن مدى المفارقة يتمثل في عبارة مركزة تتألف من ست كلمات فقط مما يدل على بلاغة رسول الله ﷺ وإعجازه. وعلى الرّغم مما قيل من أن " الاستباق يقتل عنصري التشويق والمفاجأة "[٤٦]، إلا أن الاستباق الصادر من رسول الله على الرّغم من أنه استباق خارجيّ، إلا أنه خلق نوعا من التّشويق، لأن ما يذكره رسول الله ﷺ لا بد وأنّه واقع لا محالة ويظلّ عنصرا التشويق والترقب وانتظار ما ذكره رسول الله ﷺ لأنه (ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)[٤٧].

ومن الاستباق المرتبط بالحكم ما ذكر من جهاد الطفيل بن عمرو الدوسيّ مع المسلمين بعد قبض رسول الله ﷺ وارتداد بعض العرب عن الإسلام، وإن كان هذا الحكم يندرج ضمن مسمى الرّؤيا لتحقق وقوعه، فقد جاء في السّيرة النّبويّة البُنيّة التّاليّة:

" لما ارتدت العرب، خرج الطفيل بن عمرو الدوسيّ مع المسلمين فارّا معهم حتى فرغوا من طُليحة، ومن أرض نَجْد كلها. ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة، فقال لأصحابه: إني قد رأيت رؤيا فاعبُرُوها لي، رأيت أنّ رأسي حُلق وأنه خرج من فمي طائر، وأنه لقيتني امرأة فأدخلتني في فَرْجها، وأرى ابني يطلبني حثيثًا، ثم رأيته حُبس عني، قالوا: خيرًا ؛ قال: أمّا أنا والله فقد أوّلتُها. قالوا: ماذا ؟ أمّا حلق رأسي فوضعه، وأمّا الطائر الذي خرج من فمي فروحي، وأمّا المرأة التي أدخلتني فرجها فالأرض تحفر لي، فأغيب فيها، وأمّا طلب ابني إياي ثم حبسه عني، فإني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني. فقتل -رحمه الله- شهيدًا باليمامة، وجرح ابنه جراحة شديدة، ثم استبل منها، ثم قتل عام اليرموك في زمن عمر، رضي الله عنه شهيدًا "[٤٨].

ويرتبط الاستباق في البُنيّةالسرديّة السّابقة بالحلم، وهذا النوع أشار إليه توماشفسكي حين قال أنه " يمثل الحالة الأكثر ندرة فهي حالة Nachgeschichte أي سرد ما سيحدث لاحقًا، والذي يُدمج في الحكي قبل أن تقع الأحداث، ويكتسي أحيانًا شكل الحلم منبئا أو نبوءة، أو افتراضات صحيحة أو غيرصحيحة بصدد المستقبل " [٤٩]. إلا أن الحلم في البُنيّةالسرديّة السّابقة تحقق فتحول الحلم بذلك إلى رؤياتزامنت مع زمن السير للمعركة (سار مع المسلمين إلى اليمامة)، وفي هذه الظروف لابد أن تخامر النفس فكرة الموت وطلب الشهادة، والرغبة الملحة للفوز بها وقد تظهر هذه الرغبة في اللاوعي من خلال رؤيا تبشر بها تتمثل من خلال بُنيّة استباقيّة داخليّة leprolepseinterne وقعت داخل المدى الزّمنيّ للحكي، وإذا كان المدى الزّمني للحكي هو زمن السّير للمعركة وشكلت الرؤيا استباقًا لما حدث فيها من استشهاد الطفيل، وإصابة ابنه، وبذلك ينفتح الزّمن على مدى المستقبل فيتجاوز الزّمن الحاضر (زمن السير إلى المعركة) إلى زمن المعركة ذاتها.
ويمكن توضيح ذلك من خلال الرسم التّاليّ:



وهكذا تمثلت لنا عدة أزمنة وقعت في مجموعتين؛ تمثل المجموعة

الأولى الزّمن الحاضر، وفيها يتدرج الزّمن من خلال الأفعال (السير، الحلم، تأويل الحلم)، ثم انفتح هذا الزّمن الحاضر على المستقبل الذي مثل المجموعة الثانية وتدرج فيها الزّمن من خلال الأفعال (المعركة، شهادته وإصابة ابنه، ودفنه، وشفاء ابنه)، كل فعل منها استغرق زمناً فاتسع بذلك زمن السّرد. كما نلحظ توسط مدى المفارقة إذ يتضمن القفز بالزّمن من السير إلى المعركة إلى زمن المعركة ذاتها، ومن الطبيعي أن هذه الفترة لاتتجاوز الأشهر في أغلب الأحيان. أما سعة المفارقة فتشغل ثلث مساحة البناء السّردي الذي يمكن تقسيمه إلى ثلاثة مقاطع؛ الثلث الأول منها مقدمة، والثلث الثاني الرؤيا وتفسيرها، والثلث الثالث تحققها. ومن الاستشراف ما دار بين رسول الله ﷺ وعدي بن حاتم الطائي عند قدومه على رسول الله بالمدينة وهو في مسجده فكانت البُنيّةالتّاليّة:

" قال عدي: مضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بي بيته، تناول وسادة من أدم مَحْشوّة ليفًا، فقذفها إليّ ؛ فقال: أجلس على هذه، قال: قلت بل أنت فاجلس عليها فقال: بل أنت. فجلست عليها، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض ؛ قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال: إيه يا عدي ابن حاتم ! ألم تك رَكوسيًا ؟ قال: قلت: بلى. قال: أو لم تكن تسيرُ في قومك بالمِرْباع ؟ قال: قلت: بلى، قال: فإن ذلك لم يكن يَحل لك في دينك ؛ قال: قلت: أجل والله، وقال: وعرفت أنه نبي مُرْسل، يعلم ما يُجْهل ؛ ثم قال: لعلك يا عدي إنما يمنعك من دُخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله لَيُوشكنّ المالُ أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنّما يمنعك من دُخولٍ فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم فوالله ليُوشكنّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت، لا تخاف؛ ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن المُلك والسّلطان في غيرهم،

وأيمُ الله ليوشكن أن تسمع بالقُصور البيض من أرض بابل قد فُتحت عليهم، قال: فأسلمت"[٥٠].

إذن أراد رسول الله ﷺ استمالة عدي للإسلام ؛ فاصطحبه من المسجد إلى بيته، وأجلسه على وسادة، وجلس أمامه متبسطًا متواضعًا، ثم برهن له من خلال تقنيتي السؤال والجواب على معالم نبوته وصدقه، حتى استوثق عليه السّلام من اقناعه لعدي بصدق نبوته إلا أنه لمح تردده في الإعلان عن إسلامه. أراد أن يحسم عليه السّلام هذا التردد فقدم لعدي صورة واضحة لمستقبل الإسلام من خلال موازنة طرفها الأول حال المسلمين في الزّمن الحاضر، وطرفها الثاني حال المسلمين في المستقبل؛ فإذا كان الحاضر يكشف عن قلة مال المسلمين، وقلة عددهم، وضعف سلطانهم ونفوذهم؛ فإن المستقبل يبشر بكثرة المال، ووفرة العدد، ونفوذ السّلطان والقوّة. ولم يطرح رسول الله ﷺ ذلك بصيغة مباشرة، وإنما من خلال كناية محملة بالدليل فقال:

- المال يفيض حتى لا يوجد من يأخذه.
- المرأة تخرج من القادسية حتى البيت لا تخاف.
- القصور البيض من أرض بابل تفتح عليهم.

وعندها أسلم عدي، ثم تحقق استباق رسول الله ﷺ وأصبح عدي نفسه شاهدًا على تحقق جزء من هذا الاستشراف فقد كان يقول: "قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكوننّ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فُتحت، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، وأيمُ الله لتكوننّ الثالثة، لَيَفيضَنّ المال حتى لا يوجد من يأخذه"[٥١].

وهذا الاستشراف يعد إعجازا من رسول الله ﷺ.

وهكذا نلحظ اعتماد السّرد في السّيرةالنّبويّة على تقنيّة الاستباق المرتبط بالحلم أو بالتّشوف إلى المستقبل، وترتبط هذه التقنيّة بالإعجاز النّبويّ أحيانا، وتتسم باتساع مدى المفارقة لما قد تحمله من تبشير بمستقبل بعيد المدى خاص أو عام.

وبذلك نلحظ أن الزّمن في السّيرة النّبويّة ينزع عن الخطية، فقد يرتد إلى الوراء من خلال تقنيّة الاستذكار، وقد يمضي إلى الامام مستشرفًا أحداثًا سابقة عن أوانها والقفز بها إلى نقطة لم يصل إليها الخطاب القصصيّ بعد.

الدّيمومة Durattion:

الدّيمومة أو ما يعرف بالمدّةDuree هو مفهوم يرتبط بإيقاع السّرد، بما هو لغة تَعْرِض في عدد محدود من السّطور أحداثًا، قد يتناسب حجم تلك الأحداث مع طول عرضها، وقد لا يتناسب مما يؤدي في النهاية إلى الشّعور بإيقاع للسّرد يتراوح ما بين البطء والسّرعة.

وتتطلب دراسة محور المدّة كتقنيّة زمنيّة -حسب جيرارجينت- تحديد "العلاقة بين ديمومة القصّة التي تقاس بالثّوانيّ والدّقائق والسّاعات والأيام والأشهر والسّنوات، وطول النّصّ الذي يقاس بالأسطر والصّفحات"[٥٢].

ويميل قياس المدّة في السّرد للتقريب لا الجزم؛ وذلك لصعوبة قياسها بدقة، ويُرجع جيرارجينت هذه الصّعوبة "لمتغيرات عديدة تطرأ على هذا المستوى بين القصّة والحكي"[٥٣]، وعلى الرّغم من صعوبة ذلك إلا أنّ دراسة المدّة وسرعتها بالاعتماد على مفهوم التوافقيّة ضروري لأنه يمنح البحث في الزّمن بعدًا قريبًا من الواقع الحكائيّ.

ويقترح جيرارجينت لدراسة الزّمن في البُنيّةالحكائيّة أربع حركات

سرديّة هي:

- الحذف ← Ellipse
- التلخيص ← Sommaire
- المشهد ← Scene
- الوقف ← pause

وقد أطلق جينيت على هذه التّقنيّات الأربع، والتي تقع في مستوى المدّة من مستويات الزّمان السّرديّ مسمى: حركات السّرد نظرًا لارتباطها بقياس السّرعة[٥٤].

ويعمل كل من تقنيتي التّلخيص والحذف على اختزال الزّمن، فيكون فيهما زمن السّرد أقل من زمن القصّة:

زمن السّرد< زمن القصّة.

أما تقنيّة الوقف فتعمل على إبطاء حركة السّرد وتمديده فيكون زمن السّرد أكبر من زمن القصّة:

زمن السّرد> زمن القصّة.

أما تقنيّة المشهد فيتساوى فيها زمن القصّة مع زمن السّرد:

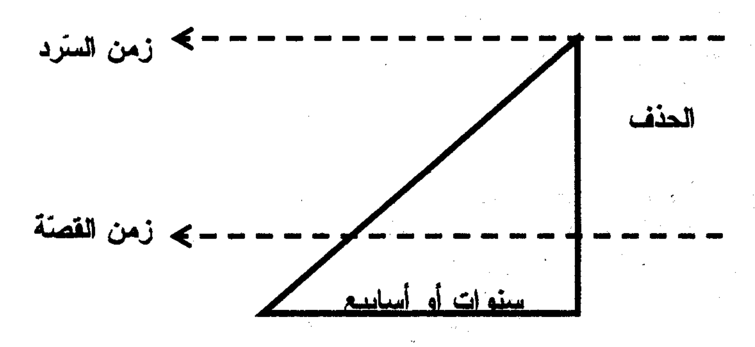
زمن القصّة = زمن السّرد.

وبذلك يفقد الزّمن من خلال تقنيّة الحذف والتّلخيص والوقف خطيته، فى حين يحتفظ بهذه الخطيّة تقريبًا في تقنيّة المشهد.

الحذف Ellipse:

يعدّ الحذف أقصى سرعة للسّرد تعتمد على "إسقاط فترة طويلة أو قصيرة من زمن القصّة، وعدم التّطرق لما جرى فيها من وقائع وأحداث"[٥٥]، ويعرفها تودوروف بأنّها "وحدة من زمن الحكايّة لا تقابلها أية وحدة من زمن

الكتابة"[٥٦]، وهي على حد تعبير الحميداني " تجاوز لبعض المراحل من القصّة دون الإشارة بشيء إليها ويكتفي عادة بالقول مثلا (مرت سنتان) أو انقضى (زمن طويل) فعاد البطل من غيبته، ويسمى قطعًا " [٥٧].



ويحدد جيرارجينت تقنيّة الحذف من خلال وجهتين، وجهة زمانيّة، ووجهة شكليّة.

<u>الوجهة الزّمانيّة:</u> إمّا أن يشار فيها إلى الزّمن المحذوف فيكون حذفًا محددًا، وإما ألا يشار فيها إلى الزّمن المحذوف فيكون حذفًا غير محدد [٥٨].

<u>الوجهة الشّكليّة:</u> يميّز فيها جيرارجينت بين ثلاثة أنواع من الحذف:

- حذف معلن: وهو عبارة عن إشارة محددة أو غير محددة تعمل على ردح الزّمن الذي تحذفه، مثل (مضت بضع سنوات من السعادة)[٥٩].

- حذف ضمنيّ: لا يصرح به في النّصّ، وإنما يستخلص المسرود له (القارئ) من خلال الوقوف على طبيعة الانتقال من حدث لآخر، أو من حالة لأخرى[٦٠] فلا يظهر الحذف في النّصّ بالرّغم من حدوثه " ولا تنوب

عنه أيّة إشارة زمنيّة أو مضمونيّة، وإنّما يكون على القارئ أن يهتدي إلى معرفة موضعه باقتفاء أثر التّغيرات والانقطاعات الحاصلة في التّسلسل الزّمنيّ الذي ينتظم القصّة"[٦١].

- الحذف الافتراضيّ: "يشترك مع الحذف الضّمنيّ في عدم وجود قرائن واضحة تسعف على تعيين مكانه أو الزمان الذي يستغرقه"[٦٢]. وفيه يصعب تحديد مجال الحذف لعدم ارتباطه بزمن، ولكن يمكن تعيينه من خلال استحضاره عن طريق الاسترجاع الذي يكون فيه زمن القصّة أكبر من زمن السّرد.

وفي السّيرةالنّبويّة تحضر تقنيّة الحذف عندما يعتمد الرّاويّ على التّكثيف والتّركيز في عرض الأحداث المسرودة، وتقديمها بصورة ترتكز على الشّموليّة دون الانسياق وراء تتبع الجزئيات والتفاصيل الثّانوية، والتي يعمد فيها الرّاويّ إلى حذف الفصول، وبعض المراحل الزمنيّة، وطي المسافات دون الإخلال بالغاية العامة من سرد السّيرةالنّبويّة. أي أن الحذف لم يخل بالمعنى، ولم يحجبه، وبذلك يحقق غايته البلاغيّة.

ويأخذ الحذف في السّيرةالنّبويّة أشكالا مختلفة، فقد تحدد الفترة الزمنيّة المحذوفة، فيصرح السّارد بالفترة المسكوت عنها، وقد لا يشير إليها بحيث يمكن افتراضهاوتخمينها تاركًا الحرية للمتلقي في تقدير الفترة الزمنيّة. ومن الحذف المعلن محدد المدّة في السّيرةالنّبويّة ما ورد في قصة إرضاع رسول الله ﷺ وقول حليمة السعدية في ذلك: "قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما أعلم أرضًا من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح على حين قَدِمْنا به معنا شِباعًا لُبّنًا، فنحلب ونشرب.... فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته، وكان يشب شبابًا لا يشبه الغلمان"[٦٣] وهكذا أسقط

الرّاويّ من البُنيّةالسّرديّة السّابقة مرحلة زمنيّة هي فترة رضاع الرّسولﷺ في بادية بني سعد فلم يذكر الرّاويّ تدرج نموه عليه الصّلاة والسّلام ولا حبوه، وبداية وقوفه، ومشيه، وأول نطقه، بل قفز بنا السّردمن استلامه إلى بلوغه السنتين وفصاله. لأن هذه المرحلة لم تكن هي الغاية أو الهدف من البُنيّة السّرديّة، وإنما الهدف هو ذكر بركة رسول الله ﷺ التي حلّت على مرضعته وبيتها بوجود رسول الله فيه.

ومن الحذف المعلن غير محدد المدّة ما جاء في إرسال الله الرّيح على المشركين في غزوة الخندق لمدة من الزّمن غير محددة" بعث الله عليهم الرّيح في ليالى شاتيّة باردة شديدة البرودة "[٦٤]. فعلى الرّغم من أنّ الرّيح استمرت ليالى إلا أنّها لم تشغل من النّصّ إلا سطرًا واحدًا لم يحدد هذه الليالي، والتي لم تكن ليلة واحدة ولا ليلتين وإنّما ثلاث ليالى أو أكثر، ثم يقفز بنا النّصّ من الرّيح إلى تأثيرها على المشركين، وتشتيتها أمرهم، "فجعلت تَكْفأ قدورهم، وتطرح أبنيتهم "[٦٥]، وهو الهدف من البُنيّة.

ومن الحذف الضّمنيّ ما ورد من خروج رسول الله ﷺ من المدينة بعد غزوة أحد لاحقًا بالمشركين لإظهار قوة المسلمين، وعدم ضعفهم جراء ما أصابهم يوم أحد، قال الرّاويّ: " خرج رسول الله حتى انتهى إلى حمراء الأسد"[٦٦] حيث أسقط الرّاويّ زمن السير، وقفز بالمروي من الخروج إلى بلوغ الهدف، ولم يذكر طريقة السير ومدته على الرّغم من طول المسافة الموجودة بينهما، فقد ورد في موضع آخر أنّها من "المدينة على ثمانية أميال"[٦٧]، إلا أنه لم يصرّح بطول المسافة، وترك تقديرها للمتلقي.

ومن الأمثلة علي ذلك الأبنيّة التّاليّة:

جاء في قصة جلب الأصنام من الشام إلى مكة قول الرّاويّ: أنّ **عَمْرًا**

ابن يحيى خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره، فلما قدم مأرب رآهم يعبدون الأصنام... فقال: أفلا تُعْطُونني منها صنمًا فأسير به إلى أرض العرب"[٦٨].

ومن الحذف الضّمنيّ أيضًا ما جاء في قصة أبرهة وخروجه لهدم الكعبة"، مضى أبرهة على وجهه يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خثم..."[٦٩].

حيث يفهم المتلقي من السّياق مضي فترة زمنيّة سمحت له بالانتقال من مكان لآخر، ولأن هذا الانتقال والسّير ليس هو القصد من البُنيّة السّرديّة، لذا مرّ عليه سريعًا حتى لا ينصرف ذهن المتلقي عن الحدث الرئيسي، والذي من أجله خرج أبرهة.

أمّا الحذف الافتراضيّ فنلحظه من خلال تقنيّة الاسترجاع، ولعل في الأمثلة المذكورة في قصة أبي ذر[٧٠] حيث نلحظ الحذف من خلال توالي الأفعال (يمشي – يموت - يبعث)، وما بين كل فعل وفعل فترة زمنيّة، وأحداث وشخصيات، وترك للمتلقي افتراض المحذوف، ومحاولة إتمام المعنى وفهمه. كذلك يظهر الحذف في قصّة وحشي وقفزه بالأحداث عند قتل حمزة – رضي الله عنه - وخوفه وارتحاله من مكان لآخر[٧١].

وهكذا نلحظ ارتباط تقنيّة الحذف بما يتعلق بالحدث من مقدمات وتمهيد ونحوه ليتم تركيز المتلقي على الحدث الرّئيسيّ فقط دون تشتيت لذهنه.

التّلخيص sommaire:

هو تقنيّةزمنيّة تعتمد على اختزال الزّمن، حيث تمثل وحدة من زمن القصّة تقابل وحدة أصغر من زمن الكتابة تلخص لنا مرحلة طويلة من الحياة المعروضة[٧٢]، يقوم فيها الرّاويّ بتلخيص الأحداث التي وقعت في عدة أيام أو

شهور أو سنوات في مقاطع معدودة، أو صفحات قليلة دون ذكر التّفاصيل"[٧٣]، وفيه يكون زمن القصّة أكبر من زمن الحكايّة، ويحمل الرسم التّاليّ توضيحًا لهذا:

حيث يمدنا التلخيص بالمعلومات الضّروريّة بأسلوب مركز مكثف بالقفز على الفترات التي لا أهمية لها في زمن القصّة، بحيث يعبر مقطع صغير عن فترات زمنيّة طويلة فيحدث تسريع في وتيرة السّرد، بتعبير جيرارجينت بحيث تسير القصّة بسرعة كبيرة تدفع بالأحداث إلى الأمام دون استطراد أو تفاصيل زائدة، بل تقوم على النظرة العابرة والعرض المختزل.

وتشهد نصوص كتاب السّيرة النّبويّة حضورًا لتقنيّة التلخيص، ومن ذلك "حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال: حدثني أبي الذي أرضعني، وكان أحد بني مُرّة بن عوف، وكان في تلك الغزوة، غزوة مُؤْتة قال: والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحَمَ عن فرس له شقراء، ثم عقرها، ثم قاتل حتى قُتل"[٧٤].

فقد لخص الرّاويّ زمن معركة مؤتة، وما دار فيها من كرّ وفرّ، وما حصل فيها من التجام، وما تخللها من أصوات أي أحداث المعركة عامة في أقل من سطر، فتتمثل لنا البُنيّة السرديّة من خلال أربعة أفعال قامت بها الشخصية تتمثل في (اقتحم، عقر، قاتل، قتل)، وتصور هذه الأفعال المتلاحقة قتاله وقتله، ولعل " حتّى " ساعدت على امتداد الزّمن بالنسبة للمتلقي، بالإضافة إلى تقدير زمن المعركة.

ومن التلخيص البُنيّة السّرديّة التّاليّة:

" قال كعب: فخرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيام التشريق، فلما فرغنا من الحج... "[٧٥].

إذ تشير البُنيّة السرديّة السّابقة إلى أحداث يتطلب تجاوزها فترة تمتد لعدة أيام تتمثل فى الخروج إلى الحج إلى أوسط أيام التّشريق، ولكن هذه الفترة الزمنيّة لم تأخذ من اهتمام الرّاويّ سوى سطرين فقط، طُويت خلالها مجموعة من الأحداث والأعمال والشّعائر التي قامت بها الشّخصيّة، وكذلك الفضاءات التي تنقلت بينها، والشخصيات التي التقت بها.

ومن تقنيّة التلخيص أيضًا ما ذكر في قصة أم سلمة، والتّفريق بينها وبين زوجها وابنها عندما أرادوا الهجرة إلى المدينة، قالت: "ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني، فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي سنة أو قريبًا منها"[٧٦].

وتشير البُنيّة السّابقة إلى فترة السّنة تقريبًا، ولكنها لم تأخذ من اهتمام الرّاويّ سوى سطر ونصف اختزلت فيهما معاناة أم سلمة، وحرمانها من الزوج والابن معًا.

الوقف pause:

الوقف تقنيّة زمانيّة تعمل على الإبطاء المفرط لحركة السّرد إلى الحدّ الذي يبدو معه كأن السّرد قد توقف عن التّناميّ[٧٧]، وتعمل هذه التّقنيّة على تمديد الزّمن، وتجعله يدور حول نفسه"، ويظلّ زمن القصّة خلال ذلك يراوح مكانه بانتظار فراغ الواصف من مهمته "[٧٨]، ويكون زمن القصّة أصغر من زمن الحكايّة.

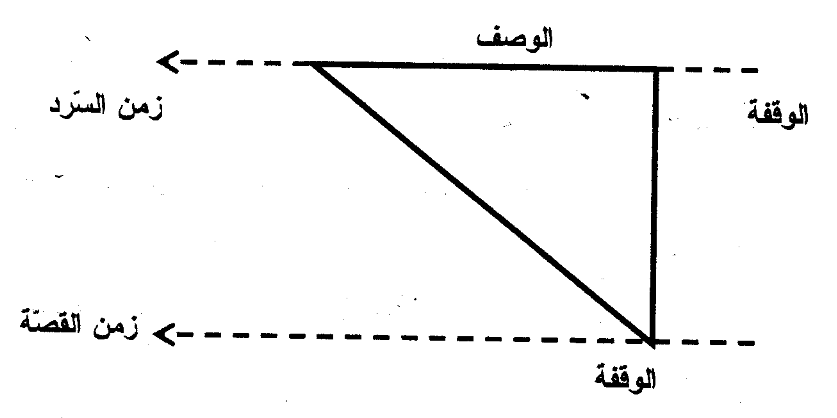
ويمكن التّمييز بين نوعين من الوقفات الوصفيّة:

- وصف موضوعيّ: يتناول وصف الشّخصيات أو الأمكنة دون أن

يؤدي ذلك إلى تقدم في سيرورة الاحداث والوقائع.

- وصف ذاتيّ: يساهم في تسلسل الأحداث، كأن يكون عبارة عن وقفة تأمل لدى شخصيّة يكشف لنا عن مشاعرها وانطباعاتها أمام مشهد ما [٧٩].

ويحمل الرسم التّاليّ توضيحًا له:



وتلغي الوقفة السّرد ليحل محله الوصف كتقنيّة زمنيّة، وبالتّاليّ يقوم بتخليص السّرد من رتابته، ويعمل معه على تأدية وظيفة الحكي، وفي السّيرةالنّبويّة يظهر الوصف بشقيه الموضوعيّ والذّاتيّ في مواضع عدّة، فمن الوصف الموضوعيّ وصف الرّسولﷺ في قصة الإسراء والمعراج لكل من إبراهيم وموسى وعيسى – عليهم السّلام – فقال:

" أمّا إبراهيم فلم أرَ رجلًا أشبه قَطّ بصاحبكم، ولا صاحبكم أشبه به منه، وأما موسى فرجل آدمُ طويلٌ ضَرْبٌ جَعْد أقنى كأنّه من رجال شنوءة، وأما عيسى بن مريم، فرجل أحمر بين القصير والطّويل، سبط الشعر، كثير خيلان الوجه، كأنّه خرج من ديماس، تخال رأسه يقطر ماء، وليس به ماء، أشبه رجالكم به عُروة بن مسعود الثّقفي" [٨٠].

تضعنا هذه البُنيّة الوصفيّة أمام مستلزمات الوقفة الوصفيّة من خلال الصّيغ والتّراكيب، حيث وصف الرّسولﷺ كل من سيدنا إبراهيم وموسى وعيسى – عليهم السّلام – وصفًا دقيقًا. رسم من خلال الوصف الصّورة الخارجيّة للموصوف الهيئة، الشعر، اللون، الملامح... وصفًا يوحي بقرب المسافة الزّمانيّة والمكانيّة بين الواصف والموصوف على الرّغم من التباعد بشقيه بينهما، وهذا من إعجاز النّبوة. وبذلك عمل الوصف على إيقاف عملية السّرد وتعطيلها.

وفي بنية سرديّة أخرى نلحظ إبطاء حركة السّرد وتعطيلها من خلال وقفة وصفيّة للمكان، ولنا في إجابة رسول الله ﷺ عن نهر الكوثر أنموذجًا للوقف، فقد قال ردًا على سائله: " نهر كما بين صنعاء وآيلة، آنيته كعدد نجوم السماء، ترده طيور لها أعناق كأعناق الأبل.... من شرب منها لا يظمأ أبدًا.."[٨١].

أما الوصف الذّاتيّ وما يحمله من تأمل فنلحظه فيما جاء على لسان أبي خثمة، وكان قد تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك هو ونفر من المسلمين بدون عذر، "وإنما أبطأت بهم النّية"، مع أنهم "نفر صدق، لا يتهمون في إسلامهم"[٨٢] وقد ساعدت هذه الوقفة الوصفيّة على تغيير مجرى الأحداث فكان التّاليّ:

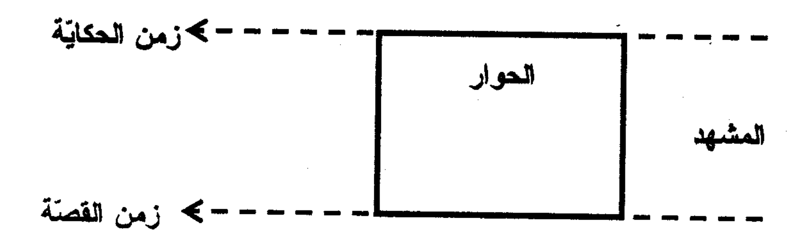
" مضى رسول الله ﷺ على سفره، ثم إنّ أبا خثمة رجع بعد أن سار رسول الله أيامًا إلى أهله، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه. قد رشت كلٌ منهما عريشها، وبردت له فيه ماءً، وهيأت له فيه طعامًا. فلما دخل قام على باب العريش، فنظر إلى امرأتيه، وما وضعتا له، فقال: رسول الله ﷺ في الضّح والرّيح والحرّ، وأبو خثمة في ظلّ بارد، وطعام مهّيأ، وامرأة حسناء، في ماله مقيم، ما هذا بالنّصف ! "[٨٣].

لا شك في أنّ التّخلف عن رسول الله ﷺ قد أحدث في نفس أبي خثمة شرخًا، وترك إحساسًا بعدم الرضا، خصوصا وأنّه تخلف بدون عذر عن غزوة بين رسول الله ﷺ صعوبتها للنّاس " لبُعد الشُّقة، وشدة الزّمان، وكثرة العدّو الذي يصمُد له ليتأهب النّاس لذلك أُهْبته "[٨٤]. وقد ظلّ هذا الاحساس ماثلاً في نفسه، وظهر من خلال وقفة وصفية وازن فيها بين ماهو فيه من راحة واستقرار، وبين حال رسول الله ﷺ وما فيه من صعوبة الطريق ووعثاء السفر وخطورة الغزوة. وهكذا سمح الوقف من خلال الوصف الذاتي بنقل إحساس الشّخصيّة وانطباعها فأسهم بذلك في تسلسل الأحداث، وهذا ما نلحظه من خلال تردد وحشي وقلقه بعد قتله لحمزة - رضي الله عنه -.

المشهد scene:

يقصد بتقنيّة المشهد المقاطع الحواريّة التي تأتي في ثنايا السّرد، وتظهر هذه التقنيّةالزمنيّة حين يتنازل الرّاويّ عن دوره في السّرد، ويترك للشّخصيّات فرصة للتحاور فيما بينهما.

ويشكل المشهد -بوجه عام- لحظة توازن بين زمني السّرد والقصّة، "فمع الحوار ينشأ ذلك اللون من المساواة بين الجزء السّرديّ والجزء القصصيّ في حالة من التوازن"[٨٥] أي يتساوى زمن السّرد مع زمن القصّة، وهو ما يمثله هذا الرسم التّاليّ:



وبذلك يمثّل المشهد التقنيّة التي يكاد يتطابق فيها زمن السّرد مع زمن القصّة من حيث مدة الاستغراق، وتقوم أساسًا على الحوار، يقول جينيت " إنّ المشهد *حواري* في أغلب الأحيان، وهو يحقق تساوي الزّمن بين الحكايّة والقصّة تحقيقًا عرفيًا"[86]. إلا أن جيرار جينيت يعود إلى التنبيه من جهة آخرى على أنه " لاينبغي أن نغفل أن الحوار الواقعي الذي يمكن أنّ يدور بين أشخاص معينين قد يكون بطيئًا أو سريعًا، حسب طبيعة الظّروف المحيطة، كما ينبغي مراعاة لحظات الصّمت أو التّكرار مما يجعل الاحتفاظ بالفرق بين زمن حوار السّرد، وزمن حوار القصّة قائمًا على الدوام"[87].

وتكمن أهمية تقنيّة المشهد في إعطاء الكلمة للشخوص، والكشف عن طباعهم النّفسيّة والاجتماعيّة.

ويعتبر المشهد إحدى تقنيات الحركة السّرديّة في السّيرة النّبويّة التى تبعث في السّرد الحركة والحياة من خلال لغة حوارلا ينبغي أن تنقل ما يدور على ألسنة الأشخاص؛ وإنما ينبغي أن تترجم مشاعرهم، وتجسد أحاسيسهم"[88]، ونلحظ ذلك في المشهد الذي دار بين رسول الله ﷺ وكعب بن مالك حين تخلف عن رسول الله في غزوة تبوك، ثم قدم عليه بعد عودته من الغزوة فقال: " جئت فسلّمت عليه، فتبسّم تبسم المُغضَب، ثم قال لي: تعالى، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خلفك ؟ ألم تكن ابتعت ظهرك؟ قال: قلت: إني يا رسول الله ، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً، ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثا كذبًا لترضين عني، وليوشكن الله أن يُسْخطك عليّ، ولئن حدثتك حديثًا صدقًا تجد عليّ فيه، إني لأرجو عُقْبَى من الله فيه، ولا والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. فقال رسول الله ﷺ: أما هذا فقد صدقت فيه، فقم حتى يقضي الله

فيك..."[٨٩].

وهكذا حافظ الزّمن في البُنيّة السابقة على خطيته، وبذلك احتفظ بتساوي زمني القصّة والسّرد من خلال تقنيّة المشهد القائم الذي لم يكتفِ فيه الحوار بنقل ما دار بين المتحاورين، وإنّما نقل معاناة الشّخصيّة المحاورة؛ شخصية المذنب المترددة بين تلمس عذر كاذب، وبين قول حق صادق ينازعها الخوف، فتميل إلى البحث عن العذر، ويغشاها الأمل في عفو رسول الله ﷺ فيدفعها إلى قول الصدق.

كما اتسم الحوار بالسؤاليّة والجوابيّة التي خلقت نوعًا من التواتر والتناميّ الحواريّ، فالشّخصيّات تتحاور فيما بينها للتعبيرعن أفكارها ووجهة نظرها بعد أنْ منحها المؤلف فرصة الحديث عن ذاتها، وهذا من شأنه حمل المتلقي على استشعار واقعية المشهد الحواريّ.

ويدعو المشهد غالبًا إلى غياب الرّاويّ وحضور الشّخصيّة مباشرة من خلال حوارها. ولكننا نلحظ أنّ غياب الرّاويّ لم يكن غيابًا كليًا إذ يعمد إلى استعمال أدوات للإعلان عن وجوده كاستخدام الفعل قال ويقول مع الإشارة إلى القائل ضمن المقطع السّرديّ، "قال رسول الله ﷺ". ويعدّ ظهور فعل القول عماد الرّاويّ في الوجود النّصّي. وقد يتجاور داخل البُنيّة الواحدة السّرد والوصف والحوار بنوعيه الداخليّ والخارجيّ، وذلك لخلق تكامل داخل البُنيّة، وبثّ الواقعيّة، وتقريب المسافة بين الشّخصيّات المتحاورة، والمتلقي، ومن ذلك ما ذكر من قدوم عدي بن حاتم الطائيّ على رسول الله ﷺ قال الرّاويّ: " فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلت عليه، وهو في مسجده، فسلّمت عليه، فقال: من الرجل ؟ فقلت: عدي بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ فانطلق إلى بيته.... حتى إذا دخل بي بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفًا فقذفها إليّ ؛ فقال: اجلس على هذه، قال: قلت: بل

أنت فاجلس عليها. فقال: بل أنت، فجلست عليها..."[٩٠] وهكذا عمل تجاور السّرد والوصف والحوار على تغيير النّسق الزّمنيّ في البُنيّة، فالسّرد تفعيل لهذا الزّمن، فالخروج وما ترتب عليه من دخول اقتضى زمنًا تم فيه الفعلان، ولكننا نلحظ بطء الزّمن في الحوار، ثم توقفه تمامًا في الوصف (وسادة من أدم محشوة ليفًا)، ثم عاد ليسترد الزّمن حركته البطيئة.

وهكذا نلحظ أنّ تنوع تقنيّات السّرد من التلخيص والحذف والوقف والمشهد أكسب السّرد حيويّة وتدفقا وذلك من خلال كسر خطيّة النّسق الزّمنيّن وبالتّاليّ كسر رتابة السّرد. وهو زمن مرتبط بالشّخصيّات.

نتائج البحث:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصّالحاتن وبعد:

فلقد حملتنا دراسة النّسق الزّمنيّ في السّيرةالنّبويّة إلى معايشة أزمنة ترتبط بخير البشر، وخاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصّلاة والسّلام، فكان زمنًا مميزًا بروحانيته وبنسقه الذي جاب الحاضر والماضي والمستقبل. وتمخضت دراسته عن النتائج التّاليّة:

- يعد الزّمن جزءًا رئيسيًا في السّيرةالنّبويّة باعتبارها خطابًا سرديًا محضًا.
- ينزع الزّمن في السّيرةالنّبويّة إلى التكسر، ويميل عن الخطية.
- يعتمد الزمن في السيرة النبوية على المفارقة الزمنيّة التي تظهر من خلال:
  - تقنيّة الاسترجاع أو التذكر، وتظهر هذه التقنيّة من خلال السّند والمتن، ويتسع فيهما مدى المفارقة تدريجيًا في السّند، وفجائيًا في

المتن.

- تقنيّة الاستباق أو الاستشراف ترتبط بالحلم حينًا، وبالتشوف المستقبلي حينًا آخر، وتتسم باتساع مدى المفارقة لما فيه من تبشير بمستقبل بعيد المدى خاص أو عام.
- ارتباط الاسترجاع والاستباق في السّيرةالنّبويّة بالإعجاز النّبويّ.

- تنوع سرعة الزّمن في السّيرةالنّبويّة لارتباطها بتقنيات السّرد المتمثّلة في:

- الحذف: ويمثّل أقصى سرعة للسّرد، ويظهر في التمهيد ومقدمات الأحداث لا بالحدث ذاته حتى لا ينصرف ذهن المتلقي عن الحدث الرّئيسيّ.
- التلخيص: ويساند الحذف في التركيز على الحدث الرّئيسيّ، ويسهم في تسريع وتيرة السّرد دون ذكر التّفاصيل التي قد تصرف المتلقي.
- الوقف: ويعمل على إبطاء السّرد وإيقافه من خلال الوصف للمكان أو الشّخصيّات، ويسهم في تسلسل الأحداث.
- المشهد: ويشترك مع الوقف في إبطاء السّرد دون إيقافه، ويرتبط بغياب الرّاويّ، وظهور الحوار بين الشّخصيّات، والذي يسهم في الكشف عن طبائعها النّفسيّة والاجتماعيّة.

- اكتسب السّرد من خلال تنوع تقنياته الحيوية والتدفق وكسر الرتابة.

هذا ما توصلت إليه الدّراسة آملة أنْ تفتح أبوابًا لدراسة السّيرةالنّبويّة

من خلال مناهج حديثة تكشف المزيد من ثرائها.

هوامش البحث

١. في الرواية العربية. عصر التجميع. فاروق خورشيد (دار الشروق القاهرة، ط ٣،ت د) ١٧٨ - ١٨٠.

٢. الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (٣٥٦ هـ) شرح: عبد علي مهنا (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط د،١٤٠٧ هـ ١٩٨٦ م) ١٥/٢٢.

٣. السّيرةالنّبويّة. ابن هشام: محمد عبد الملك. تح: مصطفى السقا و آخرون (دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢) ١/ ٥-٦.

٤. المزهر في علوم اللغة و أنواعها. السيوطي: جلال الدين. د. محمد جاد وآخرون (مكتبة دار التراث، ط ٣،ط د، ت د) ٣٦/١-٣٧.

٥. السّيرةالنّبويّة. ١٢/١ (المقدمة)

٦. تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان، تر: عبدالحليم النجار وآخرون، (دار المعارف، القاهرة، ط ٤، د.ت) ٣/١.

٧. مفهوم التّاريخ، الالفاظ والمذاهب. عبدالله العروي (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط١، ت ٢٠٠٥) ٥٧.

٨. الوجود و الزمان والسّرد. فلسفة بول ريكور، من دراسة (الحياة بحثًا عن السّرد) بول ريكور. تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي) ٤٨ - ٤٩.

٩. إتساق التداول التعبيري. دراسة في نظم الايصال الأدبي (ألف ليلة وليلة أنموذجًا تطبيقيًا. د. فائز الشرع، دار الشؤون الثقافية، العراق، سلسلة اكاديميون جدد ٢٠١١) ١:٣٠
١٠. بناء الحكايّة التّاريخية (تاريخ الطبري، أنموذجا) سعيد عبدالهادي المرهج (أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ت ٢٠٠٩) المقدمة: ٣
١١. الفنون الأدبية. انيس المقدسي (دار العلم للملايين، بيروت، ت ١٩٩٨) ٥٤٧.
١٢. المكونات الأولى للثقافة العربية. د.عز الدين إسماعيل (دار الشئون الثقافية، بغداد، ت ١٩٨٦) ١٣٩.
١٣. مفهوم الزمان ودلالته في الفلسفة والأدب بين النظرية والتطبيق. أحمد طالب (دار الغرب للنشر والتوزيع، ط٢٠٠٤) ص ٩.
١٤. تحليل الخطاب السّردي. د.حفيظة محمد محمود (مجلة كلية الآداب والعلوم، جامعة عمان، الأردن، ٢٠١٤) ١١٩.
١٥. ألف ليلة وليلة. تحليل سيميائي تفكيكي لحكايّة جمال بغداد. عبدالملك مرتاض (ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ت ١٩٩٣) ص ١٥٧.
١٦. بنية الشكل الروائي. حسن بحراوي (المركز الثقافي العربي، الرباط، ١٩٩٤) ١٠٨.
١٧. معجم مصطلحات السيميوطيقا. برونوين ماتن، وفليزتياس رينجهام ، تر: عابد خزندار (المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨).
١٨. خطاب الحكايّة. بحث في المنهج. جيرارجينيت. تر: محمد معتصم وآخرون (منشورات الاختلاف، الجزائر، ط ١٩٩٨) ٢٢.
١٩. تحليل الخطاب الروائي. سعيد يقطين (المركز الثقافي العربي، بيروت،

لبنان، ط٣، ١٩٨٥) ٧٠.

٢٠. السابق.

٢١. خطاب الحكايّة. ٤٥

٢٢. بحوث في الرواية الجديدة. ميشال بوتور. تر: فريد انطونيوس (منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧١) ١٠١.

٢٣. في معرفة النّصّ. يمنى العيد (منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥) ٢٣١.

٢٤. الشعرية. تودوروف. تر: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة (دار توبقال للنشر، ط٢، ١٩٩٠) ٤٨.

٢٥. السابق.

٢٦. خطاب الحكايّة. ٤٧

٢٧. خطاب الحكايّة. ١٢٩.

٢٨. بنية النّصّ السّردي من منظور النقد الأدبي. حميد الحميداني (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ٣، ت ٢٠٠٠ م) ٧٥.

٢٩. الشعرية ٤٨.

٣٠. خطاب الحكايّة ٦٠.

٣١. جدلية الزّمن. غاستون باشلار تر: خليل أحمد خليل (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٢م) ٤٧.

٣٢. عندما تتكلم الذات. السّيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، محمد الباردي (اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٧) ١١٧.

٣٣. الفضاء الروائي عند جبر إبراهيم جبر. د.إبراهيم جنداري (دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠٠٩) ١٠٦

٣٤. السّيرةالنّبويّة، ١٦٦/١.

٣٥. السابق ٣/٣٧٨.

٣٦. السابق ١/١٦٦ -١٦٧.

٣٧. خطاب الحكايّة. ٦٠

٣٨. السّيرةالنّبويّة ٣/٧٢.

٣٩. بنية الشكل الروائي. ١٣٣

٤٠. خطاب الحكايّة ٧٧.

٤١. السابق

٤٢. السابق ٧٩.

٤٣. السّيرةالنّبويّة ٤/٥٢٣ – ٥٢٤

٤٤. تقنيات السّرد في النظرية والتطبيق. آمنه يوسف (دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ١٩٩٧) ٧١

٤٥. السّيرةالنّبويّة ٤/٥٢٤.

٤٦. تقنيات السّرد ٨١.

٤٧. النجم أية ٣-٤

٤٨. السّيرةالنّبويّة ٢/٣٨٥.

٤٩. نظرية الأغراض. مقالة في كتاب نظرية المنهج الشكلي. توماشفكي، تر: إبراهيم الخطيب (الشركة المغربية للناشرين المتحدين، المغرب، ط١، ت ١٩٩٢ م) ١٨٩

٥٠. السّيرة النّبويّة ٤/٥٨١.

٥١. السابق

٥٢. خطاب الحكايّة ١٠١.

٥٣. السابق ١٠٢

٥٤. السابق ١٠٨.

٥٥. بنية الشكل الروائي ١٥٦.
٥٦. إشكالية الزّمن في النّصّ السّردي، عبدالعالي بوطيب (فصول المجلد الثالث عشر، العدد الثاني، صيف ١٩٩٧) ١٣٨
٥٧. بنية النّصّالسّردي من منظور النقد العربي ٧٧.
٥٨. خطاب الحكايّة ١١٧.
٥٩. السابق ١١٨.
٦٠. السابق ١١٩.
٦١. بنية الشكل الروائي ١٦٢.
٦٢. السابق ١٦٤.
٦٣. السّيرةالنّبويّة ١٦٤/١.
٦٤. السابق ٢٣١/٣.
٦٥. السابق
٦٦. السابق ١٠١/٣.
٦٧. السابق
٦٨. السابق ٧٧/١.
٦٩. السابق ٤٦٢/٢
٧٠. انظر صــ ١٢ من البحث
٧١.انظر صــ ١٠من البحث
٧٢. بنية الشكل الروائي ١٤٥
٧٣. خطاب الحكايّة ١٠٩.
٧٤. السّيرة النّبويّة ٣٧٨/٣.
٧٥. السابق ٤٤١/٢.
٧٦. السابق ٤٦٥/٢

٧٧. بنية النّصّ السّردي ٩٣.
٧٨. السابق ١٦٥.
٧٩. السابق
٨٠. السّيرة النّبويّة ٢/,٤٠٠
٨١. السّيرة النّبويّة ٤/٥٢٠.
٨٢. السابق
٨٣. إلسابق
٨٤. السابق ٤/٥١٥.
٨٥. قضايا الرواية الحديثة. جان ريكاردو. تر: كامل عويد العامري (دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط ١، ٢٠٠٤م) ص ٢٥٣.
٨٦. خطاب الحكايّة: ١٠٨.
٨٧. بنية النّصّ السّردي ٧٨.
٨٨. من أسرار النظم في القصص النبوي. عبده زايد (دار الصابوني، دار الهداية) ٥٤-٥٥.
٨٩. السّيرة النّبويّة ٤/٥٣٣.
٩٠. السابق ٤/٥٨٠.



أضواء جديدة علي الصحابة ودورهم في انتشار الإسلام في بلاد الهند(*)

دكتور/ فيصل سيد طه حافظ

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

كلية الآداب – جامعة بني سويف

وعضو هيئة تدريس بكلية الآداب، جامعة الكويت

• مقدمة :

قام صحابة رسول الله – ﷺ – بدورٍ كبيرٍ في خدمة الدعوة الإسلامية، وجاهدوا في الله حق جهاده في سبيل نشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، ولم يتوقف جهادهم هذا سواء في حياة النبي – ﷺ – أو بعد وفاته .

ورغم اهتمام العديد من الدراسات والبحوث بذكر الصحابة وجهادهم، إلا أن محاولاتهم في نشر الإسلام في شبه القارة الهندية لم تحظ بالقدر الكافي من الدراسات والبحوث العلمية ؛ لذلك ظلت جهودهم في تلك البلاد يكتنفها الغموض، ووجد كثير من الروايات التي تحتاج إلى إعادة دراسة وتحقيق .

ومن هذا المنطلق تأتي تلك الدراسة ؛ لتلقي الضوء على جهود

(*) مجلة المؤرخ المصرى، عدد يناير ٢٠١٦.

الصحابة لنشر الإسلام في بلاد الهند ، كما تحاول عرض جميع الروايات المتعلقة بهذا الموضوع من المصادر المختلفة، ودراستها بموضوعية، وتحليلها لإثبات الصحيح منها، ورفض الغريب غير المتوافق مع الأسس العلمية المنهجية .

تهدف الدراسة إلى : إبراز جهود الصحابة في نشر الإسلام في بلاد الهند، سواء عن طريق الدعوة أو بالمشاركة في الجملات البحرية الأولى على تلك البلاد في عصر الخلفاء الراشدين وتحليل الروايات المتعلقة بدخول الصحابة بلاد الهند ونقدها .

- **تحاول الدراسة أن تجيب عن التساؤلات الآتية :**
- هل كان للصحابة معرفة بأهل الهند في عهد النبي صلي الله عليه وسلم ؟
- هل كان للصحابة دور في نشر الإسلام في بلاد الهند في حياة النبي – ﷺ ؟
- إلى أي مدى كانت مشاركة الصحابة في الحملات الحربية الأولى على بلاد الهند في عصر الخلفاء الراشدين ؟
- هل من الممكن أن نقر بصحة جميع الروايات المتعلقة بدخول الصحابة شبه القارة الهندية ؟

أولاً : التعريف ببلاد الهند :

كانت بلاد الهند في العصور القديمة تتقسم إلى قسمين جغرافيين، فكان الجزء الأكبر منها يسمى بلاد الهند، والجزء الأصغر منها يسمى بلاد السند والبنجاب[١]، وتضرب هذه البلاد بجذورها في أعماق التاريخ، فهي من البلاد ذات الحضارات القديمة بل الموغلة في القدم[٢] .

ذكر المباركبوري في أصل السند والهند : "قالوا أن السند والهند كانا أخوين من ولد بوقير بن يقطن بن حام، وبعضهم يجعل مكران منها"[٣]،

وذكر ياقوت الحموي بلاد الهند قائلاً : "خمس كور، وأولها من قبل كرمان مكران(٤)، ثم طوران(٥)، ثم السند(٦)، ثم الهند، ثم الملتان(٧)، وبحر الهند أعظم البحار وأوسعها وأكثرها جزائر، وأبسطها على سواحله مدنًا، ويتشعب من البحر الهندي خلجان كثيرة، فمن ناحية الشمال التيز(٨)، وأما ناحية الجنوب فهي بلاد الزنج، وينعطف من تيز الساحل مشرقًا متسعًا، فتمر سواحله بالديبل(٩)، والقس، وسومنات، ثم كنباية، ثم خور يدخل منه إلى بروص(١٠)، ثم ينعطف أشد من ذلك حتى يمر ببلاد مليبار(١١)، ومن أشهر مدنهم منجرو وفاكنور، ثم خور فوفل، ثم المعبر، وهو آخر بلاد الهند"(١٢)، والملاحظ أن العرب كانوا يعدون السند والهند إقليمين يتصل أحدهما بالآخر، فذكر ياقوت : "قامهل مدينة في أول حدود الهند، ومن صيمور إلى قامهل من بلد الهند، ومن قامهل إلى مكران والبدهة، وما وراء ذلك إلى حد الملتان كلها السند(١٣)، وأحيانًا يطلقون اسم الهند على مجموعها، ويعدون بلاد سجستان وبست، والرنج، والداور، والباميان إلى كابل من الهند(١٤) .

تعد بلاد الهند ذات تراث ثقافي قديم تمتاز به عن سائر دول العالم سواء من الناحية الجغرافية أو الطبيعية أو الدينية والسياسية وغيرها، وفي استخدام كلمة الهند لهذه البلاد آراء مختلفة، فبعض المؤرخين يقولون أن كلمة الهند يرجع أصلها إلى نهر "إندس" ؛ الذي ينبع من سفوح جبال هماليا وينساب إلى الجنوب الغربي، ويصل إلى السهول في شمال الهند، ثم يلتقي ببحر العرب، واستمرت الأراضي التي تقع فيما وراء نهر " إندس" اسم "إند" أو "هند" أو "هندوستان"، ثم اشتهر هذا النهر باسم "نهر السند"(١٥) - أيضًا - وأصبح سكان هذه البلاد يسمون "الهندوس" أو "الهنود"(١٦)، وقيل إن الاسم الهندي القديم لهذا النهر كان "سندهو"، ومنه اشتقت كلمة "سندهند"، وبعض المؤرخين العرب يقولون إن السند والهند بلدان مختلفان، كما يبدو من بيان الإصطخري(١٧)، ولكن العرب كانوا يطلقون على كل هذه البلاد لفظ الهند من قديم الزمان(١٨)، ويرى البعض أن اسم الهند قد اشتق من إله الهند

"إندرا"، وهو أكبر الآلهة في الأساطير الهندوسية القديمة[١٩] .

ويفصل بحر العرب بلاد الهند عن شبة الجزيرة العربية، ولهذا كان من الطبيعي أن يكون البحر هو حلقة اتصال بين العرب من ناحية وبلاد الهند من ناحية أخرى، وقد قامت الصلات التجارية بين الجانبين منذ آلاف السنين قبل الميلاد، فكانت القوافل العربية تأتي بتجارتها إلى بلاد الهند، بل استقر بعض العرب في المناطق الساحلية من بلاد الهند وعاشوا مع أهلها، كما نقل العرب بعض منتجات شبه القارة الهندية، وثمارها إلى بلادهم الأصلية، بل نقلوها إلى أوربا عن طريق مصر والشام، ونقلوا التجارات الأوربية والعربية إلى الهند والصين[٢٠]، بل ذهب البعض إلى أن الروابط العربية الهندية ترجع إلى زمن سيدنا سليمان عليه السلام، فقد كان يستورد الذهب، والفضة، والعاج، والطواويس من بلاد الهند[٢١] .

لقد كانت قوافل التجارة العربية مع الهند تسير برًا عن طريق مصر والشام على سواحل البحر الأحمر إلى اليمن، ثم تبدأ الرحلة البحرية عن طريق حضرموت، وعمان، والبحرين إلى شواطئ السند والهند، أو عن طريق المحيط الهندي، ولما جاء الإسلام ازدادت الصلة بين العرب والهند . والدليل على ذلك وجود كلمات هندية موجودة في القرآن الكريم مثل مسك، وزنجبيل، وكافور، وهناك رواية تحتاج إلى تحقيق تقول إنه قد أهدى بعض ملوك الهند للرسول – ﷺ – جرة فيها زنجبيل فأطعم ﷺ أصحابه منها[٢٢] .

وخلاصة الأمر أنه كانت هناك علاقات تجارية بين العرب وسكان الهند والسند منذ آلاف السنين، حيث سكن بعض التجار العرب الموانئ والمدن الساحلية الهندية، واستوطنت جاليات عربية هناك قبل الفتح الإسلامي لهذه البلاد، كذلك سكن بعض الهنود مع العرب، وتعلموا لغاتهم، وتكلموا بلسانهم، واشتهروا بينهم ببعض الألقاب مثل الزط[٢٣] والميد[٢٤] .

ويلاحظ مما سبق وجود علاقات متينة بين الجزيرة العربية وشبه القارة الهندية، وأن العرب قد عرفوا هذه البلاد ومارسوا التجارة معها، واستقر بعضهم فيها خاصةً على سواحلها، فإذا أدركنا ذلك، ووضعنا في الاعتبار طبيعة الرسالة الإسلامية، وإنها دعوة عامة أرسل الله بها محمدًا – ﷺ – للناس كافةً، مصداقًا لقوله عز وجل {**وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين**}[٢٥]، وقوله تعالى : {**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا**} [٢٦]، وقول النبي – ﷺ : "كان النبي يبعث لقومه خاصة، وبعثت للناس عامة"[٢٧]، إذا عرفنا ذلك واستحضرنا ما قام به من علاقات بين الشعبين – العربي والهندي - قبل الإسلام، تصورنا أنه كان من الطبيعي أن يفكر المسلمون في تبليغ كلمة الله إلى سكان هذه المناطق منذ وقت مبكر في صدر الإسلام .

ثانيًا : جهود الصحابة في نشر الإسلام في بلاد الهند زمن النبي – ﷺ :

تعددت الأقوال والروايات حول وصول الصحابة لبلاد الهند زمن الرسول – ﷺ – ويمكن مناقشة ذلك من خلال :

- معرفة الصحابة بأهل الهند :

توثقت العلاقات بين العرب والهند قبل الإسلام – كما مر بنا - واستمرت تلك العلاقات قائمة، بل ازدادت بعد ظهور الإسلام، وكانت عدة جاليات هندية في بلاد العرب تسكن سواحلها ومدنها، حتى صاروا من المواطنين كالسند، والهند، والزط، والسيابجة[٢٨]، ولاساورة . وكان الميد يعيشون في قبائل العرب مع الاحتفاظ بتقاليدهم الهندية وعادتهم الهندية ؛ بحيث كانوا يعرفون بهيئاتهم، وأجسامهم، وألوانهم، وصور ألبستهم، وشعورهم، وكان النبي – صلى اله عليه وسلم – والصحابة يعرفون أجيال الهند وأفرادها، وقد جاء في الأحاديث والأخبار أسماؤهم وأحوالهم[٢٩]، وتذكر بعض المصادر أنه لما وصل خبر بعثة النبي – ﷺ – إلى بلاد الهند

أرسل أهل سرنديب بعثة إلى المدينة، ولكن لم تصل في حياته - ﷺ -
وتروي بعض المصادر - أيضًا - أن أحد ملوك الهند بعث هدية إلى النبي -
ﷺ - في المدينة، وكانت عبارة عن بعض من نبات الزنجبيل، فطعم وأطعم
أصحابه(٣٠) .

ذكر المؤرخ الهندي المباركبوري أنه : "لم يتحقق لنا أن أحدًا من أهل
الهند - سواء كان في العرب أو في الهند - أسلم في عصر النبي - ﷺ -
إلا أن رجلين من أهل الهند أدركا النبي - ﷺ - وأسلما ؛ الأول : بيرزطن
الهندي اليمني المدرك، والثاني : الطبيب الزطي المدني ؛ الذي عالج أم
المؤمنين عائشة، بعد وفاة النبي - ﷺ "(٣١)، وذكر- أيضًا - أن النبي - ﷺ
- قد أخبر الصحابة بغزو الهند، وبشر لمن يغزوها بعتق من النار، واستعمل
بعض أشياء الهند، ونهى عن بعضها(٣٢) .

كان النبي - ﷺ - والصحابة يعرفون أهل الهند ببيئتهم وأجسامهم،
وفي جامع الترمذي في أبواب الأمثال عن عبد الله بن مسعود أنه قال : " أن
رسول الله ﷺ تناول العشاء ثم انصرف، فأخذ بيد عبد الله بن مسعود حتى
خرج إلى بطحاء مكة فأجلسه ثم خط عليه خطًا، ثم قال : " لا تبرحن خطك
سينتهي إليك رجال فلا تكلمهم فإنهم لن يكلموك، ثم مضى رسول الله حيث
أراد، فبينما أنا جالس في خطي إذ أتاني رجال كأنهم الزط، أشعارهم
وأجسامهم، لا أرى عورة، ولا أرى قشرًا، وينتهون إلي، ولا يجاوزون
الخط، ثم يصدرون إلى رسول الله - ﷺ (٣٣) .

ورد في صحيح البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء في باب قول الله
عز وجل : " واذكر في الكتاب مريم"، وعن ابن عمر قال، قال النبي - ﷺ
: "إذا رأيت عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر عريض الصدر،
وأما موسى فأدم جسيم سبط كأنه من رجال الزط"(٣٤) .

وروى البعض أن جماعة من بني الحارث وفدوا على رسول الله - ﷺ

– فقال : "من هؤلاء الذين كأنهم من الهند"[٣٥]، وأورد ابن سعد هذا الخبر بنوع من التفصيل فذكر : "ولما قدم خالد بن الوليد من نجران، ومعه وفد بني الحارث بن كعب سنة عشرة من الهجرة، فيه قيس بن الحصين ذي الغصة، ويزيد بن عبد الله المدان، ويزيد بن المحجل، وعبد الله بن قراد، وشداد بن عبد الله القناني، وعمر بن عبد الله الضبابي، ورآهم رسول الله – ﷺ قال : "يا رسول الله رجال بني الحارث بن كعب"[٣٦].

هذا وإن دل فيدل على معرفة النبي – ﷺ – لأهل الهند بهيئاتهم وأجسامهم . ولما سمع أهل الهند خبر النبي – ﷺ – من التجار الواردين والصادرين من رجالهم ومن تجار العرب أظهروا له المحبة والرغبة إلى ما جاء به، وأرسلوا بعثة دينية إليه[٣٧]، وفي هذا السياق ذكر بزرگ بن شهريار : "كان أهل سرنديب وما والاها بلغهم خروج النبي – ﷺ – فأرسلوا رجلاً منهم، وأمروه أن يسير إليه فيعرف أمره وما يدعو إليه، فعاقت الرجل عوائق، ووصل المدينة بعد أن قبض رسول الله - ﷺ ، وتوفى أبو بكر الصديق، ووجد القائم بأمر الناس عمر بن الخطاب – رضي الله عنه[٣٨] .

- هل زار الصحابة الهند بغرض تبليغ الدعوة بتكليف من النبي – ﷺ ؟

حاول البعض إرجاع تبليغ الدعوة الإسلامية في بلاد الهند إلى زمن النبي – ﷺ – ونحن في هذا الأمر أمام روايتين، الأولى منهما تقول إن النبي ﷺ – أوفد رسله إلى الملوك والحكام في زمنه يدعوهم للدخول في الإسلام، فأرسل بعض أصحابه إلى " سرباتك " حاكم " قنوج " بالهند، وقد أسلم على أيدي هؤلاء الصحابة[٣٩] . وذكر ابن الأثير : "روى مكي بن أحمد البردعي عن إسحق بن إبراهيم الطوسي قال : "حدثني – وهو ابن سبع وتسعين سنة – قال : رأيت سرباتك ملك الهند في بلدة تسمى " قنوج"، فقلت له كم أتى عليك من السنين ؟ قال : تسع مائة سنة وخمس وعشرين سنة،

وهو مسلم، وزعم أن النبي – ﷺ – أنفذ إليه عشرة من الصحابة منهم، حذيفة بن اليمانَ، وعمرو بن العاص، وأسامة بن زيد، وأبو موسى الأشعري، وصهيب الرومي، وغيرهم، يدعونه إلى الإسلام، فأجاب، وأسلم، وقبل كتاب النبي – ﷺ ، وأخرجه أبو موسى وبحق ما تركه ابن مندة وغيره، فإن تركه أولى من إثباته، ولولا شرطنا لا نخل بترجمة ذكروها، أو أحدهم لتركنا هذه وأمثالها(٤٠) .

أورد ابن حجر رواية أبي موسى هذه، ثم قال : " قال الذهبي في التجريد : هذا كذب واضح وقد عذر ابن الأثير ابن مندة في تركه وإخراجه، وعن أبي سعيد مظفر بن أسد الحنفي المتطبب : " سمعت سرباتك الهندي يقول : " رأيت محمدًا رسول الله – ﷺ مرتين بمكة، وبالمدينة مرة، وكان أحسن الناس وجهًا، ربعه من الرجال، قال عمر بن أحمد بن محمد بن عمرو بن حفص النيسابوري : " مات سرباتك سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة، وهو ابن ثمانمائة سنة وأربع وتسعين سنة، قاله المظفر بن أسد(٤١) .

وبمجرد عرض تلك الرواية السابقة يتضح كذبها وافتراؤها بما لا يدع مجالاً للشك، فضعف ابن خجر هذه الرواية، وعلق عليها بقوله : "زعم أن النبي – ﷺ – أنفذ إليه حذيفة، وأسامة، وصهيبًا يدعونه إلى الإسلام، فأجاب وأسلم، وقبل كتاب النبي – ﷺ "(٤٢)، وقال الذهبي في تجريد أسماء الصحابة أن هذه الروايات كذب واضح(٤٣) .

من أشهر الروايات في هذا الباب رواية رتن الهندي، قال ابن حجر في الذين ذُكروا في الصحابة غلطًا، وما هو من الصحابة، وقال : "هو شيخ خض خبره بزعمه دهرًا طويلاً إلى أن ظهر على رأس القرن السادس فادعى الصحبة، فروى عنه والده محمود، وعبد الله، وموسى بن مجلى بن بندار الدستري وغيرهم، ولم أجد له في المتقدمين في كتب الصحابة ولا غيرهم ذكرًا(٤٤)، وقد ذكر الذهبي في التجريد فقال : "رتن الهندي شيخ ظهر

بعد ستمائة بالشرق، وادعى الصحبة، سمع منه الجُهّال، ولا وجود له، بل اختلق اسمه بعض الكذابين، وإنما ذكرته تعجبًا كما ذكر أبو موسى سرباتك الهندي"(٤٥)، وذكره الذهبي – أيضًا – في الميزان فقال : " رتن الهندي وما أدراك ما رتن الهندي، شيخ دجال، بلا ريب ظهر بعد ستمائة، وادعى الصحبة، والصحابة لا يكذبون، وهذه جرأة على الله ورسوله، وقد قيل أنه مات سنة اثنتين وثلاثين وستمائة "(٤٦) .

وقد أنكره الإمام رضي الدين الحسن بن محمد الصفاني اللاهوري (ت ٦٥٠هـ / ١٢٢٥م) – كان معاصرًا لرتن الهندي – وكان رتن قد قال أنه قابل النبي – ﷺ – قبل وفاته وقال : "أرايتكم ليلتكم هذه فإنه على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض، ممن هو اليوم عليها الآن ولم يعش أحد من الصحابة بعد أبي الطفيل عامر بن وثلة، وتوفى في سنة عشر ومائة بمكة"(٤٧) .

ومن الروايات الغريبة التي وردت في هذا السياق – أيضًا – رواية إسلام السامري(٤٨) ملك مليبار من بلاد الهند، وقال الشيخ زين الدين المعبري المليباري في تحفة المجاهدين، وأما تاريخ السامري فلم يتحقق عندنا، وغالب الظن أنه إنما كان بعد المائتين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية، وأما ما اشتهر عند مسلمي مليبار أن إسلام الملك المذكور كان في زمن النبي – ﷺ – وأنه سافر إلى المدينة وتشرف بلقاء النبي – ﷺ – ورجع إلى المليبار، فلا يكاد يصح منها شئ(٤٩) .

ومن الروايات المتعلقة بدخول الصحابة بلاد الهند زمن النبي – ﷺ – رواية تذكر أن خمسة من الصحابة قد وصلوا إلى بلاد السند، وأن اثنين منهم رجعا وبقى ثلاثة، وذكر المباركبوري أنه رأى في كتاب : "مجموع الرسائل الخطية" نقلاً عن : " جمع الجوامع أنه روى أن رسول الله – ﷺ - أرسل كتابه إلى أهل السند على يد خمسة نفر من الصحابة، فلما جاءوا إلى السند

في قلعة يقال "نيرن" أسلم بعض أهله، ثم رجع من الصحابة اثنان مع الوافد منهم من السند، وبقى ثلاثة من الصحابة هناك يبينون لأهل السند الإسلام، ويوضحون لهم الأحكام، حتى ماتوا بتلك البلاد"(٥٠) .

والواقع أن الكتاب الذي وردت فيه هذه الرسالة غير معروف، وقد استبعدها تمامًا الإمام السيوطي(٥١)، كما أن هذه الرواية مع ركاكتها ووهنها لا تؤيدها رواية أخرى في ذهاب الصحابة في زمن النبي – ﷺ – إلى بلاد السند(٥٢) .

ومن الروايات الشفوية المتعلقة بدخول الصحابة بلاد الهند زمن النبي – صلى الله عيه وسلم – رواية متعلقة بالصحابي الجليل تميم الداري، فتقول الرواية : "أن تميم الداري أتى إلى جنوب الهند، وتوفى هناك، وقبره موجود إلى الآن في نواحي مدراس، وطبعًا هذا لا يصح بطريق العلم والنقل، فإن تميم بن أوس بن خارجة بن سود، وقيل سواد بن خزيمة بن ذراع بن عدي بن عبد الدار الداري أسلم في سنة تسع من الهجرة، وكان يسكن المدينة، ثم انتقل إلى الشام، وأقام بفلسطين، ثم ركب تميم الداري مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام في بحر الروم في سفينة صغيرة، فوقع في إحدى الجزر التي يقال أن فيها الدجال، كما أنه لا يوجد أي دليل على أنه قدم الهند، فضلاً عن أنه مات ودفن فيها"(٥٣) .

ومن هنا لا يمكن الجزم بوصول صحابة يحملون دعوة الإسلام إلى بلاد الهند زمن الرسول – ﷺ .

وعندما تولى الخلافة أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – أقر أبا العلاء الحضرمي على ولاية البحرين – أحد المراكز التجارية المهمة مع بلاد الهند – ولما آلت الخلافة إلى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – جعل أبا هريرة واليًا على هذه البلاد، فلما كانت سنة (١٥هـ / ٦٣٦م) أسند منطقة البحرين إلى عثمان بن أبي العاص الثقفي(٥٤) ؛ الذي يعد أول من سلك

طرق الهند من ثلاث جهات ؛ من أجل الدعوة ونشر الإسلام في تلك البلاد – كما سيتضح فيما يلي .

ثالثًا - جهود الصحابة في نشر الإسلام في بلاد الهند زمن الخلفاء الراشدين :

يتضح مما سبق عرضه، أنه لا توجد رواية صحيحة نعتمد عليها بأن أحدًا من الصحابة قد وصل إلى الهند كداعية في عهد الرسول – ﷺ - أو في خلافة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه (١١-١٣هـ / ٦٣٢-٦٣٤م)، ولكن توجد بعض الروايات التي تفيد وصول بعض الصحابة في عهد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه (١٣-٢٣هـ / ٦٣٤-٦٤٣م)، ومن ثَم وصل بعضهم تباعًا في خلافة عثمان بن عفان وخلافة علي بن أبي طالب _ كما سيتضح فيما يلي .

ولّى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه عثمان بن أبي العاص الثقفي البحرين وعمان سنة (١٥هـ / ٦٣٦م)[٥٥]، فقام الأخير بإعداد ثلاث حملات بحرية، وتولى بنفسه قيادة واحدة منها، واتجهت إلى ناحية "تهانة"[٥٦]، بينما توجهت الثانية يقودها أخوه الحكم بن أبي العاص الثقفي نحو ميناء "بهروج"[٥٧] على الساحل الهندي، أما الحملة الثالثة فقد تولى أمرها أخ ثالث اسمه المغيرة بن أبي العاص الثقفي، وتوجه شطر الديبل[٥٨].

وكان الهدف من هذه الحملات تأديب قراصنة الهند والسند الذين كانوا يغيرون على السفن التجارية العربية، وينهبون ما تحمله من بضائع، ويتخذون من موانيهم قواعد لمهاجمة بعض المناطق الإسلامية في الخليج العربي، بالإضافة إلى محاولة معرفة بلاد السند واختبار طاقة القوة العربية، والتوصل إلى أي مدى يمكن الاعتماد عليها في فتح هذه البلاد مستقبلاً، وأيضًا أراد المسلمون تأديب ملك السند انتقامًا لما حدث منه أثناء معركة القادسية (١٦هـ /٦٣٧م) عندما زود ملك الفرس بالمال والسلاح وأعانه في

حربه مع المسلمين، وتأديب بعض المرتدين ومن أيّدهم من رجال القبائل الذين هربوا إلى هذه البلاد بعد فشل حركتهم زمن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه[٥٩] .

ويبدو من هذا أنها لم تكن حملات منظمة هدفها الاستقرار، وإنما هي حملات أولية أقرب إلى فرق استطلاعية هدفها الاستكشاف، والتعرف، وجمع المعلومات عن هذه البلاد، وقد اعتمدت على المتطوعين من بعض الصحابة، ومن بعض المسلمين من ذوي الأصول الهندية، وبعد عودة قوات هذه الحملات، ورجوع المجاهدين، كتب الوالي إلى الخليفة يشرح له ما حدث، وما تحقق من نتائج[٦٠] . ويمكن القول إن ما تم من حملات على سواحل الهند كانت غارات خاطفة تمهد لتطور كبير .

وتجدر الإشارة إلى أن حملة عثمان بن العاص هذه تعد من أقدم ما ذكرته المصادر عن غزو الصحابة الكرام وفتوحاتهم في الهند، حيث قال ابن حزم : "عثمان بن العاص من خيار الصحابة، ولّاه رسول الله – ﷺ – الطائف، وغزا فارس، وبلاد الهند، وله فتوح"[٦١] .

الصحابة الذين شاركوا في حملة عثمان بن العاص :

- **عثمان بن أبي العاص الثقفي** : يعد قائد الرعيل الأول لغزو بلاد الهند وسائقه، قال ابن سعد: "قدم عثمان بن أبي العاص إلى رسول الله – ﷺ – مع وفد ثقيف، وكان قدومهم في رمضان سنة تسع من الهجرة، وكان أصغر الوفد سناً، ورغم ذلك بعد ما أسلم وفد ثقيف، أمره النبي – ﷺ – على ثقيف لأنه كان أحرصهم على التفقه في الدين، وتعلم القرآن، وظل أميرًا على الطائف ما بقي من حياة الرسول – ﷺ – طيلة خلافة الصديق حتى أستعمله عمر بن الخطاب على البحرين وعمان سنة (١٥هـ / ٦٣٦م)، ثم بعد ذلك قاد أول حملة بحرية على بلاد الهند، ووصل إلى مدينة قنوج، وافتتحها وسبى من أهلها، وافتتح مكران وما يليها[٦٢] .

- **الحكم بن العاص الثقفي** : هو أبو عثمان، وقيل أبو عبد الملك الحكم بن أبي العاص الثقفي أخو عثمان بن أبي العاص الثقفي، قال ابن سعد : "قد صحب النبي - ﷺ "[٦٣]، وقال ابن حجر في الإصابة : "يقال له صحبة"[٦٤]، وقال ابن الأثير الحكم بن العاص الثقفي له صحبة"[٦٥] .

كان الحكم بن أبي العاص أميرًا على البحرين، وسبب ذلك أن عمر بن الخطاب استعمل أخاه عثمان بن أبي العاص على عمان والبحرين، فوجه أخاه الحكم على البحرين، وافتتح الحكم فتوحًا كثيرة بالعراق سنة تسعة عشر وعشرين[٦٦] .

وعن جهاده في بلاد الهند قال البلاذري : "وجه عثمان بن أبي العاص أخاه الحكم إلى البحرين فأرسل جيشًا إلى تانة[٦٧] من بلاد الهند، ووجه الحكم - أيضًا - إلى بروص"[٦٨]، وقال الحموي " وجه إلى الديبل عثمان بن أبي العاص أخاه الحكم ففتحه"[٦٩]، وقال الذهبي في ذكر سنة ثلاث وعشرين : "وفيها فتحت مكران وأميرها الحكم بن عثمان[٧٠]، فعلى هذه الروايات غزا الحكم بن أبي العاص في بلاد الهند تانة، وبروص، والديبل، ومكران، وما يليها .

- **المغيرة بن أبي العاص الثقفي** : يعد المغيرة بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان بن عبد الله بن همام الثقفي، أخو عثمان بن أبي العاص الثقفي، وكان خليفة عثمان بن أبي العاص على عمان والبحرين، وهو بفارس، أخو المغيرة بن أبي العاص، وسكن المغيرة مع أخيه عثمان بالبصرة، وذكر ابن حجر في الإصابة : "كانوا لا يؤمرون في المغازي إلا الصحابة، فمن تتبع الآثار الواردة في الردة والفتوح، وجد من ذلك شيئًا كثيرًا"[٧١] .

ومن المعلوم أن عثمان جعل المغيرة خليفة له على البحرين وعمان، حينما كان هو وأخوه الحكم يغزوان في بلاد فارس، وأنه وجهه إلى خور

الديبل فلقي العدو وانتصر عليه[٧٢] .

ولقد صرح البلاذري وابن حجر : "أنه لم يبق قبل حجة الوداع أحد من قريش وثقيف إلا أسلم، وكلهم شهد حجة الوداع، والمغيرة بن أبي العاص كلهم من ثقيف، وهذه الدلائل كافية في ثبوت صحبة المغيرة بن أبي العاص للنبي – ﷺ [٧٣] .

وفي سنة (٢٢هـ / ٦٤٢م) أصدر الخليفة عمر بن الخطاب أوامره بتجهيز جيشين ؛ لفتح إقليم مكران (جنوب غرب بلوشستان ببلاد السند)، وإقليم كرمان[٧٤] الفارسي الذي يقع على حدود فارس مع بلاد السند، وجعل الخليفة قيادة الجيش الأول للحكم بن عمرو التغلبي، وقيادة الجيش الثاني لسهيل بن عدي، وبالفعل نجحت القوات الإسلامية في الوصول إلى كرمان ببلاد العجم وفتحها .

وفي سنة (٢٣هـ / ٦٤٣م) وصلت طلائع جيش الحكم بن عمرو إلى مكران وتوغل في بلاد السند إلى أن اقترب من نهر السند .

وقد كانت بلاد السند في ذلك الوقت تحت حكم ملك بوذي يدعى "هرش" الذي أمد أهل مكران بقوات هائلة لمواجهة المسلمين، ولكن المسلمين نجحوا في هزيمة تلك القوات، وقتلوا قائد الجيش السندي، وتقهقرت قواتهم، وتبعهم المسلمون حتى نهر السند، وبعد ذلك تقهقرت القوات الإسلامية إلى مكران، بعد أن أمرهم الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بعدم عبور نهر السند، خشية التوغل في بلاد لا يعرفونها حق المعرفة ؛ لما في ذلك من خطورة على المسلمين، فكان أمرًا صريحًا لقائديه بأن لا يعبر الحكم وسهيل أحد من جنودكما، واقتصر على ما دون النهر، واستمر الحال كذلك حتى نهاية عصر عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –، بعد أن حققوا أول فتح في بلاد الهند وهي مكران ؛ التي أصبحت بعد ذلك قاعدة لانطلاق الجيوش الإسلامية لفتح باقي بلاد السند .

ولا يهمنا هنا الاسترسال في شرح حوادث الفتح، ولكن ما يهمنا هو رصد الصحابة الذين شاركوا في هذه الفتوحات لبيان دورهم في نشر الإسلام في بلاد الهند في تلك الفترة .

فمن الصحابة الذين شاركوا في تلك الحملة الأخيرة :

- **الحكم بن عمرو بن مجدع الثعلبي الغفاري** : هو الحكم بن عمرو بن مجدع بن حزيم بن الحارث بن ثعلبة، بن مليك بن ضميرة بن عبد مناه بن كنانة الثعلبي الغفاري، وقال ابن حزم: "له صحبة ورواية"(٧٥)، وقال ابن سعد: "وصحب الحكم بن عمرو النبي – ﷺ - حتى قبض النبي – ﷺ –ثم تحول إلي البصرة فنزلها، فولاه زياد بن أبي سفيان خراسان فخرج إليها، وأن زيادًا بعث الحكم بن عمرو على خراسان، ففتح الله عليهم، وغنموا أموالاً عظيمة"(٧٦) .

ولقد استعمله عمر في خلافته فدفع إليه لواء مكران في سنة سبعة عشر، وقصدها في سنة ثلاث وعشرين ففتحها(٧٧) .

- **عبد الله بن عبد الله بن عتبان الأنصاري** : ذكر ابن الأثير عنه : "روى الحافظ أبو موسى بإسناد عن أبي الشيخ الحافظ قائلاً : "قال أهل التاريخ عبد الله بن عبد الله كان من أصحاب النبي – ﷺ ""(٧٨)، وذكره ابن حجر على أنه كان شجاعًا بطلاً من أشراف الصحابة ووجوه الأنصار(٧٩)، وبذل جهودًا كبيرة في فتوحات بلاد فارس وخراسان، وكان ممن شاركوا في الحملة التي أرسلها عمر بن الخطاب سنة (٢٣هـ / ٦٤٣م) لفتح مكران من بلاد الهند(٨٠) .

- **سهل بن عدي بن مالك الخزرجي الأنصاري** : قال ابن الأثير : "هو سهل بن عدي الأنصاري شهد بدرًا"(٨١)، وقال ابن حجر: "شهد أحدًا"، وفي سنة ثلاث وعشرين، وبعد فتح كرمان شارك رضي الله عنه في فتح مكران(٨٢) .

وقد حفظت كتب التاريخ – إضافة إلى ما سبق – العديد من أسماء الصحابة الذين شاركوا في الحملات العسكرية الأولى التي خرجت من شبة الجزيرة العربية لفتح مكران من بلاد الهند أيام عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ومنهم الصحابي الجليل صحار بن عباس العبدي[٨٣]، وعاصم بن عمرو التميمي[٨٤] ؛ الذي غزا بعض نواحي السند مما يلي سجستان[٨٥]، وعبد الله بن عمير الأشجعي[٨٦] .

- **جهود الصحابة في فتح بلاد الهند زمن الخليفة عثمان بن عفان :**

تولى عثمان بن عفان الخلافة سنة (٢٤هـ / ٦٤٤م)، وبعد ذلك بقليل أمر عامله على العراق بأن يوجه إلى ثغر الهند[٨٧] من يعلم علمه وينصرف إليه بخبره ، فقام الوالي بدوره وأرسل إلى بلاد السند حكيم بن جبلة العبدي، فلما جمع المعلومات عن تلك البلاد وعاد، أوفده عبد الله بن عامر إلى الخليفة عثمان الذي سأله عن أحوال البلاد، فقال العبدي : "يا أمير المؤمنين قد عرفتها وتنحرتها"، قال الخليفة "صفها لي"، فقال : "ماؤها وشل، وثمرها دقل، ولصها بطل، وإن قل الجيش فيها ضاعوا، وإن كثروا جاعوا"، فقال له الخليفة : "أخابر أنت أم ساجع"، قال : "بل خابر"، فلم يأمر الخليفة بغزو داخل بلاد السند[٨٨]، مع أن الجيش العربي كان لا يزال موجودًا في ذلك الوقت في إقليم مكران ببلاد السند منذ عهد الخليفة عمر، واكتفى العرب بالتمسك بحكم ذلك الإقليم من ثغر السند[٨٩] .

وعندما تولى عبد الله بن عامر بن كريز ولاية العراق سنة (٢٩هـ / ٦٤٩م) عين عبد الله بن معمر التميمي حاكمًا على مكران، فتوغل في هذا الاقليم حتى بلغ نهر السند، وظل يحكم إقليم مكران إلى أن استشهد الخليفة عثمان رضي الله عنه سنة (٣٥هـ / ٦٥٥م)[٩٠] .

ولقد شارك العديد من الصحابة في إحكام سيطرة المسلمين على إقليم مكران زمن الخليفة عثمان بن عفان، ومن هؤلاء :

- **حكيم بن جبلة العبدي** : هو حكيم بن جبلة بن أسود بن كعب بن عامر بن الحارث العبدي، قال ابن عبد البر : "أدرك النبي – ﷺ "[٩١]، وكان رجلاً صالحًا مطاعًا في قومه، وهو الذي بعثه إلى السند ليأتيه بخبرها – كما سبق ذكره .

- **عبيد الله بن معمر بن عثمان القرشي** : هو أبو معاذ عبيد الله بن معمر بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن لؤي بن غالب القرشي، قال ابن عبد البر : "صحب النبي – ﷺ – وكان من أحدث الصحابة سنًا كذا قال بعضهم"[٩٢]، وقال ابن الأثير : "أدرك النبي – ﷺ – وقد اختلف في صحبته، وروى عنه عروة بن الزبير"[٩٣]، وذكر الطبري في حوادث سنة (٢٩هـ / ٦٤٩م)، ولما ولى عثمان بعث إلى مكران عبيد الله بن معمر التميمي، فأثخن فيها حتى بلغ نهر السند[٩٤] .

- **عمير بن عثمان بن سعد** : هو عمير بن سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف، وكان أبوه ممن شهد بدرًا[٩٥]، وفي حدود سنة (٢٩هـ / ٦٤٩م) استعمل عثمان بن عفان ابن سعد على خراسان، ثم استعمله على مكران[٩٦]، وهناك قام بدور كبير في تثبيت الحكم الإسلامي في تلك البلاد، ونشر الإسلام بين أهل مكران من بلاد السند .

- **مجاشع بن مسعود بن ثعلبة السلمي** : هو مجاشع بن مسعود بن ثعلبة بن وهيب بن عائذ بن ربيعة بن يربوع السلمي، وذكر ابن سعد عن مجاشع : "أتيت النبي – ﷺ – أنا وأخي لنبايعه على الهجرة، فقال : الهجرة قد مضت، فقلنا : على ما نبايعك ؟ فقال : على الإسلام والجهاد في سبيل الله، فقال : فبايعناه، قال الروائي أبو عثمان، ثم لقيت أخاه فقال : صدقك مجاشع"[٩٧] .

ذكرت المصادر أن مجاشع بن مسعود غزا القفص (من أعمال مكران) مما يلي سجستان وفتحها، وبعدها أقام المسلمون في بلاد الهند، وجعلوها

وطنًا لهم، وأدوا العشر، وذلك بعد فتح مجاشع هَذه النواحي[٩٨] .

- **عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب القرشي** : هو أبو سعد عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي، قال ابن عبد البر : "أسلم يوم فتح مكة، وصحب النبي – ﷺ – وروى عنه"[٩٩] غزا خراسان في زمن عثمان بن عفان، وشارك في فتح سجستان وكابل، وتقدم في الفتوحات على نواحي بلاد الهند حتى بلغ مدينة كش، ومدينة الدوار، وكان لتقدمه في تلك النواحي أثر بالغ في نفوس أهل الهند، وبعدها تقدم المسلمون في بلاد الهند إلى ما بعد تلك المناطق[١٠٠] .

-جهود الصحابة في فتح بلاد الهند زمن الخليفة علي بن أبي طالب :

تولى علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – الخلافة سنة (٣٥هـ / ٦٥٥م)، وعلى الرغم من المشاكل والفتن الداخلية توجه الحارث بن مرّة العبدي سنة (٣٩هـ / ٦٥٩م) على رأس ألف من خيرة المسلمين، ومجموعة من القادة إلى بلاد السند، وصلت تلك الحملة إلى مكران ؛ حيث انضمت إليه قوات أخرى من أهل البلاد، وسار الجميع إلى منطقة القيقان[١٠١] (الكيكان)، وهي جزء من بلاد السند مما يلي خراسان، وتعرف الآن باسم (قلات)، وهناك قابلوا قوات غفيرة لأعدائهم بلغت عشرين ألفًا، ودخلوا معها في معركة دامية، وتمكنوا من تحقيق نصر مشرف، وأسروا الكثير من أفرادها .

وقد جاء خبر استشهاد علي بن أبي طالب ليضعف من عزيمة الجند الفاتحين في بلاد السند، واضطروا للعمل على العودة مرة أخرى إلى مكران[١٠٢]، وقد شجع ذلك الأعداء فتجمعوا بأعداد غفيرة من جديد، وكان على الحارث بن مرة أن يلقاهم مرة أخرى في نفس سنة (٤٢هـ / ٦٦٢م) أوائل زمن معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه – وقد أبلى المسلمون بلاءً حسنًا، وثبتوا في أماكنهم، ولم يهنوا أو يضعفوا، وواجهوا الجموع

الكثيرة في بسالة منقطعة النظير حتى استشهد قائدهم الحارث بن مرة، ومعظم القادة والجند، ومن بقي منهم اضطر إلى العودة إلى مكران[١٠٣]، ذلك الإقليم الذي بقي في أيدي المسلمين يتبع إقليم العراق، وكان الولاة يفدون منه إلى مكران السندي[١٠٤]، وكان من الصحابة الذين شاركوا في الحملات الحربية على بلاد السند زمن الخليفة علي بن أبي طالب .

- **الخريت بن راشد الناجي السامي** : ذكره ابن الأثير على أنه من الصحابة، وقال : "لقي الخريت بن راشد الناجي رسول الله - ﷺ - بين مكة ومدينة، في وفد بني سامة بن لؤي[١٠٥]، فاستمع منهم، وأشار إلى قوم من قريش، فقال : "هؤلاء قومكم فانزلوا عليهم"[١٠٦].

وكان قدوم الخريت مكران بعد وقعة التحكيم في سنة (٣٧هـ / ٦٥٧م)[١٠٧] ؛ حيث شارك في الأحداث والمعارك التي جرت بين المسلمين والسنود سنة (٣٩هـ / ٦٥٩م)، وأبلى فيها بلاءً حسنًا .

- <u>في خلافة معاوية بن أبي سفيان :</u>

استمر الاحتكاك العسكري والمناوشات بين المسلمين وأهل مكران أيام معاوية – رضي الله عنه، ففي سنة (٤٤هـ / ٦٦٤م) أتى المهلب بن أبي صفرة إلى بلاد السند نائبًا عن عبد الله بن عامر والي العراق فوصل إلى بنه و الأهوار (لاهور الحالية)، وهما بين الملتان وكابل، فلقيه العدو وقاتله هو ومن معه، كما لقي المهلب ثمانية عشر فارسًا ببلاد القيقان، فقاتلوه وقتلوا جميعًا[١٠٨] .

وفي زمن معاوية – أيضًا – جاء سوار بن همام العبدي على رأس أربعة آلاف مقاتل وغزا القيقان، ثم وفد إلى معاوية، وأهدى إليه خيلاً قيقانية[١٠٩] .

وفي عهد معاوية – أيضًا – تولى سنان بن سلمة الهذلي أمر مكران، ففتح البلاد حتى القيقان، ثم سار إلى منطقة البودهية المجاورة، وأقام هناك وضبط البلاد، ولكنه استشهد بعد حكم استمر سنتين، وتوالى الولاة يتجاوزون القيقان، والبوقان ، وقصدار[١١٠]، وهي من المدن الداخلية في إقليم مكران[١١١] .

واستمر الحال على ذلك حتى تمكن المسلمون من فتح بلاد السند بشكل نهائي من سنة (٩٢ -٩٤هـ / ٧١٠-٧١٢م) .

ومن الصحابة الذين شاركوا في فتوحات الهند زمن معاوية بن أبي سفيان :

- **سنان بن سلمة الهذلي** : هو أبو عبد الرحمن، ويقال أبو جبير سنان بن سلمة بن عبيد بن الحارث، وهو صحابي جليل تولى أمر الهند، وفتح مكران، وقصدار، وكان من الأبطال المجاهدين[١١٢] .

- **المنذر بن الجارود العبدي** : هو أبو شعث المنذر بن الجارود، اسمه بشر بن عمرو، وهو الحارث بن زيد بن حارثة بن معاوية العبدي، وكان سيدًا جوادًا، ولّاه علي بن أبي طالب أصطخر، ثم ولّاه عبد الله بن زياد – والي العراق – ثغر الهند، فمات هناك سنة (٦١هـ / ٦٨٠م)، وقيل أول (٦٢هـ / ٦٨١م)، ولقد شارك في فتوحات البوقان، والقيقان، وقصدار من بلاد الهند[١١٣].

الخاتمة

بعد استعراض تاريخ الصحابة ودورهم في نشر الإسلام في شبه القارة الهندية . كان لابد من الخروج بمجموعة من النتائج حتى تعم الفائدة من تلك الدراسة، ومن تلك النتائج ما يأتي :

- ارتبط العرب ببلاد الهند بصلات تجارية وحضارية منذ القدم، وازدادت تلك العلاقات بعد ظهور الإسلام .
- سكنت بعض الجاليات الهندية سواحل شبه الجزيرة العربية، الأمر الذي جعل النبي – ﷺ – والصحابة يعرفونهم بهيئاتهم، وأجسامهم، وألوانهم .
- تعد جميع الروايات التي تحدثت عن أن النبي – ﷺ – أرسل عددًا من أصحابه إلى بلاد الهند من أجل تبليغهم الدعوة الإسلامية غير صحيحة، وغير مقبولة عقلاً ونقلاً .
- خرجت أولى الحملات الإسلامية لفتح بلاد الهند في خلافة عمر بن الخطاب، وذلك عندما أمر واليه عثمان بن أبي العاص بغزو تلك البلاد سنة (١٥هـ / ٦٣٦م) .
- لم تكن الحملات الأولى التي أرسلها عمر بن الخطاب لغزو بلاد الهند بهدف الفتح المنظم، وإنما كانت تهدف إلى تأديب قراصنة الهند والسند، الذين كانوا كثيرًا ما يغيرون على السفن التجارية العربية .
- شارك العديد من الصحابة في غزو بلاد الهند في الحملات التي أخرجها عمر بن الخطاب، ومن هؤلاء : عثمان بن أبي العاص الثقفي، وأخواه الحكم بن العاص، والمغيرة بن أبي العاص، بالإضافة إلى الحكم بن عمرو الغفاري، وعبد الله بن عتبان الأنصاري .
- أرسل عثمان بن عفان حملتين لغزو بلاد الهند، ومن الصحابة الذين شاركوا في هاتين الحملتين : حكيم بن جبلة العبدي، وعبد الله بن معمر القرشي التميمي، وعمير بن عثمان بن سعد، ومجاشع السلمي .

-رغم الفتنة التي أصابت البلاد في عهد الخليفة علي بن أبي طالب، فقد خرجت في عهده الحملات إلى بلاد الهند والسند، وشارك فيها من الصحابة الخريت بن راشد السامي .

- استمر جهاد الصحابة في غزو بلاد الهند حتى عهد معاوية بن أبي سفيان، وكان من هؤلاء سنان الهذلي، والمنذر بن الجارود العبدي .

-كان من نتائج جهود الصحابة في بلاد الهند في عهد الخلفاء الراشدين فتح منطقة مكران، والتي أصبحت منذ ذلك الحين قاعدة لانطلاق الجيوش الإسلامية لفتح باقي بلاد السند والهند فيما بعد .

-مهدت جهود الصحابة ببلاد الهند لعملية الفتح الكبرى لبلاد السند، والتي قام بها بنو أمية فيما بين عامي (٩٢ - ٩٤هـ / ٧١٠ - ٧١٢م) .

الحواشي

(١) محمد عبد العظيم أبو النصر : تاريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الهند والسند والبنجاب ، الطبعة الأولى ، شركة نوابع الفكر ، القاهرة ، ٢٠٠٩م ، صـ٧ .

(٢) عبد الله محمد جمال الدين : التاريخ والحضارة الإسلامية في باكستان أو السند والبنجاب إلى أواخر فترة الحكم العربي (١٥-٤١٦هـ / ٦٣٦-١٠٢٥م) ، الطبعة الأولى ، دار الصحوة ، القاهرة ، ١٩٩١م ، صـ٨ .

(٣) أطهر المباركبوري : العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين ، دار الأنصار ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ ، صـ١٣ .

(٤) مكران بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء المهملة وألف ونون ، تقع ما بين خراسان وبلاد السند ، وهي ميناء تجاري . المقدسي : المصدر السابق ، صـ٤٧٥ .

(٥) طوران : تعد منطقة طوران من المناطق المجاورة لإقليم مكران ، وهي وادي بين جبلين ، كثيرة الفواكه ، ومن مدنه قصدار. الدمشقي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب ، المعروف بشيخ الربوة) : تحفة الدهر وعجائب البر والبحر، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، صـ١٧٦ .

(٦) السند : هي تسمية فارسية قديمة ، حدود هذا الإقليم من الغرب كرمان ، ومن الشمال إقليم الهند ، ومن الجنوب مفازو بين كرمان والنجر . ابن حوقل : صورة الأرض ، صـ٣١٧ .

(٧) الملتان : بضم الميم وسكون اللام ، ثم تاء مثناة وألف ونون ، وهي مدينة عظيمة تقع شمال غرب نهر السند ، وهي مشتقة من الكلمة السنسكريتية (Malithan) ، التي تعني موضع قبيلة مالي ، أو تنطق أيضًا مولتان . المقدسي : المصدر السابق ، صـ٤٨٠ .

(٨) التيز : ذكر المقدسي أن التيز من مدن إقليم مكران ، وكانت تسمى تيز مكران ، وهي تقع على ساحل بحر الهند . المقدسي : المصدر السابق ، صـ٤٧٤ .

(٩) الديبل : تعد من أقدم مدن السند وأشهرها في التاريخ ، وذلك من قبل الإسلام إلى أواخر العصر الهندي ، ثم بمرور الأيام وانصراف الدهور انقرضت هذه المدينة ،

وتقع الديبل على ساحل بر الهند ، على بعد/فرسخين من مصب نهر السند (مهران)، واشتهرت الديبل بأسماء عديدة فسميت دبُل أ ديبل أو الديبل بفتح الدال وسكون الياء المثناة من تحتها بنقطتين وضم الباء المنقوطة بواحدة ولام . الحموي : المصدر السابق ، ج٢ ، صـ٤٩٥ .

(١٠) بروص : ويطلق عليها بروش أو بروج ، وهي من أشهر مدن الهند البحرية ، وتقع في إقليم الكجرات . عبد الله محمد جمال الدين : المرّجع السابق ، صـ١٧ .

(١١) مليبار : بضم الميم وسكون النون وسكون الياء وفتح الباء ، ثم ألف وراي ، وتعرف أحياناً باسم مليبار ، وهي أحد أقاليم الهند ، تعني الجبال الكثيرة وهي شرق الكجرات ، وبها شجر الفلفل ، ولها شريط ساحلي متصل على بحر الهند ، وأول من سماه مليبار هم الملاحون العرب . المليباري (أحمد زين الدين المعيري ، ت ٩٩١هـ / ١٥٨٣م) : تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين ، تحقيق محمد سعيد الطريحي ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥هـ ، صـ٣٢ .

(١٢) ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ، ت٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) : معجم البلدان ، ج٥ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧م ، صـ٢٥١ ؛ المباركبوري : المرجع السابق ، صـ١٣ .

(١٣) الحموي : المصدر السابق ، ج٥ ، صـ٢٥١ .

(١٤) المباركبوري : المرجع السابق ، صـ١٣ ؛ Ishtiaq (Husain) : The Muslims community of the Indo – Pakistan subcontinent , Karachi , 1977 , p.2 .

(١٥) نهر السند : يعرف بنهر مهران ، جريانه من الشرق إلى الغرب ، وطوله من بدايته إلى نهايته يتعارجه نحو ألف فرسخ ، ويخرج من أعلى بلاد السند ، إلى أن وصل مدينة قالري ، فانقسم عندها قسمين ، ثم يجتمع مرة أخرى عند الديبل ، ويقع شرقها في بحر الهند . الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد) : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، (د.ت) ، صـ١٦٨ .

(١٦) سيف علي الفيض : بزوغ فجر الإسلام في الهند ، مجلة النور ، صـ١ ؛ Fasel Ahmed : Muhammad Bin Qasim , Lahor , Pakistan , 1981 , p.15

(١٧) الإصطخري (أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي ، ت) : مسالك الممالك ، مطبعة بريل، ليدن ، ١٩٢٧م ، صـ١٧٧ .

(١٨) سيد علي الفيض : المقالة السابقة ، صـــ١ ؛ Ishtiaq (Husain) : Op.cit , p.4

(١٩) Fasel Ahmed : Op.cit , p.16 .

(٢٠) عبد الله محمد جمال الدين : المرجع السابق ، صـــ٧ ؛ Ikram (S.M) : History of muslim , civilization in India and Pakistan (93-1273=711-1857) , A political and cultural history , Lahor , Pakistan, 1982 , p.3 .

(٢١) عبد الله مبشر الطرازي : موسوعة التاريخ الإسلامي والنهضة الثقافية لبلاد السند والبنجاب في صدر الإسلام والعصرين الأموي والعباسي ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٣هـــ / ١٩٨٣م ، صـــ١٠٤ ؛ عبد الله محمد جمال الدين : المرجع السابق ، صـــ٨ ؛ Ikram (S.M) : Op.cit , p.3

(٢٢) الحاكم (أبو عبد الله الحاكم بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم النيسابوري المعروف بابن البيع ، ت ٤٠٥هـــ / ١٠١٤م): المستدرك على الصحيحين ، ط١ ، ج٤ ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٠ ، صـــ٣٥ ؛ عبد الله محمد جمال الدين : المرجع السابق ، صـــ٩ ؛ أحمد شلبي : موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية ، ج٨ ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، صـــ٢٦٠، ٢٦١ .

(٢٣) الزط : أو الجت بكسر الزاي ، وهي كلمة فارسية مشتقة من يمثّل الزط ، وهي من أقدم العناصر السكانية ببلاد السند ، كانوا يقطنون في البطائح فيما بين المنصورة ومكران ، اعتمدوا في غذائهم على السمك وطير الماء ، وهم قوم من أخلاط البشر ، واشتهروا بالقوة والشجاعة ، وقد تحسن وضع قبائل الزط كثيرًا في ظل حكم المسلمين لبلاد السند ، فنعموا بالحرية= =الدينية ، والعدالة الاجتماعية ، والمساواة ، وغيرها من الحقوق الأخرى التي تمتعوا بها. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ، ت ٨٠٨هـــ / ١٤٠٥م) : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩ ، صـــ٣٢١ ؛ محمود عبد العظيم عبد العال : الدولة الهبّارية في بلاد السند (٢٤٠-٤١٦هـــ/ ٨٥٥-١٠٢٥م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بني سويف ، ٢٠١٤ ، صـــ٩٦ .

(٢٤) الميد : من سكان بلاد السند الأصليين ، ومن عناصر السكان الرئيسية ، التي تكون منها المجتمع السنديّ ، وقد سكن معظمهم المناطق الساحلية في بلاد السند ، لاسيما

المنصورة. وقد عمل بعض الميد في حرفة الرعي ، ولكن الغالبية منهم احترفوا القرصنة ، والسرقة ، واعتراض السفن التجارية ، واعتنق معظم الميد الديانة البوذية ، وعانوا كثيرًا من النظام الطبقي الظالم ، الذي كان قائمًا ببلاد السند قبل حكم العرب ، وتحول بعضهم إلى الدين الإسلامي ، لما وجدوا فيه من تسامح وعدل ومساواة ، وقال عنهم الإصطخري : " هم قبائل مفترشة ما بين حدود طوران ومكران والملتان " . الإصطخري : المصدر السابق ، صـ١٧٦ ؛ محمود عبد العظيم عبد العال : المرجع السابق ، صـ٩٥،٩٤ .

(٢٥) الأنبياء : ١٠٧ .

(٢٦) الأعراف : ١٥٨.

(٢٧) البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري) : صحيح البخاري ، ستة أجزاء ، كتاب التيمم ، رقم الحديث ٣٢٨، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، ١٩٨٧ م .

(٢٨) السيابجة : إحدى العناصر السكانية في بلاد السند ، وانتقل البعض منهم إلى جزيرة العرب منذ زمن قديم . البلاذري : المصدر السابق ، صـ٥٢٣ .

(٢٩) المباركبوري : المرجع السابق ، صـ٢٠ .

(٣٠) وي الحاكم في المستدرك عن أبي سعيد الخضري رضي الله عنه قال : "أهدى ملك الهند إلى رسول الله - ﷺ - جرة فيها زنجبيل ، فأهدى أصحابه قطعة قطعة " ، وتعقب الحاكم ذلك بقوله : "لم أخرج من أول هذا الكتاب إلى هنا لعلي بن زيد بن جدعان حرفًا واحدًا ، ولم أحفظ في أكل الرسول – صل الله عليه وسلم – الزنجبيل سواه ، فخرجته . الحاكم : المصدر السابق ، ج٤ ، صـ١٣٢ .

وذكر ابن القيم هذه الرواية نقلاً عن كتاب الطب النبوي لأبي نعيم الأصبهاني، ولكنه ذكر ملك الروم بدلاً من ملك الهند . ابن القيم (محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، ت٧٥١هـ/١٣٥٠م) : زاد المعاد في هدي خير العباد ، ط٢٧، ج٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ، صـ٢٢٥ ؛ عبد الوهاب خليل عبد الرحمن: الدعوة السلفية في شبه القارة الهندية وأثرها في مقاومة الخرافات الدينية، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٧هـ ، صـ٤١ ، هامش (٢) .

(٣١) المباركبوري : المرجع السابق ، صـ٢١ .

(٣٢) نفسه ، صـــ٢١ .
(٣٣) الترمذي (محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي) : سنن الترمذي المعروف بـــ "جامع الترمذي" ، خمسة أجزاء ، كتاب الأمثال ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ت) ، صـــ١٣٥.
(٣٤) البخاري : صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، مطبعة مصر ، (د.ت) ، صـــ١٢٦٥
(٣٥) ابن حجر العسقلاني (أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر ، ت٨٥٢هـــ / ١٤٤٨م) : الإصابة في تمييز الصحابة ، ج٧ ، مطبعة مصر ، ١٩٠٧م ، صـــ٢٦٤ .
(٣٦) ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي المعروف بابن سعد ، ت ٢٣٠هـــ / ٨٤٤م) : الطبقات الكبرى ، ط١ ، ج١ ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب ، بيروت ، ١٩٩٠ ، صـــ٣٣٩ ؛ الطبري (محمد بن جرير ، ت ٣١٠هـــ / ٩٢٢م) : تاريخ الرسل والملوك ، ج٣ ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، صـــ١٦٥ .
(٣٧) المباركبوري : المرجع السابق ، صـــ٢٣ .
(٣٨) بزرگ بن شهريار : عجائب الهند ، ليدن ، مطبعة بريل ، ١٨٨٦ ، صـــ١٥٧ ؛ المباركبوري : المرجع السابق ، صـــ٢٣ .
(٣٩) عبد الله محمد جمال الدين : المرجع السابق ، صـــ١٣ .
(٤٠) ابن الأثير (عز الدين الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني ، ت ٦٣٠هـــ / ١٢٣٢م) : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج٢ ، بيروت ، (د.ت) ، صـــ٢٦٦ .
(٤١) ابن حجر : المصدر السابق ، ج٢ ، صـــ١٢١ .
(٤٢) نفسه .
(٤٣) عبد الله جمال الدين : المرجع السابق ، صـــ١٣ .
(٤٤) ابن حجر : المصدر السابق ، ج١ ، صـــ٥١٥ .
(٤٥) الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي أبو عبد الله شمس الدين ، ت٧٤٨هـــ / ١٣٤٧م) ، تاريخ الإسلام ، ج٢، الطبعة الثانية ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي، ١٩٩٠ ، صـــ٤٨ .

(٤٦) المباركبوري : المرجع السابق ، صــ٢٩ .
(٤٧) نفسه .
(٤٨) السامري : معرب زاموری ، وكانت في قديم الزمان في الهند أسرة ملكية (جيرومن بيرومال) ، تحكم على بلاد المليبار ، وكان هذا السامري أحد ملوكها . المباركبوري : المرجع السابق ، صــ٣٠ .
(٤٩) المباركبوري : المرجع السابق ، صــ٣٠ .
(٥٠) وجدت هذه الرواية ضمن مجموعة خطية من كلمات ورسائل تقع في ١٩٠ صفحة عنوانها "جمع الجوامع" ، وهي محفوظة عند القاضي أطهر المباركبوري الهندي . عبد الله جمال الدين : المرجع السابق ، صــ١٣ ، هامش(٢) .
(٥١) عبد الله جمال الدين : المرجع السابق ، صــ١٤ .
(٥٢) المباركبوري : المرجع السابق ، صــ٣١ .
(٥٣) نفسه ، صــ٣١.
(٥٤) عثمان بن أبي العاص الثقفي ، أسلم سنة (٩هـ / ٦٣٠م) ، وعندما وقف أمام النبي – صل الله عليه وسلم – مع وفد ثقيف ، لمس فيه النبي – صل الله عليه وسلم – ما يتمتع به من مميزات فأقره ، وكان حاكمًا على الطائف وبقي كذلك حتى جاء عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فنقله من ولايته ، وولّاه عمان والبحرين سنة (١٥هـ / ٦٣٦م) . عبد الله جمال الدين : المرجع السابق ، صــ١٤ .
(٥٥) عبد الوهاب خليل عبد الرحمن : المرجع السابق ، صــ٤٥ .
(٥٦) تهانة : عاصمة إحدى محافظات ولاية مهاشيرا الجديدة الآن ، وتقع على بعد ٣٢ كم من مدينة بومباي الحالية . عبد الله جمال الدين : المرجع السابق ، صــ١٦ ؛
Elliot (H. M) : The History of India as told by its own historian , The Muhammadan Period , By John Dowson , 1867 , p. 374 .
(٥٧) بهروج : يقال لها – أيضًا – بروج أو بروض ، وهي اليوم إحدى المدن الشهيرة في إقليم الكجرات الحالية ، وتقع بالقرب من مدينة أحمد آباد الحالية . عبد الله جمال الدين : المرجع السابق ، صــ١٦ ، هامش(١) .
(٥٨) الديبل : ميناء تجاري مهم على ساحل بحر الهند ، وهي فرضة التجارة ، وإليها نسب قوم من الدواة . وهي مدينة عامرة تأتي إليها المنتجات من عمان وتلتقي بها سفن الصين والهند ، وأشار البعض أنها تقع على بعد ١٥ ميلاً من مدينة بهمبور ، بينما يرى آخرون أن موقعها كان قرب مدينة كراتشي الحالية . عبد الله جمال الدين

: المرجع السابق ، صـــ١٦ ، هامش(٢) .

(٥٩) محمد عبد العظيم أبو النصر : المرجع السابق ، صـــ٥٧ .

(٦٠) نفسه ، صـــ٥٨ ؛ Elliot (H. M) : Op.cit , p.374

(٦١) ابن حزم الأندلسي (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ، ت ٤٥٦هـــ / ١٠٧٢م) : جمهرة أنساب العرب ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣م ، صـــ٢٦٦ .

(٦٢) ابن سعد : المصدر السابق ، ج٥ ، صـــ٥٠٨ ؛ المباركبوري : المرجع السابق ، صـــ٥٠ ؛ المباركبوري : رجال السند والهند إلى القرن السابع ، ط١ ، ج٢ ، دار الأنصار ، القاهرة ، ١٣٩٨هـــ ، صـــ٣٤١ . /

(٦٣) ابن سعد : المصدر السابق ، ج٧ ، صـــ٤١ ؛ المباركبوري : رجال السند والهند ، ج٢ ، صـــ٣٢٢ .

(٦٤) ابن حجر : المصدر السابق ، ج٢ ، صـــ٢٨ .

(٦٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٢ ، صـــ٣٥ ؛ Ali (k) & (Bukhari) A.S : A new history indo Pakistan up to 1562 , Lahor , Pakistan , 1980 , p. 142 .

(٦٦) المباركبوري : العقد الثمين ، صـــ٥٦ ؛ Parsad (Ishwari) : A short History rule India , Pakistan , 1986 , p.41 .

(٦٧) تانة : بفتح التاة المثناة ثم ألف ونون وهاء . تقع غربي المليبار من الهند على الساحل . المباركبوري : العرب والهند في عصر الرسالة ، ترجمة عن الأردية عبد العزيز عزت عبد الجليل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، صـــ١٣١ .

(٦٨) البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٦هـــ / ٨٨٧م) : فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد ، المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٥٩م ، صـــ٤٠٠ .

(٦٩) الحموي : المصدر السابق ، ج٣ ، صـــ٤٨١ .

(٧٠) الذهبي : المصدر السابق ، ج٢ ، صـــ٤٨ .

(٧١) المباركبوري : العقد الثمين ، صـــ٥٦ ؛ المباركبوري : رجال السند والهند ، ج٢ ،

صـــ٣٤٦ ؛ Parsad (Ishwari) : Op.cit , 41 .

(٧٢) البلاذري : المصدر السابق ، صـــ٩٣ ؛ Ali (k) & (Bukhari) A.S : Op.cit , p.142

(٧٣) البلاذري : المصدر السابق ، صـــ٣٥٦ ؛ المباركبوري : العقد الثمين ، صـــ٥٧ ؛ المباركبوري : رجال السند والهند ، ج٢ ، صـــ٣٢٤ .

(٧٤) كرمان بفتح الكاف ، وهناك من يكسرها وسكون الراء ، وهو إقليم واسع يشتمل على مدن كثيرة وقرى بين فارس ومكران وسجستان وخراسان . الحموي : المصدر السابق ، ج٤ ، صـــ٤٥٤ .

(٧٥) ابن حزم : المصدر السابق : صـــ٤١٧ .

(٧٦) ابن سعد : المصدر السابق ، ج٦ ، صـــ١٦٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٣ ، صـــ١٦٤ .

(٧٧) اليعقوبي (أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي ، ت٢٨٤هـــ / ٨٩٧م): **البلدان** ، ج٢، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٢م ، صـــ٢٦٤ ؛ المباركبوري : العقد الثمين ، صـــ٦١ .

(٧٨) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٣ ، صـــ١٩٩ .

(٧٩) ابن حجر : المصدر السابق ، ج٢ ، صـــ٨٨ .

(٨٠) الطبري: المصدر السابق ، ج٤ ، صـــ١٨١ ؛ المباركبوري : العقد الثمين ، صـــ٦١ ،٦٢ ؛ المباركبوري : رجال السند والهند، ج٢ ، صـــ٣٣٧ .

(٨١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٣ ، صـــ١٩٩ ؛ المباركبوري : رجال السند والهند ، ج٢ ، صـــ٣٣٤ .

(٨٢) ابن حجر : المصدر السابق ، ج٢ ، صـــ٣٦٨ .

(٨٣) صحار بن عباس العبدي : هو أبو عبد الرحمن صحار بن عباش ، وقيل ابن عباس ، وقيل صخر بن شراحبيل ، من بني ظفر بن عبد القيس . ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٣ ، صـــ٤٥٥ .

(٨٤) عاصم بن عمرو التميمي : هو أخو القعقاع بن عمرو ، صرح سيف بن عمر بكونه من الصحابة ، وأيضا صرح الطبري بذلك . الطبري : المصدر السابق ، ج٤ ، صـــ١٨٠ .

(٨٥) الطبري : المصدر السابق ، ج٤ ، صـــ١٨٠.

(٨٦) ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ، ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) : البداية والنهاية ، ط١ ، ج٧، تحقيق : علي شيري ، دار إحياء التراث ، ١٩٠٨ ، صـ١٣٢ .

(٨٧) الطرازي : المرجع السابق ، ج١ ، صـ٧٢ .

(٨٨) البلاذري : المصدر السابق ، ج٣ ، صـ٥٣٥ .

(٨٩) عبد الله محمد جمال الدين : المرجع السابق ، صـ٢٢ .

(٩٠) المباركبوري : العقد الثمين ، صـ٦٩ .

(٩١) ابن عبد البر (أبو عمر بن يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم القرطبي ، ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، الطبعة الأولى ، ج١ ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٢ ، صـ٣٢٢ ؛ المباركبوري : العقد الثمين ، صـ٧٢ ؛ المباركبوري : رجال السند والهند ، ج٢ ، صـ٣٣٨ .

(٩٢) ابن عبد البر : المصدر السابق ، ج٢ ، صـ٤٢٥ .

(٩٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٣ ، صـ٣٤٥ .

(٩٤) الطبري : المصدر السابق ، ج٤ ، صـ٢٦٤ ؛ المباركبوري : العقد الثمين ، صـ٧٥ .

(٩٥) ابن سعد : المصدر السابق ، ج٤ ، صـ٣٧٤ ؛ المباركبوري : رجال السند والهند ، ج٢ ، صـ٣٤٥ .

(٩٦) المباركبوري : العقد الثمين ، صـ٧٦ .

(٩٧) ابن سعد : المصدر السابق ، ج٧ ، صـ٣٠ .

(٩٨) المباركبوري : العقد الثمين ، صـ٧٨ .

(٩٩) ابن عبد البر : المصدر السابق ، ج٢ ، صـ١٦٤ .

(١٠٠) البلاذري : المصدر السابق ، صـ٢٨٨ ؛ المباركبوري : العقد الثمين ، صـ٧٩ .

(١٠١) القيقان : تكتب أحياناً الكيكان ، وهي إحدى مدن بلاد السند المهمة ، وذكرها البلاذري باسم القيقان ، وهي جزء من إقليم مكران . البلاذري : المصدر السابق ، ج٣ ، صـ٥٣١ .

(١٠٢) عبد الله محمد جمال الدين : المرجع السابق ، صـ٢٣ .

(١٠٣) البلاذري : المصدر السابق ، صـ٦٠٨ .
(١٠٤) عبد الله جمال الدين : المرجع السابق ، صـ٢٣ .
(١٠٥) تعد قبيلة سامة بن لؤي من القبائل القرشية التي سكنت عمان في العصر الجاهلي ، وينسبوا إلى سامة بن لؤي بن الحارث بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن نزار بن سعد بن عدنان . الزبيري (أبي عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب ، ت ٢٣٦هـ / ٨٥٠م) : نسب قريش ، ج١ ، ط٣، عني بنشره ليفي بروفنسال ، سلسلة ذخائر العرب ، العدد١١ ، دار المعارف ، (د.ت) ، صـ١٣.
(١٠٦) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٢ ، صـ١١٠ ؛ المباركبوري : العقد الثمين ، صـ٨٥ ؛ المباركبوري : رجال السند والهند ، ج٢ ، صـ٣٢٨ .
(١٠٧) ابن عبد البر : المصدر السابق ، ج١ ، صـ٤٥٣ .
(١٠٨) عبد الله جمال الدين : المرجع السابق ، صـ٢٤ .
(١٠٩) الطرازي : المرجع السابق ، ج١ ، صـ١٤٨ .
(١١٠) قال المقدسي أن قصدار (قزدار) قصبة منطقة طوران ، وتقع في صحراء ذات جانبين بينهما وادي يابس . المقدسي : المصدر السابق ، صـ٤٧٤ .
(١١١) البلاذري : المصدر السابق ، صـ٣٦١ .
(١١٢) المباركبوري : العقد الثمين ، صـ١٠٦ ؛ المباركبوري : رجال السند ، ج٢ ، صـ٣٣١ .
(١١٣) البلاذري : المصدر السابق ، صـ٣٦١ ؛ المباركبوري : العقد الثمين ، صـ١١٢ ؛ المباركبوري : رجال السند ، ج٢ ، صـ٣٤٧ .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانيًا : المصادر العربية :

- ابن الأثير (عز الدين الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني ، ت٦٣٠هـ /١٢٣٢م): أسد الغابة في معرفة الصحابة ، بيروت ، (د.ت) .
- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد) : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، (د.ت) .
- الإصطخري (أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي ، ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) : مسالك الممالك ، مطبعة بريل، ليدن ، ١٩٢٧م .
- البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري) : صحيح البخاري ، ستة أجزاء، كتاب التيمم ، رقم الحديث ٣٢٨، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، ١٩٨٧ م .
- ــــــــــــ : صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، مطبعة مصر ، (د.ت) .
- البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٧م) : فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد ، المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٥٩م .
- بزرگ بن شهريار : عجائب الهند ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٨٦م .
- الترمذي (محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي) : سنن الترمذي المعروف بـ "جامع الترمذي" ، خمسة أجزاء ، كتاب الأمثال ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ت)
- الحاكم (أبو عبد الله الحاكم بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم النيسابوري المعروف بابن البيع ، ت ٤٠٥هـ / ١٠١٤م):

المستدرك على الصحيحين ، الطبعة الأولى ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٠م .

- ابن حجر العسقلاني (أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر ، ت٨٥٢هـ / ١٤٤٨م): الإصابة في تمييز الصحابة ، مطبعة مصر ، ١٩٠٧م .
- ابن حزم الأندلسي (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، ت ٤٥٦هـ/ ١٠٧٢م) : جمهرة أنساب العرب ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣م
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ، ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) : تاريخ ابن خلدون ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩ م .
- الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي أبو عبد الله شمس الدين ، ت٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) : تاريخ الإسلام ، الطبعة الثانية ، ٥٢ مجلد ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، ١٩٩٠م.
- ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي المعروف بابن سعد ، ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م) : الطبقات الكبرى ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب ، بيروت ، ١٩٩٠ م .
- الطبري (محمد بن جرير، ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك ، دار الريان للتراث ، القاهرة، ١٩٨٨م .
- ابن عبد البر (أبو عمر بن يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم القرطبي ، ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، الطبعة الأولى ، ٤ أجزاء ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٢م .
- ابن القيم (محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، ت٧٥١هـ/١٣٥٠م) : زاد المعاد في هدي خير العباد ، ط٢٧، ٥ أجزاء ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .

- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ، ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) : البداية والنهاية ، جزءان ، تحقيق : علي شيري ، دار إحياء التراث ، ١٩٠٨م .
- المليباري (أحمد زين الدين المعيري ، ت ٩٩١هـ / ١٥٨٣م) : تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين ، تحقيق محمد سعيد الطريحي ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥هـ .
- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ، ت٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) : معجم البلدان ، ٥أجزاء ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧م .
- اليعقوبي (أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي ، ت٢٨٤هـ / ٨٩٧م): البلدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٢م .
- **ثالثًا : المراجع العربية :**
- أحمد شلبي : موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٣م.
- أطهر المباركبوري : العرب والهند في عصر الرسالة ، ترجمة عن الأردية عبد العزيز عزت عبد الجليل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣م .
- ــــــــــــــــ : رجال السند والهند إلى القرن السابع ، ط١ ، جزءان ، دار الأنصار ، القاهرة ، ١٣٩٨هـ .
- ــــــــــــــــ : العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين ، دار الأنصار ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ .
- عبد الله مبشر الطرازي : موسوعة التاريخ الإسلامي والنهضة الثقافية لبلاد السند والبنجاب في صدر الإسلام والعصرين الأموي والعباسي ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

- عبد الله محمد جمال الدين : التاريخ والحضارة الإسلامية في باكستان أو السند والبنجاب إلى أواخر فترة الحكم العربي (١٥-٤١٦هـ / ٦٣٦-١٠٢٥م) ، الطبعة الأولى ، دار الصحوة ، القاهرة ، ١٩٩١م .
- محمد عبد العظيم أبو النصر : تاريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الهند والسند والبنجاب ، الطبعة الأولى، شركة نوابغ الفكر ، القاهرة ، ٢٠٠٩م .
- **رابعًا : الرسائل العلمية :**
- عبد الوهاب خليل عبد الرحمن : الدعوة السلفية في شبه القارة الهندية وأثرها في مقاومة الخرافات الدينية، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٧هـ .
- محمود عبد العظيم عبد العال : الدولة الهبّارية في بلاد السند (٢٤٠-٤١٦هـ / ٨٥٥-١٠٢٥م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بني سويف ، ٢٠١٤ م .
- **خامسًا : المراجع الأجنبية :**
- Ikram (S.M) : History of muslim , civilization in India and Pakistan (93-1273=711-1857) , A political and cultural history , Lahor , Pakistan, 1982 .
- Elliot (H. M) : The History of India as told by its own historian , The Muhammadan Period , By John Dowson , 1867 .
- Parsad (Ishwari) : A short History rule India , Pakistan , 1986 .
- Ishtiaq (Husain) : The Muslims community of the Indo – Pakistan subcontinent , Karachi , 1977 .
- Fasel Ahmed : Muhammad Bin Qasim , Lahor , Pakistan , 1981
- Ali (k) & (Bukhari) A.S : A new history indo Pakistan up to 1562 , Lahor , Pakistan , 1980 .

السلع التجارية في أسواق خوارزم(*)

د. وائل أحمد إبراهيم

مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

كلية دار العلـوم - جـامعة الفيـوم

مقدمـة

شكل إقليم خوارزم بحكم موقعه الجغرافي في منطقة آسيا الوسطى أهمية كبيرة لاقتصاد تلك المنطقة باعتباره حلقة وصل أساسية بين بلدان العالم الإسلامي وبلاد الترك والمغول والصين وغيرها من بلاد تلك الأنحاء، حيث أصبحت أرض خوارزم معبرا أساسيا لحركة التجارة العالمية بين العالم الإسلامي وهذه البلاد.

ولما كانت خوارزم تتمتع بهذا الموقع الجغرافي المتميز، وتتنوع بأسواقها السلع التجارية؛ فقد جاء هذا البحث لبيان السلع التجارية المختلفة التي راجت بالأسواق الخوارزمية، ومثلت أهمية كبرى في ربط الحركة التجارية بين مدن هذا الإقليم وغيره من البلاد الأخرى، بحيث غدت هذه السلع من أشهر السلع التجارية في المنطقة بأكملها، حيث يأتي التجار من كل مكان بحثا عنها، ونقلها إلى بلادهم في قوافل تجارية متعددة أنعشت تجارة الإقليم، بل والمنطقة بأسرها.

(*) مجلة المؤرخ المصرى، عدد يناير ٢٠١٦.

كما أن دراسة الوضع الاقتصادي لمجتمع خوارزم، وبيان مدى التوسع في انتشار السلع التجارية الاستهلاكية المتنوعة فيه، ومعرفة الأسباب المختلفة التي تساعد على بيان ارتفاع مستوى المعيشة في المدن، ووجود الاستهلاك المترف الناتج عن مطالب القصور الملكية، والطبقات الغنية من السكان، كل ذلك من شأنه أن يساعد على فهم تفاصيل الحياة اليومية لذلك المجتمع، كذلك فإن دراسة جغرافية الإنتاج لهذا الإقليم من شأنها أن تساعد على تكوين قائمة من السلع التجارية محددة الأماكن بصورة دقيقة، بحيث تسمح دراسة كل قطاع إنتاجي استنادا إلى مراكز الاستهلاك التي تطلبه على تمييز المنتجات المستهلكة محليا عن تلك التي يجري تصديرها إلى البلاد الأخرى، وعليه يمكن التخمين بتطور الاحتياجات، والتعرف على قوة المراكز العمرانية الكبرى داخل الإقليم خلال فترات تاريخها المختلفة من حيث النشأة والازدهار، والنهضة أو الانحطاط.

غير أن البحث واجهته مجموعة من الصعوبات تأتي في مقدمتها قلة المراجع ذات الصلة بموضوع الدراسة في ظل تركيز معظم الدراسات السابقة على الجوانب السياسية في تاريخ الإقليم، وعلاقاته الخارجية بالأقاليم الأخرى، وقد مثل ذلك أيضا صعوبة في البحث داخل بطون أمهات الكتب والمصادر لاسيما الجغرافية عن معلومات تفيد الدراسة في موضوعها.

وقد اعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي القائم على الوصف والتحليل مستندًا في ذلك إلى مجموعة من المصادر العربية وبخاصة كتب الجغرافيا والرحلات التي شكلت المصدر الأساسي لهذا البحث، ومنها على سبيل المثال ما كتبه كل من الرحالة المقدسي البشاري (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م) في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وما كتبه الرحالة ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) الذي زار خوارزم في سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م، وقدم لنا

وصفا دقيقا لمدن الإقليم وقراه وأنهاره، وذلك في سفره الجليل معجم البلدان، ثم أضاف أبو زكريا بن محمد القزويني (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م) معلومات جديدة في هذا الإطار أفادت البحث في موضوعه إفادة كبيرة.

أما عن **خطة البحث** فقد عرض لموضوع السلع التجارية في أسواق خوارزم من خلال بيان ودراسة العناصر التالية:

- جغرافية خوارزم وأثرها في تنوع السلع التجارية بالإقليم
- أسواق خوارزم والحركة التجارية بها
- أنواع السلع التجارية في أسواق خوارزم :

(١) الثروة الحيوانية ومنتجاتها في أسواق خوارزم

(٢) السلع التجارية الزراعية في أسواق خوارزم:

- الحبوب ومتعلقاتها
- الفواكه
- الأخشاب

(٣) السلع التجارية المصنعة في أسواق خوارزم:

- المنسوجات والملابس
- المصنوعات الجلدية
- المصنوعات الخشبية
- الصناعات المعدنية
- سلع الاستهلاك اليومي

(٤) تجارة الرقيق في الأسواق الخوارزمية

- وسيلة التعامل التجاري وأسعار السلع في خوارزم

وفي النهاية أسأل الله تعالى أن يكون هذا البحث قد أضاف جديدا إلى المكتبة التاريخية والحضارية في جانبها الإسلامي، كما أسأله تعالى أن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علما.

أولا: جغرافية خوارزم وأثرها في تنوع السلع التجارية بالإقليم

تشير رواية مصادر الجغرافية الإسلامية إلى أن خوارزم ليست اسما لمدينة بعينها؛ بل هي اسم لإقليم قائم بذاته منفصل عن إقليمي خراسان[1]، وبلاد ما وراء النهر[2]، وتحيط به الصحراء من كل جانب، ويحده من الشرق نهر جيحون الذي يشق الإقليم إلى نصفين؛ نصف يقع ناحية خراسان، والآخر يقع في بلاد التركستان، بينما يقع في شماليه وغربيه بلاد الترك الغزية، ويقع في جنوبه وشرقه إقليم خراسان، وبلاد ما وراء النهر، وتقع معظم مدنه وقراه على جانبي نهر جيحون، الجانب الشرقي (التركي)، والجانب الغربي (الفارسي)، وكانت قصبته العظمى في الجانب الشرقي مدينة كاث[3] الواقعة شمالي شرق نهر جيحون، أما قصبته الثانية فتقع في جنوبي غرب النهر وهي مدينة الجرجانية المعروفة باسم "كركانج"[4].

وتحيط الصحراء بهضابها ومرتفعاتها وادي نهر جيحون حتى مصبه في بحيرة خوارزم (بحر آرال حاليا)، وعادة ما كانت القناطر والسدود تقام على نهر جيحون لربط مدن الإقليم ببعضها البعض، أو لربط المدينة الواحدة الممتدة على جانبي النهر، ومن الطريف أن جسور بعض المدن في خوارزم كانت ترتفع كل ليلة احتراسا للأمن والحماية مثلما كان الحال في مدينة زمخشر [5].

ويتسم مناخ هذا الإقليم بالبرودة الشديدة معظم أوقات السنة، إذ يعد من أبرد الأقاليم الإسلامية بصفة عامة، وقد شهد بذلك عدد من الجغرافيين والمؤرخين المسلمين[6]، كما يشير الجغرافيون المسلمون إلى تجمد الماء في

نهري سيحون وجيحون خلال فصل الشتاء من كل عام؛ حيث كانت القوافل التجارية تعبر فوقهما ماشية على سطحيهما المتجمدين، وقد يستمر حال النهرين على هذا من شهرين إلى خمسة أشهر في السنة الواحدة[٧]، ويبلغ سمك طبقة الجليد على سطح النهرين خمسة أشبار أو أكثر، ويشير الإصطخري إلى أن الماء في بحيرة خوارزم بجوار الساحل يبقى جامدا طوال أشهر السنة[٨]، ويذكر ياقوت الحموي أن أهل خوارزم كانوا يحفرون فيه آبارا بالمعاول حتى يخرقوه إلى الماء، ثم يسقون من البئر لشربهم، ويحملونه في الجرار[٩].

ونظرا لهذا المناخ شديد البرودة طوال أيام السنة، وما كان يعانيه سكان خوارزم من قسوة الشتاء، فإنهم كانوا يرتدون ملابس خاصة تقيهم بأس هذا المناخ السيئ وضراوته؛ فكانوا يستخدمون المعاطف والعباءات والخفاف المصنوعة من الجلود والفراء، ويلبسون في أيديهم البوز؛ وهي قفازات مصنعة أيضا من جلود الحيوانات لاتقاء شدة البرد[١٠].

ولما كان مناخ خوارزم مؤثرا في ملابس السكان، وطرق معيشتهم؛ فإنه كان مؤثرا أيضًا في تشكيل مهنهم، وأنشطتهم الاقتصادية، فنجد في خوارزم الفلاح والبقال والخباز والحائك[١١]، وكذلك الحداد والنجار، كما كان للمناخ أثره الواضح في تعدد السلع التجارية، وتنوعها في الإقليم، وأيضا في تحديد أسعارها، فقد غدا من مظاهر الكرم عند أهل خوارزم في استضافة الآخرين إيقاد النيران والأحطاب لضيوفهم وقاية لهم من شدة البرد، كما أن الله قد منَّ عليهم برخص الحطب[١٢].

وقد سكن هذا الإقليم أناس كثيرون ينتمون إلى أجناس مختلفة، وبخاصة الفرس والترك[١٣]، بالإضافة إلى بعض العناصر العربية التي سكنت خوارزم، وعملت بالتجارة، وكان وجود هذه العناصر من العوامل

المؤثرة في النشاط الاقتصادي لتلك البلاد، كما أنه ساعد على تقدم حياة المدن، وتغيير أصولها[١٤]، ويبدو أن طبيعة هذه البلاد قد تركت آثارها على السكان في الناحيتين الجسمية والنفسية، بل في تشكيل نشاطهم الاقتصادي وأعمالهم وطريقة مزاولتهم لها، فقد تميز أهل خوارزم بالقامة الطويلة والضخامة، والرؤوس العريضة، والجباه الواسعة، وهم في ذات الوقت أهل بأس وقوة ومروءة ويسار، وقد اعتادوا على السفر والترحال، حيث عرفوا بأنهم من أكثر الناس سفرًا وانتشارا في البلاد الأخرى بحيث لا تجد بلدا من بلاد خراسان إلا وبه من أهل خوارزم جمع كثير[١٥].

ولعل هذا التميز لإقليم خوارزم في موقعه، وجغرافيته، ومناخه، وسكانه، جعله من أهم أقاليم المنطقة على الإطلاق، كما كان لهذا التميز أثره الواضح على تنوع السلع التجارية في الإقليم، فنجد أن معظم هذه السلع قد جاء في هيئته المصنعة المتنوعة، المتعددة التي اشتهر بها الإقليم، أما السلع الزراعية فنجد أن أغلبها مما يتناسب نموه ووفرته مع مناخ الإقليم البارد، وظروفه الطبيعية التي سبقت الإشارة إليها.

وبطبيعة الحال ارتبط الإقليم ارتباطا وثيقا بحركة التجارة مع بلاد البلغار والصقالبة والخزر والصين وسائر بلاد الترك المجاورة.

ثانيا: أسواق خوارزم ونشاط الحركة التجارية بها

يعد سوق المدينة مرآة حياتها الاقتصادية، وعنوان نشاطها التجاري والصناعي، وقد تشابهت الأسواق الإسلامية في مظهرها العام تقريبا، فأغلبها كان مسقوفا كي لا يتعرض لعوامل الطبيعة، والبعض الآخر كان مكشوفًا، وكان لأهل الحرف والصناعات محلات فيها، ولكل صنعة، أو حرفة، أو سلعة تجارية سوق مفردة خاصة بها[١٦].

ولا توجد معلومات في المصادر المتاحة تكشف عن وصف دقيق

لأسواق إقليم خوارزم ومدنه، إلا أنها في الغالب كانت تشبه أسواق الأمصار الإسلامية بصفة عامة، والتي جاءت كما وصفها الشيزري واسعة ومرتفعة، ويكون على جانبي السوق إفريزان يمشى عليهما الناس في زمن الشتاء إذا لم يكن السوق مبلطًا، كما أنه لا يجوز لأحد من تجار السوق إخراج مصطبة دكانه عن أركان السقائف التي تظلل السوق إلى الممر الأصلي؛ لأن ذلك يعتبر عدوانًا على المارة. ومن كانت صنعته تحتاج إلى النار كالخباز والحداد فينبغي أن يكونوا بعيدين عن غيرهم حتى لا تحدث المجانسة بينهم في البضائع، فتقع الأضرار(١٧).

وكانت بعض أسواق خوارزم مغطاة مثلما كان عليه الحال في سوق مدينة زمخشر، ومدينة نوزكاث إحدى مدن خوارزم(١٨)، وكما هو الحال في مدن العالم الإسلامي وحواضره المختلفة، وكان إنشاء الأسواق في خوارزم ومدنها يرتبط غالبًا بموضع المسجد الجامع في المدينة، وذلك لأن المسجد يمثل مكانا عاما للتجمع والتقاء الناس الذين يقصدون المساجد لتأدية الصلاة والتعبد، ومن ثم يسهل على التجار عرض بضائعهم على جمع من الناس، وغالبًا ما مثل ذلك أهميةً دينيةً خاصة، وذلك لكون المسجد هو مركز التجمع الديني والثقافي في المجتمع مما ساعد على نشر الوعي بين الناس، ومن أجل ذلك أيضا كانت تقام الأسواق غالبا بجوار المساجد في معظم حواضر العالم الإسلامي بصفة عامة(١٩).

أما عن نظام العمل داخل السوق، فكان كل قسم من التجار يقيم في موضع معين من السوق يعرضون فيه بضاعتهم، إذ إن ذلك _ كما يقول الشيزري_ أيسر لهم في بيع سلعهم، كما أنه أيسر للمشترين في طلب ما يقصدون(٢٠)، وكان هؤلاء التجار يمكثون في الأسواق إلى ما بعد الظهر، ولا يعودون إلا في المساء شأنهم في ذلك شأن التجار في الأمصار الإسلامية الأخرى(٢١).

كما كان لموقع خوارزم المتميز في منطقة آسيا الوسطى أثره البالغ في توثيق صلاتها التجارية بالدول والإمارات الإسلامية من ناحية، وبالعناصر التركية التي تقطن الأراضي المحيطة بخوارزم صوب الشمال والشرق من ناحية أخرى(٢٢)، إذ ورد إلى الأسواق الخوارزمية العديد من البضائع والسلع المختلفة، وازدهرت حركة البيع والشراء والمبادلة التجارية بين الخوارزميين والتجار القادمين من البلاد المختلفة(٢٣).

وقد أدى هذا الرواج التجاري، وهذه الحركة التجارية النشطة إلى كثرة عدد التجار الخوارزميين داخل البلاد وخارجها، فلم تخل مدينة من مدن خراسان أو آسيا الوسطى من جمع غفير منهم_ كما سبق القول_ وأخذت القوافل التجارية الخارجة من خوارزم والقادمة إليها في حركة دائبة لا تنقطع خلال أشهر السنة عابرة الطرق والمنافذ التجارية إلى بلاد الترك في الشمال والشرق، وإلى الأقاليم الإسلامية الأخرى المجاورة لخوارزم من ناحيتي الجنوب والغرب(٢٤)، ولعب هؤلاء التجار دورا واضحا في نشر الإسلام بين قبائل الترك القاطنة في تلك الأنحاء(٢٥).

كذلك احتلت خوارزم بمدنها وقراها وتميز موقعها مكانة متميزة في المنطقة، وهي_ بالتأكيد_ بمساحتها واستيعابها للسكان، وازدهارها العمراني، ونموها الاقتصادي ضمت مجموعة من الأسواق التي شكلت حركتها، وما يؤديه السوق في رخاء البلاد، واتساع تجارتها، إذ كانت أسواق خوارزم موضع البيع والشراء فيها تتركز فيها مجموعة الدكاكين والمتاجر الجامعة لمظاهر الحياة الزراعية والصناعية والتجارية، ومن ثم أصبحت محور البلاد التجاري، ونشاطها الاقتصادي وسببا مهما من أسباب نهضتها الاقتصادية(٢٦).

ولما كانت الحركة التجارية بخوارزم على هذا النحو من النمو

والازدهار، فقد تطلب ذلك وجود الأسواق اللازمة لعرض البضائع، والسلع المختلفة، والحق أن خوارزم قد عمرت جميع مدنها بالأسواق، وراجت التجارة فيها بشكل كبير، فقد ذكر ياقوت الحموي الذي زار خوارزم سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م أن أكثر ضياعها مدن ذات أسواق وخيرات ودكاكين، وأنه من النادر أن تكون قرية لا سوق فيها، مع أمن شامل وطمأنينة تامة[٢٧].

ولعل تحديد مساحة السوق وموقعه في مدن خوارزم يشكل أهمية كبيرة في دراسة خططها الحضارية والاقتصادية، وحجمها، وحركة النشاط التجاري بداخلها، وبالرغم من عدم وجود معلومات مفصلة في هذا الشأن تقدمها لنا المصادر المتاحة فإن زيارة الرحالة العربي ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) للإقليم قد تفيد في الكشف عن ذلك، حيث شهد بأن خوارزم كانت من أكبر المدن العامرة، وأجملها، وأن بها الأسواق العامرة، يقول: "... ولقد ركبت يوما ودخلت السوق فلما توسطته، وبلغت منتهى الزحام في موضع يقال له الشوار ... لم أستطع أن أجوز ذلك الموضع لكثرة الزحام، وأردت الرجوع فما أمكنني من كثرة الناس، فبقيت متحيرًا، وبعد جهد شديد رجعت ... وتوجهت إلى المسجد الجامع والمدرسة"[٢٨].

ويكشف نص ابن بطوطة السابق عن اتساع حجم السوق في خوارزم، وكونه مزدحما بالناس فإن ذلك يعكس أهمية هذه الأسواق في استقطاب التجار من الداخل والخارج، كما أن ذكره لقرب السوق من المسجد الجامع في البلاد يؤكد لنا ما سبق ذكره من ارتباط الأسواق بالمساجد الجامعة عادة، ومن ناحية أخرى يكشف النص عن مدى رواج التجارة الداخلية في أسواق خوارزم، ولا غرو فهي من قديم الزمان مشهورة بالأسواق العامرة المفيدة لأهل التجارات المختلفة كما يقول المقدسي[٢٩].

كما عرفت في خوارزم أسواق بعينها مشهورة بمسمياتها؛ فإلى جانب

سوق الشوار الذي أشار إليه ابن بطوطة سابقا، كانت هناك سوق أخرى تعرف باسم سوق "القيسارية"(٣٠)، وكذلك حفلت المدن التابعة للإقليم جميعها بالأسواق، فكان **بالجرجانية** وحدها عدة أسواق جميعها عامرة، مزدحمة بالناس حتى يظهر لمن يزورها أنه "لا فرق بين أسواقها ورستاقها"(٣١)، أيضًا كانت المدينة متجرا للأتراك الغزية، ومنها تخرج القوافل إلى أرض الخزر(٣٢)، وجرجان(٣٣)، ثم إلى البلاد الأخرى وخراسان(٣٤)، كما أنها كانت محطة أساسية للقوافل التجارية القادمة من الصين وآسيا الوسطى، وكان بعض التجار الغربيين يعمدون إلى بيع بضائعهم في أسواقها المزدحمة بالناس، حيث كان هؤلاء يجدون في ذلك فوائد جمة أهمها الكسب الوفير، والتخلص من السلع والبضائع الثقيلة قبل مواصلة رحلة السفر(٣٥).

ونظرا لكثرة السلع التجارية المصنوعة بها، أو الواردة إلى متاجرها الداخلية، فقد أصبحت الجرجانية بأسواقها من أعظم وأكبر أسواق العواصم الإسلامية، بحيث لم ير الرحالة ياقوت الحموي الذي زارها سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م "أعظم منها مدينة، ولا أكثر أموالا، ولا أحسن أحوالا"(٣٦).

وعلى نحو الجرجانية كانت مدينة **"كـــاث"** هي الأخرى متجرا مشهورا للأتراك وغيرهم، حيث كانت فرضة لبلاد الترك، وملتقى القوافل التجارية الآتية من هناك، وكانت أسواقها تقع على جانبي نهر جردور(٣٧) الذي يشق المدينة بالأسواق العامرة، والتجارات الوفيرة(٣٨).

ومثل كاث والجرجانية كانت بقية المدن الخوارزمية ومنها زمخشر وهزاراسب(٣٩) وبراتكين(٤٠) وغيرها من المدن، حيث كانت جميعها عامرة بالأسواق وكان أهلها أهل ثروة وتجارات وبضائع وفيرة(٤١).

ويتضح من كل ما سبق أن الأسواق في خوارزم كانت على ثلاثة أنواع:

- الأسواق المدنية التي تتركز في المدن الكبرى

- الأسواق الريفية
- الأسواق الموسمية المشهورة بسلع معينة

وكانت مدن خوارزم_ بصفة عامة_ تمثل أسواقا لكل ما يحيط بها من قرى، فهي مخزن طبيعي لغلال تلك القرى ومنتجاتها، وهي كذلك مركز تباع فيه السلع التي يحتاجها أهل القرية الذين يحرصون على الحضور إلى الأسواق الكبرى التي تقام في تلك المدن خلال أيام محددة من كل أسبوع[٤٢]، ومن أشهر الأسواق المدنية في خوارزم ما سبقت الإشارة إليه في مدن الجرجانية وكاث ونوزوار وبراتكين وغيرها في خوارزم، أما عن أسواقها الريفية، فقد سبقت الإشارة إلى تأكيد الرحالة ياقوت الحموي الذي زار الإقليم سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م على أن أكثر ضياع خوارزم مدن ذات أسواق وخيرات ودكاكين، وأنه من النادر أن تكون قرية لا سوق فيها، مع أمن شامل وطمَأنينة تامة[٤٣]. ومن الأسواق الموسمية في خوارزم: سوق تجارة الأغنام وأصوافها وأوبارها في مدينة الجرجانية، وكذلك سوق الكرابيس بالجرجانية أيضا. [٤٤]

كمًا كانت برودة المناخ تؤثر أحيانا على الحركة التجارية داخل أسواق المدن الخوارزمية، فعندما كان البرد يشتد كانت "الشوارع تخلو من المارة، ويطوف الإنسان الشوارع والأسواق فلا يجد أحدا"[٤٥].

أيضًا كانت التجارة والسلع التجارية سببا من أسباب وجود علاقات تجارية بين المسلمين بخوارزم وبين أقوام الترك والمغول والصين، فقد كان هناك تجار التحقوا بخدمة المغول، وكان هؤلاء _كما يقول بارتولد_ من أكبر ممثلي الحضارة للأتراك والمغول[٤٦]، وقد ارتبطت تجارة تلك الأنحاء عن طريقهم وكانوا يعتمدون في نجاح تجاراتهم واستمرارها على استتباب الأمن والاستقرار على طول طرق القوافل، وتنوع السلع التجارية التي يتاجرون

بها، والتي كان متنوعة في أسواق خوارزم(٤٧)، كما انتشرت السلع الخوارزمية وبخاصة المنسوجات والفواكه في الأسواق الصينية(٤٨).

وفيما يلي عرض لأنواع السلع التجارية التي انتشرت تجارتها في الأسواق الخوارزمية.

(١) الثروة الحيوانية ومنتجاتها في أسواق خوارزم:

كان لهجرة بعض القبائل التركية منذ فترة كبيرة واستقرارها ببلاد ما وراء النهر وخوارزم أثر واضح في انتشار حرفة الرعي وتربية الحيوان بين السكان(٤٩)، إذ وجدت هذه القبائل في هذه المناطق بيئة صالحة لممارسة هذه المهنة، فالنباتات تكسو سفوح الجبال في الجنوب والغرب(٥٠) والصحراء المليئة بالأعشاب تمتد لمساحات شاسعة في الشمال، وكانت هذه المناطق تستغل بدورها كمراع لماشية هؤلاء البدو الرحل(٥١).

ونتيجة لكثرة المراعي وغناها، وكثرة المياه العذبة بجوارها فقد وصفت هذه البلاد بكثرة قطعان الماشية بها، وزاد ارتباط الأهالي بتربية هذه الحيوانات التي توفر لهم اللحوم والألبان والجلود والأموال بلا كبير عناء ولا كلفة(٥٢)، ولذا نجد القطيع منها عند بعض العامة قد يبلغ عدده الخمسمائة رأس(٥٣)، وقد لاحظ ماركوبولو في منطقة بذخشان ووخان بنواحي بلاد ما وراء النهر وجود عدد كبير من قطعان الأغنام البرية، وذكر أنه رغم استغلال الأهالي لها وذبح عدد كبير منها، إلا أنها لا يظهر عليها النقص(٥٤)، وقد أثرت كثرة هذه القطعان في توفر الألبان واللحوم، ورخص أسعارها بصفة عامة(٥٥).

أما عن أنواع القطعان التي كانت تربى بخوارزم، فكانت بها الأغنام، وهي الأكثر عددًا عندهم(٥٦)، وهم يقتنون أيضًا قطعان

الأبقار والخيول، بالإضافة إلى اعتماد السكان على هذه الأنواع بصورة كبيرة كان لديهم أيضًا الإبل البُخْت والبغال والحمير التي تربى للحمل وأعمال الحقل [٥٧].

كذلك كانت تربية الحيوان والاستفادة بما ينتجه أحد مصادر الدخل الأساسية لأهل خوارزم، ويؤكد الإصطخري على أن أغلب يسار أهل خوارزم وغناهم كان من متاجرهم، واقتنائهم المواشي [٥٨]، وتأسيسا على هذا يمكن القول بأن تجارة الحيوان كانت من السلع الأساسية التي تعرض في الأسواق الخوارزمية، إذ كانت أسواق خوارزم تضم الجمال التركية [٥٩]، وتباع الأغنام في أسواق العاصمة الجرجانية [٦٠] كما اهتم أهالي خوارزم برعي قطعان كبيرة من الماشية والماعز والضأن في المراعي الواسعة قرب الصحاري التي تحيط بالإقليم [٦١] حيث كانت تؤخذ منها الأصواف التي تستخدم في صناعة المنسوجات، أيضًا قرب بحر آرال كانت تُرعى قطعان الماشية التي يحصل منها السكان على اللبن والجبن وهما من السلع الأساسية في متاجرتهم اليومية [٦٢]، كما اهتموا بتربية الجمال، والحمير، والبغال، والخيل، وعرفت في أسواقهم الخيل "الهماليج" الفرهة [٦٣]، كذلك اشتهرت في أسواق خوارزم الخيول المستوردة من بلاد البلغار، حيث كانت تنقل منها إلى البلاد الأخرى [٦٤].

ولم يمنع توفر اللحوم بهذه البلاد من تربية الطيور الداجنة، إذ كان الأهالي يجيدون تربية أنواع ممتازة منها، وبخاصة الدجاج [٦٥]، والأرانب البيض والبزاة البيض [٦٦]، ووجدت كذلك مجموعة أخرى مختلفة من الحيوانات والطيور التي يفيد منها الأهالي مثل الحمام والكراكي [٦٧]، والسمور [٦٨]، والفنك [٦٩]، والقاقم [٧٠]، كما كانت تباع في أسواقهم الثعالب الحمر والسود [٧١].

أيضًا نشطت حركة التجارة بين أهل خوارزم والرعاة سكان السهوب والبراري، فقد كانوا يأخذون منهم قطعان الماشية، وفي بلاد ما وراء النهر كما هو في الصين وروسيا يسوقون هذه القطعان إلى مناطق الحدود التي يقطنها الحضر دون أن ينتظروا وصول القوافل التجارية إلى بواديهم، وكان أكثر من أفاد من التجارة مع هؤلاء الرعاة أهل خوارزم الذين كانت تعتمد ثروتهم_ بشكل كبير_ على تجارتهم مع الأتراك كما أشار الإصطخري (٧٢).

وفي أسواق مدينة الجرجانية كانت تعرض سلع مختلفة تعتمد في الأساس على وجود الثروة الحيوانية، ولعل من أهمها المنسوجات الصوفية، ومختلف أنواع الفراء، حيث وُجد أشهرها وأغلاها في مدينة الجرجانية، وقد ذكر المقدسي أصنافا كثيرة من هذه الفراء منها: فراء الدلة أو الدلق، وفراء السمور، وفراء الثعالب والسناجب، ونوعان من القندس، والقاقم، والفنك، وابن عرس، وكانت تصنع منها الحلل الطويلة والقصيرة، وتحمل منها جلود الأرانب والماعز المدبوغة، وكذا جلود الحمر الوحشية(٧٣)، كما يوجد بها المسك الممتاز الذي يحضرونه من غزلان مرتفعات التبت، والذي يطلب بأسعار مرتفعة(٧٤).

كذلك شكلت تجارة الأغنام وفرائها وفراء السمور والسنجاب، وكذا تجارة الكباش المخصاة حلقة وصل بين خوارزم وأقوام الترك والمغول في الأراضي الشرقية والشمالية(٧٥)، كما كانت هذه السلع من أدوات تطلع هذه الأقوام إلى الأراضي الخوارزمية باعتبارها مصدر خير لهم على الدوام، وقد رُوي أن أحد التجار انضم إلى خدمة جنكيز خان المغولي، وكان أول اتصاله بالمغول عمله تاجرا في عدد من الكباش المخصاة قدرت بألف كبش جاء بها إلى تلك البلاد ليستبدل بها فرو السمور والسنجاب، وأن هذه الكباش أغرت الأتباع فالتفوا حول جنكيز خان مكونا بهم قوة جديدة(٧٦).

وفي أسواق المدن الخوارزمية تاجر الناس كذلك بالأسماك وما يؤخذ منها، إذ اشتهرت هذه البلاد بغناها في الثروة السمكية، وذلك بفضل كثرة الأنهار بها[٧٧]، لذا كان بعض أهالي هذه البلاد يمتهنون صيد الأسماك[٧٨]، وكانوا يخرجون أنواعًا كثيرة من الأسماك الشهية وبخاصة سمك السلمون الأرقط[٧٩]، كما حفلت هذه الأسواق بأنواع مختلفة من الأسماك المملحة، وكانت تصدر منها أنواع مختلفة من الأسماك التي تخرج من بحيرة خوارزم[٨٠]، لذا كان من الطبيعي أن تعرض هذه الأسماك في أسواق البلاد[٨١]، وارتبطت بتجارتها تجارة سلع أخرى في الأسواق منها غراء السمك، وأسنان السمك... وغير ذلك[٨٢].

(٢) السلع التجارية الزراعية في أسواق خوارزم:

تأثرت حركة التجارة في أسواق المدن الخوارزمية تأثرا واضحا بطابع تلك المدن، وما إذا كانت صناعية أم زراعية، وعليه كانت تنشط حركة التجارة في السوق، ويتعين_ على الأغلب_ تنوع البضاعة التي تكون قيد التجارة[٨٣].

وكان إقليم خوارزم من أشهر الأقاليم الزراعية وأهمها في منطقة آسيا الوسطى، فهو يقع على جانبي نهر جيحون، ويستحوذ على دلتاه الخصبة التي يبلغ امتدادها نحو ثلاثمائة ميل حتى مصب النهر في بحيرة خوارزم، واشتهرت أرض خوارزم بخصوبتها[٨٤].

وبالرغم من أن ياقوت الحموي كان قد زار خوارزم سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م، وشهد برداءة تربتها، وكثرة النزور بها[٨٥]؛ فإنه_ بلا شك_ كان يشير إلى عدم صلاحية بعض الأراضي لزراعة محاصيل بعينها كان قد اعتاد على رؤيتها في البلاد التي كان يتنقل بين ربوعها، ولكن إقليم خوارزم كانت له خصوصيته حتى في الزراعة، حيث كانت طبيعة الإقليم

ومناخه يسمحان فقط بزراعة أنواع معينة من المحاصيل التي تتوافق طبيعة نموها مع مناخ هذه البلاد الذي يميل إلى البرودة طوال فصول السنة كما سبقت الإشارة.

وفيما يلي عرض لأهم السلع التجارية القائمة على المنتجات الزراعية في خوارزم:

(أ) الحبوب:

راجت في الأسواق الخوارزمية تجارة السلع المحلية التي تنتجها أراضي الإقليم، ومن أهمها الحبوب بأنواعها المختلفة ومنها الأرز الذي كان يزرع بكثرة في خوارزم في الأراضي المرتفعة، وكانت وفرة المياه وتعدد مصادرها بالبلاد عاملا مشجعا على زراعة الأرز والتجارة به إذ تحتاج زراعته وإنتاجه إلى مياه غزيرة، وتربة طينية توفرت في أراضي الإقليم، ومنها كذلك السمسم، والحنطة، والحمص، والقطن[٨٦]، وهي حبوب ومنتجات كانت تشكل المصدر الأول لملابس السكان واحتياجاتهم الغذائية، بالإضافة إلى استخدامها في التجارة، وعمليات المقايضة والتبادل التجاري داخل الأسواق.

ويشير الإصطخري إلى عدم وجود محصول الجوز في أسواق خوارزم؛ لأنه لم يكن يزرع بها، بل كان يزرع في مناطق أخرى تابعة، في حين يؤكد على غنى البلاد بأنواع أخرى كثيرة من الحبوب والفواكه[٨٧].

ومن أهم الحبوب التي انتشرت تجارتها أيضا في أسواق خوارزم البندق، واللوز، والجوز الذي كان وفيرا في أسواق مدينة شكث بخوارزم[٨٨]، حيث كانت هذه السلع تنقل منها إلى البلاد الأخرى، فقد كانت حبوب خوارزم وغلالها تنقل إلى إقليم خراسان، ووجدت بكثرة في أسواق مدينة بلخ[٨٩] التي صدرت محاصيلها هي الأخرى إلى خوارزم في عمليات تبادل تجاري[٩٠].

(ب) الفواكـــــه:

راجت في الأسواق الخوارزمية تجارة أنواع مختلفة من الفواكه، فقد كانت خوارزم من أهم أقاليم المشرق إنتاجا للفواكه لا سيما الكروم بأنواعها(٩١) والتي انتشرت بكثرة في أسواق مدينة دَرْغَان(٩٢) على بعد ستة أميال من خوارزم، حيث أكد المقدسي على كثرة الكروم والزبيب بها(٩٣)، كما شهد القزويني بأن ثمار خوارزم "مَن أطيب الثمار وأشهاها، وألذها، وأحلاها، وأنماها، وأمراها"(٩٤)، ومن هذه الثمار ثمار الرمان، والكمثرى، والعنب(٩٥).

ويبقى بطيخ خوارزم أهم سلعها التجارية على الإطلاق في باب السلع الزراعية، وقد شهد بحلاوته وطيبه كل من زار الإقليم من الرحالة المسلمين(٩٦)، فقد اعتاد أهل خوارزم على زراعة البطيخ في الأرض التي يزرع فيها الشوك، حيث يشقون أصول هذا الشوك وقضبانه ويضعون فيها بذور البطيخ ويتركونها تنمو بنداوة الشوك دون الحاجة إلى سقي ولا أعمال الزراعة الأخرى، ويتركونه حتى أوان نضج البطيخ، فيذهبون لجمعه، فيجدون الأرض ممتلئة بالبطيخ الذي كان من عجائب الإقليم؛ إذ لم يكن يوجد مثله في مكان من البلاد الأخرى حلاوة وطيبا ورخصا في السعر بسبب كثرته وقلة مؤونته(٩٧).

كما مدح الرحالة العربي ابن بطوطة بطيخ خوارزم بقوله: "لا نظير له في بلاد الدنيا شرقا ولا غربا ... صادق الحلاوة وفيه صلابة ... وليس في جميع فواكه اليابسة أطيب منه ..." (٩٨)، وبلغ من حبه له، وحرصه على شرائه وتناوله أنه كان حريصا على شرائه وهو في مدينة دلهي بالهند، حيث كان بطيخ خوارزم ينقل إلى هناك، وكان ملك الهند يرسل إلى ابن بطوطة بعض هذا البطيخ كهدية(٩٩).

وقد شكل البطيخ الخوارزمي سلعة أساسية من سلع التجارة الداخلية والخارجية للإقليم، حيث يذكر الثعالبي أن بطيخ خوارزم كان معروفا باسم "البارنْج"، وأنه من أطيب أنواع البطيخ على الإطلاق، لدرجة أنه كان ينقل منها إلى الخلفاء العباسيين في بغداد في قوالب معبأة بالثلج لدرجة أن الواحدة منه كانت تبلغ أحيانا ثمنا مرتفعا قد يصل إلى سبعمائة درهم[١٠٠]، كما أنه كان يحمل من خوارزم إلى الهند والصين[١٠١]، وكان التجار يجففون هذا البطيخ عن طريق "التقديد"، وهي طريقة تشبه حاليا تجفيف ثمار الفواكه والخضروات[١٠٢] ، إذ يقددونه ويبيتونه في الشمس، ثم يجعلونه في قوالب من الرصاص أو النحاس المعبأة بالثلج تمهيدا لنقله إلى البلاد الأخرى عبر رحلاتهم التجارية[١٠٣].

كذلك ارتبطت بزراعة البطيخ وإنتاجه في خوارزم_ كما رأينا_ زراعة النباتات الشوكية، فقد كان بأرضهم شوك طِوِيل الإبَر يعرف بالفارسية باسم "اشتركاز"؛ وهو الشوك الذي كان يقع عليه الترنجين بأرض خراسان، وكانت هذه النباتات الشوكية تستخدم في صناعة الصمغ، وبعض المواد والعقاقير الطبيّة الأخرى[١٠٤].

(ج) الأخشـــاب:

تشير المصادر إلى أن أهل خوارزم اختلفوا حول شجر التوت؛ إذ كانوا يستخدمون خشبه في العمارة، وأوراقه لطعام دود الإبريسم "القز"[١٠٥]، ويؤكد ياقوت الحموي على أن الشجر الغالب على أرض خوارزم هو شجر التوت [١٠٦]، ولذلك نجد انتشار تجارة أوراقه وأخشابه في أسواق البلاد الخوارزمية، حيث كان أهل الإقليم على دراية وخبرة كبيرة بتربية دود القز كما سبق القول.

كذلك انتشرت في أسواق خوارزم تجارة أخشاب الأشجار التي كانت

تستخدم في عمل الأثاث المنزلي، وصنع القسي وغيرها، فإلى جانب خشب شجر التوت كانت تنمو في الإقليم أشجار الحور الأبيض "التوز"، وشجر آخر عرف باسم "الطاغ"، حيث كانت أخشابها تستخدم في صناعة الأثاث، بينما تستخدم فروعها وأوراقها كحطب للتدفئة من شدة برد الشتاء، حيث تميز الحطب في خوارزم برخص السعر والوفرة(١٠٧).

(٣) السلع التجارية المصنعة في الأسواق الخوارزمية:

تعددت أنواع الأنشطة اليومية لسكان خوارزم، كما تنوعت أعمالهم وحرفهم ومهنهم على اختلاف ألوانهم، وتعدد لغاتهم وأجناسهم، فكان منهم البقال، والخباز، والحائك(١٠٨)، وكذلك منهم الحداد والنجار حتى أن منهم من كان يقوم بتربية دود القز لاستخراج الحرير منه، حيث كان هؤلاء ذوي خبرة عريضة في هذا المجال(١٠٩).

كما كان أهل مدينة كاث مياسير، وبناؤها حذاقا(١١٠)، وكان في هزاراسب بزازون وأهل ثروة(١١١)، أما أصحاب الحرف والصناعات فكانوا من أمهر الناس، وأكثرهم تفانيا في إتقان عملهم، فقد شهد القزويني لأهل خوارزم بأنهم أهل الصناعات الدقيقة الذين يبالغون في التدقيق في صناعاتهم(١١٢)، كما شهد المؤرخ السمعاني (ت٥٦٢هـ/١١٦٧م) بشهرة بيوت بعينها في خوارزم في مجال العمل التجاري، ذكر منهم بيت البرقي الذين اشتهروا بتجارة الحملان، وأنهم نقلوا معهم هذه التجارة حينما رحلوا إلى بخارى(١١٣).

وفيما يلي عرض لأهم السلع المصنعة التي انتشرت تجارتها في أسواق خوارزم:

(أ) المنسوجات والملابس:

عرفت الحضارة الإسلامية_ بشكل عام_ بأنها حضارة النسيج، نسيج من أجل الكساء والأثاث، حيث يستخدم القماش والنسيج لصنع الملابس، وتزيين المنازل، وصناعة السجاد، بالإضافة إلى صناعة الرايات والخيام(١١٤).

وتشير المصادر المتاحة إلى وفرة المواد النسيجية اللازمة لازدهار صناعة النسيج، ووفرة السلع التجارية من هذا النوع في أسواق خوارزم، ومن أهم هذه السلع المنسوجات والثياب المختلفة وبخاصة المصنعة من القطن والصوف والحرير، حيث كانت هذه المنسوجات تكفي الاستخدام المحلي وما زاد عن الحاجة كان ينقل إلى البلاد الأخرى(١١٥).

كما اشتهرت مدينة هزاراسب ببيع الثياب في أسواقها، وتصديرها للخارج(١١٦)، وعمرت الأسواق الخوارزمية بالثياب القطنية الويذارية التي كانت تصنع في "ويذار" شرقي مدينة سمرقند ببلاد ما وراء النهر، وتنقل إلى كافة البلاد والمدن المحيطة، ومنها خوارزم، وهي ثياب جميلة لينة الملمس، كان يلبسها علية القوم، وأصحاب الوظائف الراقية في البلاد، حيث كان يصل ثمن الثوب الواحدة منها إلى عشرين دينارًا(١١٧).

وفي أسواق خوارزم انتشرت أنواع اللحف والديباج المصنع من القطن والحرير، وأولى أهل البلاد اهتماما خاصا بصناعة المنسوجات الصوفية والكرابيس المميزة المعروفة باسم "الآرنج"(١١٨)، ومرد ذلك إلى قسوة المناخ، وشدة البرودة في بلادهم، حيث يتساقط الجليد، وتستمر الثلوج فترة طويلة من السنة، ولذا كانت الثياب الثقيلة هي المفضلة لدى البدو الرحل منهم، وكانت غالبًا تنسج من الصوف، وبعضها من القطن، ومن أشهرها كذلك الثياب المعروفة بالبخارية(١١٩) الآتية إلى أسواقهم من مدينة بخارى، كما وجدت في

أسواق خوارزم مختلف أنواع السراويل المبطنة، والقراطق، واللباد، والبرانس، والقلانس التي كانت من مميزات ملابسهم الخاصة، واشتهر في السوق الخوارزمي نوع معروف من الديباج عرف باسم "بيشكش"(١٢٠).

ولما كانت الأغنام أحد مصادر الثروة الرئيسية في خوارزم، ومجال عمل كثير من أهل البلاد بتجارتها، حيث كانت تجلب إليها أعداد وفيرة من قطعان الأغنام من بلاد الترك؛ فقد استغلوا أصوافها وأوبارها لصناعة المنسوجات والأوبار، واشتهرت هذه السلع في الأسواق حيث كانت تنقل من خوارزم إلى البلاد الأخرى(١٢١).

ومن أهم السلع التي كانت تباع في أسواق خوارزم المنسوجات الحريرية التي كانت صناعتها والتجارة بها من الحرف القديمة في الإقليم، وقد تأثرت بصناعة الحرير وتجارته في بلاد الترك والصين وآسيا الوسطى، وكانت تعتمد في خوارزم في الأساس على وفرة أشجار التوت التي يربى على أوراقها دود القز، حيث كانت هذه الأشجار منتشرة في خوارزم بكثرة، ومن ثم قام عدد كبير من السكان بتربية دود القز، وإنتاج خام الحرير، كما حفزت دواعي الاستعمال اليومي، والاستهلاك المحلي ومطالب الترف من المنسوجات الحريرية إلى مضاعفة الإنتاج منها، وإلى ازدياد حجم المصدر منها إلى الخارج(١٢٢).

وبفضل التعامل التجاري مع الصين تأثرت صناعة الحرير في خوارزم بالحرير الصيني الشهير، الذي كان يعد أهم منتجات الصين على الإطلاق، وهو المنتج الذي كان تجار الغرب يطلبونه قبل أي شيء في ذلك الزمان، وكثيرا ما كان يستوقف ياقوت وماركو بولو وصف المدن الخوارزمية التي تكثر بها زراعة أشجار التوت، وتربية دود القز لاستخرج الحرير(١٢٣)، قد وُجد في الأسواق الخوارزمية الثوب الصيني المعروف

بالكينكوب، والتفتا الذي كان يصنع من الحرير، وينتج بكميات وفيرة، وكان منها ما يبطن من الداخل بالفراء، أو ينسج بخيوط الذهب، وكلها تصبغ عندهم بالألوان الجميلة(١٢٤).

ولم يقف التأثير على صناعة النسيج الخوارزمي على الصين وحدها، بل تركت مصر أثرها عليه أيضا، ومما يقف دليلا على ذلك إطلاق اسم الدبيقي (نسبة إلى بلدة دبيق بمصر) على ضرب من النسيج انتشرت صناعته وتجارته في خوارزم(١٢٥).

وقد ارتبطت بصناعة النسيج وتجارته في خوارزم بعض الحرف اليدوية التي عمل بها نساء خوارزم منها أعمال التطريز، والأشغال اليدوية، إذ كن يعملن "صناعات مليحة كالخياطة، والتطريز، والأعمال الدقيقة"(١٢٦)، وبالإضافة إلى صناعة وتجارة المنسوجات والثياب راجت في أسواق خوارزم كذلك أنواع متعددة من البسط، والسجاجيد، والمصليات، والمناديل، والخيام، والأقبية(١٢٧).

(ب) المصنوعات الجلدية:

من السلع التجارية المهمة التي انتشرت في الأسواق الخوارزمية، واعتمدت على وفرة المواد الخام، المنتجات الجلدية، ومختلف السلع القائمة على صناعة الجلود والفراء، فقد عرف أهل خوارزم الصناعات المعتمدة على الجلود، إذ كانت لديهم دراية كبيرة بدباغة وتجهيز جلود الأغنام، والأبقار، وفراء الثعالب، والسمور، والسنجاب، والفنك، والقاقم، والتي كانت تصدر في هيئة سلع مصنعة كالعباءات، أو المعاطف، والقلانس، والقفازات التي كانوا يصنعونها من جلود الحيوانات لاتقاء البرد والصقيع، كما صنعوا من الجلود اللم، والسيور(١٢٨)، وسائر أنواع الوبر، والحبال التي كانوا يصنعونها من جلود الماعز، والسروج "الكيمخت" التي كانوا يصنعونها من

جلود الحمر الوحشية، كما تاجر البعض بالجلود المدبوغة المأخوذة من الماعز والأرانب(١٢٩).

وقد أكد ابن فضلان على أن أسواق خوارزم كانت بها سلع من مصنوعات جلدية، وأكسية تركية، وجلود الأغنام والجمال التي كانت تستخدم في إكساء الجلابيب خشية البرد(١٣٠)، كما أنهم كانوا يستوردون بعض الجلود من بلاد البلغار، ويتاجرون بها في أسواقهم(١٣١).

(ج) الصناعات الخشبية:

انتشرت في أسواق خوارزم بعض الصناعات التي قامت على وفرة الأخشاب، ومنها صناعة الآلات من أخشاب العاج والأبنوس، ويشير القزويني إلى أن هذه السلع لم تكن تصنع في غير خوارزم إلا في قرية يقال لها "طرْق" من أعمال أصبهان (١٣٢). كما صنعوا من الأخشاب النشاب، والقسي الفاخرة(١٣٣)، واشتهرت في الأسواق "القسي الخوارزمية" الجيدة القوية التي لا يقوى على كسرها إلا أشد الرجال(١٣٤)، ومن شجر التوز صنعوا أغلفة الدروع(١٣٥)، والسفن والقوارب الصغيرة وكانت هذه الصناعة تقوم على نحت جذوع الأشجار لصناعة السفن والقوارب، التي تستخدم في أعمال الملاحة داخل الأنهار الصغيرة بخوارزم(١٣٦).

(د) الصناعات المعدنية:

كانت ندرة الثروة المعدنية في خوارزم سببا في عدم وفرة السلع المعدنية التي تقوم على هذه الثروة، ولذا فإن تجارة السلع القائمة على وفرة المعادن كانت تعتمد في الأساس على ما يأتي إلى خوارزم من البلاد الأخرى، بالإضافة إلى السلع القليلة المصنعة محليا.

وتجدر الإشارة إلى أن بلاد خوارزم ليست بعيدة عن موطن وفرة المعادن في بلاد التبت وخراسان والتركستان، وهي بلاد اشتهرت بوفرة

معدني الذهب والفضة[١٣٧]، اللذين يستخدمان في التعامل التجاري، وسك النقود اللازمة لعميات البيع والشراء والتعامل اليومي.

ولما كان استخراج المعادن من باطن الأرض يتطلب استخدام الأخشاب بشكل كبير، فإن أهل خوارزم _على ما يبدو_ لم ينفقوا ثروتهم من الأخشاب والأحطاب في ذلك، إذ كانت حاجتهم لهذه الثروة أكثر من حاجتهم لاستخراج المعادن، وربما يعود ذلك أيضا إلى عدم وفرة الثروة المعدنية في بلادهم_ بشكل كبير_ كما أكد الإصطخري على ذلك حينما أشار إلى ندرة وجود معدني الذهب والفضة وجواهر الأرض الأخرى في خوارزم[١٣٨].

ورغم كل ما سبق، فهناك رواية للجغرافي القزويني يشير فيها إلى وجود بعض المعادن في أرض خوارزم منها حجر يشبه البطيخ يعرف بالحجر اليهودي كان أهل خوارزم يستخرجونه من بحيرة صغيرة تخرج من جيحون، وتبعد مسافة ست مراحل من خوارزم، وكان هذا الحجر يستخدم في علاج أمراض المثانة[١٣٩].

ولذلك فإن السلع القائمة على الثروة المعدنية التي عرضت في أسواق خوارزم كان أغلبها صناعات محلية بسيطة تعتمد على الحاجة الاستهلاكية مثل السيوف، والسكاكين، والخناجر، وصنع الحدادون الأقفال الحديدية، بالإضافة إلى بعض آلات الحرب البسيطة مثل الدروع، والسهام، والحراب، ويلاحظ على كل حال أن تلك كانت أسلحة بسيطة يحتاجها أهل الثغور الخوارزمية في مواجهتهم القبائل التركية[١٤٠].

وعن السلع المعدنية المستوردة، فقد انتشرت في أسواق خوارزم لاسيما في العاصمة الجرجانية السيوف المستوردة الآتية من الغرب الأوروبي إلى بلاد الصقالبة، ومنها إلى خوارزم ومدن الشرق الإسلامي عامة.[١٤١]

(هـ) سلع الاستهلاك اليومي:

انتشرت في الأسواق الخوارزمية بعض السلع التي كان السكان يستخدمونها بشكل يومي، ومنها العسل والجبن والعنبر والصابون، وأنواع مختلفة من المربات، والحلوى، والزبيب، والملبن، والكعك(١٤٢)، وراجت تجارة الزيوت ومشتقاتها كالشمع، والسمن، وقصب الطيب، وغير ذلك، كما أنهم كانوا يصنعون الغراء من قشور الأسماك وأسنانها.(١٤٣)

(٤) تجارة الرقيق في الأسواق الخوارزمية:

كانت تجارة الرقيق من سمات الحياة العامة في العصور الوسطى، وعرفت أسواق المدن الإسلامية عامة الكثير من أنواع الرقيق والعبيد؛ منها الجواري، والإماء، والقينات، وأمهات الأولاد، والغلاميات، ومن الذكور الخصي وعبد الرق وعبد الشهوة وغير ذلك، وكان هؤلاء العبيد والرقيق يباعون في الأسواق للعمل في البيوت أو المزارع، أو يلتحقون بالجيوش كعناصر مرتزقة(١٤٤).

وكانت تجارة الرقيق تعتمد آنذاك على ثلاث مناطق رئيسية لجلب الأعداد الهائلة منهم، وهي بلاد الصقالبة، ثم بلاد الترك في سهوب آسيا الوسطى، وبعض المناطق الأفريقية(١٤٥).

وكحال التجار عامة وجد تجار خوارزم الربح في الاتجار بالرقيق، فانتشرت في بلادهم وأسواقهم هذه التجارة، وغدا الرقيق من السلع الأساسية التي تعرض في الأسواق الخوارزمية، فقد امتلأت هذه الأسواق بالرقيق الأبيض من الأتراك المجلوب من بلاد الصقالبة والخزر وما والاها، حيث كانت هذه البلاد من المصادر الأساسية التي أمدت أسواق خوارزم بالرقيق(١٤٦).

ويشير القزويني إلى أن خوارزم اشتهرت بنوع من الرقيق عرف

باسم "الرقيق الروقة"، وكان أهل خوارزم يأسرون الأتراك بأعداد كبيرة منتهزين فرصة تشابه صفاتهم الجسمانية معهم، وقد أشار المقدسي إلى ذلك بقوله: كانوا يغزون الترك ويأسرونهم، وفيهم شبه من الترك، فما كانوا يعرفون، فربما وقعوا إلى الإسلام، فبيعوا في الرقيق..." (١٤٧).

كما كان أهل خوارزم يشترون بعض أولاد وبنات بدو البراري القريبة، وكانوا أحيانا يسترقونهم، ثم يقومون بعد ذلك على تأديبهم وتربيتهم للاكتساب من ورائهم، أو بيعهم(١٤٨)، فكانت أسواق خوارزم أحد المصادر الأساسية للمتاجرة بالرقيق وخصوصًا في العاصمة الجرجانية، حيث كان يقع إليها_ كما سبق القول_ أكثر الرقيق الصقلبي والتركي(١٤٩)، وهؤلاء كانوا ينقلون من خوارزم عبر صحراء آسيا الوسطى إلى إيران، ثم يتم بيعهم إلى بلاد ما بين النهرين، والبلاد الإسلامية الأخرى(١٥٠).

- **وسيلة التعامل التجاري وأسعار السلع في أسواق خوارزم:**

اعتمدت التجارة الداخلية في الأسواق الخوارزمية على عملتي الدرهم والدينار(١٥١) بالإضافة إلى وسيلة المقايضة التجارية المعروفة منذ القدم في التعامل التجاري وخصوصًا مع الأقوام القاطنين في بلاد الروس والصقالبة(١٥٢)، وكان أهل خوارزم يسمون الدرهم طازجة، ووزنه أربعة دوانيق ونصف، وكان الصيارفة يبيعون الكعاب والدوامات والدراهم، وجعل أهل خوارزم الدراهم أربعة دوانيق لكي لا يخرجها التجار من بلادهم، يقول المقدسي عن ذلك: "فإلى اليوم الفضة تحمل إلينا، ولا تخرج من عندنا"(١٥٣)، وقد لفت انتباه ابن فضلان في رحلته الدراهم المزيفة في خوارزم: يقول: "رأيت دراهم مزيفة وزيوفا وصفر"(١٥٤).

وبحكم الاتصال الجغرافي بين بلاد ما وراء النهر وخوارزم فقد كان لتوفر السلع وكثرتها في الأسواق مع قلة كلفة الحمل والنقل دور كبير في

رخص الأسعار هناك[١٥٥]، وهذا ما رصده القلقشندي الذي قارن بين أسعار تلك البلاد والأسعار في مصر، فقال: أسعار بلاد ما وراء النهر رخيصة حتى إذا وصلت فيها أعلى الغلو كانت مثل أرخص الأسعار بمصر والشام[١٥٦]، ويذكر المؤرخ عبد الرازق السمرقندي (ت٨٨٧هـ/١٤٨٢م) أنه كان من رخص الأسعار يباع الخروف أحيانًا بدينار، وحمل الكمار من الغلال بدرهم[١٥٧].

أما الأسعار في خوارزم فقد كانت رخيصة بصفة عامة، كما يقول المقدسي[١٥٨]، عدا مدينة الجرجانية العاصمة، فكانت أسعارها مرتفعة قليلا بفضل النشاط الملحوظ في حركتها التجارية داخليا وخارجيا، وعن متوسط الأسعار، فقد كان القمح يباع كل رطلين بدينارين ونصف، والشعير بدينارين وربما زاد قليلا، ولحم الضأن كل ثلاثة أرطال بدرهم، ولما كان الحطب من السلع الأساسية في خوارزم، ونظرا لوفرته فقد من الله عليهم برخص سعره، حيث كان حمل الحطب يباع بدرهمين [١٥٩]، وغالب أكل أهل خوارزم اللحوم والطير واللبن والسمن مما يدل على ما يتمتع به أهل الإقليم من رخاء اقتصادي شهد به الرحالة العرب الذين دخلوا الإقليم[١٦٠].

الخاتمة وأهم نتائج البحث

عرض البحث لجانب من جوانب الحياة الاقتصادية في إقليم خوارزم تمثل في بيان السلع التجارية في الأسواق الخوارزمية، وأهميتها في بيان القوة الاقتصادية للإقليم، وعلاقاته التجارية مع البلاد المجاورة، كما كشف البحث عن بعض تفاصيل الحياة اليومية لسكان خوارزم، وحركة البيع والشراء في الإقليم والتي تبين أن قوة الإقليم الاقتصادية ارتكزت على عناصر أساسية من أهمها وجود قائمة من السلع والبضائع المعروضة في الأسواق، والموقع الجغرافي المتميز للإقليم، وانتشار الأسواق وتنوعها، وفيما

يلي أهم النتائج التي توصل البحث إليها:

١ - أثَّر مناخ خوارزم بطبيعته القاسية، وشدة برودته بشكل عام في الحركة التجارية بالإقليم من وجوه أبرزها تداول الملابس الخاصة المناسبة لهذا المناخ، فظهرت صناعة القفازات والخفاف المصنوعة من الجلود والفراء وانتشارها في أسواق خوارزم.

٢ - أثر تعدد الأجناس التي سكنت خوارزم من الترك والفرس والعرب في تنوع الأنشطة التجارية بالإقليم، إذ علمت كل طائفة على ممارسة نوع التجارة الذي تحسنه في بيئتها الأصلية، وفي الوقت ذاته يلائم احتياجات الإقليم.

٣ - أثرت السمات الجسمية لأهل خوارزم في قدرتهم على الترحال، والتجارة الخارجية، فارتبط الإقليم بعلاقات تجارية مع بلاد البلغار والصقالبة والخزر، وقد ذكرت المصادر أن ازدحام أسواق خوارزم جعلها مقصدا للتجار من الأتراك الغزية، وملتقى للقوافل التجارية القادمة من الصين وآسيا الوسطى.

٤ - لم تهتم المصادر بتقديم وصف دقيق لأسواق خوارزم، وتقسيماتها الداخلية، وقد وردت بعض الإشارت عند ابن بطوطة تشير إلى ازدحام أسواق خوارزم، وارتباط السوق بالمسجد الجامع هناك.

٥ - عرفت في خوارزم أسواق بعينها مثل سوق الشوار، وسوق القيسارية، وهي أسواق ذات نشاط واسع مما أدى لتخصيصها بالذكر.

٦ - تبين أن الأسواق في إقليم خوارزم تنقسم إلى ثلاثة أنواع؛ أسواق المدن الكبرى، وأسواق ريفية، وأسواق موسمية ربما كانت مواعيدها مرتبطة بزراعات موسمية.

٧ - ازدهرت قطعان الماشية في خوارزم، ومن ثم ازدهرت تجارتها،

وتجارة السلع الناتجة عنها كالمنسوجات الصوفية، والصناعات الجلدية التي ارتبطت بها مهارة أهل الاقليم في الدباغة.

٨ - برع أهالي خوارزم في الصيد بسبب كثرة الأنهار بالإقليم، ومن ثم ازدهرت تجارة الأسماك وارتبط بها بعض السلع التجارية كالغراء، والأسماك المملحة التي كانوا يصدرونها .

٩ - تحدثت بعض المصادر عن رداءة التربة في خوارزم، ويبدو أن تلك النظرة ترجع إلى صلاحية التربة لزراعات بعينها، وليس مطلق الرداءة؛ فقد برزت زراعات متنوعة في خوارزم منها حبوب الأرز والسمسم والحنطة، وقد مثلت هذه المحاصيل ركيزة مهمة من ركائز التجارة في الإقليم. كما ازدهرت محاصيل الفاكهة كالكروم والرمان واحتل البطيخ الخوارزمي الصدارة في هذه المنتجات الزراعية، وكان يصدر على نطاق واسع.

١٠ - انتشرت تجارة السلع القائمة على وفرة الأخشاب بسبب وفرة المادة الخام المطلوبة من الأشجار وبخاصة أشجار التوت التي انتشرت زراعتها في خوارزم بكثرة.

١١ - أثرت الثروة الحيوانية والزراعية في الإقليم في أنماط السلع الصناعية؛ فقد ازدهرت صناعة المنسوجات وتجارتها في خوارزم وبخاصة الملابس القطنية، والصوفية، والحريرية، واشتهرت بعض المدن بتصدير هذه المنسوجات مثل مدينة (هزاراسب).

١٢ - أدت صناعة النسيج وازدهارها إلى وجود بعض الحرف اليدوية المرتبطة بها مثل التطريز والخياطة.

١٣ - لم تكن خوارزم وفيرة الثروة المعدنية إذ كان معدنا الذهب والفضة نادري الوجود، ومن ثم كانت الصناعات المعدنية في خوارزم بسيطة

لسد الاحتياجات الضرورية لأهالي الإقليم مثل صناعة: السيوف، والخناجر، والسكاكين، وعمل الأهالي على سد حاجتهم من باقي المعادن عن طريق الاستيراد.

١٤- ازدهرت تجارة الرقيق في أسواق خوارزم، وخصوصًا في أسواق العاصمة الجرجانية، وكان مصدر هذا الرقيق بلاد الصقالبة، والترك والخزر، بالإضافة إلى أسرى بعض بدو البراري القريبة.

١٥- تعامل أهل خوارزم بالدرهم والدينار، وقد تصرفوا في مقادير دراهم الفضة حتى لا يخرجها التجار من بلادهم، وتفاوتت أسعار السلع في الإقليم تبعا لحالة كل مدينة من مدنه.

الهوامش:

(١) **خراسان**: كلمة فارسية تعني مشرق الشمس، وخراسان أحد الأقاليم الجغرافية الشرقية لإيران في العصور الوسطى، وهو إقليمَ مشهور يقول عنه القزويني (ت٦٨٢هـ/١٢٨٤م) إنه من "أحسن أرض الله وأعمرها وأكثرها خيراً"، يقع في شرقه بلاد ما وراء النهر، وفي غربه إقليم قوهستان، ويحده من الشمال صحراء الغز، ومن الجنوب إقليم سجستان. انظر القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت (د.ت)، ص٣٦١؛ القلقشندي: صبح الأعشي في صناعة الإنشا، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، نشر: الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة، ٢٠٠٤-٢٠٠٥م، ج٤، ص٣٨٩.

(٢) **ما وراء النهر**: يقصد بها البلاد الواقعة أعالي نهر جيحون الذي كان قديما حدا فاصلا بين الأقوام الناطقة بالفارسية، والأقوام الناطقة بالتركية، أي بين إيران وتوران، فما كان في شماله أطلقَ عليه العرب والهياطلة أيضا "ما وراء النهر"، ويمتد حتى ساحل نهر سيحون في النواحي الشرقية، ومن أشهر مدن هذه المنطقة: بخارى وسمرقند ... وغيرهما. لمزيد من التفاصيل: لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، ص٤٧٦ وما بعدها؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم (٤٧٠-٦١٧هـ/ ١٠٧٧-١٢٢٩م)، مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية، ٢٠١٣م، ص٧٠.

(٣) **كاث**: بلدة كبيرة بخوارزم تقع شرقي نهر جيحون ناحية الشمال منه، كانت فيما مضى مدينةَ خوارزم العظمى قبل أن تنشأ مدينة الجرجانية في القرن الرابع الهجري، وبين المدينتين بتحديد ياقوت الحموي عشرون فرسخا. راجع معجم البلدان، دار صادر، بيروت (د.ت)، ج٤، ص٤٢٧؛ بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، نشر المجلس الوطني بالكويت، (ط١) ١٩٨١م، ص٢٥٢،٢٥١؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم ص٥٧.

(٤) الإصطخري: مسالك الممالك، تحقيق: د. محمد جابر عبد العال الحيني، الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة، [سلسلة الذخائر، العدد ١١٩] ٢٠٠٤م، ص١٦٨؛ ابن حوقل: صورة الأرض، نشر: دار صادر، بيروت (د.ت)، ص٣٩٥؛ المقدسي: أحسن

التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبع ليدن، الطبعة الثانية، ١٩٠٦م، نشر: دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص٢٢٧؛ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، (ط١)، (د.ت)، ج٢، ص٦٩٧؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٢، ص٣٩٥،٣٩٧؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٢٢٤؛ حنان مبروك اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم ص٥٥،٥٦، **ومدينة الجرجانية**: الاسم العربي لقصبة خوارزم، وتعرف كذلك باسم **كركانج**، فعربت فقيل الجرجانية، وهي مدينة كبيرة مشهورة على الشاطئ الغربي لنهر جيحون ناحية الجنوب، وهي كثيرة الخيرات والمسرات والناس، وأغلب أهلها أجناد، وهي على قسمين؛ كركانج الكبرى، وكركانج الصغرى، وبينهما ثلاثة فراسخ. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٢، ص١٢٣؛ القزويني: آثار البلاد، ص٥١٩؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: د. إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، (ط٢)، ١٩٨٠م، ص٢٢٤؛ بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص٢٥٣-٢٥٤؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص٥٩-٦١.

(٥) المقدسي: أحسن التقاسم، ص٢٨٩، ٣١٢؛ بارتولد: تركستان، ص٢٥٦؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٩٧؛ قحطان الحديثي: أسواق المدن الخراسانية، (مجلة المؤرخ العربي، بغداد، العدد (٣٠)، ١٩٨٦م) ص١٠٨، ١٢٢؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص٦٨؛ **وزمخشر**: إحدى المدن المشهورة في خوارزم ينسب إليها الإمام اللغوي المفسر الزمخشري (ت٥٣٨هـ/١١٤٤م)، تقع بالقرب من مدينة كاث، ويعتبرها البعض من قراها. راجع عنها: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٤٧، بارتولد: تركستان، ص٢٥٦.

(٦) الإصطخري: مسالك الممالك، ص١٦٨؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٩٥؛ الثعالبي: لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الإبياري وحسن كامل الصيرفي، مكتبة الحلبي بالقاهرة، ١٩٦٠م، ص٢٢٧؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٥٣-٢٥٥؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٢١؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د. إحسان عباس، نشر دار صادر، ببيروت، ١٩٦٨م، مج٥، ص١٦٩.

(٧) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٤٨١؛ الثعالبي: لطائف المعارف، ص٢٢٧؛ ياقوت

الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص١٠٢؛ ابن بطوطة: رحلته المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار)، شرح: طلال حرب، دار الكتب العلمية، ببيروت، (ط١)، ١٩٨٧م، ص٣٧٥؛ ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: د. أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، بالقاهرة (ط١)، ٢٠٠٨م، ص١٢٤، ٢٤٨؛ فوزي عباس الميموني: دولة المأمونيين في خوارزم، (دراسة سياسية وحضارية ٣٨٥-٤٠٨هـ/٩٩٥-١٠١٧م)، نشر: مكتبة الآداب بالقاهرة، ٢٠٠٣م، ص٨.

(٨) الإصطخري: مسالك الممالك، ص١٧٠؛ فوزي الميموني: دولة المأمونيين في خوارزم، ص٩.

(٩) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٠١.

(١٠) رسالة ابن فضلان (أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد) (في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م)، نشر: مكتبة الأسرة، (الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة)، ٢٠٠٦م، ص٨٥؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٥٥؛ فوزي الميموني: دولة المأمونيين في خوارزم، ص٩.

(١١) القزويني: آثار البلاد، ص٥١٩.

(١٢) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ص٥٢١.

(١٣) فامبري: تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر، ترجمة الدكتور أحمد محمود الساداتي، نشر: نهضة الشرق بالقاهرة، (ط٢)، ١٩٨٧م، ص٧٨؛ مصطفى دسوقي كسبة: المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، هدية مجلة الأزهر بالقاهرة (١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص٦٨-٧٠.

(١٤) بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة: د. حمزة طاهر، دار المعارف، بالقاهرة، (ط٣)، ١٩٥٨م، ص٦٥؛ قحطان الحديثي: أسواق المدن الخراسانية، ص١٠٨.

(١٥) الإصطخري: مسالك الممالك، ص١٧٠؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٩٧-٣٩٨؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٥٣.

(١٦) أحمد مختار العبادي: من مظاهر الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية، (مجلة

عالم الفكر، الكويت، مجلد ١١، العدد الأول، أبريل – يونيو ١٩٨٠م)، ص١٥٧.

(١٧) الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: د. السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، (د.ت)، ص١١،١٢، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٢٥.

(١٨)راجع المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٨٩؛ قحطان الحديثي: أسواق المدن الخراسانية، ص١١٤، بارتولد: تركستان، ص٢٥٦؛ **ونوزكاث**: تعرف كذلك بـ"نوزوار": وهي بليدة قرب الجرجانية بخوارزم، وتعني بلغة أهل خوارزم "الحائط الجديد"، رآها ياقوت الحموي خلال رحلته بخوارزم سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م. انظر: معجم البلدان، ج٥، ص٣١٠؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص٦٨.

(١٩)راجع الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٤٦٩،٤٧٠؛ قحطان الحديثي: أسواق المدن الخراسانية، ص١١٠.

(٢٠)الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص١١؛ اليعقوبي كتاب البلدان، طبع ليدن، ١٨٩١م، نشر: دار صادر، بيروت، (د.ت)، البلدان، ص٢٣٩؛ أحمد العبادي: من مظاهر الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية، ص١٥٧.

(٢١)آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، طبع لجنة التأليف والنشر والترجمة بالقاهرة، (ط٣)، ١٩٥٧م، ج٢، ص٣٧٩؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل بيروت، الطبعة (١٣)، ١٩٩١م، ج٣، ص٣٣٧، ج٤، ص٣٩١.

(٢٢)راجع: بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٢١،١١٩.

(٢٣)فوزي الميموني: دولة المأمونيين في خوارزم، ص٤٨.

(٢٤)رسالة ابن فضلان، ص٨٠،٨١، ص٩٣، ٩٩؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٤٨١؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٦٨٧، ٦٩٩؛ بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٦م، ص٦٦.

(٢٥)بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٢١،١٢٠.

(٢٦)راجع قحطان الحديثي: أسواق المدن الخراسانية، ص١١٠.

(٢٧)ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٩٦؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي (منذ ظهور السلاجقة حتى الغزو المغولي)، الدار الثقافية للنشر، (ط١)، ٢٠١٢م، ص٣٠١.

(٢٨) ابن بطوطة: الرحلة، ص٣٧٣؛ د. عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٣٠١.

(٢٩) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٢٥،٢٢٦.

(٣٠) ابن بطوطة: الرحلة، ص٣٧٣،٣٧٤؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٩٢؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٣٠١.

(٣١) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٢١. **والرستاق**: كلمة فارسية تشير إلى كل موضع فيه قرى ومزارع، ولا يطلق ذلك على المدن مثل البصرة وبغداد. راجع ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٧،٣٨؛ فوزي الميموني: دولة المأمونيين في خوارزم، ص٧.

(٣٢) **الخزر**: قال ياقوت هي بلاد الترك خلف باب الأبواب أو الدربند قريبة من بلاد الروس والبلغار، وهي اسم لإقليم قصبته تسمى إتل، ولسانهم غير لسان الترك والفرس، غلاتها قليلة وتجارتهم واسعة تعتمد على السلع الآتية من الخارج. راجع ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٦٧،٣٦٩.

(٣٣) **جرجان**: مدينة عظيمة مشهورة بين خراسان وطبرستان، بناها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة أول مرة، خرج منها جماعة من أهل العلم والفضل. راجع ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص١١٩،١٢٢.

(٣٤) الإصطخري: مسالك الممالك، ص١٦٨؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٤٧٧، ٤٨١؛ مجهول: (كتب مؤلِّفه عام (٣٧٢هـ/٩٨٢م) حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، (ط١)،١٩٩٩م، ص٩٤؛ الحميري: الروض المعطار، ص١٦٢، ٢٢٤؛ قحطان الحديثي: أسواق المدن الخراسانية، ص١٠٩؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٣٠٤.

(٣٥) هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة: أحمد محمد رضا، مراجعة د. عز الدين فوده، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م، ج٣، ص٨٥_٨٧؛ موريس لومبارد: الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، تعريب: عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق، (ط٢)، ١٩٩٨م، ص٢٨٧.

(٣٦) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٢٢، ج٤،ص٤٥٢؛ وانظر كذلك أبا الفداء:

تقويم البلدان، نشر دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص٤٧٩ حيث وصف سوق الجرجانية بـ"المستطيل"؛ فوزي الميموني: دولة المأمونيين، ص٥٨.

(٣٧) **نهر جردور**: أحد الأنهار الفرعية لنهر جيحون الكبير، يقع قريبا من مدينة كاث، التي تعتمد في ريها على هذا النهر، وقد سماه ابن حوقل "نهر **خركور**". انظر: صورة الأرض، ص٤٧٨؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٨٩؛ فوزي الميموني: دولة المأمونيين في خوارزم، ص٨.

(٣٨) الإصطخري: مسالك الممالك، ص١٦٨؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٤٧٨،٤٧٩؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٨٧؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٩٠؛ قحطان الحديثي: أسواق المدن الخراسانية، ص١١٢، ١١٦؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٣٠١.

(٣٩) **هزاراسب**: تعني بالفارسية ألف فرس، وهي مدينة كبيرة من مدن خوارزم يحيط بها الماء من كل اتجاه كالجزيرة، بها قلعة حصينة، رآها ياقوت الحموي سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م، وشهد بتجاراتها الوفيرة وأسواقها العامرة، وقال أن أهلها أهل ثروة. انظر: معجم البلدان، ج٥، ص٤٠٤؛ بارتولد: تركستان، ص٢٤٩؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص٦٧.

(٤٠) **براتكين أو "قراتكين"**: تقع عند الحد الشمالي الشرقي لنهر جيحون، وتقع قربها مقالع الحجارة التي يحمل منها أبناء خوارزم للبناء، وهي مدينة جليلة بها الأسواق، وبها جامع حسن. انظر: بارتولد: تركستان، ص٢٥٢-٢٥٣؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٨٠، فوزي الميموني: دولة المأمونيين في خوارزم، ص١٣؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص٦٥.

(٤١) لمزيد من التفاصيل: المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٨٩؛ مجهول: حدود العالم، ص٩٤؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٤١، ج٣، ص١٧٩، ج٥، ص٤٠٤؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٩٨،٤٩٤؛ محمود محمد خلف: بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي (١٣٢-٢٦١هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤م، ص٢٦٥،٢٦٦.

(٤٢) حنان مبروك اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص٢٣٣.

(٤٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٩٦؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق

الإسلامي، ص٣٠١.

(٤٤)حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص٢٣٣-٢٣٧.

(٤٥)رسالة ابن فضلان، ص٣٥.

(٤٦)بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٢١.

(٤٧)سعد الغامدي: سقوط الدولة العباسية، ص١١٠.

(٤٨)سماح محمد عواد: دولة الأتراك السلاجقة في عصر السلطان سنجر (٥١١-٥٥٢هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ص٣٨٢.

(٤٩) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص٧٠٥؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٥، ص٤٦؛ العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات، عصام مصطفى هزايمة، يوسف أحمد بن ياسين، مركز زايد للتراث والتاريخ-الإمارات ٢٠٠١م، ج٣، ص١٠٣، إبراهيم الشرقاوي: بلاد ما وراء النهر في العصر المغولي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية دار العلوم، بجامعة الفيوم ٢٠١٥م، ص٢٤٩.

(٥٠) الإصطخري: المسالك والممالك، ص١٨٩؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ص٧٠٥؛ ماركوبولو: رحلات ماركو بولو، ترجمها إلى الإنجليزية وليم مارسدن، ونقلها إلى العربية عن الترجمة الإنجليزية د. عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٤م، ج١، ص٩٥؛ مصطفى دسوقي كسبة: المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، ص٨٢.

(٥١) محمد خميس الزوكة: جغرافية العالم الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م، ص٣٦٢،٣٦٣، ٣٦٥؛ مظهر شهاب: تيمورلنك، (عصره، حياته، أعماله) رسالة دكتوراه بكلية الآداب، جامعة القديس يوسف، بيروت، ١٩٨١م، ص١٧،١٨؛ إبراهيم الشرقاوي: بلاد ما وراء النهر في العصر المغولي، ص٢٥٠،٢٤٩.

(٥٢) الإصطخري: المسالك والممالك، ص١٦١؛ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٤، ص٤٣٢؛ وانظر كذلك :

A. R. Mukhamejanov: Natural life and the manmade habitat in Central Asia, Article at History of civilizations of Central Asia, Vol (IV) Part(2), p287.

(٥٣)العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص١٠٣، إبراهيم الشرقاوي: بلاد ما وراء النهر في العصر المغولي، ص٢٥٠.

(٥٤) رحلات ماركوبولو، ج١، ص١٠٠،٩٥؛ إبراهيم الشرقاوي: بلاد ما وراء النهر في العصر المغولي، ص٢٥١.

(٥٥)ابن بطوطة: رحلته، ص٤٢٢؛ كلافيجو (روي ده -السفير الإسباني): سفارة إلى تيمورلنك، ترجمة: د. سهيل زكار، دار التكوين، دمشق، (ط١)، ٢٠٠٨م، ص٣١٣.

(٥٦) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٤، ص٤٣٢؛ إبراهيم الشرقاوي: بلاد ما وراء النهر في العصر المغولي، ص٢٥١.

(٥٧)العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٣، ص١٠٦؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٨٦،٤٨١؛ إبراهيم الشرقاوي: بلاد ما وراء النهر في العصر المغولي، ص٢٥١.

(٥٨)الإصطخري: مسالك الممالك، ص١٧٠.

(٥٩)رسالة ابن فضلان، ص٣٦.

(٦٠)بارتولد: تركستان، ص٢٥٣؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٩١.

(٦١) فوزي الميموني: دولة المأمونيين في خوارزم، ص٥٠.

(٦٢) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٢.

(٦٣) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٢٥.

(٦٤)لومبارد: الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي، ص٣٠٣.

(٦٥)كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك، ص٣١٣.

(٦٦) راجع رسالة ابن فضلان، ص٣٦،٣٥؛ الإصطخري: مسالك الممالك، ص١٧١،١٧٠؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٤٨٢؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٢٥،٣٢٤؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٦٩٩؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٢٢٥؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٢٩٧.

(٦٧)ابن بطوطة: الرحلة، ص٣٧٦. والكراكي جمع الكركي: وهو طائر كبير يقترب في حجمه من الإوز، أبتر الذنب، رمادي اللون طويل العنق والرجلين، قليل اللحم، صلب العظم، يأوي إلى الماء أحيانا. ابن بطوطة: الرحلة، نفس الصفحة.

(٦٨) السَّمُّور: دابة عظيمة تتخذ من جلدها فراء ثمينة. انظر الثعالبي: لطائف المعارف، ص٢٢٤.

(٦٩) الفنك: كلمة فارسية معربة: وتنطق أيضا الفنج، وهو ثعلب صغير ناعم الشعر، أغبر اللون، كبير الأذنين، حسن الصورة، يتخذ من جلده فراء ثمين. الثعالبي: لطائف المعارف، ص٢٢٤.

(٧٠) القاقم: حيوان من فصيلة بنات عرس، لونه أحمر قاتم في الصيف وأبيض في الشتاء، عدا طرف ذنبه فإنه يبقى على سواده، وتعد فروته من أفخم أنواع الفراء وأغلاها ثمنا. الثعالبي: لطائف المعارف، ص٢٢٤.

(٧١) الثعالبي: لطائف المعارف، ص٢٢٦؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص٢٠٠،١٩٩.

(٧٢) الإصطخري: مسالك الممالك، ص١٧٠؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٣٠٤.

(٧٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٢٥،٣٢٤؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٢.

(٧٤) ابن الفقيه الهمذاني: مختصر كتاب البلدان، طبع ليدن، نشر: دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص٢٥٥؛ الإصطخري: المسالك والممالك، ص١٦٢؛ الحميري: الروض المعطار، ص٣٦٢.

(٧٥) لومبارد: الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي، ص٢٨٨.

(٧٦) راجع سعد الغامدي: سقوط الدولة العباسية، الرياض، ١٩٨١م، ص١١٢،١١١.

(٧٧) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٨٧؛ عبد الله علي نوح: الأحوال الحضارية في إقليم أشروسنة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠١٢م، ص٧٢.

(٧٨) الإصطخري: المسالك والممالك، ص١٦٩؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٤٣٦؛ إبراهيم الشرقاوي: بلاد ما وراء النهر في العصر المغولي، ص٢٥٢؛ راجع أيضا:

A. R. Mukhamejanov: Natural life and the manmade habitat in Central Asia, Article at History of civilizations of Central Asia, Vol(IV) Part(2), p287.

(٧٩) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٣٢٥؛ ماركوبولو: رحلاته، ج١، ص٩٥؛ إبراهيم الشرقاوي: بلاد ما وراء النهر في العصر المغولي، ص٢٥٢.

(٨٠) الثعالبي: لطائف المعارف، ص٢٢٦؛ محمود خلف: بلاد ما وراء النهر في العصر

العباسي، الهيئة العامة للكتاب، بالقاهرة ٢٠١٤م، ص٢٦٦؛ سماح محمد عواد: دولة الأتراك السلاجقة في عصر السلطان سنجر، ص٣٦٢.

(٨١)رسالة ابن فضلان، ص٣٥،٣٦؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٩٨؛ الحميري: الروض المعطار، ص١٨٥؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٢٩٨.

(٨٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٢٤،٣٢٥؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٢.

(٨٣) راجع قحطان الحديثي: أسواق المدن الخراسانية، ص١١٧.

(٨٤)ابن حوقل: صورة الأرض، ص٤٨١؛ فوزي الميموني: دولة المأمونيين في خوارزم، ص٤٨؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ٢٩٤.

(٨٥) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٩٦.

(٨٦) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٣٢٥،٣٢٤؛ رشيد الدين الهمذاني: مكاتبات رشيدي، ترجمة: ثريا محمد علي، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨١م، ص١٦٣،١٦٤، ١٦٦؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٢؛ محمود خلف: بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي، ص٢٦٥،٢٦٦؛ فوزي الميموني: دولة المأمونيين في خوارزم، ص٤٩؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٢٩٤؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص٩١،٨٩.

(٨٧)الإصطخري: مسالك الممالك، ص١٧٠.

(٨٨)بارتولد: تركستان، ص١٨٤ -١٨٥؛ محمود خلف: بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي، ص٢٦٥؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص١٩١؛ إبراهيم الشرقاوي: بلاد ما وراء النهر في العصر المغولي، ص٢٤١،٢٤٠.

(٨٩) **بلخ**: مدينة مشهورة تقع شرقي إقليم خراسان، وتعد من أجل مدنه، وأكثرها خيرًا، وأوسعها غلة، وكانت في زمن اليعقوبي (ت٢٧٨هـ/٨٩١م) مدينة خراسان العظمى. اليعقوبي: البلدان، ص٢٨٧ -٢٨٨، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٤٧٩،٤٨٠.

(٩٠) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١ص٤٧٩؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٢٩٤.

(٩١) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٨٩؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٢.

(٩٢) دَرْغَان: مدينة معروفة على شاطئ نهر جيحون من ناحية الأعلى، وهي أول حدود خوارزم من هذه الناحية، تقع على مرتفع من الأرض، وبينها وبين جيحون مزارع وبساتين. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٥١؛ بارتولد: تركستان، ص٢٤٨؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص٦٦.

(٩٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٩٧؛ بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص٢٤٨؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٢٩٦-٢٩٧؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص١٩٢.

(٩٤) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٢٥.

(٩٥) فوزي الميموني: دولة المأمونيين في خوارزم، ص٥٨؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص١٩٥،١٩٤.

(٩٦) الثعالبي: لطائف المعارف، ص٢٢٦؛ القزويني: آثار البلاد، ص٥٢١؛ ابن بطوطة: الرحلة، ص٣٧٧،٣٧٨؛ رشيد الدين الهَمذاني: مكاتبات رشيدي، ص١٦٤،١٦٣.

(٩٧) القزويني: آثار البلاد، ص٥٢١؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٩٢؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٢٩٦.

(٩٨) ابن بطوطة: الرحلة، ص٣٧٧،٣٧٨.

(٩٩) ابن بطوطة: الرحلة، ص٣٧٨؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٢٩٦.

(١٠٠) الثعالبي: لطائف المعارف، ص٢٢٦؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٢٩٦.

(١٠١) ابن بطوطة: الرحلة، ص٣٧٨.

(١٠٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٣٠، ٢٥٣،٢٥٤؛ القزويني: آثار البلاد، ص٥٢١،٥٢٥؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٩٢، ٥٠٢؛ فوزي الميموني: دولة المأمونيين في خوارزم، ص٤٩.

(١٠٣) الجاحظ: التبصر بالتجارة (في وصف ما يستطرف من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة)، نشر وتعليق: السيد حسن عبد الوهاب التونسي، المطبعة الرحمانية بالقاهرة، (ط٢)، ١٩٣٥م، ص٤٢؛ سماح محمد عواد: دولة الأتراك

السلاجقة في عصر السلطان سنجر، ص٣٤٧، عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٢٩٦.

(١٠٤) القزويني: آثار البلاد، ص٥٢١؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٢٩٧.

(١٠٥) القزويني: آثار البلاد، ص٥٢١،٥٢٠؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٢٩٧.

(١٠٦) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٩٦.

(١٠٧) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٩٦، ج٣، ص٢٥٤؛ فوزي الميموني: دولة المأمونيين، ص٤٩، ٥٠، ٥٨.

(١٠٨) القزويني: آثار البلاد، ص٥١٩.

(١٠٩) القزويني: آثار البلاد، ص٥٢١،٥٢٠؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٩٦.

(١١٠) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٩٠.

(١١١) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٩٤.

(١١٢) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٢٠؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٩٢؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٢٩٩.

(١١٣) السمعاني: الأنساب، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الكتب العلمية، (ط١)، بيروت، ١٩٨٨م، ج١، ص٣٢٥؛ محمود خلف: بلاد ما وراء النهر، ص٢٦٦.

(١١٤) لومبارد: الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي، ص٢٣٨،٢٣٧.

(١١٥) الإصطخري: مسالك الممالك، ص١٧٠؛ القزويني: آثار البلاد، ص٥٢٥؛ الحميري: الروض المعطار، ص٢٢٤؛ محمود خلف: بلاد ما وراء النهر، ص٢٦٦؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص٢٠٧،٢٠٥.

(١١٦) محمود خلف: بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي، ص٢٦٦.

(١١٧) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص٥٠١؛ محمد عبد العظيم أبو النصر: تاريخ المسلمين وحضارتهم في آسيا الوسطى، مطبعة الأهرام (مصر)،

٢٠٠١م، ص٢٣٨؛ محمد حسن سهيل، محمود محسن داود: الإنتاج الحرفي وأثره في ازدهار الصناعة في بلاد ما وراء النهر، بحث بمجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد: ٧، العدد، ٣، لسنة ٢٠١٢م، ص٥؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص٢٠٦.

(١١٨) الثعالبي: لطائف المعارف، ص٢٢٦؛ سماح محمد عواد: دولة الأتراك السلاجقة في عصر السلطان سنجر، ص٣٤٧. والكرابيس: جمع الكرباس، وهو ثوب أبيض يصنع من القطن.

(١١٩) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٤٤٣؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص٢٠٦؛ وراجع كذلك:

A. Kasai and Natsagdorj: Socio- economic development: food and clothing in eastern Iran and Central Asia, Article at History of civilizations of Central Asia, Vol(IV) Part(1), Published by the United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, Paris , 2000. p389.

(١٢٠) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٤٨١؛ الحميري: الروض المعطار، ص٢٢٤؛ فوزي الميموني: دولة المأمونيين، ص٥٠، ٥١؛ ص٥٨، ٥٩؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٢؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص٢٠٥.

(١٢١) القزويني: آثار البلاد، ص٥٢٥؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٢؛ لومبارد: الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي، ص٣٠٣؛ فوزي الميموني: دولة المأمونيين، ص٥٠؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٢٩٩.

(١٢٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٩٦؛ لومبارد: الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي، ص٢٤٠، ٢٤١؛ فوزي الميموني: دولة المأمونيين في خوارزم، ص٥١، ٥٨، ٥٩.

(١٢٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٩٦؛ هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ج٣، ص١١١.

(١٢٤) كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك، ص٣١٣، ٣١٤.

(١٢٥) بارتولد: تركستان، ص٣٦٦، ٣٦٧؛ لومبارد: الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي، ص٢٤٤؛ فوزي الميموني: دولة المأمونيين في خوارزم، ص٥١.

(١٢٦) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٩٢؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٢٩٩؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص٢٠٧.

(١٢٧) الإصطخري: المسالك والممالك، ص١٧٦؛ المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٣٢٤-٣٢٥؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص٢٠٧؛ راجع كذلك:

A. Kasai and Natsagdorj: Socio- economic development: food and clothing in eastern Iran and Central Asia, p.p: 389-390.

(١٢٨) الإصطخري: مسالك الممالك، ص١٧٠؛ فوزي الميموني: دولة المأمونيين، ص٥١،٥٢؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص٢٠٩.

(١٢٩) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٢٥؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٢؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٢٩٩-٣٠٠.

(١٣٠) رسالة ابن فضلان، ص٣٥.

(١٣١) لومبارد: الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي، ص٣٠٣.

(١٣٢) القزويني: آثار البلاد، ص٥٢٠؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٣٠٠.

(١٣٣) الثعالبي: لطائف المعارف، ص٢٢٦.

(١٣٤) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٢٥؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٢؛ سماح محمد عواد: دولة الأتراك السلاجقة في عصر السلطان سنجر، ص٣٧٧.

(١٣٥) فوزي الميموني: دولة المأمونيين في خوارزم، ص٥٢، ٥٩؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص٢٠٨.

(١٣٦) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٢٥؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٢؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٣٠٠؛ سماح محمد عواد: دولة الأتراك السلاجقة في عصر السلطان سنجر، ص٣٦٤؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص٢٠٩.

(١٣٧) لومبارد: الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي، ص٢٣٢-٢٣٣.

(١٣٨) الإصطخري: مسالك الممالك، ص١٧٠؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص٢٠١.

(١٣٩) القزويني: آثار البلاد، ص٥٢٧.

(١٤٠) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٢٥؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٢؛ فوزي الميموني: دولة المأمونيين في خوارزم، ص٥١، ٥٩؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٣٠٠؛ سماح محمد عواد: دولة الأتراك السلاجقة في عصر السلطان سنجر، ص٣٧٧؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص٢٠١، ٢٠٨.

(١٤١) لومبارد: الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي، ص٣٠٣.

(١٤٢) ابن بطوطة: الرحلة، ص٣٧٦؛ لومبارد: الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي، ص٣٠٣؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ، ص٥٠٢؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٣٠٠.

(١٤٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٢٥؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٢٩٩؛ سماح محمد عواد: دولة الأتراك السلاجقة في عصر السلطان سنجر، ص٣٧٧؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص٢١٢.

(١٤٤) الأمشاطي: القول السديد في اختيار الإماء والعبيد، تحقيق محمد عيسى صالحية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م، ص١٠،١١.

(١٤٥) موريس لومبارد: الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي، ص٢٦٠؛ فوزي الميموني: دولة المأمونيين، ص٦٢؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص٢٠٩.

(١٤٦) الإصطخري: مسالك الممالك، ص١٧٠؛ الحميري: الروض المعطار، ص٢٢٤.

(١٤٧) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٨٥،٢٨٦؛ القزويني: آثار البلاد، ص٥٢٥؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٣٠٦.

(١٤٨) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٥٠٢؛ عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٣٠٦.

(١٤٩) عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٣٠٦؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص٢٢٠.

(١٥٠) لومبارد: الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي، ص٢٦١؛ فوزي الميموني: دولة المأمونيين في خوارزم، ص٦٢؛ حنان اللبودي: قيام دولة شاهات خوارزم، ص٢٢٠.

(١٥١) راجع ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص١٠؛ المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٢٦؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٩٧.

(١٥٢) بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٢١.

(١٥٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٢٦.

(١٥٤) رسالة ابن فضلان، ص٣٤، عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٣٠٢.

(١٥٥) كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك، ص٣١٣

(١٥٦) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٤، ص٤٤٥.

(١٥٧) عبد الرازق السمرقندي: مطلع السعدين ومجمع البحرين، (ترجمة ودراسة القسم الأول من الجزء الأول من الكتاب)، ترجمة: أحمد رياض عز العرب، رسالة ماجستير، كلية الآداب بسوهاج، جامعة جنوب الوادي، ١٩٩٧م، ص٣٩٠، إبراهيم الشرقاوي: بلاد ما وراء النهر في العصر المغولي، ص٢٦٩.

(١٥٨) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٨٥.

(١٥٩) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢،ص٣٩٧؛ القزويني: آثار البلاد، ص٥٢١؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٤٧١، عبد الحميد حمودة: تاريخ المشرق الإسلامي، ص٣٠٢.

(١٦٠) محمود خلف: بلاد ما وراء النهر، ص٢٦٦،٢٦٧.

مصادر البحث ومراجعه

أولا: المصادر العربية

أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل بن على (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)

١ - تقويم البلدان، دار صادر، بيروت (بدون تاريخ نشر).

الإدريسي: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس (ت٥٤٩هـ/١١٥٤م)

٢ - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة (دون تاريخ).

الإصطخري: أبو إسحاق محمد بن إبراهيم الفارسي الكرخي (ت٣٤٦هـ/٩٥٨م)

٣ - مسالك الممالك، تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحيني، الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة [سلسلة الذخائر العدد ١١٩] ٢٠٠٤م.

الأمشاطي: محمود بن أحمد (ت٩٠٣هـ / ١٤٩٢م):

٤ - القول السديد في اختيار الإماء والعبيد، تحقيق محمد عيسى صالحية مؤسسة الرسالة ببيروت ١٩٩٦م.

ابن بطوطة: أبو عبد الله بن إبراهيم اللواتي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)

٥ - رحلة ابن بطوطة (المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار) شرح طلال حرب، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

الثعالبي: أبو منصور بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م)

٦ - لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الإبيارى، وحسن كامل الصيرفي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٠م.

الجاحظ: أبو عمرو عثمان (ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م)

٧ - التبصر بالتجارة (في وصف ما يستطرف من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة) نشر وتعليق السيد حسن عبد الوهاب التونسي، المطبعة الرحمانية بالقاهرة الطبعة الثانية ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م.

الحميري: محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٥م)

٨ - الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق الدكتور إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

ابن حوقل: أبو القاسم بن حوقل النصيبي (أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي)

٩ - صورة الأرض، نشر دار صادر ببيروت (بدون تاريخ نشر).

ابن خرداذبة: أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م)

١٠ - المسالك والممالك، ويليه نبذ من كتاب الخراج لأبي الفرج قدامة بن جعفر البغدادي طبع ليدن، نشر دار صادر، بيروت (دون تاريخ).

ابن خلكان: شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)

١١ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ببيروت ١٩٦٨م.

السمعاني: أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التيمي (ت٥٦٢هـ/١١٦٧م)

١٢ - الأنساب، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، دار الكتب العلمية (ط١) بيروت ١٩٨٨م

الشيزري: عبد الرحمن بن نصر (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م)

١٣ - نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق د. السيد الباز العريني، دار الثقافة بيروت (دون تاريخ نشر).

العمري: شهاب الدين أحمد بن يحيي بن فضل الله (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)

١٤ - التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

١٥ - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ج٣) تحقيق محمد عبد القادر خريسات، عصام مصطفى هزايمة، يوسف أحمد بن ياسين، مركز زايد للتراث والتاريخ بالإمارات ٢٠٠١م.

ابن فضلان: (أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد) (في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩هـ / ٩٢١م)

١٦ -رسالة ابن فضلان، نشر مكتبة الأسرة (الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة ٢٠٠٦م

ابن الفقيه: أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني (ت ٢٩٠هـ/٩٠٣م)

١٧ -مختصر كتاب البلدان، طبع ليدن، نشر دار صادر ببيروت (دون تاريخ).

القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)

١٨ - آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت (بدون تاريخ نشر).

١٩ - عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م.

القلقشندي: أبو العباس أحمد بن على (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)

٢٠ -صبح الأعشى في صناعة الإنشا، (الأجزاء ٤ -٦ -٧) طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة ٢٠٠٤ -٢٠٠٥م.

مجهول: .... كتب مؤلَّفه عام (٣٧٢هـ/٩٨٢م)

٢١ -حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

المقدسي: شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء البشاري (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م)

٢٢ -أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبع ليدن (ط٢) ١٩٠٦م، نشر دار صادر بيروت (بدون تاريخ نشر).

ياقوت الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م)

٢٣ -معجم البلدان، دار صادر، بيروت (دون تاريخ).

اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (ت٢٧٨هـ/٨٩١م)

٢٤-كتاب البلدان، طبع ليدن ١٨٩١م، نشر دار صادر، بيروت (دون تاريخ).

ثانيا: المراجع العربية

فوزي عباس الميموني: (دكتور)

٢٥-دولة المأمونيين في خوارزم (دراسة سياسية وحضارية ٣٨٥-٤٠٨هـ/٩٩٥-١٠١٧م)، نشر مكتبة الآداب بالقاهرة ٢٠٠٣م

حمودة: عبد الحميد حسين (دكتور)

٢٦- تاريخ المشرق الإسلامي (منذ ظهور السلاجقة حتى الغزو المغولي)، الدار الثقافية للنشر، (ط١) ٢٠١٢م

خلف: محمود محمد: (دكتور)

٢٧- بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي، الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة ٢٠١٤م

محمد خميس الزوكة: (دكتور)

٢٨- جغرافية العالم الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٥م

محمد عبد العظيم أبو النصر: (دكتور)

٢٩- تاريخ المسلمين وحضارتهم في آسيا الوسطى، مطبعة الأهرام (مصر) ٢٠٠١م

اللبودي: حنان مبروك (دكتور)

٣٠- قيام دولة شاهات خوارزم (٤٧٠-٦١٧هـ/١٠٧٧-١٢١٩م) نشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ٢٠١٣م.

الغامدي : سعد بن محمد حذيفة مسفر (دكتور)

٣١- سقوط الدولة العباسية، الرياض ١٩٨١م.

ثالثا: المصادر الفارسية:

السمرقندي: كمال الدين عبد الرزاق بن جلال الدين إسحاق (ت٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م)

٣٢- عبد الرزاق السمرقندي: مطلع السعدين ومجمع البحرين، (ترجمة ودراسة القسم الأول من الجزء الأول من الكتاب)، ترجمة أحمد رياض عز العرب، رسالة ماجستير، كلية الآداب بسوهاج، جامعة جنوب الوادي، ١٩٩٧م

الهمذاني: رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير (ت٧١٨هـ/ ١٣١٨م)

٣٣- مكاتبات رشيدي، ترجمة د. ثريا محمد علي، ضمن رسالتها للماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس١٩٨١م

رابعا: المراجع الأجنبية المترجمة

بارتولد: فاسيلى فلاديمير وفتش

٣٤- تاريخ الترك في أسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٦م.

٣٥- تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، دار المعارف بالقاهرة، (ط٣) ١٩٥٨م.

٣٦- تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت (ط١) ١٩٨١م.

فامبري: أرمينوس

٣٧- تاريخ بخارى (منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر)، ترجمة الدكتور أحمد محمود الساداتي، نشر نهضة الشرق بالقاهرة (ط٢) ١٩٨٧م.

كلافيجو: روي ده (السفير الإسباني)

٣٨- سفارة إلى تيمورلنك، ترجمة د. سهيل زكار، دار التكوين، دمشق (ط١) ٢٠٠٨م.

لسترنج: كي

٣٩- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط٢) ١٩٨٥م.

لومبارد: موريـــس

٤٠ - الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، تعريب عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق، (ط٢) ١٩٩٨م.

ماركوبولو: .... (٧٢٥هـ/١٣٢٤م)

٤١ - رحلات ماركوبولو، ترجمها إلى الإنجليزية وليم مارسدن، ونقلها إلى العربية عن الترجمة الإنجليزية د. عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٤م.

متز: آدم

٤٢ - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، طبع لجنة التأليف والنشر والترجمة بالقاهرة (ط٣) ١٩٥٧م.

هايد : ف.

٤٣ - تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة أحمد محمد رضا، مراجعة د. عز الدين فوده، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م.

<u>خامسا: الدوريات والمجلات العربية</u>

محمد حسن سهيل، محمود محسن داود:

٤٤ - الإنتاج الحرفي وأثره في ازدهار الصناعة في بلاد ما وراء النهر، بحث بمجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجمد: ٧ العدد: ٣ لسنة ٢٠١٢م

مصطفى دسوقي كسبة:

٤٥ - المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، هدية مجلة الأزهر بالقاهرة (١٤١٤هـ/١٩٩٣م)

سادسا: الرسائل العلمية

الشرقاوي: إبراهيم عبد المقصود عبد الونيس (دكتور)

٤٦ - بلاد ما وراء النهر في العصر المغولي (٦١٦-٧٧١هـ/١٢١٩-١٣٧٠م) دراسة سياسية وحضارية، رسالة دكتوراه لم تنشر، كلية دار العلوم -جامعة الفيوم ٢٠١٥م

شهاب: مظهر (دكتور)

٤٧ - تيمورلنك (عصره، حياته، أعماله) رسالة دكتوراه بكلية الآداب، جامعة القديس يوسف، بيروت، ١٩٨١م

محيسن: سماح محمد عواد:

٤٨ - دولة الأتراك السلاجقة في عصر السلطان سنجر (٥١١-٥٥٢هـ / ١١١٧-١١٦٠م). رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب – جامعة الزقازيق

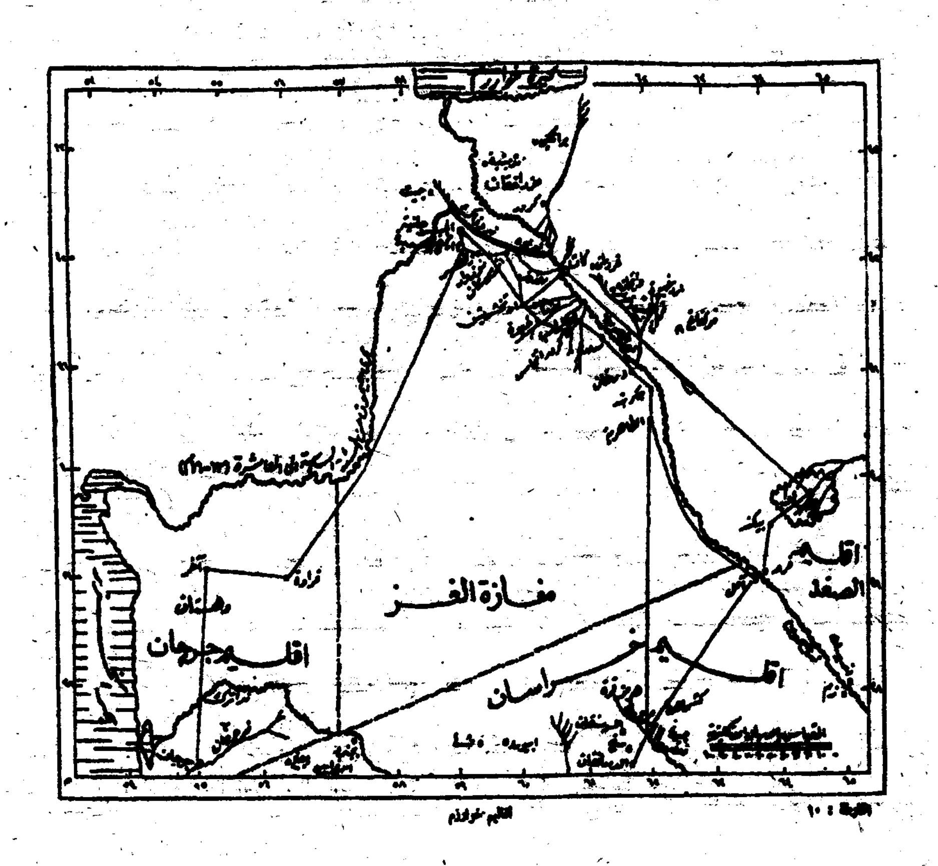
نوح: عبد الله علي (دكتور)

٤٩ - الأحوال الحضارية في إقليم أشروسنة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠١٢م

سابعا: المراجع الأوربية

A. R. Mukhamejanov, *Natural life and the manmade habitat in Central Asia, Article at History of civilizations of Central Asia, Vol (IV) Part(2), Published by the United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, Paris , 2000.*

Kasai and Natsagdorj, *Socio- economic development: food and clothing in eastern Iran and Central Asia , Article at History of civilizations of Central Asia, Vol(IV) Part(1), Published by the United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, Paris , 2000.*□



خريطة إقليم خوارزم

نقلا عن لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص٤٨٩

أسلوب جمع الوثائق من مصادرها الأصلية[*]

د.أمنيـــة عــــامر
مدرس الوثائق والأرشيف
كلية الآداب - جامعة القاهرة

أولاً: جمع الوثائق من مصادرها الأصلية فى دار الوثائق القومية بالقاهرة

خلفية تاريخية [١]:

كان الغرض من إنشاء الدفترخانة فى أواخر عام ١٢٤٤ هـ/ ١٨٢٩م. فى عهد محمد على باشا هو جمع سجلات جميع الأقاليم والدواوين المصرية فى مكان واحد للرجوع إليها عند الحاجة، وحتى تظل بمأمن من الحريق والسرقة، وقد كانت الدفترخانة تتبع قلم الخزينة التابع للديوان الخديوى، ثم انتقلت تبعيتها إلى الديوان الخديوى مباشرة فى عام ١٢٦٠ هـ/ ١٨٤٤م.، ثم عادت تبعيتها لديوان المالية فى عام ١٢٦٢ هـ/ ١٨٤٦م.

وقد وضع الخواجة يوحنا كاتب المصروف أول لائحة للدفترخانة فى عام ١٢٤٥هـ/ ١٨٣٠م.، وكانت تلك اللائحة تنظيمية تصنيفية للدفاتر والسجلات.

ثم صدرت لائحة ترتيب الدفترخانات بناءً على تقرير المسيو روسيه الذى وضعها بناءً على النظم الفرنسية، وبدأ العمل بموجبها فى عام ١٢٦٢

(*) مجلة المؤرخ المصرى، عدد يناير ٢٠١٦.

هـ/ ١٨٤٦ م. وأهم ما جاء في هذه اللائحة أنها حددت المستغنى عنه من الوثائق والأوراق، ونصت على أن تظل هذه الأنواع بدفترخانة المديرية مدة ١٠ سنوات، على أن يتم جردها سنويًا لتصنيفها. وقد كانت هناك بعض أنواع من الوثائق والدفاتر والسجلات تحفظ في أماكنها التي أنتجت فيها لضرورة ذلك للديوان: مثل ديوان الروزنامجة (الذي تحول إلى وزارة المالية فيما بعد) الذي تقرر حفظ وثائقه جميعًا في الديوان؛ ومما تتميز به تلك اللائحة أنها أقرّت مبدأ إنشاء دفترخـانات في الأقاليم لتكون فروعًا للدفترخانة الأصلية بالقلعة، ونظّمت طرائق التعامل معها، وتعيين مدد الاستبقاء وضرورة فرز ما يحفظ حفظًا دائمًا، وما يحفظ لمدة معينة ثم يتم الاستغناء عنه. ومن المميزات المهمة لتلك اللائحة هو إقرارها لمبدأ المحافظة على مبدأ المتكاملة الأرشيفية، أي حفظ الوثائق والسجلات "على سياق الأبواب الموضحة بالحوافظ التي ترد من جهات الفروع"، وذلك للقضاء على تكدس الوثائق وعدم حفظ ما لا حاجة إليه.

والواقع أن لائحة ترتيب الدفترخانات مرت بعدة مراحل وتغيّرات وإضافـات عديدة إليها، والملاحظ أنّ التوجه العام لهذه التغيّرات هو ما يلي:

- تخفيف الضغط عن الدفترخانة الرئيسية بإنشاء دفترخانات مركزية في المصالح والدواوين، بحيث تظل فيها الوثائق والدفاتر والسجلات لمدة معينة تحددها اللائحة، ثم ينقل ما نصت عليه اللائحة بحفظه حفظًا دائمًا إليها.
- فرز الوثائق وتقييمها، وتحديد جداول الحفظ الخاصة بالوثائق والدفاتر فيما يعرف في المصطلح الأرشيفي بمدة الاستبقاء retention period.
- يتم هذا الفرز والتقييم بناء على حصر جميع الدفاتر والسجلات التي

تنتجها الدولة حسب أهميتها.

إلا أن أهم لائحة صدرت بشأن "الدفترخانة" (أو دار الأرشيف) كانت اللائحة التى صدرت فى عهد الملك فؤاد سنة ١٩٢١م. والتى تعتبر حجر زاوية لأنها كانت النواة الأولى لدار الوثائق القومية، وقد قضت تلك اللائحة بإنشاء قسم المحفوظات التاريخية بقصر عابدين نقلت إليه وثائق من دار المحفوظات(٢)، وتحولت الدفترخانة الأولى إلى ما نعرفه اليوم باسم "دار المحفوظات العمومية"(٣)، وهى تمثّل **الأرشيف الوسيط** الذى تنتقل بعده الوثائق إلى الحفظ الدائم فى دار الوثائق القومية. من الجدير بالذكر أن دار المحفوظات العمومية لا زالت تتبع مصلحة الأموال المقررة التابعة لوزارة المالية، أما دار الوثائق فهى تابعة لوزارة الثقافة.

ومن أهم اللوائح التى صدرت بعد ثورة يوليو "لائحة محفوظات الحكومة"(٤)، الخاصة بالحسابات والمستخدمين والمعاشات وبنظام غرف الحفظ، وكان من موادها إعطاء دار المحفوظات حق التفتيش المحدود على غرف الحفظ المحلية .

وبغض النظر عن أن تلك اللوائح لم تراعَ فيها القيمة التاريخية (أو بمعنى أدق القيمة المعلوماتية) للوثائق، إلا أنها حدّدت العلاقة بين دار المحفوظات وبين المصالح الحكومية، كما حددت أنواع الوثائق: مستديمة، مؤقتة، مستغنى عنها. يجدر بالذكر أنه صدرت لوائح خاصة للحفظ فى الفترة من سنة ١٩١٠ حتى سنة ١٩٥٣م.، حيث صدرت لوائح حفظ للجهات التالية: أرشيف وزارة المعارف، وزارة العدل، وزارة الداخلية، مصلحة الأملاك الأميرية، الإحصاء، خفر السواحل، المجالس البلدية، الأموال المقررة، وزارة الداخلية، وزارة الأشغال، المحاكم الأهلية، المجالس الحسبية،

التجارة، وزارة الدفاع، وزارة الصحة، مراقبة عموم الحسابات ؛ ثم صدرت لائحة عامة لمحفوظات الحكومة فى عام ١٩٥٣ م. (لائحة محفوظات الحكومة) وهى خاصة بالحسابات والمستخدمين ونظام غرف الحفظ (والمقصود بغرف الحفظ: غرف الحفظ بديوان عام الوزارة التى تستقبل محفوظات الديوان العام، وأرشيفات الجهات المنتجة، وغرف الحفظ بالجهاز المركزى للمحاسبات، ودار المحفوظات العمومية)، وملحق بهذه اللائحة ثلاثة جداول:

جدول (أ) يختص بالمحفوظات المستديمة سواء فى أرشيف الجهة المنتجة أو فى دار المحفوظات العمومية

جدول (ب) يختص بالمحفوظات المؤقتة سواء فى مخزن الدار أو بأرشيف الجهة المنتجة أو فى دار المحفوظات العمومية

جدول (ج) يختص بالمحفوظات التى لا تستلمها دار المحفوظات وتحفظ بأرشيف الجهة المنتجة (تتراوح فترة الحفظ بين ٥٠ سنة، أو ٢٠ سنة، أو ١٥ سنة، أو ١٠ سنوات، أو ٥ سنوات، أو ٣ سنوات، أو سنة واحدة: السجلات والدفاتر، والمستندات والأوراق، وتكون بداية سنة الحفظ أول شهر يناير الميلادى من كل عام وتنتهى فى آخر شهر ديسمبر، وتحسب من أول يناير تالى لتاريخ انتهاء العمل بالمحفوظات [٥].

- التشريع الحالى بشأن جمع الوثائق من مصادرها الأصلية[٦]:

تنص المادة ٢ من القانون رقم ٣٥٦ لسنة ١٩٥٤ الخاص بإنشاء دار الوثائق القومية على ما يلى:

- تقوم هذه الدار بتجميع الوثائق التى تعد مادة لتاريخ مصر وما يتصل به

فى جميع العصور وبحفظها وبتيسير دراستها وبالعمل على نشرها، كل ذلك مع عدم الإخلال بأحكام القانون ٢١٥ لسنة ١٩٥١ المشار إليه (وهو القانون الخاص بحماية الآثار).

أما المادة ٤ فتنصّ على ما يلى:

- تعتبر نواة لمجموعات الوثائق التي ستضمها هذه الدار الوثائق الموضوعة بالجهات التالية:

١) أقسام المحفوظات التاريخية فى القصر الجمهورى

٢) دار المحفوظات العمومية

٣) مجلس الوزراء

٤) وزارة الخارجية

٥) وزارة العدل

٦) وزارة الأوقاف

٧) الأزهر

على أنه يجوز للجهات المذكورة فى البنود من ٣: ٧ أن تحفظ لديها الوثائق التى ترى أن لها صفة سرية، وتضم إلى هذه الدار الوثائق التى يقرر المجلس الأعلى (للدار) اعتبارها ذات قيمة تاريخية والموجودة لدى الوزارات والمصالح الأخرى أو لدى الأفراد والهيئات.

أما المواد ٥، ٦، ٧ من هذا القانون فتنصّ على جواز صدور قرار من قبل وزير الإرشاد القومى (حينذاك) باعتبار أية وثيقة لدى الأفراد أو الهيئات أو الوزارات أو المصالح الحكومية ذات قيمة للتاريخ القومى

والمطالبة بإيداعها فى دار الوثائق القومية، كما يحق له الاستيلاء على الوثائق الموجودة لدى الأفراد والهيئات بناء على اقتراح المجلس الأعلى للدار الذى يقدّر قيمة التعويض المناسب، على أن يسلّمها حائز الوثيقة و/أو الوثائق إلى الدار خلال ٣٠ يومًا من تاريخ الإخطار .

كما أضافت المادة ٥ من قانون سنة ١٩٥٤ أنه يجوز أن يتضمن هذا النظام النص على منع نشر بعض الوثائق لمدة لا تجاوز ٥٠ عامًا إذا اقتضت المصلحة العامة ذلك (وقد صدر هذا القرار الجمهورى فى عام ١٩٧٩)، وتشير المادة الرابعة من القرار السابق إلى التحفظ على الوثائق والمستندات المتعلقة بالسياسات العليا للدولة فى الجهات التى أصدرتها لمدة لا تتجاوز ١٥ عامًا تنتقل بعدها إلى دار الوثائق القومية، وتظل محتفظة بسريّتها لمدة ١٥ عامًا أخرى (يؤشّر عليها بكلمة "سرى") ؛ أما المادة الخامسة من القرار فتنصّ على أنه يمكن لدار الوثائق تشكيل لجنة تمثّل فيها الجهة المصدر للنظر فى الوثائق التى مرّ عليها ٣٠ سنة فأكثر، يتقرّر بعدها إمكانية إتاحتها للاطلاع أو استمرار سرّيتها لمدة ٢٠ سنة أخرى (يؤشّر عليها بكلمة "سرى للغاية")، بشرط ألا تتجاوز مدة حظر الاطلاع ٥٠ عامًا تبدأ من تاريخ إصدار الوثيقة أو المستند [٧].

وقد تلت هذا القانون عدة منشورات دورية (حوالى ١٣ منشورًا دوريًا)[٨] مضمونها الرئيسى وفحواها هو عدم جواز الاستغناء عن المحفوظات التى تستوفى مدة حفظها القانونى إلا بعد العرض على اللجنة الدائمة للمحفوظات فى الدار وبحضور مندوب عن دار الوثائق القومية، وتشكيل لجان دائمة للمحفوظات فى كل الجهات ذات الاستقلال فى ميزانيتها والتابعة لوزارة أو مؤسسة بحيث تكـون لها شخصيتها الاعتبارية وميزانيتها

المستقلة، وأن يراعى فى إعداد اللوائح الداخلية للمحفوظات حصر كافة أنواع النماذج المستخدمة بجميع الوحدات واستطلاع رأى الإدارات بشأن مدة الحفظ المقترحة لحفظ كل نوع منها، على أن يؤخذ فى الاعتبار أن المحفوظات على نوعين: مستديمة (مثل مستندات الأصول والاتفاقيات والعقود ومحاضر مجلس الإدارة والقرارات والأوامر المنظمة للعمل والميزانية العامة والخرائط والرسومات وسجلات الأقدمية واللوائح وملفات كبار العاملين...إلخ) ومؤقتة (وهى تلك التى يتم الاستغناء عنها بعد استخدامها لغرض ما خلال فترة معينة من واقع ظروف العمل نفسه، مع مراعاة مدة الاستبقاء المنصوص عليها فى القانون).

تلك هى أهم بنود القوانين والتعديلات المنظّمة للحصول على الوثائق.

- أساليب الحصول على الوثائق[٩]:

الوسائل الحالية لجمع الوثائق من مصادرها الأصلية هى:

١) **التحويل الإدارى:** من جميع الهيئات الحكومية عدا رئاسة الجمهورية ووزارة الدفاع (وبخاصة الاستمارات المالية ودفاتر مكتب الأفراد) لما يغلب على وثائقهما من طابع السرية ودواعى الأمن القومى، أما وزارة الأوقاف فتحتفظ بأرشيفها الخاص بناء على نص قانون ١٩٥٤ الذى يقضى بجواز احتفاظ وزارة الأوقاف والأزهر بوثائقهما، أما وزارة العدل فهي تقوم بتحويل كافة الوثائق عدا الوثائق المتعلقة بالشهر العقارى، أما الجهة الأخيرة فهى ما يتم تحويله من الأرشيف الوسيط (أى دار المحفوظات العمومية)، وفى واقع الأمر فإن دار المحفوظات لا تستقبل أية إرساليات من أية جهة حكومية منذ عام ١٩٨٦ فيما عدا وزارة الدفاع.

٢) **الإهداء**: وغالبًا ما يكون عشوائيًا، والواقع أنه ينبغى النظر بعين الحرص للوثائق المهداة، حيث إنها قد تكون وسيلة لإثبات حقوق قد لا تكون شرعية. وعلى كل الأحوال تضم تلك الوثائق بأسماء أصحابها كتقدير أدبى لهم.

٣) **الشراء**: بحيث تقدر القيمة الوثائقية والتاريخية والمالية للوثيقة (أو الوثائق) وتخضع للميزانية المقررة للشراء.

والوضع الحالى بالنسبة لدار الوثائق هو أنها تقتنى وثائق قصر عابدين ووزارة الخارجية ووزارة الدفاع حتى عام ١٩٦٥، ووثائق المحاكم التابعة لوزارة العدل. وتنتظم أعمال الدار فيما يتعلق بجمع الوثائق من خلال لجنتين، هما: لجنة الضم والاستغناء، التى يعرض عليها ما يتم إهداؤه، وما يتم تحويله إداريًا، أما اللجنة الثانية فهى: اللجنة الدائمة للمحفوظات فى الجهات، وتقوم بمهمة الإشراف على قطاع المحفوظات وتنظيمها وترتيبها وعمل سجلات وفهارس لها والنظر فى كافة احتياجات ذلك القطاع، والنظر فى الاستغناءات الإدارية التى تستوفى مدة الحفظ القانـــونية قبل تحويلها إلى لجنة الضم والاستغناء. وفى بعض المنشورات الدورية العامة التى صدرت أثناء الثمانينات ما يشير إلى أنه لا يتم إخطار مندوب دار الوثائق القومية باجتماعات اللجنة الدائمة للمحفوظات، ففى المنشور رقم (٢) ما نصه:"لما كانت اللجنة الدائمة للمحفوظات هى حلقة الاتصال بين دار الوثائق القومية والجهة التى تتبعها اللجنة الدائمة... ونظرًا لما لوحظ من أن كثيرًا من الجهات تعقد اجتماعات لجنتها الدائمة للمحفوظات دون إخطار دار الوثائق القومية بتاريخ وموعد الاجتماع مما يترتب عليه عدم حضور مندوب الدار هذه الاجتماعات، فإن دار الوثائق القومية ترجو من السادة رؤساء اللجان

الدائمة للمحفوظات مراعاة عدم عقد أي اجتماع دون إخطار الدار ليتسنى لها إيفاد مندوبها لحضوره، كما ترجو أن يكون إخطارها قبل موعد الاجتماع بوقت كاف..." ؛ أما المنشور رقم (٣) فموضوعه ضرورة عقد اللجنة بصفة دورية:"...إلا أنه قد اتضح من متابعـــة أعمال اللجان الدائمة للمحفوظات أن بعض اللجان لا تعقد اجتماعاتها الدورية إلا بعـــد انقضاء فترة طويلة جـــدًا على الاجتماع السابق، الأمـــر الذى يؤدى إلى ضعف الصلة بين اللجنـــة وبين المحفوظات ويعوق أداء اللجنة لعملهـــا...".

ومن المثير للتساؤل الانفصال الفعلى بين دار الوثائق القومية ودار المحفوظات العمومية رغم أن اللوائح المنظمة للأعمال المتعلقة بكليهما مضمونها **التعاون** كلّ حسب أهدافه، حيث إنه من المفترض أن دار المحفوظات هى أحد أهم مصادر الحصول على الوثائق ؛ ولاعتبارات أهمّ هى أن دار المحفوظات العمومية هى الأرشيف الوسيط الذى ينبغى أن تنتقل منه الوثائق التى تحفظ حفظًا دائمًا إلى دار الوثائق فى فترات زمنية محدّدة، ولكن الواقع هو الانفصال الفعلى، وبرغم أن نص القانون لم يتضمن أى بيان عن علاقة دار الوثائق بدار المحفوظات، فإن المذكرة التوضيحية للقانون أشارت إلى هذه العلاقة، وهى أن يكون لدار الوثائق سلطة اختيار ما تراه مناسبًا لأهدافها من دار المحفوظات العمومية، وذلك من حيث أن دار المحفوظات هى مرحلة من مراحل حفظ الوثائق[١٠].

ثانيًا: أساليب الحصول على الوثائق فى أرشيفات العالم.

نعرض فى هذا الجزء من البحث للجزء الخاص بجمع الوثائق فى الأرشيفات الوطنية كما ورد فى دراسة تشريعات الوثائق التى وضعها قسم برنامج المعلومات العام Division of the General Information Programme [١١] بهيئة اليونسكـــو التابعـــة للأمم المتحدة بالتعـــاون مع

المجلس الدولـــي للأرشيـــف ICA (International Council of Archives)[١٢]، اعتمادًا على تحليل التشريعات والقوانين الأرشيفية فى ١٢٠ دولة، ولم تقتصر بنود التشريعات فى الدراسة المذكورة على البنود الخاصة بوثائق الدولة وحسب، بل امتدت أيضًا إلى الوثائق غير التقليدية والوثائق الخاصة ووثائق الأفراد، وامتد الأمر كذلك إلى الاهتمام بمشروعات التاريخ الشفهى الذى يؤرخ لتاريخ الشعوب، وتمّت الإشارة فى بنود التشريعات إلى ما يُلزم بإيداع كل ما هو مصدر لهذا التاريخ فى الأرشيفات الوطنية، بل إن هيئة الأمم المتحدة تقوم حاليًا بمشروع عالمى للتاريخ الشفهى عنوانه "ذاكرة العالم" Memory of the World[١٣].

- **التشريعات الدولية والوطنية بشأن جمع الوثائق فى الأرشيف الوطنى، وأساليب الحصول عليها، وتنظيم تدفقها لدور الأرشيف.**

تضم الدراسة المشار إليها آنفًا كل ما يتعلق بالتشريعات والقوانين الأرشيفية، مع الإشارة إلى أنه لا يمكن أن تتوحّد التشريعات الأرشيفية لاختلاف الظروف السياسية والتاريخية لكل دولة، وحتى بالنسبة لظروف نشأة الأرشيف وأهدافه.

وسنقتصر هنا على عرض البنود الخاصة بسلطة جمع الوثائق وتنظيم تدفقها لدور الأرشيف فى العالم من واقع تلك الدراسة. وفى خلاصة عن تعريف "الوثيقة" فى القوانين والتشريعات الأرشيفية، تبيّن أن ذلك التعريف يشير إلى مصدر الوثيقة provenance، ويتناول الوثائق الأرشيفية Archives والوثيقة الإدارية Administrative Record، وقد يتم التمييز بينهما (على أساس أن الوثيقة الأرشيفية هى التى تحفظ حفظًا دائمًا وأن الوثيقة الإدارية هى التى أنتجها أو استقبلها كيان عام أثناء أدائه لوظائفه)

بغضّ النظر عن شكلها المادى، كما أن هناك بعض التشريعات التى تقدّم تعريفًا لا يوضّح الفوارق بين الوثائق العامة والوثائق الخاصة، إلا أن ما هو مقبول فى علم الأرشيف الحديث هو التعريفات التى تميّز الوثائق الإدارية بأنها أنتجت أثناء العمل اليومى الإدارى(١٤)، ومثل هذا التعريف قد يحتاج إلى توضيح المعايير للقيمة الإثباتية والمعلوماتية للوثيقة، وهو الأمر الذى تضمّنته النظرية الأرشيفية فى كندا والولايات المتحدة الأمريكية (١٥). والواقع أن بعض تعريفات الأرشيف والوثائق ستحتاج إلى بعض الإضافات فى ظل ظهور وسائط جديدة حاملة للمعلومات مما تنتجه التكنولوجيا.

والواقع أن التشريعات الحالية تعرّف الوثائق الأرشيفية والإدارية العامـــة استنادًا إلى: *مصدر الوثيقة (تشريعات كندا، الكاميرون، فيجى، المجر، اندونيسيا، ليسوتو، ماليزيا، هولندا، نيوزيلندا، الفلبين، بويرتوريكو، السودان، الولايات المتحدة، يوغوسلافيا)

*مكان حفظ الوثيقة: بأن تكون فى حوزة كيان رسمى أو حكومى (تشريعات بلجيكا، مصر، جامبيا، غانا، اسرائيل، موريشوس، نيجيريا، رودس، سيراليون، أسبانيا، المملكة المتحدة، زامبيا)

*تحديد أنواعها: مع أمثلة أو بدون أمثلة، أو تحدّد أنواعها مع الاحتياط لإمكانية تطبيق التعريف العام على وثائق بعض المؤسسات، أو أن يتم تحديدها بالتفصيل فى بعض التشريعات (تشريعات شيلى، بنمـــا، سويسرا، كينيا، تنزانيا، اليونان) (١٦).

أما بشأن الوثائق الخاصة التى يملكها أفراد، فإن التشريعات الحالية تفرض بعض السيطرة من السلطة الأرشيفية على الأرشيف الخاص، على الأقل الأرشيفات الخاصة التى تلقى اهتمامًا عامًا، وتتفاوت تلك السلطة من دولة لأخرى، حيث إن السيطرة الصارمة فى أسلوب الحصول على الوثائق

الخاصة قد تدفع البعض إلى إتلاف أو – على أحسن تقدير – إخفاء ما بحوزتهم من الوثائق. وينبغى تشجيع حائزى الوثائق الخاصة على إهدائها أو التبرع بها للأرشيف الوطنى. وفى بعض الحالات قد يكتفى الأرشيف الوطنى بالحصول على صور أو مستنسخات من وثائق الأرشيفات الخاصة. يجدر بالذكر أن التشريع الوطنى بالرجوع إلى اتفاقية اليونسكو لعام ١٩٧٠ يمكنه أن يتضمن منع أو حظر التصرف غير المشروع فى الوثائق[١٧] (وهو ما تتضمنّه بعض التشريعات، ولكن التساؤل: هل توضع تلك البنود من التشريع محل التنفيذ ؟).

من الأمور المهمة التى وردت فى بعض التشريعات التنسيق بين الأرشيف الوطنى والجهـات المصادر، ويتّخذ ذلك التنسيق أحد المظاهر التالية: إما مجلس إدارة فى الأرشيف الوطنى تابع له (وذلك مطبّق فى معظم دول العالم بسبب أن شبكة المعلومات الأرشيفية بدأت بتأسيس الأرشيف الوطنى قبل أن تبدأ بتطوير إدارة الأرشيف الوطنى)، أو قسم خاص (أو مركز وثائق) فى الجهات مسؤوليته هى الوثائق العامة والأرشيف الوطني (وهذا مطبّق فى بلغاريا، التشيك، ألمانيا، إسبانيا، إيطاليا)، أو هيئة مستقلة أو مجلس أو لجنة أو أى كيان آخر يملك قوة الإرشاد والتنفيذ (كان هذا النظام موجودًا فى الاتحاد السوفييتى سابقًا).

والخلاصة أن التشريع الخاص بشبكة النظام الأرشيفى الوطني لابد أن يأخذ بعين الاعتبار البنية الأساسية لنظام الدولة ودرجة الاستقلال الذاتى المتاحة للسلطات فى المستويات الفرعية من نظام الحكومة.

أما الجزء الخاص فى هذه الدراسة بوظيفة "إدارة الوثائق" records management فهو على جانب كبير من الأهمية، حيث أنه يتناول علاقة الأرشيف الوطنى بإنتاج الوثيقة منذ بدايتها، فهو يعرّف إدارة الوثائق بأنها: "

هى ذلك الجزء من الإدارة التنفيذية العامة التى تهتم بتحقيق أقل تكلفة وأعلى كفاءة فى إنشاء وصيانة واستخدام والتخلص من الوثائق ". وتشير الدراسة إلى أن عددًا قليلا من الدول هو الذى يملك حق المسؤولية القانونية على كامل وظائف إدارة الوثائق، أو يقع من ضمن مسؤولياته وضع معايير لنظام الوثائق وتقديم الخدمات الإرشادية، فى حين تتضمّن معظم التشريعات شروطًا عامة للتأكيد على إدارة جيدة للوثائق، ويتم تنفيذ تلك الفقرات الشرطية من خلال التشريعات والمنشورات الدورية...إلخ. وفى التشريع الأرشيفى للولايات المتحدة الأمريكية بندًا مضمونه أن إدارة الوثائق هى "التخطيط والتحكم والتوجيه والتنظيم والتدريب والإنشاء وكافة النشاطات الإدارية ذات العلاقة بإنشاء الوثائق والحصول عليها واستخدامها وأيضًا إعدامها"[١٨]. ومهما يكن من أمر فى هذا الشأن، فإن دور الأرشيف الوطنى قبل انتقال الوثائق الإدارية إليه ينحصر فى التنسيق أو إبداء الرأى فى الفرز والتقييم وإعدام الوثائق. ولا يعنى ذلك أنه لا توجد مشروعات لإدارة الوثائق فى مثل تلك الدول، ولكن تلك المشروعات تعتمد على التشريعات التى وضعتها الحكومة ولا تعتمد على متطلبات وقواعد الأرشيف الحديث، هذا مع الإشارة إلى أن تلك التشريعات تتضمن بعض الشروط العامة لضمان إدارة جيدة للوثائق[١٩].

لقد شملت هذه الدراسة أيضًا مراكز الأرشيف الوسيط وأشير إليها "بمراكز الوثائق" Records Centres التى تخزّن فيها الوثائق فى عمرها الجـارى current وعمرها الوسيط pre-archive (أى ما قبل انتقالها للأرشيف الوطنى)، وقد أوضحت الدراسة اختلاط الأمر بين مركز الوثائق والأرشيف الوسيط، فمن وجهة النظر القانونية فإن الجهة المنتجة للوثيقة لا تتحكم فى الأرشيف الوسيط ولكنها من المفترض أن تتبع الأرشيف الوطنى،

وعليه فإن المستودعات الوسيطة التى أعدتها الإدارة التى أنشأت الوثائق وتقوم بإدارتها ليست مراكز للوثائق بأى حال (كما هو واضح فى التشريع التركى، وهيئة التقييم المركزية الألمانية). وفى الأرشيف البرازيلى " قسم ما قبل الأرشفة" Division du préarchivage تابع للأرشيف الوطنى، وفى فرنسا تحفظ وثائق العمر الوسيط فى مراكز الوثائق تحت إشراف وإدارة الأرشيف الفرنسى. أما التشريع الأمريكى فيمنح الأرشيف الوطنى حق إنشاء وإدارة مراكز الوثائق فى الجهات المصادر للوثائق الأرشيفية. وفى إشارة دالة لأهمية الأرشيف الوسيط فى العمل الأرشيفى ورد ما يفيد بأنه من غير المنطقى أن يقف التشريع الأرشيفى حجر عثرة أمام إنشاء مراكز الوثائق والأرشيفات الوسيطة [٢٠].

سنتناول الآن بشئ من التفصيل أهم تشريعات نقل أو جمع الوثائق: فانتقال الوثيقة إلى الأرشيف معناه أن تلك الوثيقة انتقلت إلى وضع مختلف سواء تغيرت حجيتها القانونية أو لم تتغير. وينبغى أن يراعى المشرّع ما يلى فى بنود جمع وانتقال الوثائق:

- قاعدة مرور مدة زمنية مقرّرة بعد إنشاء الوثيقة قبل انتقالها إلى الأرشيف
- الاستثناءات القانونية للفترة المحدّدة للاستبقاء واتخاذ إجراءات تضمن الاستثناء المؤقت (بتأجيل انتقال الوثائق للفترة المقترحة)
- اتخاذ إجراءات الانتقال قبل انقضاء مدة الاستبقاء
- توضيح البنـود الخاصة بانتقال أنواع معينة من الوثائق غير التقليدية من وجهة نظر الإيداع القانونى، أو لتأكيد التنظيم الفعالَ للمواد السمعية والبصرية والوثائق المقروءة آليًا...الخ
- وضع بنود واضحة لقواعد انتقال الوثائق للأرشيف الوسيط قبل انتقالها إلى الأرشيف الوطنى للحفظ الدائم

- استبعاد بعض الجهات الحكومية من الترتيب العادى لانتقال الوثائق بالنسبة للجهات الأخرى

يجدر بالذكر أن التشريعات الحالية تحدّد مدة الاستبقاء للوثيقة ما بين ٥ إلى ١٠٠ عام حسب نوع وأهمية الوثيقة، وقد تخضع تلك الفترة لما تراه الجهة المنتجة لها (فرنسا) ويحدّد مجلس إدارة الأرشيف الفرنسى تلك المدّة لكل جهة منتجة للوثائق.

وتنصّ تشريعات انتقال الوثائق على أنها ينبغى أن تكون فى حالة جيدة وفي تنظيمها الأصلي (مبدأ المتكاملة الأرشيفية)، وتطلب أرشيفات بعض الدول نسخة من سجل وسائل الإيجاد (الفهرس أو الكشاف) لتنتقل مع الوثائق إلى الأرشيف، كما ينبغى إرسال إشعار بانتقال الوثائق إلي الأرشيف حتى يتم إجراء الترتيبات المطلوبة لاستقبالها ؛ وتسجّل الوثائق الواردة إلى الأرشيف فى قائمة تحويل، يوقّعها مندوب إدارة الأرشيف وتحتفظ بها الجهة المصدّرة للوثائق كورقة رسمية تثبت انتقال الوثائق، وغالبًا تتحمّل تلك الجهة مصروفات وإجراءات انتقال الوثائق إلى الأرشيف. وقد تضمّن منشور دورى للأرشيف الوطنى السويدى تعليمات خاصة بشأن انتقال الوثائق المقروءة آليًا والمصغّرات الفيلمية (الميكروفيلم)، حيث تسجّل معلومات الفئة الأولى على شريط ممغنط من نسختين بناء على المعايير التى وضعها، ويكون معها التوثيق الخاص بها والصور الورقية المتعلقة بها، أما بعض الأنواع غير التقليدية من الوثائق فقد ينصح أحيانًا بانتقالها قبل المدّة المقرّرة، ففى القوانين البولندية ما يلزم بانتقال الصور والتسجيلات الصوتية والأفلام بعد ٥ سنوات فى حين أن الوثائق العادية للحكومة تنتقل بعد ١٥ سنة. وفى رومانيا تنتقل الصور بعد ١٥ سنة فى حين أن المدّة المقرّرة هى ٣٠ سنة[٢١].

وقد اقترحت المائدة المستديرة للأرشيف عام ١٩٦٧ بديلين: إما مدة استبقاء تمتد إلى ٥٠ عامًا مع إمكانية تقليلها فى بعض الحالات، أو مدة استبقاء تمتد إلى ٣٠ عامًا مع إمكانية التأجيل للحفاظ على مصالح الحكومة والمواطنين. والواقع أن الفترات القصيرة لمدة الاستبقاء تثقل كاهل الأرشيف بمهام إضافية يمكن أن يقوم بها إدارة الجهة و/أو مركز الوثائق بها، ولكن هناك احتياج حقيقى فى الدول النامية لاختبار مدة الاستبقاء التي تستغرق ٣٠ عامًا فى ضوء الكفاءة الحكومية والوضع الاقتصادى لتلك البلاد، خاصة فيما يتعلق بالبرنامج الزمنى لجمع الوثائق، وإعدام الوثائق غير ذات القيمة الأرشيفية [٢٢].

والتساؤل الذى يطرح نفسه هنا: هل من الأفضل تأجيل جمع الوثائق حفاظًا على المصلحة العامة، أم جمعها والاحتفاظ بها فى الأرشيف الوطنى ولا يتم الإفراج عنها إلا بعد مرور فترة زمنية محدّدة ؟ من المنطقى أن الوثائق ستكون فى مأمن عند انتقالها فى الفترة المقرّرة إلى الأرشيف الوطنى، خاصة إذا كان هناك التزام صارم بتأشيرة: "سرى" و "سرى للغاية".

من الملامح الأساسية فى هذه الدراسة إشارتها إلى عدم وجود نصوص تشريعية بشأن العاملين فى دور الأرشيف، وكذلك بالنسبة للتدريب، وكل ما هو متاح دراسة منشورة فى مجلة Archivum (مجلة المجلس الدولى للأرشيف) عن التشريعات والواقع العملى فى عدد من الدول يمكن أن تكشف عن عدد من العناصر التى قد تكون أساسًا للخطوط العامة المتعلقة بتوصيف الوظائف الأرشيفية ومعايير التعيين وتنظيم دورات التدريب...الخ [٢٣].

من الواضح بعد هذا الاستعراض لبنود التشريعات الأرشيفية ذات العلاقة بجمع الوثائق أن الدول المتقدّمة – بشكل عام – لديها الوعى التام

بأهمية الأرشيف ككيان وطنى يحفظ التاريخ والحقوق المدنية على السواء، وبالنظر إلى أن هذه الدراسة جـــرى إعدادها فى عام ١٩٨٥، فقد تغيّرت الصورة العملية لتتواكب مع التغييرات الهائلة فى مجال انتقال المعلومات وتكنولوجياتها.

ومع أن التشريعات الأرشيفية فى حدّ ذاتها لم يطرأ عليها تغيّرات جذرية، إلا أن سير العمل الأرشيفى قد تغيّر بخطى أوسع، وأصبح يعتمد بشكل أعلى على تكنولوجيا المعلومات ومعطياتها ؛ وهذا هو موضوع القسم التالى.

مشروعات الأرشيف الإلكترونى وإنتاج الوثيقة الإلكترونية .

ما من شك فى أن الأرشيف الأمريكى سبّاق فى مجال استخدام تكنولوجيا المعلومات، لسبب أساسى هو أن الولايات المتحدة الأمريكية دولة منتجة للتكنولوجيا فى الأساس بل ومصدّرة لها، ونفس هذه التكنولوجيا وضعت الأرشيف الأمريكى أمام تحديات دقيقة فى وسائط المعلومات الرقمية، لأن الأرشيف – فى كل دول العالم - له متطلباته الخاصة، والأرشيف الأمريكى له متطلباته الأكثر خصوصية لدوره غير المسبوق فى الحكومة الفيدرالية الأمريكية، ولسبب المدى الواسع للنشاط الحكومى وتنوّعه.

ومن أهم ما يميّز الأرشيف – عمومًا – أنه يحفظ المعلومات ويقدّم وثائق أصلية لأجيال من المستفيدين، ومن الممكن أن تكون هذه الوثيقة على أى شكل. وما تتميز به الوثائق الأرشيفية عن المواد التوثيقية فى العموم ليس الشكل، بل تتميز بصلتها بالنشاط الذى نشأت أو تم استقبالها من أجله. ويستلزم الدخول فى عصر المعلومات الرقمية القدرة على حفظ مضمون الوثيقة وبنيتها ومحتوياتها، وإذا أمكن التعبير عن أى من هذه العناصر فى

شكل رقمى، فيجب أن تحفظ الوثيقة فى ذلك الشكل. إن صعوبة تنفيذ الشكل الرقمى للوثائق يتوافق مع الالتزام الأرشيفى بالحفظ الدائم للوثائق(٢٤).

وحتى الآن، فإن الأساليب الفعالة لحفظ أغلب أشكال المعلومات الرقمية ليست متاحة، وكذلك طرق ترتيبها. وتزداد صعوبة أمر الحفظ الرقمى بالنسبة للأرشيف الأمريكى بسبب السلطة الممنوحة له ومسؤولياته فى إدارة دورة حياة الوثائق فى جميع فروع الحكومة الفيدرالية. وفضلاً عن ذلك، فإن الأرشيف الأمريكى مسؤول عن إرشاد جميع الجهات الفيدرالية فى إنشاء الوثائق وإدارتها، وهى تكوّن فى مجملها شبكة معقّدة من النشاطات متعدّدة الأبعاد، والتى تستخدم فيها أنظمة حاسب آلى ووسائط رقمية وتطبيقات تتغيّر بشكل مستمر (على سبيل المثال: مكتب الرئيس، الكونجرس، المحاكم...الخ).

وقد بدأ أول ظهور للوثائق الإلكترونية فى عام ١٩٧٠، ومنذ ذلك الحين وهى تنمو باطّراد وتذهب المؤشرات فى اتجاه أنها ستزداد نموًا فى المستقبل، فهل سيصبح هناك أرشيف الوثائق الإلكترونية ؟ هذا بالإضافة إلى أن هناك صعوبة فنية فى حفظ واسترجاع المعلومات الرقمية على المدى البعيد نظرًا للتطور المستمر فى الأجهزة والتطبيقات، والنمو المطّرد ليس فقط فى أعداد الوثائق الإلكترونية وإنما فى وسائطها أيضًا. ولمواجهة تلك التحديات، قام الأرشيف الأمريكى بوضع استراتيجية تعاونية فى الخطة الاستراتيجية للأرشيف وصدرت فى عام ١٩٩٧، وتابع تلك الاستراتيجية منذ بدايتها حتى وصلت الآن إلى مشروع أرشيف الوثائق الإلكترونية (أو ما نعرفه اختصارًا بالأرشيف الإلكترونى) Electronic Records Archives: (ERA) Program فقد قامت إدارة الأرشيف الأمريكى بفتح قنوات اتصال مع وكالة الفضاء الأمريكية NASA والتعاون مع هيئات

المشروعات البحثية المتقدمة التابعة لوزارة الدفاع، ومعمل أبحاث الجيش الأمريكى وغيرها، وذلك من خلال المشاركة والتعاون فى المشروعات ذات الاهتمام بحفظ الوثائق الإلكترونية) والأخذ بكل الفرص الممكنة للتعاون مع الجهات المهتمة (مكتبة الكونجرس، وبعض الأرشيفات الوطنية فى العالم من خلال مشروع الدراسة العالمية عن الوثائق الأرشيفية الأصلية فى الأنظمة الإلكترونية InterPARES[٢٥] =International Research on Permanent Authentic Records in Electronic Systems، وهذا المشروع يضم ١٠ أعضاء ممن يمثلون الأرشيفات الوطنية في العالم).

لقد أدرك الأرشيف الأمريكى أن مواجهة مثل هذه التحديات يستلزم ما يلى:

- مواجهة التغيّر التكنولوجى على نحو يحفظ الوثائق الأصلية، بمعنى ألا يؤخذ فى الاعتبار الوسيط الحامل للوثيقة أيًا كان التطوّر التكنولوجي فى أشكال الوسائط، وإنما مضمون الوثيقة نفسها.
- إيجاد حلّ دينامى (أى متّسم بفاعلية وتغيّر مستمرين) للتعامل مع توقّعات التغيّر المستمر فى تكنولوجيا المعلومات وفى الوثائق التى تنتجها
- إيجاد سبل للاستفادة من تطوّر تكنولوجيا المعلومات للحفاظ على مستوى الأداء وخدمة المستفيدين وتحسينهما.

إن الأرشيف الإلكترونى الخاص بالأرشيف الأمريكى هو هدف لمجموعة من التعاونيات التى تشكّل فى مجموعها أبحاث ونشاطات تطوير، ولا زال مشروع الأرشيف الإلكترونى الأمريكى تحت التطوير، وسيمرّ عدد من السنوات قبل تحقيق الصورة الكاملة عن أرشيف المستقبل واختباره على المستوى العملى، ومع ذلك فقد حقّق المشروع تقدّمًا كبيرًا على مستوى استراتيجية التطوير وعلى مستوى نموذج المفاهيم[٢٦].

ثالثًا: مقترحات وتوصيات

في ظل المعطيات الحالية، فإن المقترحات التالية تظل خطوة على طريق طويل من التطوير الذى تشهده دار الوثائق القومية من خلال لجنة التطوير في الدار، لذا فإن التطوير المقترح يبنى فى الأساس على الجزئية التى يعنى بها هذا البحث وهى جمع الوثائق من مصادرها الأصلية.

تظل فكرة إجراء التعديل أو التطوير مرحلية، أى أنها ينبغى أن تسير على هدى استراتيجية واضحة لهدف تعديل أجزاء نظام دار الوثائق لتنتظم كل الأجزاء فى كيان يؤدى وظائفه ومهامه بناء على منهج علمى، وبالتالى فمن المقترح فى جزئية جمع الوثائق ما يلى:

المرحلة الأولى: إجراءات تنظيمية أساسية

ليس فى الإمكان البدء فى إعداد أى مشروع للتطوير دون الأخذ فى الاعتبار ما فى عهدة دار الوثائق القومية من أنواع الوثائق، تلك المقتنيات التى ينبغى أن يدرك جميع العاملين فى الدار أهميتها التاريخية والمعلوماتية والقومية، وعليه يصبح إعداد حصر كامل للمجموعات الأرشيفية فى الدار، بما تشمله من سجلات وملفات ودفاتر ووثائق مفردة، ضرورة حتمية.

- ينبغى أن يبدأ تنفيذ بنود اللائحة التنظيمية والتنفيذية لدار الوثائق القومية بشكل جاد، على الأقل مرحليًا لحين صدور قانون الوثائق الجديد الذى يلزم جميع الشخصيات المعنويـــة العامة بتسليم وثائقها إلى الدار، وتخول وزير الثقافة ضم الوثائق الخاصة بالشخصيات الطبيعية أو المعنوية الخاصة إذا كانت الوثيقة ذات قيمة تاريخية بناء على تقرير من مجلس إدارة دار الوثائق القومية (وهو بند موجود فعلاً فى القانون الحالى).
- الجهة الأولى التى ينبغى أن تؤخذ بعين الاعتبار هى دار المحفوظات العمومية، فالوثائق التى وردت إليها تصل إلى الدار – إن وصلت - فى

حالة سيئة، وتقع فى عهدة دار المحفوظات مجموعات أرشيفية ذات قيمة تاريخية بالغة الأهمية ينبغى – بداهة – أن تضم إلى الدار الوطنية للوثائق، منها -على سبيل المثال لا الحصر- دفاتر التآريع التى تعد أساسًا للمساحة القديمة، ودفاترِ مكلفات الأطيان، ودفاتر مكلفات المبانى. ولاعتبارات أن دار المحفوظات العمومية تمثّل الأرشيف الوسيط فى مصر(٢٧)، فالأمر يقتضى أن تقنّن العلاقة بين دار الوثائق ودار المحفوظات بحيث يخدم التعاون بينهما أغراض البحث التاريخى فى مصر، وذلك بأن تكون تبعية دار المحفوظات لدار الوثائق القومية.

- فيما يتعلق بالوثائق المعنوية العامة، أى الصادرة عن جهات وهيئات ومؤسسات حكومية، من الضرورى وجود من يمثّل دار الوثائق القومية فى كل تلك الجهات فى العاصمة أو فى المحافظات أو فى الأقاليم، والواقع أن تلك هى مهمة اللجنة الدائمة للمحفوظات، بحيث تكون مهمة ذلك المندوب هى الإشراف على وثائق تلك الجهات وتقديم المقترحات بشأن مدة حفظها فى الجهة، وما يمكن أن يستغنى عنه بعد انتهاء الحاجة الإدارية إليه، وانتقال ما هـــو مهم منها إلى دار الوثائق القومية بعد استيفاء مدة استبقائها فى تلك الجهة، وبالطبع من الأفضل أن يكون ذلك فى ضوء قواعد المنظمة الدولية للتوحيد القياسى ISO المتعلّقة بالأرشيف وقواعد الجمع والحفظ وإدارة الوثائق الجارية(٢٨).
- البدء فى إعداد قاعدة (أو قواعد) بيانات محسّبة كمرحلة تالية (أو متزامنة) مع حصر مجموعات الوثائق وضبط الفهارس اليدوية وإعدادها بناء على ما هو موجود فعلاً فى الدار، الأمر الذى يتيح حرية البحث وسرعته للباحثين، وذلك توطئة للإشراف على قواعد البيانات فى مراكز المعلومات الوثائقية فى الجهات المصادر التى تقوم بتنسيق أعمالها مع

الدار – خاصة فى ظل الكتاب الصادر من وزير التنمية الإدارية بإنشاء مركز للوثائق بكل وزارة - بحيث يكون مرتبطًا بقاعدة البيانات فى دار الوثائق القومية. ومن المقترح أن يجرى العمل فى إعداد هذه القاعدة على النحو التالى:

أ) تدريب فريق عمل لمدة محدّدة على طرق الوصف الأرشيفى للوثـــائق بأنواعها المختلفة ب) تبدأ مجموعة المفهرسين المتدربين بإدخال البيانات على بطاقات الوصف المعدّة من قبل مصمّم (أو مصمّمى) قاعدة البيانات، وذلك بناء على خطة عمل مرحلية يتم الاتفاق عليها مع مديرى الإدارات. ويعتمد حجم الإنجاز فى هذه المرحلة على عدد المفهرسين الذين ستتم الاستعانة بهم.

وفى واقع الأمر فإن التنوّع فى أشكال الوثائق الورقية وطرق حفظها يجعل من الصعب تطبيق بطاقة فهرسة معيارية على جميع الوثائق، لذلك ينبغى وصف محتويات الوثائق بما يحقّق المختصر المفيد فى كلمات دالة تصف بدقة محتويات الوثيقة أو مجموعة الوثائق.

المرحلة الثانية: الميكنة Computerizing(٢٩)

- المرحلة الأولى فى الميكنة هى توفر الآتى:

* اعتماد ميزانيات مالية مناسبة: لشراء المعدات والتجهيزات اللازمة لمشروع الميكنة، ولصيانة الأجهزة دوريًا، ولتحديث الأجهزة والبرامج بشكل مستمر حتى تتواكب مع التطور المستمر للبرمجيات وإمكانيات الأجهزة نفسها.

* خطة عملية لميكنة مجموعات الوثائق الموجودة فعلاً بناء على الحصر الكامل لها ومن واقع الفهارس المعدّة يدويًا.

* فريق عمل مدرّب (أو يتم تدريبه) على استخدام تكنولوجيا الحاسب

الآلى فى المجالات الآتية: إدخال البيانات، التعامل مع شبكات المعلومات، استخدام الماسح الضوئى بحيث تكون صورة الوثيقة واضحة وكاملة، حفظ صور الوثائق على الوسائط الإلكترونية المختلفة كالقرص الصلب والأقراص المدمجة، استخدام الكاميرا الرقمية لذات الهدف وإدخال الصور على الحاسب الآلى. ومن المهم الإشارة هنا إلى أن الدخول إلى قاعدة البيانات المحسّبة ينبغى أن يكون مقتصرًا على عدد محدود من الموظفين (٥ على الأكثر) بحيث لا يتمكن أى شخص من التلاعب بالبيانات المسجّلة آليًا، على أن يخصّص لكل موظف اسم مرور ID وكلمة سر Password.

- تتزامن مع المرحلة الأولى من ميكنة الوثائق مشروعات أخرى موازية لها مثل إعداد قواعد بيانات محسّبة فى الجهات التى تتعامل معها الدار (كما سبقت الإشارة إليه)، فى إطار مشروع أكبر لإنشاء شبكة معلومات وثائقية تغطى كافة الجهات التى تحول وثائقها إلى الدار، بحيث تظل الدار على صلة بما يتم إنتاجه من الوثائق، وتقرّر قيمتها التاريخية الأرشيفية، بحيث توضع فى خطة ضمّها بعد استيفاء مدة استبقائـــها فى الجهة التى أصدرتها.
- تستلزم شبكة المعلومات الوثائقية وجود server مرتبط بنقاط اتصال nodes، تتصل ببعضها للمشاركة فى المصادر الإلكترونية (كمشغلات الأقراص والماسحات الضوئية والطابعات...الخ). وفى حالة دار الوثائق القومية فإن الشبكة تقوم على محورين: من جهاز إلى جهاز peer – to - peer أى من دار الوثائق القومية إلى الإدارات المختلفة فى الدار (أو بعضها: مكتب مدير الدار، رئيس اللجنة الدائمة للمحفوظات)، والمحور الثانى شبكة محلية LAN (local area network) ترتبط بالجهات التى

تتعامل معها الدار للحصول على الوثائق، بحيث ترتبط الشبكة المحلية الصغيرة (فى داخل حدود دار الوثائق) بالشبكة المحلية الأكبر فى شبكة تبادلية internetwork. ومن المتصوّر أن نظام شبكة المؤسسات enterprise network هو الأفضل بالنسبة لدار الوثائق لأنها تضم شبكات محلية LAN ومتوسطة -MAN (metropolitan(medium)- area network) وشبكات المناطق الواسعة WAN (wide-area network)، كما أنها تتعامل فى الوقت ذاته مع جميع نظم تشغيل الحاسب.

- المرحلة الثالثة: التعامل مع شبكة الانترنت

من المنطقى بعد الانتهاء من إدخال صور جميع الوثائق أن يتجه الهدف إلى إنشاء موقع للدار على شبكة الإنترنت(٣٠)، والواقع أن الموقع الحالى ينقصه الكثير من المعلومات والبيانات عن الدار والخدمات التى تقدمها، وحتى يتحقّق الهدف من استخدام شبكة الانترنت لخدمة جمهور المستفيدين ينبغى مراعاة ما يلى:

- ينبغى تقسيم روابط الموقع بشكل منظّم ودال بحيث يقدّم صورة واضحة عن نشاطات ومكوّنات الأرشيف القومى (متوفر فى الموقع الحالى). أن يتضمّن الموقع التشريعات الأرشيفية المنظّمة لأعمال الدار كاملة بتعديلاتها والمذكرات التوضيحية لها (ما يتوفّر الآن هو قانون الإيداع وقانون الترقيم الدولى وقانون المخطوطات).
- يقدّم الموقع الفهارس الكاملة لمجموعات الوثائق والسجلات فى الدار، مع مراعاة ألا يتاح التعامل معها بالحذف أو الإضافة أو تغيير أى بيانات فيها، وذلك باعتماد برنامج خاص لا يتيح ذلك (غير متوفّر فى الموقع الحالى).

- يتم الدخول إلى قواعد صور الوثائق من خلال الدار، بحيث يحصل الباحث على اسم مرور وكلمة سر محدّدة بمقابل مادى، يمكنه بعدها الدخول إلى قواعد الصور لعدد محدّد منها أو خلال فترة زمنية محدّدة (وهو الأفضل) (غير متوفّر فى الموقع الحالى).

الهوامش:

(١) يحيى عبد العزيز عمر: تطور التشريع المصرى فى مجال الأرشيف (١٨٠٥ – ١٩٩٨). القاهرة: مطبعة دار الكتب بالقاهرة، ١٩٩٩. ص ص (بتصرف) ٦٧ – ٩١.

(٢) يحيى عبد العزيز عمر: المرجع السابق، ص ٩٩

(٣) أنظر: إنصاف عمر مصطفى: دار المحفوظات العمومية بالقلعة: نشأتها - تطورها - إدارتها - دورها فى الأرشيف الجارى. ٢مج. قسم المكتبات والوثائق، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٧. رسالة ماجستير غير منشورة.

(٤) الوقائع المصرية، العدد ١٠٢ (تابع)، ٤ مايو ٢٠٠٩

(٥) متاح على: http://www.slideshare.net/khatab38/ss-54580364

(٦) يحيى عبد العزيز عمر: المرجع السابق، ص ص (بتصرف) ١٠٦ - ١١٠

(٧) نسخة من القانون رقم ٣٥٦ لسنة ١٩٥٤ تم الحصول عليها من دار الوثائق القومية بالقاهرة

(٨) أنظر أيضًا: أبو الفتوح عودة: تشريعات الوثائق فى مصر: دراسة نقدية.

(٩) متاح على: http://alyaseer.net/vb/showthread.php?t=6531

القانون رقم ٤٧٢ لسنة ١٩٧٩ =

(١٠) أنظر أيضًا: خالد فهمى: ليس دفاعًا عن دار الوثائق: فصل دار الوثائق عن دار الكتب ضرورة قومية. أخبار الأدب، ع ٥٠٥، ١٦ مارس ٢٠٠٣. ص ٣٢.

(١١) ١٣ منشور دورى ترجع إلى الثمانينات تم الحصول عليها من دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(١٢) المعلومات الواردة فى هذا الجزء من البحث بناء على مقابلة شخصية مع أ.د. محمد صابر عرب -الرئيس الأسبق لدار الكتب والوثائق القومية -، والأستاذ / محمود فودة فى إدارة الجمع والحفظ (٢٠٠٣)، فلهما جزيل الشكر.

(١٣) يحيى عبد العزيز عمر: المرجع السابق، ص ١٣٥.

(14) Rose, John B.: The UNESCO General Information Programme and Its Role in the Development of Regional Co-operative Networks. Proceedings of the IATUL Conferences. Paper 6.

(15) Available at: http://docs.lib.purdue.edu/iatul/1989/papers/6

(16) Archival and records management legislation and regulations: a RAMP study with guidelines (prepared by: Eric Ketelaar). General Information Programme and UNISIST, United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization. Paris, 1985. available at: http://unesdoc.unesco.org/images/0006/000649/064948eo.pdf

(17) http://www.unesco.org/new/en/communication-and-information/flagship-project-activities/memory-of-the-world/homepage

(18) Elecronic Records: A Workbook for Archivists. International Council on Archives, Committee on Current Records in an Electronic Environment. Chapter 2, pp 11-14

(١٩)متاح على: /Downloads/ICA_Study-16-Electronic-records_EN.pdf

Archival and Management legislation and Regulations: Op cit., p 11

(20) Ibid., pp 13-15

(21) Archival and Management legislation and Regulations: Op cit., p 23 *See also*: Seton, Rosemary E.: The preservation and administration of private Archives:A RAMP study. General Information Programme and UNISIST, United Nations Educational Scientific and Cultural Organization. Paris, 1984.

(٢٢)موقع الأرشيف الأمريكى: https://www.archives.gov/about/laws

(23) Ibid.

(24) Archival and Management legislation and Regulations: Op cit., pp 56-57

(25) ICA / CLM: Principles for Archives and Record Legislation, DRAFT. International council on Archives, 2004.

(٢٦) - متاح على: Downloads/CLM_2004_archival-principle_paper_draft_EN.pdf

(27) Archival and Management legislation and Regulations: Op cit., pp 64 - 71

(28) Ibid., pp 97 - 98

(29) Thibodeau, Kenneth: Building the Archives of the Future: Advances in preserving Electronic Records at the National Archives and Records Administration. D-Lib Magazine, Vol.7, No.2, February 2001. available at: http://www.dlib.org/dlib/february01 /thibodeau/02thibodeau.html

(٣٠)الموقع الالكترونى: https://interparestrust.org

(31) Kenneth Thibodeau: Op Cit. - *See Also:* Electronic Records Archives; Concept Of Operations (Conops V4.0) For The National Archives And Records Administration Electronic Records Archives Program Management Office (Nara Era Pmo). Final July 27, 2004. Prepared By:Integrated Computer Engineering (Ice), A Subsidiary Of American Systems Corporation (Asc) . Available At: Https://Wiki.Umiacs.Umd.Edu/Adapt/Images/1/11/Concept-Of-Operations- 2.Pdf

(٣٢)أنظر: إنصاف عمر مصطفى: المرجع السابق.

(33) ISO International Organization for Standardization. Among other standards, responsible for ISO 15489 (records management) and ISO 8601 (writing dates and times in numbers; referred to in ICA ISAD (G) standard). The ICA standard Principles and functional requirements for records in electronic office environments has been adopted by ISO in 2009. available at:http://www.ica.org/122/ica-glossary/glossary-of-terms-often-used-in-ica.html

(٣٤) يجدر بالذكر أن هذا المقترح نظرى بناءً على التجارب السابقة فى الدول الأوروبية والولايات المتحدة، وقد اعتمدت الدار مشروعًا لميكنة مجموعات الوثائق، ولكن هناك عدد من الملاحظات المهمة التى أشار إليها د. حسن خليل عن مشروع ميكنة الوحدات الأرشيفية بالدار والعثرات التى تواجهه، يتعلق بعضها بالعامل البشرى والبعض الآخر يتعلق بإمكانيات العاملين وقدراتهم ومؤهلاتهم، ومنها ما يتعلق بمجموعات الوثائق فى الدار

(٣٥)لمزيد من التفاصيل أنظر: حسن خليل: مشروع ميكنة مقتنيات دار الوثائق القومية المصرية، رؤية نقدية. مقال إلكترونى، متاح على:

http://kenanaonline.com/users/Hassan-Khalil/posts/395668

(٣٦)العنوان الإلكترونى للموقع الحالى: http://www.darelkotob.gov.eg/index.html

قائمة المراجع

وثائق:

- القانون رقم ٣٥٦ لسنة ١٩٥٤ بإنشاء دار الوثائق القومية التاريخية.
- القانون رقم ٤٧٢ لسنة ١٩٧٩ بشأن نظام المحافظة على الوثائق الرسمية للدولة وأسلوب نشرها واستعمالها.

- الوقائع المصرية، العدد ١٠٢ (تابع)، ٤ مايو ٢٠٠٩ (لائحة محفوظات الحكومة)متاح على:
http://www.slideshare.net/khatab38/ss-54580364
- Ica / Clm, Guidelines: Principles For Archives And Record Legislation. International Council On Archives (Conseil International Des Archives). Draft. 2004

مراجع عربية:

- أبو الفتوح عودة: تشريعات الوثائق فى مصر: دراسة نقدية.
متاح على: http://alyaseer.net/vb/showthread.php?t=6531
- انصاف عمر مصطفى: دار المحفوظات العمومية بالقلعة: نشأتها - تطورها - إدارتها - دورها فى الأرشيف الجارى. ٢مج. قسم المكتبات والوثائق، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٧. رسالة ماجستير غير منشورة.
- حسن خليل: مشروع ميكنة مقتنيات القومية المصرية، رؤية نقديـــة.
مقال الكترونى، متاح علـــى: http://kenanaonline.com/users/Hassan-Khalil/posts/395668
- خالد فهمى: ليس دفاعًا عن دار الوثائق: فصل دار الوثائق عن دار الكتب ضرورة قومية. أخبار الأدب، ع ٥٠٥، ١٦ مارس ٢٠٠٣
- يحيى عبد العزيز عمر: تطور التشريع المصرى فى مجال الأرشيف (١٨٠٥ – ١٩٩٨). القــاهرة: مطبعة دار الكتب بالقاهرة، ١٩٩٩

مراجع أجنبية:

- Archival and records management legislation and regulations: a RAMP study with guidelines (prepared by: Eric Ketelaar). General Information Programme and UNISIST, United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization. Paris, 1985.
Available at:
http://unesdoc.unesco.org/images/0006/000649/064948eo.pdf
- Electronic Records: A Workbook For Archivists International Council On Archives Committee On Current Records In An

Electronic Environment. Chapter 2, pp 11-14
Available at: Downloads/ICA_Study-16-Electronic-records_EN.pdf
- ICA / CLM: Principles for Archives and Record Legislation, DRAFT. International council on Archives, 2004.
Available at: Downloads/CLM_2004_archival-principle_paper_draft_ EN.pdf
- Kenneth, Thibodeau: Building the Archives of the Future: Advances in preserving Electronic Records at the National Archives and Records Administration. D-Lib Magazine, Vol.7, No.2, February 2001.
Available at:
http://www.dlib.org/dlib/february01/thibodeau/02thibodeau.html
- Rose, John B.: The UNESCO General Information Programme and Its Role in the Development of Regional Co-operative Networks. Proceedings of the IATUL Conferences. Paper 6. Available at: http://docs.lib.purdue.edu/iatul/1989/papers/6

مواقع انترنت:

- موقع دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة:
http://www.darelkotob.gov.eg/index.html
- موقع الأرشيف الأمريكى / التشريعات:
https://www.archives.gov/about/laws
- الدراسة العالمية عن الوثائق الأرشيفية الأصلية فى الأنظمة الإلكترونية InterPARE: https://interparestrust.org

موقع مشروع ذاكرة العالم
http://www.unesco.org/new/en/communication-and-information/flagship- project-activities/memory-of -the-world/homepage .

بيليوجرافيا:

- قانون رقم ٢٢ لسنة ١٩٨٣ بتعديل بعض أحكام القانون رقم ١٢١ لسنة ١٩٧٥ بشأن المحافظة على الوثائق الرسمية للدولة وتنظيم أسلوب نشرها.

- لن روبنسون: الشبكة المحلية للمعلومات LAN، التصميم – التنفيذ (ترجمة: ابراهيم ابراهيم خليفة، سمير السعيد حامد). كتيبات أسليب للمعرفة (محرر السلسلة العربية: الدكتور شوقى سالم). الاسكندرية، مصر: مركز الاسكندرية للوسائط الثقافية والمكتبات، [١٩٩٩]

- سيد حسب الله، أحمد محمد الشامى: الموسوعة العربية لمصطلحات علوم المكتبات والمعلومات والحاسبات. ط ١. القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ٢٠٠١. مج ٣، مادة: Network.

- Seton, Rosemary E.: The preservation and administration of private Archives: A RAMP study. General Information Programme and UNISIST, United Nations Educational Scientific and Cultural Organization. Paris, 1984.

- Electronic Records Archives; Concept Of Operations (Conops V4.0)For The National Archives And Records Administration Electronic Records Archives Program Management Office (Nara Era Pmo). Final July 27, 2004. Prepared By:Integrated Computer Engineering (Ice), A Subsidiary of American Systems Corporation (ASC) .

Available at: Concept-of-operations-2.pdf









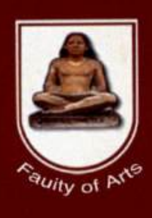
Egyptian Historian

Studies and Research in History and Civilization
(Academic semi-annual journal)

Issued by the Department of History
Faculty of Arts - Cairo University

Forty -eighth Issue

January, 2016



Journal Egyptian Historian



Studies & Researches In History & Civilization

Issued by the Department of History
Faculty of Arts - Coiro University

Volume 48 January 2016